المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

مفهوم العلم الإلهي عند اليهود وموقف الإسلام منه

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالبة
مريم حسن أحمد تيجاني
٤٢٤٨٠٢٢١

إشراف الدكتورة
أحلام محمد سعيد باحمدان

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

إهداء

إلى روح والدتي الحبيبة.......رحمهـــــــا المولى رحمة واسعة.

إلى والدي العزيز.................أمد الله في عمره وأمتع

به...

إلى كل من أحبني في الله لا غير....

إلى كل مؤمن ومؤمنة ينشدان الحق وسبيل الصراط المستقيم

أهدي هذا الجهد المتواضع سائلة المولى القـــدير أن ينفع به

وأن يجعله ذخرا لي يوم ألقاه .

الباحثة

مُقَدِّمَة

الحمد لله المتفرد بصفات الكمال ونعوت الجلال تنزيهاً وتقديساً ، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لاشريك له عالم الغيب والشهادة والسر والعلانية ، أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد...

فإنه لايخفى ما لصفة العلم الإلهي من أهمية بالغة من بين جملة عقائد الألوهية ، إذ أن أهميتها تنبع من أهمية الذات القدسية التي تتصف بها .

ولاتقتصر تلك الأهمية على دين أو عقيدة بعينها ، وإنما تشمل جميع العقائد التي قررتها الأديان السماوية على اختلافها .

وما من شك في أن الدين اليهودي يعد أحد تلك الأديان السماوية التوحيدية في أصله ، وبالتالي فإن صفة العلم الإلهي قد كانت في عصر نبي الله موسى وما بعده تتبوأ مكانها التنزيهي بين جملة العقائد اليهودية الأخرى .

أما بعد عصر خراب الهيكل والفترة التي أعقبت ضياع التوراة فإن الدين اليهودي قد تعرض لمتغيرات عديدة لعل أهمها إعادة صياغة الدين اليهودي . ونتيجة لذلك أصاب التحريف كثيرا من قضايا الألوهية عموما وصفة العلم الإلهي على وجه الخصوص .

ومن المؤكد أن تأثير ذلك التحريف على عقيدة الألوهية وصفاتها ومن بينها صفة العلم الإلهي خصوصا لم يكن حكراً على الدين و العقيدة اليهوديين فحسب ، وإنما تسرب منها إلى الملل الأخرى .

فقد تسرب إلى الملة الإسلامية ما عرف في المؤلفات الإسلامية بمسمى الإسرائيليات بعد ذلك تمييزاً له عن غيره من العقائد الإسلامية الصحيحة .

وأهمية الموضوع تتبدى في أهمية المعرفة أولا ليتسنى الإحتراز والوقاية بعد ذلك . فإذا عرفت مصادر تلك التصورات المشوهة لعلم الباري تعالى أمكن الوقاية منها .

ويمكن القول بأن تلك التصورات المنحرفة لعلم الباري تعالى في المفهوم اليهودي قد كانت عاملاً رئيساً في بلبلة الفكر الإسلامي حيث تبنت بعض طوائف الفكر الإسلامي آراء كلامية كانت سببا في شن حملات التكفير على قدم وساق . كما كانت سبباً في تشويه عقيدة الألوهية الصافية الصحيحة لديها .

وعلى هذا فالعلم الإلهي عند اليهود قد شكل خطرا على عدة جوانب أهمها :

١) تشكيله جانباً منحرفاً مشوهاً في الملة اليهودية ذاتها بحيث لا يشك أبداً في الوضع البشري لتلك النصوص التي حوت مفاهيم قاصرة للعلم الإلهي .
٢) بلبلة الفكر الإسلامي وتشكيل جانبٍ منحرف آخر بسبب الإتصال المباشر بين بعض أفراد وأعلام الفكر الإسلامي و بعض اليهود ، وبذلك شكل رافداً يضم إلى بقية الروافد التي شكلت بمجموعها أسباباً لانحراف تصور بعض طوائف الفكر الإسلامي في مفهوم العلم الإلهي،وقد ظهر أثر ذلك جليا من خلال تبني القول بثلاث قضايا أساسية :

أ ـ قضية نفي العلم الإلهي وذلك ضمن إطار أكبر و أشمل يتجلى في قضية نفي الصفات.

ب ـ القول بخلق القرآن .

جـ ـ قضية نفي القدر .

أما **بالنسبة لسبب إختيار الموضوع** فقد كان هذا الموضوع ضمن منظومة من الموضوعات التي رشحت من قبل حضرة المرشد الأستاذ الدكتور محمد يسري جعفر ـ حفظه الله ـ للدراسة والبحث ، وقد صادف هذا الموضوع ميلاً في نفسي حيث كنت ولا زلت أهتم بموضوع الأديان عموما والعقائد اليهودية على

وجه الخصوص . ثم لما خضت غمار التجربة تبدت لي الأهمية البالغة للموضوع ، فالحمد لله من قبل ومن بعد .

وبالنسبة **لمنهج الدراسة** فقد تلخص في الآتي :

- الإعتماد على منهج الإستقراء للحصول على المعلومات المطلوبة .
- إستخدام المنهج التاريخي لتتبع بعض الأحداث ، ولمعرفة تسلسلها الزمني نظرا لأهمية ذلك في خدمة الفكرة، وذلك واضح في الجزء المتعلق بشخصيات التأثر و التأثير .

- إستخدام المنهج التحليلي للنصوص المختلفة للتعرف على أوجه المخالفة و المنافاة فيها للعلم الإلهي .
- وبالنسبة لما يتعلق بالفرق اليهودية فقد اعتمدت كتابة تعريف بكل فرقة ، مع الإهتمام بذكر أماكن تواجدها في العصر الحالي . وأهمية ذلك تكمن في الناحية المعرفية حيث تعطي تصورا بأن تلك الآراء و العقائد لازالت باقية إلى يومنا هذا لأن بقاء الفرقة كفيل ببقاء أفكارها ومعتقداتها .

- وقد كان نهجي التعريف بكل فرقة حسب المعلومات المتاحة ، فلم أتقيد بإطار محدد وذلك واضح عند تعريفي لفرقة الحسيديم المعاصرة .

- كما أنني اقتصرت في ذكر الفرق اليهودية على أربع فرق وهي : فرقة السامريين ، والربانيين ، والقرائين، والحسيديم المعاصرة وذلك لأسباب هي :

١) بالنسبة لما يتعلق بفرقة السامريين فلأن فرقة السامريين تمثل جانبا مستقلا عن سائر اليهود ، فهي فرقة منفصلة تماما عن بقية اليهود وتختلف معهم في أمور جوهرية ، فلها توراة خاصة بها وهي التوراة السامرية ، كما أن لها قبلة مستقلة خاصة بها وهي جبل جرزيم .

وعلى هذا فهي تمثل جانبا مناقضا لسائر اليهود ، لذا كان لابد من تناول مفهوم العلم الإلهي لديها لمعرفة ما إذا كانت تتوافق مع سائر اليهود حيال هذه الصفة أم لا .

٢) أما سبب تناولي للربانيين فلأسباب أيضا :

ــ أنها الفرقة الأصل في تاريخ اليهود وتشكل الأكثرية الساحقة في الماضي والحاضر ، لذلك فالحديث عنها يشمل أغلب اليهود .

ــ أنها الفرقة الداعمة لسلطة التلمود في الفكر اليهودي ، وتمثل التعصب اليهودي في أشد درجاته حيث يعدون أنفسهم حماة شريعة الرب .

٣) أما سبب تناولي لفرقة القرائين فلأسباب كذلك :

ــ أنها أول فرقة تمردت على هيمنة التلمود و سلطة الربانيين بموقف قوي في الفكر اليهودي .

ـ أنها الفرقة اليهودية التي تبنت الدفاع عن قضايا ذات أصل إسلامي وأدخلتها ضمن إطار عقائدها المذهبية ، ولا عجب في ذلك فقد كانت وليدة الوسط والفكــر الإسلاميين أنذاك ، ولذلك عُدت أكثر الطوائف اليهودية اعتدالاً.

فالربانيين والقرائين قد شكلا طرفي نقيض بسبب اختلافهم حول الأخذ و الإعتراف بكتاب التلمود ، فتباينت مواقفهما واحتدم الصراع والجدل بينهما . فالربانيين بصفتهم أرباب التلمود تولوا الدفاع عنه ، وكانوا أشد تعصباً وتحيزاً ضد طائفة القرائين المنشقين عن سلطة التلمود . ولا يزالون إلى اليوم يشكلون طرفي صراع داخل المستوطنات الإسرائيلية .

فالحديث عن الربانيين يمثل امتدادا للحديث عن جميع فرق اليهود الداعمة لسلطة التلمود والمتعصبة في الأخذ به ، بينما يمثل الحديث عن طائفة القرائين امتداداً للحديث عن سائر الفرق التي انشقت وتمردت على سلطة التلمود والفرق الأكثر اعتدالا في عقائدها .

٤) أما طائفة الحسيديم المعاصرة ، فعلى الرغم من أنها فرع من الربانية ، إلا أنني تناولت الحديث عنهم لأسباب أيضا :

ـ كونهم يمثلون اليهودية المتعصبة المتمثلة في الأرثوذكسية[1] اليوم ، والتي تعد التلمود الوثيقة الأعلى شأنا و التي من خلالها يتم فهم اليهودية عموما حسب تصورهم .

ـ كونها تمثل الطائفة المسيطرة على زمام الأمور الدينية في إسرائيل حيث يشكلون أساس الأحزاب اليمينية المتطرفة في إسرائيل .

أما بالنسبة لمصادر ومراجع البحث فقد اعتمدت على كتاب العهد القديم إضافةً إلى الكتب المتخصصة ككتب مقارنات الأديان مثل : ـ اليهودية للدكتور أحمد شلبي .
ـ الأسفار المقدسة قبل الإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي ،
وغيرهما .

كما اعتمدت على بعض الموسوعات التخصصية مثل : ـ موسوعة اليهود واليهودية للدكتور عبد الوهاب المسيري ، وهي موسوعة علمية جامعة لا غنى عنها للباحث في التاريخ اليهودي ، لكنها رغم ذلك لاتخلو من مواضع تتطلب الحس النقدي فيها سيما وأنها قد حوت تشكيكاً وإنكاراً لبعض الحقائق الثابتة في تاريخ الديانة اليهودية كحوادث استخدام الدم البشري ، كما حوت إغفالاً كبيراً لكثيرٍ مما كان يجدر بالمؤلف التنبيه إليه ببيان وجه بطلانه أو التعليق عليه .

ـ ومن الموسوعات المستفاد منها في البحث أيضاً :
موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية للدكتور عبد المنعم الحفني . وغيرهما .

---

[1] اليهودية الأرثوذكسية يُشار إليها باعتبارها الأصولية اليهودية ، وهي فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر وجاءت كردة فعل للتيارات التنويرية والإصلاحية بين اليهود ، وتعتبر الأرثوذكسية الإمتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية ، ومصطلح (أرثوذكس) مصطلح مسيحي يعني : (الإعتقاد الصحيح) وقد أُستخدم للإشارة إلى اليهود المتمسكين بالشريعة . انظر: موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، للدكتور عبد الوهاب المسيري ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، دار الشروق ، القاهرة، جـ ١ ، ص ١٥٢.

كما اعتمدت مراجع مترجمة لمؤلفين يهود وغير يهود ، مثل : ـ تاريخ نقد العهد القديم لزالمان شـــازار .
ـ والفرق الدينية اليهودية في الموسوعـــة العبرية، ترجمة : الأستاذ نبيل الغندور .
ـ التوراة تاريخها وغاياتها ، ترجمة سهيل ديب، وغيرها .

كما اعتمت على بعض الكتب التي اختصت في الحديث عن كتاب التلمود كالكنز المرصود ، و التلمود للدكتور أحمد إيبش وغيرهما . وكذلك اعتمدت على بعض الكتب العامة كقصة الحضارة لوول ديورانت وغيره .

هذا بالإضافة إلى كتب الفرق والمقالات مثل مقالات الإسلاميين للإمام الأشعري ، والملل والنحل للإمام الشهرستاني وغيرهما ، وإضافة أيضاً إلى كتب التواريخ العامة وكتب العقائد المسندة ، وكتب الردود والشروح ، وكتب التراجم والرواة ، وكتب التفسير والحديث وغيرها .

وقد اعتمدت أحياناً في تأصيلي لبعض المعلومات على كتب فريدة باعتبارها مرجعاً وحيداً في الموضوع في ظل شح المراجع المتخصصة في عقائد الفرق اليهودية بشكل مسهب وتفصيلي وذلك واضح عند تناولي لفرقة الحسيديم،فقد اعتمدت بشكل كبير على كتاب الدكتور جعفر هادي حسن والذي يحمل عنوان : " اليهود الحسيديم " وذلك لأسباب :

أولها : أنه كتاب تخصصي فريد في فرقة الحسيديم المعاصرة باللغة العربية .

ثانيها : أنه عني بذكر تفاصيل عديدة للفرقة ومرشديهـــا الروحيين ، وقد أفدت به كثيرا في البحث.

ثالثها : أن الدكتور جعفر هادي قد ذكر في مقدمته أنه اعتمد في بحثه كله على كتب ومـــراجع أجنبية مختلفة تتراوح بين عدة لغات ومن هنا كانت قوة الكتـــاب والتي تمثلت في معلوماته الفريدة عن هذه الفرقة .

رابعها : إنعدام المادة العلمية المتعلقة بتلك الفرقة سوى ما وُجد من شَذَرَات منثورة في بعض المراجع لم تتجاوز التعريف بالفرقة بشكل مختصر وجاءت مكررة في جميع تلك المراجع .

وكذلك الحال أيضا بالنسبة للمراجع الشيعية فقد تعذر علي اقتناء النسخ التي كان من المزمع حصولي عليها، فاقتصرت على ما توافر منها ، ونقلت عن الكتب المتخصصة الناقلة عن مصادر شيعية أخرى .

ونظراً لما سبق ذكره من قلة المراجع والمصادر التفصيلية فقد اهتممت بالمعلومة التي تهم البحث أنى وجدتها بغض النظر عن نوعية المرجع ، وقمت بتوثيق جميع ذلك وفق ضوابط المنهج العلمي .

ـ كما قمت بخريج الآيات والأحاديث الشريفة .
ـ وكذلك قمت بتوثيق المعلومات في الهامش حسب المنهج العلمي فكنت أكتفي بذكر اسم المرجع أو المصدر في حال الاقتباس النصي ، وإرفاق كلمة " انظر " في حال التصرف في النص المقتبس .

ـ عند اقتباس نصوص من العهد القديم فإني أذكر اسم السفر ثم رقم الإصحاح والفقرات بين قوسين كبيرين بحيث تفصل بينهما شرطة مائلة ، فيشير الرقم الأول إلى رقم الإصحاح بينما يشير الرقم الثاني إلى رقم الفقرات ، مثال : تكوين (١/ ٤) ، أي أن موضع النص هو سفر التكوين الإصحاح الأول الفقرة الرابعة ، وهكذا .
ـ بالنسبة لجملة القول أو المتن فقد عنيت بوضعه بين قوسين صغيرين لتمييزه عن غيره .
ـ وفيما يتعلق بالفرق الكلامية المتأثرة باليهودية فقد عنيت بذكر الأصل اليهودي الذي حدث التأثر الكلامي به تحت مسمى "قضية التأثر" .

ـ كما عنيت بذكر بعض المصطلحات الكلامية التي تأثر فيها بعض طوائف الفكر الإسلامي بمن تأثروا بالأفكار ذات الأصول اليهودية ، وفيما عدا ذلك لم أتطرق إلى التفصيلات المذهبية والمسائل الكلامية التفصيلية لكل فرقة ، لأن المهم هو ذكر أصل قضية التأثر دون الخوض في التفصيلات الدقيقة التي بنى عليها أرباب الطوائف مسائلهم الكلامية .

ـ عند الكلام عن الديانات الوثنية التي تأثر بها اليهود قمت بالتعريف المختصر لبعض الحضارات الوثنية التي تأثر بها التصور اليهودي في مفهوم العلم الإلهي نتيجة اختلاطهم بهم ، حتى يتكون لدى القاريء تصور عن بعض الحضارات السابقة على الوجود اليهودي ، والتي تأثر بها اليهود فيما بعد .

فإذا عرفت موروثات تلك الأمم الفكرية أمكن حينئذ معرفة الأصول التي ينتمي إليها التراث اليهودي ، بحيث لايمكن نسبة مثل تلك التصورات القاصرة البتة لأي مصدر سماوي صحيح . وقد لمست ذلك شخصيا خلال البحث .

وهناك بحث قيم قام به الدكتور فتحي الزغبي بعنوان " اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة " قام فيه بعقد مقارنة بين بعض النصوص القديمة التي تعود إلى الحضارات القديمة البابلية والسومرية وغيرهما وبين النصوص المنسوبة للتوراة فوجد بينهما تطابقا في الشكل والجوهر ، الأمر الذي يؤكد اقتباس الكتبة اليهود لتلك النصوص ونسبتها إلى الوحي الإلهي .

ولست أعني هنا سوى ما يمثل وثنية أو انحرافا عقديا لأن تلك الأسفار كما حوت الغث والباطل ، فقد حوت نزراً يسيراً من الحق ومما صح معناه .

ـ كما قمت أيضا بالتعريف لبعض الشخصيات والأماكن والبلدان .
ـ وفيما يتعلق بخطة البحث فقد أعدت تنظيمها وفق الشكل التالي ، وذلك لأسباب واعتبارات مهمة :

أولا : قمت بإفراد باب إضافي بعنوان " موقف الإسلام من مفهوم العلم الإلهي عند اليهود " بحيث يكون بابا ثانيا بعد الباب الأول الخاص بمفهوم العلم الإلهي في العقيدة اليهودية ، وهو يليه مباشرة وقد جاء هذا الترتيب لسببين جوهريين مفادهما :

ـ أن ذلك يتماشى مع عنوان البحث " مفهوم العلم الإلهي عند اليهود وموقف الإسلام منه " ، فالترتيب المنطقي يقتضي عرض مفهوم العلم عند اليهود أولا ، ثم الرد عليه ببيان موقف الإسلام ثانيا .
ـ أن المعقول يقتضي سرد حجج المعارض أولا في حين يأتي الرد ثانيا ، وموقف الإسلام من مفهوم

العلم عند اليهود يشكل موقف الرد لذا كان لابد من تأخيره بحيث يكون بعد سرد تلك المفاهيم لا العكس ، والحق أبلج من ضوء النهار لذي البصيرة ولمن صحت فطرته ، لذا فلا يتصور التأثر بما في تلك التصورات من الغث مادام الرد والبيان يعقبه مباشرة .

ـ أما إفراده بباب فلسببين أيضا يتلخصان في :

ـ أنه يمثل موقفا تصحيحيا إزاء تلك الصور المشوهة للعلم الإلهي في العقيدة اليهودية فلذلك رأيت إفراده بما يوازي ذلك ، فبما أن الفرق اليهودية استقلت بباب لبيان تصورها للعلم الإلهي فلابد كذلك للموقف التصحيحي ـ وهو أكمل وأتم ـ أن يستقل بباب لأنه في موطن الرد والتصحيح .

ـ أنه يشغل حيزا جوهريا من البحث ، فلذلك رأيت إفراده بما يناسبه وهو الباب دون ماسواه من فصل أو تمهيد .

الدراسات السابقة :

لقد تعددت الدراسات المختلفة في التراث والعقيدة اليهودية بعامة ، أما ما يتعلق بمفهوم العلم الإلهي عند اليهود فلم تتوافر لدي معلومات عن مثل هذه الدراسة الجزئية على وجه تفصيلي .

وحسب إفادة مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث فليس هناك دراسات سابقة مطابقة لذات الموضوع ، والعلم عند الله تعالى .

خطة الدراسة :

أما بالنسبة لتقسيم البحث فهو يتألف من مقدمة وثلاثة أبواب على النحو التالي :

المقدمة ، وتشمل :

١) أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

٢) منهج البحث .

٣) الدراسات السابقة .

٤) خطة البحث .

فأما **الباب الأول فهو بعنوان " العلم الإلهي في العقيدة اليهودية "** ، ويتألف من :

التمهيد بعنوان : **مجمل الصفات الإلهية عند اليهود** . ويحتوي على مختصر صفات الإله عند اليهود.

الفصل الأول : **دراسة تفصيلية لمفهوم العلم الإلهي عند اليهود** . وهذا الفصل يتألف من تمهيد ومباحث ، حيث يختص كل مبحث بدراسة فرقة من الفرق اليهودية على وجه مستقل ، وهذه المباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : مفهوم العلم الإلهي عند السامريين .

المبحث الثاني : مفهوم العلم الإلهي عند الربانيين .

المبحث الثالث : مفهوم العلم الإلهي عند القرائين .

المبحث الرابع : مفهوم العلم الإلهي عند فرقة الحسيديم المعاصرة .

أما **الفصل الثاني فهو يتحدث عن عقيدة البداء المنافية للعلم الإلهي في التصور اليهودي** ، ويتألف من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : **موقف اليهود من البداء قديما (تأصيل فكرة البداء)** . وهذا المبحث يبحث عن جذور وأصل عقيدة البداء في التصور اليهود لمعرفة أول من قال بها ، ويشتمل على المبحث على أربعة مطالب :

المطلـب الأول : معاني البداء و أنواعه والفرق بينه وبين النسخ .

المطلب الثاني : تاريخ وجود البداء في التصور اليهودي بالنظر إلى تشابه العِلل .

المطلب الثالث : تاريخ وجود البداء في الأسفار اليهودية بالنظر إلى العامل التاريخي .

المطلب الرابع :الأدوار التي مرت بها عقيدة البداء في كتاب اليهود المقدس .

أما **المبحث الثاني** فهو بعنوان : **موقف فلاسفة اليهود من البداء** وهو يشتمل على أربعـة مطالـب يتناول كل مطلب منها أحد فلاسفة اليهود الذين كان لهم تأثير في الدين اليهودي قديما وحديثا ، وذلك على النحو التالي :

المطلب الأول : موقف فيلون السكندري من البداء .

المطلب الثاني : موقف سعديا الفيومي من البداء .

المطلب الثالث : موقف موسى بن ميمون من البداء .

المطلب الرابع : موقف هرمن كوهن من البداء .

ثم يأتي المبحث الثالث وهو بعنوان : البداء في الفكر اليهودي المعاصر . ويتحدث عـن الصـهيونية كفكر حديث ممثل لليهودية ، وعلاقتها بعقيدة البداء المنافية للعلم الإلهي .

والفصل الثالث وهو بعنوان : **الديانات التي أثـرت في مفهـوم العلـم الإلهـي عنـد اليهـود** . وهـو يتنـاول الحديث عن بعض الديانات الوثنية السابقة والتي تأثر بها تصور اليهـود لصـفة العلـم الإلهـي ، إضـافة إلى الدين الإسلامي الذي تأثر به مفهوم العلم الإلهي عند بعض اليهود الذين نشأوا في ظلال دولته .

ونظراً لما بين المرحلتين من تغاير حيث شكلت مرحلة التأثر بالأديان الوثنية السابقة في مفهوم العلم الإلهـي مرحلة انحطاط عقدي وفكري في الدين اليهودي ، في مقابل مرحلة التـأثر بالـدين الإسـلامي والـتي شـكلت مرحلة ارتقاء ونوع من التنزيه إذا ما قورنت بمراحل الإنحطاط ، أقول فنظراً لتلك الاعتبـارات فقـد قسـمت هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول بعنوان : **تأثر مفهوم العلم الإلهي عند اليهود بالديانات القديمة** . ويتحدث عن التأثر اليهودي بالأديان والوثنيات السابقة على وجوده . كما يتألف من تمهيد و أربعة مطالب :

المطلب الأول : تأثر اليهود بالتصورات الوثنية عند الأديان السابقة .

المطلب الثاني : أهم الديانات الوثنية التي تأثر بها التصور اليهودي .

المطلب الثالث : نماذج مقتبسة من بعض أساطير تلك الديانات والتي تنسب قصور العلم للآلهة .

المطلب الرابع : بعض أسباب انحراف تصور اليهود للعلم الإلهي .

أما المبحث الثاني فهو بعنوان : **التأثر اليهودي بالإسلام** ، ويتناول آراء بعض رموز الفكر اليهودي من دائرة الثقافة الإسلامية .

ثم يأتي **الباب الثاني** وهو بعنوان : " **موقف الإسلام من مفهوم العلم الإلهي عند اليهود** " ، ويشتمل على الأدلة النقلية والعقلية المقررة المثبتة لعلم الله تعالى وخصائصه ، كما يتضمن بعض ردود علماء الإسلام على تلك المفاهيم القاصرة للعلم الإلهي ، إضافة إلى تقرير سلفي لصفة العلم الإلهي ، وقد أفردنا فصلاً لكل محور من المحاور السابقة .

أما **الباب الثالث** فهو بعنوان : **أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على الفرق الإسلامية** ، ويتألف من تمهيد وفصلين :

الفصل الأول بعنوان : أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على التصور الشيعي .

الفصل الثاني بعنوان : أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على الفرق الإسلامية .

وأخيراً **الخاتمة** وتحتوي خلاصة ما تم التوصل إليه من نتائج البحث .

وفي الختام أحمد المولى عزوجل على تيسيره ومنه وفضله علي بإتمام هذا البحث ، و أثني عليه سبحانه بما هو أهله . كما أتوجه بالشكر العميق لكل من ساعدني برأي أو مشورة أو مرجع أو دعوة صادقة بظهر الغيب.

ووقفة شكر وعرفان إلى منار الهدى والعلم والفكر.. جامعتي الحبيبة ، وأخص بذلك كليتي الغالية.. الدعوة وأصول الدين وكافة منسوبيها عميدا ووكلاء وأساتذة ومشائخ أجلاء أفاضل .

كما أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر المولى عزوجل إلى حضرة المشرفة الغالية الأستاذة الدكتورة أحلام محمد سعيد باحمدان والتي لم تأل جهداً في إسداء النصح والإرشاد لما فيه صالح البحث ، فجزاها الله خير الجزاء وجعل ذلك كله في موازين حسناتها .

ثم الشكر موصول إلى سعادة الدكتور علي المهيدب عضو هيئة التدريس بإحدى جامعات الرياض و الذي أمدني بكثير من المراجع رغم بعد الشقة بيننا فجزاه الله خيرا وجعل ذلك كله في ميزان حسناته .

وأخيرا فهذا جهد المقل ، وحسبي أني قد بذلت قدر استطاعتي ، واستنفدت وسعي في سبيل الوصول إلى الصورة المرجوة ، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى ، وما كان في من خلل فأسأل المولى القدير أن يعفو عن الزلل . ولئن عدمت كمالاً فلن أعدم توجيهاً ونصحاً سديدين لمن هم أهل لذلك من أساتذة كرام أجلاء . وكلي استعداد وهمة لتصويب وإصلاح ما يطلب مني بعون الله تعالى وتوفيقه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة :

١ ـ عنوان الرسالة : " مفهوم العلم الإلهي عند اليهود وموقف الإسلام منه " .

٢ ـ إسم الباحثة : مريم بنت حسن بن أحمد تيجاني .

٣ ـ الدرجة : الماجستير .

٤ ـ خطة الموضوع : يتألف البحث من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث .

٥ ـ هدف الدراسة : تهدف الدراسة إلى الكشف عن عقيدة اليهود حول صفة العلم الإلهي نفياً و إثباتاً ، إضافة إلى الكشف عن أصول الوثنية في العلم الإلهي في التصور اليهودي ومن ثم الأصول اليهودية في الإنحراف الذي طال بعض طوائف الفكر الإسلامي .

٦ ـ موضوع الرسالة : تتناول الرسالة موضوع صفة علم الباري عزوجل في العقيدة اليهودية ، وموقف الإسلام حيال ذلك التصور اليهودي . كما تتناول كيفية حصول التأثر والتأثير بين الفكرين الإسلامي واليهودي ، وأهم قضايا التأثر و التأثير في العلم الإلهي .

٧ ـ أبواب الدراسة :

ـ الباب الأول وهو بعنوان : " العلم الإلهي في العقيدة اليهودية " ، ويتألف من تمهيد و ثلاثة فصول .

ـ الباب الثاني بعنوان : " موقف الإسلام مفهوم العلم الإلهي عند اليهود " .

ـ الباب الثالث بعنوان : " أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على الفرق الإسلامية " ، ويتألف من تمهيد و فصلين .

٨ ـ أهم النتائج :

ـ اليهودية المحرفة قد تناقضت في موقفها حول صفة العلم الإلهي .

ـ العقيدة اليهودية المحرفة قد غلب عليها طابع تشبيه علم الباري تعالى بعلوم المخلوقين .

ـ الفرق اليهودية لم تتفق حول رؤية معينة في عقيدة العلم الإلهي و إنما تباينت آراؤهم حول ذلك حيث مال البعض منها نحو الإثبات و التنزية كما هو الحال لدى الطوائف التي نشأت في ظل دولة الخلافة الإسلامية كاليهود القرائين على سبيل المثال .

ـ عقيدة البداء عقيدة راسخة في التصور اليهودي ، وقد تسربت منه إلى التصور الشيعي حيث أصبحت توازي جملة العقائد الإسلامية الأخرى وفق المنظور الشيعي .

ـ تأثر الطوائف الإسلامية باليهودية في العلم الإلهي قد انحصر في أربعة نقاط أساسية :

أ ـ القول بالبداء .

ب ـ القول بخلق القرآن .

ج ـ القول بنفي صفات الباري عزوجل ومنها العلم الإلهي .

د ـ القول بنفي القدر .

وذلك عن طريق شخصيات التأثر المختلفة والتي تناولناها خلال البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Abstract

1- Research's title**: The Jew's concept of God Science and the Opinion of Islam in this concept "**

2- Researcher's Name **: Mariyam Hassan Ahmad Teejani.**

3- Degree **: master degree.**

4- The subject plan **: the research consists of an introduction, three parts, conclusion shows the most important findings, and the indexes.**

5- The research's aim **: The research aims to shows the Jewish beliefs in the God science, positively or negatively. Also, the research aims to discover the idolater origins of the God science in the Jewish concepts. Then, the research aims to show the Jewish origins in some of the Islamic groups whose are affected by the Jewish straying from the right path.**

6- The research's subject **: The study shows the subject of the God science in the Jewish beliefs, and the Islamic opinions in those concepts. Also, the research discusses the method of mutual effects in the Islamic and Jewish thinking, and the most important effects in the God science.**

7- The research's parts **:**

- **the first part titled " The god Science in the Jewish beliefs. This chapter is divided into three chapters.**
- **The second part titled " The Islamic opinions in the Jewish God Science concepts".**
- **The third part titled " The effects of the Jew God Science in the Islamic groups, and it is divided into a preface and two chapters.**

8- **The most important findings :**

- **The Jews go astray in their beliefs of the God Science**
- **The Jewish beliefs deal with the God Science in the same method of dealing with the other sciences.**
- **The Jewish groups do not agree in their concepts of the God Science. There are so many different opinions among the Jewish groups about the glorification of god is clear. Those groups appeared in the Islamic countries such as the Graeen group.**
- **The nomadic belief appears clearly in the Jewish beliefs. Those beliefs affect the Shia'ah groups and start to and overlapping the other groups of the Shia'ah groups.**
- **The Islamic groups are affected by the Jews in the field of God science. This science is divided into mean four points :**

a) **The nomadic says.**
b) **The Creation of the Holy Qura'an.**
c) **They deny the descriptions of Almighty Allah in the God Science.**
d) **They deny the desty .**

This points are discussed in the research including the persons affects those beliefs.
At Last, Praise is for almighty Allah, Peace and prayers may be upon his messenger, his family and followers .

الباب الأول

العلم الإلهي في العقيدة اليهودية

ويتألف من تمهيد و ثلاثة فصول :
التمهيـــــد : مجمـــــل الصفـــات الإلهية عند اليهـــــود .
الفصل الأول : دراسة تفصيلية لمفهوم العلم الإلهي عند اليهـــــود .
الفصل الثـاني: عقيـــــدة البـــــداء عنـــــد اليهـــــود .
الفصل الثـالث: الديانات التي أثرت في مفهوم العلم الإلهي عند اليهود .

التمهيـــد

مجمل الصفات الإلـهية عند اليـهود

التمهيد

مجمل الصفات الإلهية عند اليهود

إن مما لاشك فيه أن الأديان السماوية جميعها جاءت لتقرير التوحيد وأصول الدين التي هي من أهم ركائز الأديان ، وهذا هو ما نرمي إليه من أن الأديان واحدة من حيث أصولها ودعوتها إلى توحيد الخالق وإفرادهُ بالعبادة وإن اختلفت تشريعاتها بحسب ما يقتضيه حال شعوبها وأممها . ويوضح لنا ذلك جلياً قوله ﷺ : (الأنبياء أخوةُ لِعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد). [1]

وعلى الرغم من أن تلك الدعوات كانت في أصولها وعقائدها متحدة الهدف والغاية إلا أن هناك من حاد عن جادة الحق والطريق السوي ، خاصةً فيما يتعلق بالذات العليّة وهي ذات الحق تبارك وتعالى فأعمل فيها هوىً أو خيالاً وزاغ عن الحق بما نسبهُ إلى ذات الباري تبارك وتعالى مما لا يحق له أن ينسبه إليه أو يصفه به.

وهؤلاء الذين انحرفوا عن الطريق القويم لم يكونوا طائفة واحدة فحسب ، بل كانوا عدة طوائف ومن كل الأديان وكانوا يتفاوتون في مدى الإنحراف ونسبته ونوعه .

وما يهمنا هنا في هذا البحث هو بيان مدى الإنحراف الذي لحق بالعقيدة اليهودية فيما يتعلق بصفة علم الخالق تبارك وتعالى على وجه الخصوص .

لكن قبل ذلك سنتناول في هذا التمهيد – بعون الله تعالى – مجمل الصفات الإلهية عند اليهود ، مع جزمنا بأن يهودية اليوم تختلف إختلافاً كبيراً عن اليهودية التي كانت على عهد موسى عليه السلام.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ،" كتاب الأنبياء" ، باب " واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً "، حديث رقم "٣٢٥٩ " .

فاليهودية التي تلت زمن موسى عليه السلام تختلف في بعض جذورها كديانة عما جاء به موسى عليه السلام من ربه ودان به أتباعه الأولين لله تعالى ، لأن الله تعالى قد وصف التوراة الأولى التي أنزلت على موسى عليه السلام بأنها هدى ونور ، قال تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُور ﴾المائدة (٤٤) ، ثم أخبر بعد ذلك بأن اليهود قد حرفوا الكلم من بعد مواضعه ، قال تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ المائدة (٤١) ، و قال أيضاً :﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾البقرة (٧٥) ، وغير ذلك من الآيات الكريمات التي أخبرتنا بوقوع التبديل والتحريف فيها .

وما يهمنا و نحن في هذا الصدد أن نبين مجمل الصفات الإلهية عند اليهود كما يرونها وكما يعتقدونها في كتبهم ، وقبل ذلك يحسن بنا أن نشير إلى فكرة الألوهية وكيف أنها كانت مضطربة في العقلية اليهودية حيث لم يستطع اليهود فهمها فهماً صحيحاً وهي متجردة عن النزعة المادية الحسية ، ولم يستطيعوا الإيمان كذلك إلا بما هو مشاهد محسوس لديهم.

لقد كانت الديانة اليهودية في أصلها كما أخبر القرآن الكريم ديانة توحيد تتصف فيها الذات العليّة بصفات الجلال والكمال والوحدانية ، والتجرد من جميع مظاهر النقص والمخالفة للحوادث في كل شئ كما هو الشأن في الدين الإسلامي ، وذلك مصداق قول تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾المائدة (٤٤) .

غير أن اليهود — وكما أخبر القرآن الكريم عنهم ، وكما ورد في أسفارهم ، وكما يظهر للمستقرئ من تأريخهم — لم تحتمل عقولهم تلك العقيدة الصافية لأن المادية كانت غالبة على عقولهم وتصورهم ، لذا كان فهمهم للذات العليّة في مختلف عصورهم مغايراً تماماً عما ورد في العقيدة

الأصلية التي أُنزلت على موسى عليه السلام فهم لم يستطيعوا الإيمان إلا بآلهةٍ يدركونها ويرونها أمامهم ولذلك علقوا إيمانهم بموسى عليه السلام ورسالته على رؤيتهم لله تعالى .

فيخبرنا تعالى عن ذلك، بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾البقرة(٥٥) .

كما يخبرنا القرآن الكريم أن نفوسهم لم تطمئن إلى عبادة إلـهٍ لايستطيعون رؤيته ، وذلك حين طلبوا إلى موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لأولئك القوم الذين كانوا يعكفون على أصنامٍ لهم، فكان جوابه لهم بأن نعتهم بالجهل ، لأنهم جهلوا قدر الألوهية الحقة و إلا لما طلبوا منه ما طلبوا، قال تعالى حكاية عنهم :﴿ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ الأعراف (١٣٨) .[١]

ويخبرنا أيضاً بأنهم قد عبدوا آلهةً شتى وأشركوا بالله ما لم ينزّل به عليهم سلطاناً، ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى حكايةً على لسان أحد أنبيائهم عليه السلام: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الصافات(١٢٥ -١٢٦) .

ويذهب الدكتور وافي إلى أن فكرة الأُلوهية ظلت مضطربةً في عقول بني إسرائيل إلى نهاية المرحلة التي تم فيها تدوين سفري الخروج والتكوين بعد موسى عليه السلام بحوالي خمسة قرون ، فتصوروا الله في صورة مجسمة ووصفوه بكثيرٍ من صفات الأجسام وأشركوا معه آلهةٍ أخرى[٢]، غير أنه و من خلال ما سجله عنهم علماء الأديان طوال تاريخهم ـ وقبل ذلك ما ذكره القرآن الكريم من

---

[١] انظر: الأسفار المقدسة فبل الإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي ، د . ط ، د . ت ، دار نهضة مصـــــــر،القاهرة . ص ٢٦ .

[٢] انظر: المرجع السابق ، ص ٢٦ ــ٢٧ .

أخلاقياتهم ـ ، وما هو مشاهد في واقعهم يجعلنا نعتقد استصحاب ذلك الاضطراب في عقولهم إلى اليوم بسبب طغيان الحس و المادة الذَيْن يعدان أبرز سمات الشخصية اليهودية على مدى تاريخها.

الصفات الإلهية عند اليهود :

لقد ترددت الصفات الإلهية في العقيدة اليهودية بين التنزيه والتشبيه والكمال والنقص ، وذلك التردد عائد في أصله إلى تناقض النصوص التي حوت تلك المعاني المتناقضة الصحيحة والسقيمة منها على السواء ، فبينما نرى نصاً يثبت صفة للرب جل وعلا نجد في ذات الوقت نصاً آخر ينافيها أو ينافي كمالها كما في صفة علم الله تعالى على سبيل المثال ، وسيتضح معنا ذلك جلياً خلال الصفحات القادمة إن شاء الله .

وعلى هذا فيمكن القول أن ما صح معناه فهو مما هو مسلمٌ ومصدقٌ عندنا بالضرورة من ديننا الحنيف، أما ما فسد معناه مما لايليق بذات الباري تعالى فيعد ضمن ما هو مردود مرفوض جملةً تفصيلا ولايمكن إعتقاده البته في حقه عزوجل .

وفيما يلي سنعرض أولاً لذكر نصوص التشبيه والتجسيم والتجسيد ثم نعرض لذكر بعض ماصح معناه من تلك النصوص فنقول وبالله المستعان .

أولاً: ما يتعلق بصفات الذات :

التجسيد و التشبيه و التجسيم :

لقد تعددت النصوص التوراتية والتي تصف الباري جل و علا بمختلف الصفات المتعلقة بذاته سبحانه وتعالى ، بيد أنها ورغم كثرتها لم تكن قد أولت جانب التنزيه للألوهية ما يستحقه، لذا جاءت النصوص تحمل زخماً هائلاً من تلك الصفات التي وصفوا بها الرب جل و علا و المتضمنة من صنوف التشبيه والتجسيد والتجسيم الشيء الكثير .

فقد أوغلت كُتب العهد القديم وبالغت في وصف الخالق سبحانه وتعالى بصفات لاتليق بمقام الألوهية ، ومن ذلك وصفه بأن له فروة رأس وله شعر وأنه يتجسد رجلاً فيكلم موسى عليه السلام وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه . يقول النص التالي: " لباسه أبيض كالثلج ، وشعر رأسه كالصوف النقي ، ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه " خروج (٣٣ / ١١).

وفي نص آخر نجد صورةً أخرى للإله : " صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل " خروج (٢٤/ ٩ -١١) .

فيعتقد اليهود أن لله صورةً وأن هذه الصورة تمثلت في خلقه آدم فقد خلقه على شاكلته،يقول النص الوارد في سفر التكوين : "..وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر...فخلق الله الإنسان على صورته" (١ /٢٦ ـ ٢٧) .

ويقول النص الوارد في سفر التثنية والذي يصف الرب بأنه نار آكله : " فأعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك نارٌ آكلة " تثنية (٩ / ٣) . وكذلك الفقرة التاسعة من سفر صموئيل الثاني الإصحاح الثاني والعشرون: " صعد دخان من أنفة ، ونار من فمه أكلت جمراً اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه ، ركب على كروب ، وطار ورُئي على أجنحة الريح ".

ومن عقائدهم في إلههم التعددية :

إن من يستقريء عقيدة اليهود في الإله يجد أنهم لم يعبدوا إلهاً واحداً وإنما عبدوا آلهةً عده وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً خلال فترات تاريخهم، وأسفارهم ناطقة بذلك .

فمن ذلك ما ورد في سفر التكوين (٣ / ٢٢) : " وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد". فهذه العبارة (كواحد منا) يعلق عليها الأستاذ عبد المجيد همو فيقول :"ألا تثير الانتباه إلى وجود آلهة عديدة يجلسون مع الله وسيصبح آدم واحداً من هذا المجمع"؟.

وكذلك هذا النص الوارد في سفر الخروج (٧ / ١) : " فقال الرب لموسى : أنظر ، أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك " ، فهل يقيم الإله إلهاً آخر ، لو لم تكن الدعوة في الأصل قائمة على التعدد ؟. [١]

كما عبدوا كذلك آلهة الشعوب المحيطة بهم ، وقد نطقت توراتهم التي بين أيديهم بذلك، يقول النص الوارد في سفر القضاة (٣ / ٥-٧) : " فسكن بنو إسرائيل في وسط الكَنْعَانِيِّينَ[٢] والحِثِّيِّينَ[٣] والأَمُورِيِّينَ[٤] وَالفِرِزِّيِّينَ[٥] وَالحِوِّيِّينَ[٦] وَاليَبُوسِيِّينَ[٧] واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء ، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم " .

---

[١] الله أم يهوه أيهما إله اليهود ؟ لعبد المجيد همو ،ط ١ ، ٢٠٠٣م ، الأوائل ، دمشق ، ص ١٥ ـ ١٦.

[٢] وهم قبائل سامية قدمت إلى بلاد سورية وهي تشمل جميع بلاد الشام ، انظر: تأثر اليهود بالأديان القديمة ، ص٢٠٠.

[٣] الحِثّيُّون: من أقوى الشعوب الهندأوروبية القديمة وأكثرها حضارة، ومصطلح الحثيين ينطبق تاريخياً بحسب علم الحفريات على بقايا ثقافة فريدة موجودة في آسيا الصغرى، شمال سوريا وشمال العراق .

[٤] الْأَمُّورِيُون شعب كان يتكلم لغة سامية ، وقد حكموا أجزاء من فلسطين وسوريا وبابل بعض الزمن ، وكان البابليون من قبل ٢٠٠٠ق . م يدعون سوريا وفلسطين أرض الأموريين وكان ملوك الأسرة الأولى في بابل من القرن ال١٩ إلى القرن ال١٦ ق . م من الأموريين وكان حمورابي منهم . قاموس الكتاب المقدس، ص ١١٩.

[٥] الْفِرْزِيُون اسم كنعاني مهناه " أهل الريف " وهي طائفة مهمة من الكنعانيين أحصيت مراراً مع قبائل فلسطين ، وربما كانوا من عنصر غير الكنعانيين وأقدم منهم في البلاد حيث كانوا منذ أيام إبراهيم ولوط، المرجع السابق ، ص ٦٧٥ .

[٦] الحِوِيُّون إسم عبري معناه "قرية مخيم" وهم أحد أجناس كنعان قبل غزو العبرانيين لها وقد تشتتوا إلى عِدة جماعات . المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

[٧] إسم قبيلة كنعانية سكنت يبوس أو أورشليم والجبال التي حولها في أيام يشوع . المرجع السابق ، ص ١٠٥٢ .

ويذكر سفر اللاويين (١٦ / ٦-٩) النص التالي : "... ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الإجتماع ويلقى هارون على التيسين قرعةً للرب وقرعة لعزازيل ويقرب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب " وقد علق على ذلك الأستاذ عبد المجيد همّو بقوله : أفلا نرى هنا أن بني إسرائيل يعبدون إلهين ويقربون القرابين لهما : الرب ، وعزا زيل؟ ولا يهمنا هنا من عزازيل .[١]

وكذلك من ضمن ألهتهم عجل أبيس المصري الذي عبدوه كما يذكر سفر الخروج ذلك (٣٢ / ٤ ، ٨) وهم يعتقدون أن إيل يُمثل بالثور فجعلوا له تمثالاً وعبدوه وإلى هذا أشار الأب أصطفان شر بنتيه [٢] بقوله : " أكبر الآلهة يُسمى إيل ، وكثيراً ما يظهرونه بشكل ثور" .

كما عبدوا كذلك الأفعى وقدسوها ، وعبدوا الحجارة لاسيماً ماكان منها مخروطي الشكل ويمثلونها بالإله بعل ، كما عبدوا الإله "عشيرة " آلهة الكنعانيين ، وعبدوا الإله "عشتروت " وتدعى عشتروت أناة وهي إبنة الإلهة عشيرة الكنعانية إلى جانب إشتارً ، وكذا عبدوا "الكروبيم" وهي صور أو منحوتات ذات أشكال بشرية مجنحة ، ومازال بعض اليهود يعبدونها إلى اليوم.[٣]

وغير ذلك الكثير من الآلهة التي عبدوها واختلفت أشكال عبادتها ومسمياتها تذكيراً وتأنيثاً متأثرين في ذلك بالشعوب الكنعانية السومرية.[٤]

كما عبدوا كذلك الإله "إيل" وإيل كلمة تعني الله سبحانهُ وتعالى وقد ورد ذكر إيل في التوراة منذ عهد آدم وحواء . يقول نص سفر التكوين (٤ /١-٢) : " وعرف آدم حواء إمراته فحبلت وولدت

---

[١] المرجع السابق ، ص ١٦ . و يذكر بعض المؤرخين أن المقصود بعزازيل هنا هو الشيطان . انظرص١٠٧ من نفس المرجع .

[٢] لم أعثر له على ترجمة .

[٣] انظر: المرجع السابق ، ص ٣٥ ــ٤٠ . وَ التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ، دار النفائس ، بيروت. ص ٤٣ ــ٥٢ .

[٤] انظر: المرجع السابق ، نفس الصفحات.

قايين، وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب ، ثم عادت فولدت أخاه هابيل ، كان هابيل راعياً للغنم " ، وهابيل ليس إلا كلمةً مؤلفةً من شقين هاب +إيل .[1]

وكثيراً ما كان اليهود يطلقون اسم " يهوه" علماً على الله تعالى . ففي سفر التكوين (٢٢ / ١٤) : " فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع "يهوه يرأه" . حتى إنه يقال اليوم :" في جبل الرب يُرى". [2]

و من بين آلهتهم المتعددة كذلك "بعل"، والتوراة تقرّ بذلك في نصوصها المختلفة ، ففي سفر الملوك الثاني (١٠ /١٨-٢٧):" ثم جمع ياهو كل الشعب، وقال لهم : إن آخاب قد عبد البعل قليلاً، وأما ياهو فإنه يعبده كثيراً ، والآن فادعوا إلى جميع أنبياء بعل ، وكل عابديه ، وكل كهنته ، لايُفقد أحد لأن لي ذبيحةً عظيمةً للبعل...وقد فعل ياهو بمكر لكي يفني عَبَدة البعل.." .

ومن صفات الإله عندهم كذلك قصور العلم الإلهي والندم على الفعل :

لقد خالف اليهود باعتقادهم الفاسد للعلم الإلهي حدود العلم الإلهي وتعريفاته لديهم ، وبذلك وقع التناقض بين ما يعتقدونه حقيقة مما هو مسطور في كتبهم ، وبين معنى العلم الإلهي عندهم والذي يعرف عندهم بالمعرفة أو سبق المعرفة .

فبينما يذكرون في تعاريفهم للعلم الإلهي أن من خصائص الرب أنه كلي المعرفة وعليمٌ بكل شيء وسابق العلم بالأشياء[3] نجد نصوصهم تتناقض مع ذلك تناقضاً سافراً لايمكن معه اعتقاد كمال العلم الإلهي على الوجه الذي يليق بالخالق جل و علا.

---

(1) انظر: الله أم يهوه . ص ٢١ .

(2) انظر: المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(3) انظر : دائرة المعارف الكتابية ، النسخة العربية ، ط ٢ ، ١٩٩٦م ، دار الثقافة ، القاهرة ، جـ ٤ ، ص ٣٤٣ ،"سبق المعرفة".

وكما يذكر مؤلف كتاب اليهودية بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم تاريخاً وعقيدة، فإن اليهود لا يعتقدون أن صفة العلم صفة انكشاف عام لكل ماكان ويكون ، وإنما صفة محدودة لله فقد يعلم شيئاً ثم ينكشف له خطأه فيعدل عنه ، ومن نماذج جهل الإله عندهم ماجاء في سفر الخروج من أن الله طلب من بني إسرائيل أن يُرشدوه إلى بيوتهم وبيوت المصريين حتى يُنزل ضرباته على المصريين دونهم ، ولذلك طلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة بأن يحملوا الدم على القائمتين والعتبة في البيوت [1]، يقول النص " ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر" (١٢/٧) .

وكذلك النص الذي يذكر قصة آدم وحواء حينما وقعا في الخطيئة بالأكل من الشجرة ، يقول النص " فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل ، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ،فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيتك لأني عريان فاختبأت ، فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لاتأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت"، سفر التكوين(٣ / ٦ ـ ١٢) .

وكذلك النص الذي يروي مصارعته مع يعقوب حينما سأل يعقوب ما اسمك؟ فقال يعقوب فسماه إسرائيل وباركه !

فهذا النص والذي قبله لا يحتاجان إلى كثير تأمل ليتعرف على بعض صفات الإله عند اليهود ، فهو يحتاج إلى علامة للتمييز بين بيوت أوليائه وأعدائه حتى لايضل وهو يسأل آدم أين هو حين اختبأ من وجه الإله، وهو كذلك يسأله هل أكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها أم لا؟ كل ذلك وغيره يصور لنا أن الإله الذي يعتقدونه إنما هو إله يعتريه مايعتري البشر– تعالى الله علواً

---

[1] انظر: للدكتور جمال سعد محمود جمعه ، ط١ ، ٢٠٠١م ، دار الثقافة العربية ، القاهرة . ص ٢٠٢ .

كبيراً – من الاتصاف بالجهل ببعض الأمور التي ـ وحسب تصويرهم ـ يحتاج فيها إلى بيانٍ من غيره.

كذلك ورد في نصوصهم مايحكي أن الرب ندم على مافعل من خلق البشر ، ونصوص أخرى تصفه بالتهور والطيش والرجوع عن القرار مثل هذا النص الذي يطالعنا في سفر الخروج : " وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن أتركني ليحمي غضبي عليهم...فتضرع موسى أمام الرب الإله وقال : لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ، ويد شديدة ، لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم على وجه الأرض ، أرجع عن حمو غضبك وأندم على الشر بشعبك ، أذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد ، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " (٣٢ / ٩ _ ١٤) .

ففي هذا النص الذي يحكي تضرع موسى أمام الرب تشعرنا بقية النص بأن الإله إنما ندم، لأنه نسي مواثيقه وعهوده لشعبه ثم تذكرها لما ذكره بها موسى ! !

وورد أيضاً في بعض أسفار التلمود أن الإله بعد أن قدّر هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل أعترف بخطئه في هذا الصدد وندم على مافعله وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم والدعاء على نفسه بالهلاك لأنه أمر بخراب الهيكل وإحراقه.[1]

ونصٌ آخر يصور الإله وهو يرى نفسه أنه أخطأ في عملٍ فلا يعيده ، يقول النص : " وبنى نوحاً مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعد محرقات على المذبح، فتنسَّم الرب رائحة الرضا ، وقال الرب في قلبه : لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل

---

[1] انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود ، دراسة وتعليق د. عبد الله الشرقاوي ، د . ط ، ١٩٩٠م ، مكتبة الوعي الإسلامي ، القاهرة . ص ١٧٦ .

الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ، ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت " سفر التكوين (٨ / ٢٠ -٢١) .

ومن صفات الإله عندهم كذلك قصور القدرة الإلهية :

ونصوصهم تروي من ذلك الشئ الكثير، فتارةً يصفون الإله بالعجز وتارة يصفونه بالانهزامية وتارةً بالضعف وتارةً بالخوف ، فمن ذلك النص الوارد في سفر التكوين والذي يصور مصارعة الإله ليعقوب ، يقول النص: " فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه فأنخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال أطلقني لأنه طلع الفجر ، فقال لاأطلقك إن لم تباركني ، فقال له ما اسمك ،فقال يعقوب ، فقال لايُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك ، فقال لماذا تسأل عن أسمي وباركهُ هناك ،فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي " (٣٢ / ٢٤ -٣٠) .

ونصٌ آخر يصور تعب الإله : " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً ". سفر التكوين (٢/ ٢-٣) .

ونص آخر يحكي لنا خوف الإله من تناسل الحوت الذي يلعب معه من أن يكثر ويهلك الدنيا لذا رأى أن يحرمه زوجته لأنه لو لم يفعل ذلك لامتلأت الدنيا وحوشاً أهلكت من فيها فلذلك حبس الله الذكر بقوته الإلهية وقتل الأنثى وملحها وأعدها لطعام المؤمنين في الفردوس. [١]

فعندما ننظر إلى هذا النص نجده لا يقل ضلالة عما سبقه من النصوص إذ يحكي متناقضين خوف الله من تكاثر الحوت ثم حبسه بالقوة الإلهية عن أنثاه ، فكيف يمكن القول بالخوف و القدرة في آنٍ واحد .!!

---

[١] انظر: المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وكذلك النص الذي يحكي خوف الإله كذلك من جمع كلمة الناس وتوحدهم ، فيعمل على بلبلة ألسنتهم حتى لايفهم بعضهم بعضاً ، يقول النص : " وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ، ولغةً واحدة ، وحدث ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك وقال بعضهم لبعض : هلم نصنع لبناً ونشويه شياً فكان لهم اللِبن مكان الحجر ، وكان لهم الحُمَرُ[1] مكان الطين، وقالوا : " هلم نبنِ لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسماً لِئلا نتبدد على وجه كل الأرض" هو ذا شعبٌ واحد ولسانٌ واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لايمتنع عليهم كل ماينوون أن يعملوه ..!! هلمّ ننزل ونبلبل هُناك لسانهم حتى لايسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب هناك على وجه كل الأرض ، فكفوا عن بنيان المدينة " سفر التكوين (١١/ ١-٨).

ومثل تلك النصوص نصوص أخرى تصور الإله يحزن على شئ فعله ، يقول النص " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات ، وطيور السماء ،لأني حزنت أني عملتهم ، وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب " سفر التكوين (٦/ ٥-٨).

وفوق الحزن أيضاً كراهية الخير للإنسان ، فهو إله يكره من الإنسان أن يتعلم ويريد للإنسان أن يبقى جاهلاً فقد طرد يهوه آدم لأنه أكل من شجرة المعرفة ، يقول النص:" وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفاً الخير والشر ، ولعله يمد يده ، ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها " سفر التكوين (٣ / ٢٢-٢٣).

والنصوص في ذلك كثيرة غير أننا سنكتفي بما أوردناه على سبيل التمثيل لا الحصر و التقصي .

ثـــانـــيـــاً : صفات الأفعال :

---

[1] هو الزفت أو القار . انظر معجم الكلمات الصعبة للعهد القديم ، ص١٧ .

ويراد بها الصفات التي صوروا القيام بها للخالق سبحانه وتعالى ونسبوها لفعله- تعالى علواً كبيراً – فمن هذه الأفعال :

تصوير الإله بأنه يلد وله أولاد :

تقول الفقرات التالية من الإصحاح الرابع من سفر الخروج : " وقال الرب عندما تذهب لترجع إلى مصر أنظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك وأصنعها قدّام فرعون ولكني أشدد قلبه حتى لايطلق الشعب ، فتقول لفرعون هكذا يقول الرب ، إسرائيل ابني البكر ، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تُطلقه ، ها أنا أقتل ابنك البكر " خروج (٤/ ٢١-٢٣) .

فالنص واضح وصريح ابن بكر في مقابل ابن بكر ، واليهود يعتقدون أنهم أبناء الله حقيقة ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ـ و أنهم قد تحدروا منه تحدر الإبن من أبيه ، ويؤيد ذلك النص الوارد في أسفار التلمود والذي يقول بأن على الأممي أن يحترم اليهودي لأنه من عنصر الإله ـ استغفر الله العظيم ـ و النص الآخر الذي يقول بأن اليهود أحب عند يهوه من الملائكة و أنهم من عنصر يهوه كالولد من عنصر أبيه[1]، وقد كذبهم القرآن الكريم في دعواهم تلك حيث قرر بأنهم خلقٌ من جملة النوع البشري ، قال تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المائدة (١٨).

وهناك نص آخر يقول : " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الرب : لايدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة...وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذو اسم" سفر التكوين (٦ / ١-٤).

---

[1] التلمود أسرار...حقائق ،للحسيني الحسيني معدِّي ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، دار الكتاب العربي ، دمشق ـ القاهرة ، ص ٣٨٠ .

ومن الولادة إلى الأكل والشرب :

فمن جملة ذلك النص الوارد في سفر الخروج والذي يحكي قصة مرور الرب مع الملكين بإبراهيم وهو جالس ببلوطات ممرا [(١)] ، ومافي ذلك من تفاصيل تروي قصة أكلهم وشربهم ..!! يقول النص : " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالسٌ في باب الخيمة وقت حرّ النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ،فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض ، وقال : يا سيّد ، إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك...فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة ، وقال : أسرعي بثلاثِ كيلاتٍ دقيقاً سميذاً ، اعجني واصنعي خبز ملةً...وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا" . تكوين (١٨/ ١– ٨) .

ومن صفات الإله عندهم أنه يتعلم التلمود وتعاليم الشريعة ويلعب مع الحوت ملك الأسماك ويزأر كالأسد :

فقد ورد في تلمود هم أن الإله – تعالى الله علواً كبيراً– يلعب مع الحوت ، يقول النص : " إن النهار أثنتا عشرة ساعة : في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك" .[(٢)]

وهو إله – كما يصورونه – يبكي ثلاثة أرباع الليل ويزأر كالأسد قائلاً : " تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي " . [(٣)]

[(١)] بلوطات ممرا هو اسم المكان الذي أتى إليه أبرام (إبراهيم) بعد اعتزال لوط عنه ، وموقعها في "حبرون" التي هي اليوم مدينة الخليل . انظر: قاموس الكتاب المقدس "حبرون". وَ دائرة المعارف الكتابية ، الطبعة العربية ، ط١ ، د. ت ، دار الثقافة ، مصر . جـ٧ ، ص ٢٢٥ ، مادة " ممرا" .

[(٢)] الكنز المرصود ، ص ١٧٦ .

[(٣)] نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

وهو كذلك كما يصورنه أيضاً يكفّر عن أفعاله الخاطئة – تعالى الله علواً كبيراً – يقول النص الذي يذكر تخطئة القمر لله تعالى : "أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس فأذعن الله لـذلك وأعـترف بخطئه وقال : أذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي ، لأني خلقت القمر أصغر من الشمس" .[1]

ومن أفعاله التي ينسبونها إليه أنه يأمر بشرائع فاسدة : [2]

فالنص التالي يحكي لنا كيف أن الإله ـ حسب تصورهم الفاسـد ـ يـأمر بشـرائع فاسـدة ، يقول يهوه بلسان حزقيال : " وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها ونجستهم بعطاياهم إذ أجازوا في النار كل فاتح رَحمٍ لِأُبيدهم حتى يعلموا إني أنا الرب" حزقيـال (٢٠ / ٢٥ ـ ٢٦) ، فالهدف المقصود الأول – حسبما يصورون ذلـك– مـن الشـريعة هـو التنكيـل بهـم وإلحـاق الأذى والضرر بهم ، بينما قد ورد في النص ذاته العلـة مـن وراء إعطـاء الـرب لهـم شـرائع فاسـدة لايحيون بها إذ فعلوا من الذنب ما استوجبوا به تلك العقوبة وبالتـالي فـلا يمكـن نسـبة الظلـم لله تعالى.

ومن بين تلك الشرائع الفاسدة أيضاً الأمر بالسرقة حيث يذكرون أن الرب طلب منهم أن يسـتعيروا أمتعة المصريين وحليهم من ذهب وفضة ، ثم أمرهم بالخروج بعد ذلك فخرجـوا دون أن يعيـدوا إلى المصريين أمتعتهم ، فحسب تصورهم أن الله أمرهم بهذا العمـل السـيئ وهـذه الخيانـة للمصـريين . يقول النص : " وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى ، طلبوا مـن المصـريين أمتعـة فضـة وأمتعـة ذهب وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصـريين حتـى أعـاروهم ، فسـلبوا المصـريين " سفر الخروج (١٢/ ٣٥ ـ ٣٦) .

ومعبودهم كما يصورونه إله لاينطق بالصدق وإنما يكون الأمر على خلاف ذلك ، يقول الـنص الـذي أفتروه أنه حكاية من الرب ـ تعالى الله علواً كبيراًـ " من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شـجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكـل موتـاً تمـوت " سـفر التكـوين (٢ / ١٦– ١٧) وأكتشف آدم عدم صدق تلك المقولة لأنه لما أكل لم يمت بل انفتحت عيناه وصارعارفاً الخير والشر.

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

[2] الله أم يهوه ، ص ٩١ .

وكما تزعم الأسفار اليهودية فإن الرب يتمشى في الجنة شأنه في ذلك شأن أي مخلوق يتمشى في ملكه يقول سفر التكوين الإصحاح الثالث فقرة (٨) : " وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط الشجرة " .

ومن صفات أفعاله أيضاً أنه يعاقب الطاهر ويثيب الجاني المجرم ، ويغفر لبني إسرائيل دون غيرهم من الأمم :

ومثال ذلك ما أشار إليه سفر التكوين (٤ / ٨-١٦) من أن قايين يقتل هابيل ومن يقتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم من القاتل . ولامك يقتل فتى فيجعل عقوبة من يقتل لامك سبعة وسبعين ضعفاً. سفر التكوين (٤ / ١٧- ٢٤) .

وهو كذلك كما يصورونه افتراءً عليه ، يغفر ذنوب بني إسرائيل ويقبل الوساطة فيهم فقد وقف موسى وهارون مرات عديدة يحولان دون غضب الإله على بني إسرائيل ، بينما لايغفر للأمم الأخرى.[1]

ومن صفاته أيضاً أنه يتخذ من النار رمزاً وشعاراً له :

فهو يسير مع بني إسرائيل في عمود نارٍ في الليل وعمود دخان في النهار ، ويقبل القرابين بواسطة النار فالقرابين تحرق بالنار وينسم الرب رائحتها فيبدو عليه الرضى ، وهو حينما التقى به موسى في العليقة إنما كان نارا ـ حسب زعم اليهود ـً .[2]

وغير ذلك من النصوص الكثيرة الواردة بتلك المعاني ، غير أنه يجدر التنبيه إلى أنه وكما وجدت تلك النصوص التي تنسب النقص إلى الله تعالى ، فكذلك وُجدت إلى جانبها نصوصٌ أخرى تثبت بعضاً من الصفات التي صحت معانيها وإن كنا لا نسلم بحرفيتها أو نسبتها بلفظها إلى الله تعالى أو إلى من نسبت إليهم ، فمن ذلك :

---

[1] انظر: المرجع السابق ، ص ٨٧ ـ ٩٠.

[2] انظر: المرجع السابق ، ص ٩١ .

نصوص أخرى ذات معانٍ صحيحة تنزيهية :

- النص الوارد في سفر التكوين (٣ / ٥) : "بل الله عالم...".
- النص الوارد في نفس السفر (١٤ / ٢٢) : "الرب الإله العلي مالك السماء والأرض".
- النص الوارد في نفس السفر أيضاً (١٧ / ١) ، والذي يصف الله تعالى بالقـــــدرة ، يقول النص: "أنا الله القدير".
- وكذلك (٤٨ / ٣) :"الله القادر على كل شيء".
- النص الوارد في سفر الخروج (٦ / ٢ ـ ٣) :"أنا الرب...الإله القادر على كل شيء ".
- النص الوارد في نفس السفر (٣٤ / ٦) :"الرب إله رحيم و رؤوف ، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء ".
- النص الوارد في سفر التثنية (٤ / ٣١) :"الرب إلهك إله رحيم".
- النص الوارد في نفس السفر (٦ / ٤):"الرب إلهنا ربٌ واحد".
- النص الوارد في سفر التثنية أيضاً (٧ / ٩) : " فأعلم أن الـرب إلهـــك هو الله ، الإله الأمين الحــافظ العهـــد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه " .
- النص الوارد في سفر التثنية (١٠ / ١٧) : والذي يثبت صفة الجبروت لله تعالى ، يقول النص : " الإله العظيم الجبار المهيب " .
- النص الوارد في سفر القضاة (٨ /١٩) وسفر راعوث (٣ / ١٣):"حيٌ هو الرب".- الـنص الـوارد في سفر صموئيل الأول (٢ / ٣) ، والذي يثبت لله سبحانه وتعالى صفة العلـم ، يقـول النـــص : "الرب إلهٌ عليم " .
- النص الوارد في سفر الملوك الثاني (١٩ / ١٥):"أنـت هـو الإلـه وحـدك لكـل ممالـك الأرض أنـت صنعت السماء والأرض".
- النص الوارد في المزمور الرابع والعشرين ، فقرة (٨) :"الرب القدير الجبار ".
- النص الوارد في المزمور الثالث بعد المائـة فقـرة (٦ ، ٨) :"الـرب مجـري العـدل والقضـاء لجميـع المظلومين ...الرب رحيم و رؤوف طويل الروح وكثير الرحمة ".
- النص الوارد في سفر إشعيا (٥ / ١٦) :"يتعالى رب الجنود بالعدل ويتقدس الإله القدوس بالبر".

وغير ذلك من النصوص ذات المعاني التنزيهية الصحيحة والتي حواها كتاب العهد القـديم جنبـاً إلى جنب مع نصوص التشبيه والتجسيد والتجسيم وأصبح بذلك جامعاً بـين المتناقضـات العقديـة التـي لا يمكن أن يستفاد منـــها تنزيـــه مطلـقٌ بحالٍ مـــن الأحوال .

وكما رأينا مما مرَّ معنا أن الصفات الإلهية في العقيدة اليهودية لاسيما صفة العلم الإلهي لم تستقر على حالٍ واحد من التنزية الذي يُفهم منه مطلق التنزيه و إنما ترددت بين النفي والإثبات والتنزيه والتشبيه والتجسيم كما أسلفنا .

الفصل الأول

دراسة تفصيلية لمفهوم العلم الإلهي عند اليهود

وفيه تمهيد و أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم العلم الإلهي عنـــــــد الســـــــــــامريين .
المبحث الثاني: مفهوم العلم الإلهي عنـــــــد الربـــــــــــانيين .
المبحث الثالث: مفهوم العلم الإلهي عنـــــــد القـــــــــــرائين .
المبحث الرابع: مفهوم العلم الإلهي عند فرقة الحسيديم المعاصرة .

تمهيد

لقد رأينا مما سبق أن العقيدة اليهودية قد تغيرت في كثيرٍ من أصولها عما كانت عليه في أصلها السماوي الذي أُنزلت به على الكليم موسى عليه السلام، و ذلك بسبب ما شابها و داخلها من التحريف و الوضع البشري .

ومما لاشك فيه أن فترة السبي البابلي الذي قادهُ "بختنصر"[١] تُعد فترة حاسمة في تاريخ الديانة اليهودية إذ شهدت إعادة صياغة الدين اليهودي على يد "عزرا"[٢] الكاتب كما تحكي المصادر و المراجع المختلفة .

فيمكن القول بأن فترة الصياغة تلك قد شكلت مرحلةً فاصلة بين ما يمكننا تسميته بعهد ما قبل الإنحراف و ما بعده ، إذ أصبح الكتاب أو " التوراة " التي أُعيد صياغتها هي الدستور الديني للعقيدة اليهودية ، حيث يعدها كثيرٌ من اليهود أنها وحيٌ من عند الله تعالى لم تتغير و لم تتبدل .

أما الفترة التي سبقت فترة الصياغة تلك فهي و إن كانت تُعد مرحلة مختلفة عن مرحلة ما بعد التحريف و الصياغة البشرية النهائية إلا أنه ليس من المسلّم أنها لم تتعرض لشيء من التحريف أو محاولات التبديل ، لكنه يبقى في نطاقٍ ضيق إذا ما قورن بفترة ما بعد صياغة الدين اليهودي مرةً أُخرى ، حيث أنها كانت محتفظةً بدستورها السماوي الذي لم تتطرق إليه الأيدي بالعبث و التبديل ، لاسيما و أن موسى عليه السلام كان قد عهد بحفظها إلى بني لاوي حيث أخفاها عن سائر الشعب كما تروي المصادر.[٣]

---

[١] ملك جبار من ملوك الإمبراطورية البابلية .

[٢] يهودي تولى كتابة أسفار العهد القديم بإدعاء إلهامية التوراة بعد ضياعها .

[٣] انظر : إفحام اليهود للإمام السموأل بن يحيى المغربي ، تحقيق و دراسة : الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ، ط ٣ ، ١٤١٠ هـ ، دار الجيل ، بيروت ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

و مما لاشك فيه أيضاً أن ذلك التبديل و التحريف قد طال العقيدة الإلهية و خرج بها من صورة التنزيه السماوي المطلق إلى مختلف صور الوثنية و التشبيه التي هي عليها اليوم ، و نصوص العهد القديم أكبر شاهدٍ على ذلك .

و لا يخفى أن الصفات الإلهية و من بينها صفة العلم الإلهي إنما هي فرعٌ من جملة عقائد الألوهية التي طالها التحريف و التشويه فأصبحت في جملتها تعبيراً عن صورٍ غايةٍ في الوثنية إذا ما استثنينا بعض النصوص ذات الطابع التنزيهي .

و لم تكن تلك المعاني المنافية لعقيدة الألوهية قصراً على كتاب التوراة فحسب و إنما شمل التراث اليهودي بكامله ، و من ذلك كتاب التلمود الذي امتلأ بنصوصٍ لا حصر لها تنافي عقيدة الألوهية و صفاتها عموماً و صفة العلم الإلهي خصوصاً .

و إذا أردنا الكلام عن صفة العلم الإلهي على وجه الخصوص ـ وهو ما يهمنا في هذا البحث ـ نجد أن اليهود لم يصلوا إلى مرحلة التنزيه المطلق للباري تعالى بإثبات تمام علمه و كماله على الوجه الذي يليق به، و إنما تعددت النصوص التي تحوي معانٍ مناقضة و منافية لعلمه تعالى .

ومعلوم أن هذه الرؤية القاصرة للعلم الإلهي لم توجد في اليهودية الأصيلة التي كانت على عهد النبوة الموسوية على صاحبها الصلاة و السلام ، و بالتالي فهي قطعاً مما أنتجته العقلية اليهودية المنحرفة في مختلف مراحل وثنيتها بعد ذلك لاسيما الفترة التي شهدت إعادة صياغة الدين اليهودي في صورته الجديدة التي لم تخلو من تحريفٍ و زيادة و نقصان .

و قد لا يكون في قولنا شيء من المبالغة إذا قلنا أن اليهود لم يعرفوا تنزيهاً صحيحاً بإطلاق في تلك الفترة و ما بعدها لأن كتبهم على اختلافها تحوي من حيث الجملة نصوصاً متناقضة ، فتارةً نجد نصوصاً يغلب عليها الإثبات للعلم الإلهي ، و تارةً نجد نصوصاً تتنافى و تتناقض تماماً مع عقيدة الإثبات الصحيحة للعلم الإلهي .

و معلومٌ أن مطلق التنزيه و الإثبات للعلم الإلهي مستلزمٌ بالضرورة لعدم وجود ما ينافيه فإذا وُجد ما ينافيه ـ كالتناقض الذي حفل به كتاب العهد القديم ـ لم يمكن القول بتنزيه و إثبات مطلقين أبداً .لأن نقض الجزء أو البعض يؤدي بالضرورة إلى نقض الكل ، فالنصوص التي تحوي معانٍ منافية لعلم الباري تعالى تستلزم إلحاق النقص به تعالى علواً كبيراً بوجهٍ من الوجوه ، و هذا ينافي العلم الإلهي جميعه ، لأن تجويز وقوع صفات النقص التي تعتري المخلوق في علم الخالق يقتضي تشبيه عِلمه عزوجل بعلوم المخلوقين، و هذا منافٍ للعلم الإلهي كما أسلفنا .

أما بالنسبة لموقف مختلف الفرق اليهودية بعامة من صفة العلم الإلهي على وجه الخصوص فقد جاء متوافقاً مع ما في كتبهم الدينية من تصوراتٍ قاصرة لعلم الباري تعالى ، باستثناء ما نشأ منها في عصر الدولة الإسلامية كاليهود القرّائين على سبيل المثال و الذين يميلون لإثبات العلم الإلهي .[١]

على أن مواقف الإثبات تلك لم تكن حِكراً على طائفة القرائين فحسب و إنما طالت بعض أفراد اليهود الربانيين الذين نشأوا في ظل الدولة الإسلامية أيضاً كسعديا الفيومي و ابن ميمون و غيرهما ، لذا نجد أن عقيدتهم في علم الرب تعالى تقترب كثيراً من عقيدة المسلمين و ذلك نتيجة تأثرهم بالفكر الإسلامي و رموزه.

و قد شكّل ذلك تحدياً صارخاً لما في كتبهم من نصوصٍ و معانٍ منافية لكمال وتمام العلم الله تعالى لم يجدوا سبيلاً إلى تسويغها إلا بالأخذ بصنوف التأويلات التي ليس لها تصحيح أصل النص المتناقض .

أما بالنسبة لعقيدة البداء[٢] المنافية لكمال صفة العلم الإلهي فلم تجد هي الأخرى سبيلاً إلى كتاب اليهود المقدس بشكلٍ جليٍ وواضحٍ إلا بعد أن أُعيدت صياغة الدين اليهودي في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد .

---

[١] انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار ،ط ٥ ، ١٩٧١م ، دار المعارف ،مصر.

[٢] البداء هو ظهور الرأي بعد أن لم يكن ، أو استصواب شيء عُلم بعد أن لم يُعْلم . و تشترك هذه العقيدة مع سائر الصور المنافية للعلم الإلهي في كونها تنافي العلم الإلهي و تقتضي تشبيه الخالق تعالى بالمخلوقين الذين تبدو لهم البداوات و يرد عليهم الجهل، وقد احتج اليهود على إنكارهم للنسخ في الأوامرالإلهية=

ولنا أن نتساءل عن أصل تلك الصور و العقائد المنافية لكمال علم الباري تعالى في التصور اليهودي ، ثم عن كيفية تسربها إلى العقيدة اليهودية .

فأما بالنسبة لأصلها فترجع إلى عقائد كثير من الأمم ذات الديانات الوثنية كالبابليين و الكلدانيين و الآشوريين و غيرهم ممن تأثر بهم اليهود و بعقائدهم الوثنية نتيجة مجاورتهم لهم أو نزولهم بينهم ، فقد كان اليهود أُمةً مستضعفة قليلة ، و لما احتكوا بما حولهم من الأمم وجدوا أنفسهم أمام حضاراتٍ عظيمة في جانبها المادي يقابله انحطاط عقدي في الجانب الروحي و الديني ، فاقتبسوا من تلك الحضارات ما أفسدوا به دينهم و صاغوه في كتابهم المقدس أملاً منهم في جمع شتاتهم و توحيد كلمتهم بعد ضياع التوراة لفترةٍ تقارب الخمسة قرون أو تربو عليها قليلاً .[1]

و سنتناول آراء فِرق اليهود في صفة العلم الإلهي و ما يتعلق بعقيدة البداء و آراء فلاسفة اليهود حولها و مسألة البداء في الفكر اليهودي المعاصر و موضوع تأثر اليهودية بالديانات الأخرى في هذا الباب إن شاء الله تعالى ، و لكن قبل أن نشرع في الحديث عن مفهوم العلم الإلهي عند فرق اليهود يجدر بنا أولاً أن نبيِّن معنى العلم الإلهي .

أولاً : مفهوم العلم :

العلم هو المعرفة وإدراك الشئ بحقيقته [2]، وقد ارتبط مفهوم العلم أو المعرفة عند العبرانيين بالحكمة، لأنهما يكتسبان بالخبرة.[3]

= بأن ذلك يُعد من البداء على الله تعالى و هذه مغالطةٌ منهم . و سيتضح ذلك معنى جلياً عند تناولنا لمعاني البداء والفرق بينه و بين النسخ في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى .

[1] لأن ضياع التوراة كان في منتصف عهد القضاة عام (١٠٥٠ق.م) ، و كتابتها كانت بعد السبي بحوالي ٤٨ سنة تزيد أو تنقص قليلاً، عام (٥٣٨ ق.م) . انظر فضيحة التوراة الصفحات ٩٠ ، ٩٢ ،٩٦ .

[2] انظر: دائرة المعرفة الكتابية ، جـ٥، ص٣١٠، مادة " علم" .

[3] انظر: نفس المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

ثانياً: علم الله:

غالباً ما تطلق لفظة المعرفة في المفهوم العبري ويُراد بها العلم وذلك باستعمالهما كنوع من المترادفات، ولذلك سنعرض لبيان مفهوم المعرفة الإلهية أو سبق المعرفة كسبيلٍ للوقوف على معنى العلم الإلهي في التصور اليهودي.

فمعرفة الله ـ كما تذكر دائرة المعارف الكتابية ـ هي من خصائصه لأنه كُلي المعرفة عليم بكل شئ وبكل شخص ، وبناءً على ذلك فهو سابق المعرفة [1] أي بمعنى أن علمه سابقٌ بالأشياء .

فالله يحيط بكل شئ علماً، ولا يخفى عليه شئ في أي مكان أو زمان ، وليس ثمة شك في معرفة الله السابقة الكاملة [2] ، وإذا كان الله يرى مسبقاً كل ما يحدث فلاشك إطلاقاً في يقينية حدوثه، فعند الله لايوجد شئ عارض أو طارئ أو محتمل بل كل شئ معلوم تماماً.[3]

أما صفة علم الله تعالى السابق:

فهي إحدى صفات الله لأنه يعرف مسبقاً بما سيحدث ، وهي كباقي صفات الله أزلية.[4]

إذن فمعنى علم الله تعالى في المفهوم اليهودي ـ من حيث التعريف النظري ـ كُلية العلم وشموليته.وهو بهذا المعنى يُوازي معنى العلم الإلهي في المفهوم الإسلامي .

غير أن ما يجدر ذكره من حيث إطلاق لفظة المعرفة على وجه الخصوص ، أن الأولى فيما يتعلق بالذات الإلهية خصوصاً أن يُستخدم مصطلح العلم دون المعرفة ، وإن كانا قد يطلقان

---

(1) انظر: نفس المرجع السابق، جـ٤،ص٣٤٣. "سبق المعرفة".

(2) سنرى أن ذلك يتعارض تماماً مع مايصوره العهد القديم من معانٍ مختلفة لا تليق بعلم الله تعالى .

(3) انظر: نفس المرجع السابق،و نفس الجزء والصفحة.

(4) انظر: قاموس الكتاب المقدس" علم سابق".

من قبيل المترادفات المعنوية فيما دون ذلك بحيث يدل كل منهما على الآخر وذلك لأن مفهوم العلم أشمل وأعم من مفهوم المعرفة. فالعلم يتعلق بمعرفة الجزيئات والكليات على السواء بينما المعرفة تتعلق بالجزء دون الكل.[1]

على أن المتأمل لتلك التعريفات المذكورة يجدها تتناقض تماماً مع مفهوم العلم الوارد في نصوص العهد القديم. و إنه لمن الغريب حقاً أن تتواطأ تعريفات العلم الإلهي على معنىً يفيد شمول العلم الإلهي و كُليته في الوقت الذي تنضح بعض نصوص العهد القديم بخلاف ذلك من المعاني التي تنافي العلم الإلهي ، و في الوقت الذي تتناقض تصوراتهم هم أنفسهم مع ما ينبغي للعلم الإلهي من الإعتقاد و التنزيه . و سيتضح ذلك جلياً عند تناولنا لمفهوم العلم الإلهي عند بعض الفرق اليهودية .

---

[1] انظر: التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت . جـ ١ ص١٩٩ –٢٨٣ .

المبحث الأول

السامريون

تُعد السامرية أول فرقة ثارت ضد اليهودية التي خالفت تعاليم موسى عليه السلام ، وللسامريين كتاب توراة يختلف عن التوراة العبرية التي يدين بها سائر اليهود ويعترفون بها.[1]

ويبدأ صاحب الموسوعة العبرية في التعريف بهم من منظور سائر اليهود فيقول :" ويسميهم حكماؤنا "الكوتيم" أي الغرباء ، وهم شعب أو قبيلة نشأت في بداية عصر الهيكل الثاني في جبل السامرة وكانت عاصمتهم نابلس" [2]، بينما تذكر أحد الروايات السامرية أنهم فريق من شعب إسرائيل،من أبناء يوسف ، وأنهم الذين حفظوا الرواية الحقيقية ومن هنا كان اسمهم (شومرنيم:أي حفظة الشريعة).[3]

نشأتهم:

يربط العهد القديم بين نشأة هذه الفرقة وبين احتلال السامرة عام (٧٢١-٧٣٢ ق.م) . أما ما تذكره الموسوعة العبرية نقلاً عن بعض المصادر الآشورية : أن سكان البلاد الأصليين لم يتم إجلاؤهم وسبيهم ولكن أضيف إليهم طبقة فوقية تم طردها و نفيها من بابل وأصبحت الطبقتين، سكان السامرة والنازحين إليها هما أساس الشعب السامري بعد ذلك .[4]

---

[1] انظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، للأستاذ عبد المجيد همو ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ ، دار الأوائل ، دمشق . ص ٣٤ .

[2] الفرق اليهودية في الموسوعة العبرية ،ترجمة نبيل أنسي الغندور ، ط١ ،٢٠٠٦ م، مكتبة النافذة – الجيزة ، ص ١٠٩ .

[3] انظر: نفس المرجع والصفحة .

[4] نفس المرجع والصفحة .

ووفق هذا الرأي الثاني يكون تكوين السامريين من مجموعتين تنتمي إحداهما إلى أصول إسرائيلية خالصة كما يروون عن أنفسهم أنهم من ولد إفرايم بن يوسف ﷺ ، والأخرى تنتمي إلى أصول بابلية وخليط من الأمم التي تم تهجيرها إلى السامرة.

أما الانشقاق النهائي بينهم وبين سائر اليهود فقد حدث –وكما يؤكد صاحب الموسوعة– بعد أن تبلورت الشريعة اليهودية في الفترة "التنائية"[1] وهي الفترة التي وُضع فيها الفقه اليهودي والمشنا والإضافات.[2]

بينما تروي القصة الشهيرة أن سبب الانشقاق بين الفئتين إنما كان بسبب طرد اليهود العائدين من المنفى لبعض زعماء السامريين حين أرادوا معاونتهم في بناء الهيكل ، وقد روى سفر عزرا تلك الواقعة حين قال اليهود العائدون من المنفى: "لا شأن لكم معنا في بناء هيكل إلهنا ، وإنما نحن وحدنا نبني هيكل الرب إله إسرائيل بموجب أمر الملك كورش ملك فارس" الإصحاح الرابع الفقرات (١-٢-٣).[3]

وأياً كان السبب وراء إنشقاقهم عن سائر اليهود فإن الذي يهمنا بالمقام الأول هو ما انتهت إليه عقائد تلك المجموعة على وجه الخصوص ، وما انتهت إليه عقيدتهم في مسألة علم الله تعالى على وجه أخص.

انتشارهم قديماً وحديثاً:

لقد كان من المتبادر إلى الذهن عند الكلام عن أماكن وجود هذه الفرقة أنها تنحصر في نابلس فقط، غير أن ما كان واقعاً يختلف تماماً عن ذلك ، فقد كان لهم تواجد في بلدة السامرة

---

[1] أي فترة "التنائيم" ، ويقصد بها فترة الرواة لتلك التعاليم الشفوية ، وقد انتهت بتدوين المشنا على يد الربي يهودا هناسي .

[2] انظر: المرجع السابق ، ص١١٠ .

[3] انظر: المرجع السابق ، نفس الصفحة .

قديماً خلال الفترة الهلينية الرومانية وما بعدها ، كما اتسعت حدود أراضيهم إلى ماوراء جبل جرزيم[١] ويافا و قيسارية [٢] وغيرها من المدن .

وفي عهد الفتوحات الإسلامية بلغ عدد السامريين سنة ٦٣٨م حوالي ٣٥٠،٠٠٠ ثم تقلص عددهم بعد ذلك حتى أصبحوا فرقة محلية.ومع بداية القرن الـ(١١) تواجدت جماعات كبيرة منهم في كل من دمشق وحلب وصور ونابلس ، إضافة إلى الإسكندرية والقاهرة.أما في القرن الـ(١٢) فقد انحصر تواجدهم في نابلس و وقيسارية ودمشق .

وخلال القرنين الـ(١٧) وال(١٨) تقلص عددهم نتيجة عوامل مختلفة ، واليوم يستمر الوجود السامري في نابلس ويافا ،في ضواحي تل أبيب كأقلية [٣] تتخذ من جبل جرزيم قبلة ومذبحاً لها.[٤]

مبادئ العقيدة السامرية :

تُؤكد العقيدة السامرية على الإيمان بإله واحد هو "يهوه" ، ومشرع واحد هو" موسى" ، وكتاب مقدس واحد هو "التوراة"، وموضع مقدس واحد هوجبل جرزيم"فهو بيت أيل الحقيقي ،

---

[١] جبل صخري منحدر يكوِّن الحد الجنوبي للوادي الذي تقع فيه نابلس ، وهو قبلة السامريين والموضع المقدس الذي يقيمون فيه شعائرهم .

[٢] قيسارية بالفتح ثم السكون مع تشديد الياء الثانية ، بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها و بين طبرية ثلاثة أيام وكانت قديماً من أمهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقعة كثيرة الأهل و الخير، كما أنها كانت مدينة عظيمة في بلاد الروم ، وهي بالقرى أشبه منها بالمدن اليوم . انظر: معجم البلدان ، جـ ٤ ، باب القاف والياء. و يافا مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين، افتتحها صلاح الدين عند فتحه الساحل . انظر:نفس المرجع السابق باب الياء و الألف .

[٣] حيث لا يتجاوز عدد أفرادها (٣٣٧) شخص ذكوراً وإناثاً .

[٤] انظر:الفرق الدينية اليهودية في الموسوعة العبرية ، الصفحات من ١١٠ــ١١٦ ، وَ الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص ٤٢ .

أي بيت الله ، كما يعتقدون في الملائكة والخلود وبيوم النقمة والدينونة [1]، وبالمسيا الذي سيكون من سبط يوسف.[2]

فهذه هي مجمل عقائد السامريين ،غير أن ما يهمنا ونحن بصدد هذا البحث هو ما يتعلق بصفة العلم الإلهي التي يتصف بها الإله في التصور السامري على وجه الخصوص ، فنقول :

لعل أبرز ما يميز الإله في التصور السامري أنه إله روحاني بحت مجرد عن التشخيص والتجسيد [3]. وربما انتهوا إلى ذلك نتيجة تجنبهم لإضفاء الصفات البشرية على الله تعالى[4]. فهم ربما يعتقدون أن إضفاء الصفات التي يتصف بها البشر يقتضي تشبيه الله بخلقه ، وبالتالي تجنبوا وصفه بها الأمر الذي يستلزم القول بنفيها وبالتالي خلصوا إلى الإيمان بإله روحاني محض.

وربما يكون قولنا هذا محاولة لفهم كيفية خلوصهم إلى هذه الصورة الروحانية للإله . لكن السؤال المتبادرإلى الذهن هو هل تلك الصورة الروحانية المحضة للإله تمنع من اتصافه ببعض الصفات التي تشترك فيها الروحانيات مع غيرها في الإتصاف بها كالعلم مثلاً؟

ربما يكون السامريون قد مالوا إلى عدم إضفاء الصفات على الله تعالى لأنها حسب تصورهم صفات بشرية لا يجوز للخالق أن يتصف بها ، لكن السؤال الذي يلقي بظلاله هاهنا هو هل خلت التوراة السامرية من وصفٍ للخالق بما لا يليق من الصفات التي يتصف بها البشر أم لا؟

---

[1] انظر: دائرة المعارف الكتابية ، النسخة العربية ،ط٢ ،١٩٩٦ م ، دارا لثقافة ، القاهرة . جـ ٤ ، ص ٣٢٤ . وَ الفرق الدينية في الموسوعة العبرية ، ص ١١٧ .

[2] انظر: دائرة المعارف الكتابية ، جـ ٤ ، ص ٣٢٤ .

[3] انظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ص٤٤ . و تاريخ الديانة اليهودية ص ٢٢٠ . و الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه للدكتور حسن ظاظا ، ط٣ ،١٤١٦ هـ ، دار القلم ، دمشق ، ص ٢٠٦.

[4] انظر :دائرة المعارف الكتابية ، جـ ٤، ص ٣٢٥ .

في الحقيقة أن توراتهم السامرية تشهد بخلاف ذلك تماماً ، لأن الإله فيها لم يخرج عن صورة الوثنية تماما ، فهي وإن كانت بصورة أقل مما في التوراة العبرانية إلا أنها قد وجدت أيضاً في التوراة السامرية ، وهذا موضع الشـــاهد .

تقول دائرة المعارف الكتابية :"..والنص في التوراة السامرية يمثل نصاً منقحاً للتوراة العبرية".[1]

والواقع أن هذا النص المنقح عند التحقيق نجد أنه يفتقر إلى جملة تنقيحات أخرى، ليسلم على الأقل من تلك المتناقضات التي حواها ، وهذا ما سيتضح من خلال الآتي .

صفة العلم الإلهي عند السامريين :

لقد تناقضت النصوص التوراتية السامرية في أكثر من موضع ، وترددت بين الإثبات والنفي فيما يتعلق بصفة العلم الإلهي مما يرد على المزاعم السامرية بصحتها المطلقة.

صفة العلم الإلهي بين الإثبات والنفي :

إننا إذا تأملنا النصوص المثبتة لعلم الله عزوجل نجدها لا تكاد تقارن بتلك التي تنفي علم الرب تبارك وتعالى أو تنسب إليه صفاتاً تتنافي مع العلم ، وربما يكون السبب وراء ذلك — والله أعلم—أن النصوص المثبتة لصفة العلم الإلهي إثباتا صريحاً تنزيهياً كما هو وارد في التصور الإسلامي على وجه لا يمكن معه اعتقاد شيء من الجهل عليه سبحانه أو قصور علمه عزوجل، قد يمكن القول بأنها باتت من بقايا الحق التي وردت عن أنبياء الله ورسله عليهم السلام لاسيما من أنزلت عليه وهو موسى عليه السلام ـ كالنص الذي يقرر بأن "الرب إله عليم"صموئيل الأول (٢ / ٣) ـ .[2]

وإن كنا لانجزم بنسبتها إليه بلفظها الذي وردت به ، إذ قد مرت بعوامل كثيرة ، من نسخ وترجمة على مدى عصور وأزمان علمها عند الله تعالى ، بحيث لايرتاب أحد في طروء شيء ولويسير

---

[1] نفس المرجع و الجزء والصفحة .

[2] وهذا على سبيل التمثيل و إلا فإن السامريين لا يؤمنون بما عدا الأسفار الخمسة .

من التغير أو التغيير الذي تخرج به عن حرفيتها التي أنزلت بها ، هذا مع تسليمنا المطلق لمعانيها الصحيحة التي تفيد إثبات صفة العلم الإلهي على وجه الخصوص لأن تلك المعاني الصحيحة هي مما اتفقت عليها الشرائع .

وأما النصوص النافية فهي التي تقع في جانب الباطل من طرفي النقيض والسبب في منافاتها لصفات الألوهية و كمالها أنها وفق منظور بشري زاد على قصوره بأن أولى المهم - في تصوره - إهتماماً أكبر من الأهم وهو جانب العقيدة الإلهية الصحيحة.

فيكون الأول من بقايا الحظ الذي لم يُنس ، بينما يكون الثاني من قبيل ما أخبر به الحق تبارك وتعالى حين قال :﴿ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾المائدة (١٣) .

وسأسوق أمثلة يسيرة لجانب الإثبات ثم أعرج بعد ذلك على ماهو منافٍ لصفة العلم الإلهي للتوصل إلى تصور عام بشأن هذه الطائفة في هذه المسألة .

بعض نصوص الإثبات في التوراة السامرية :

١- ما ورد على لسان الحية :"بل علم الله أن في يوم أكلكما منها تنجلي بصيرتكما وتصيران كالملائكة عارفي الخير والشر " الإصحاح الثالث من سفر التكوين الفقرة الخامسة .

٢- ما ورد في سفر العدد الإصحاح الثالث والعشرون الفقرة (١٩) :" ليس إنساناً القادر فيكذب ، ولا ابن آدم فيندم . هل يقول ولا يفعل ؟ أتراه يقول و لا يفعل ؟ يعد و لا يفي ؟ " .

٣- ما ورد في سفر التثنية الإصحاح الثاني ، الفقرة(٧):"...لأن الله إلهك مباركك في كل صنع يديك عالم مسيرك في القفر العظيم هذا ".

على أن من الجدير بالذكر أن النصوص المثبتة كثيراً ما تأتي من قبيل إثبات علم الله تعالى في واقعة معينة وليس على سبيل الإثبات المطلق للصفة ، كما أن وصف الله تعالى بصفة العلم قد

جاء في معظمه باستخدام مفردة "المعرفة" بدلاً من "العلم" ، ومعلوم أن إطلاق وصف العلم أعم و أشمل وهو الوصف الذي ينبغي استخدامه في حق الباري تعالى.

نقول أن النصوص المثبتة كثيراً ما تأتي من قبيل إثبات العلم في واقعة معينة وليس من قبيل الإثبات المطلق للصفة في حين وردت صفات أخرى بصيغة الإثبات المطلق، كالقادر والرحمن والرؤوف . فمن ذلك :

١. ما ورد في سفر الخروج الإصحاح (٣٤) الفقرة(٦) : " الله قادر رحمن و رؤوف طويل المهلة وكثير الإحسان و الجميل ".
٢. وكذلك ما ورد في سفر التثنية الإصحاح العاشر الفقرة (١٧): " لأن الله إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب القادر العظيم الجبار الجليل " . وغير ذلك من النصوص .

نصوص تنافي كمال العلم الإلهي وتنسب لله الخطأ والجهل والقصور :

لم تخل التوراة السامرية من أمثال تلك النصوص التي عجت بها التوراة العبرية ، والتي تنسب إلى الباري عزوجل ما ينافي أزلية علمه وإحاطته وكماله على الوجه الذي يليق به سبحانه ، فمن ذلك:

١ ـ ما ورد في سفر التكوين الإصحاح الثاني ، الفقرة (١٨)، وهذه الفقرة تنسب إليه حكمه على نفسه بالخطأ! فهو قد أخطأ حين ترك الإنسان وحده. وحين علم أن ذلك من الخطأ قرر خلق امرأة معه ، وترجم ذلك بقوله :"ليس صوابا" ، وذلك بعد أن كان صوابا ! !حيث يروي النص أن الرب نظر إلى الخلق بعد أن فرغ منه واستحسنه وأكمله وأتمه ، وذلك بعد خلق آدم .

فالصورة النهائية للخلق كانت بعد إتمام خلق آدم وذلك بدليل النص الذي ينسب إلى الله تعالى الاستراحة بعد الفراغ من كل عملية الخلق، يقول النص :"وكملت السموات و الأرض وكل وحوشها وكمل الله اليوم السادس صناعته التي صنع وبارك الله اليوم السابع واستراح من كل صناعته التي صنع " . علماً أن النص يذكر أن الرب نظر العالم الذي خلقه "فإذا هو حسن جدا " وذلك يقتضي

عدم وجود نقص أبدا كضرورة يقتضيها ذلك الإكمال ، لكن الذي حدث هو أن الرب وبعد أن أستحسن جميع ما صنع تبين وجود نقص في تلك العملية التي ظن ـ وحاشاه ـ أنها قد تمت وكملت !! ، فتم الاكتشاف بأنه ليس صوابا أن يترك آدم وحده ، فتم خلق المرأة حينئذ! يقول النص: "ليس صوابا كون آدم وحده أصنع له عونا كنده " فقرة (١٨) .

فغدا الأمر ليس صواباً بعد أن كان صواباً نتيجة للتجربة والمشاهدة لا العلم السابق بما يُصلح أمر الخلق، فصراحة النص بأنه "ليس صوابا " يستلزم بالضرورة وقوع الخطأ.

٢ ـ ومن ذلك أيضا ما جاء من نسبة الخطأ إليه سبحانه حين نسبوا إلى كلامه الخطأ بانعدام الترتيب المنطقي للأحداث، إذ تروي الفقرة الـ(١٦) وصية الله لآدم بعدم الأكل من الشجرة المعرفة بالخير والشر ، وإعلامه بأنه سوف يعاقب إن أقدم على الأكل منها .ثم بعد ذلك تحكي الفقرة (١٨)استنتاج القديم بأنه ليس صوابا أن يكون الإنسان وحده .

فالإنذار الأول كان لآدم فقط وكان الإعلام بأن نتيجة المخالفة هي العقوبة ، بينما نرى في الفقرة الأولى من الإصحاح الثالث الثعبان يوجه سؤاله للمرأة (حقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنان؟) فتولت المرأة الرد بأن قالت : (من شجر الجنان نأكل ومن ثمر الشجرة هذه التي في وسط الجنان قال الله لا تأكلا منها ولا تدنيا بها كي لا تموتا!) في حين أنه من المفترض أن :

ـ يوجه الثعبان سؤاله لآدم وليس للمرأة ، وأن يتولى آدم الرد وليست المرأة، لأنه هو الذي تلقى التحذير و الإنذار في وقت لم تكن المرأة قد خلقت بعد!ولكن لا نجد ذكرا لآدم سوى أنه في نهاية الأمر إنصاع لرغبة المرأة و أكل معها!!

ـ يموتا حال أكلهما من الشجرة ، لأن آدم حين تلقى الإعلام بعدم الاقتراب من الشجرة كان ذلك الإعلام مقترناً بإنذار مفاده أنه سيعاقب. بينما نجد المرأة تنسب إلى القديم بأنه قد أخبرهما بأنهما سيموتان موتا حال أكلهما من الشجرة ، وهي لم تشهد ذلك ، وهو لم يقله !!

فهذا التضارب في الإنباء لايخرج عن كونه أحد أمرين : إما خطأ من المخبر وحاشاه تعالى ، وإما خطأ من المرأة .

ـ يأكل الثعبان ترابا وذلك وفق حكم الإله عليه في قوله :" ملعون من كل البهائم، من كل وحشية الصحراء .على بطنك تسعى و ترابا تأكل كل أيام حياتك"،ولكنه لم يأكل التراب ، وذلـــــك بدلالة الواقع وشهادته!

٣ ـ و مما ينافي كمال علم الباري تعالى كذلك ما جاء في سياق النص من تساؤلات وجهها الرب إلى آدم حين اختبأ من وجه الرب الإله في الجنة حال أكله من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها . فسياق نص تلك التساؤلات و الإستجوابات لا يفهم منه سوى معنى طلب العلم بالشيء أو بالأمر . يقول الإمام الباجي :"كيف يحسن أن يقال : ودعا الرب الإله آدم و قال له : آدم ، أين أنت ؟ مع أن الله تعالى لا يخفى عليه آدم ولا مكانه ، وكيف يحسن أن يقال: فقال له : من عرفك أنك عريان ؟ أكان آدم محتاجا في معرفة نفسه أنه عريان إلى من يعرفه بذلك ؟ ما على هذا في الجهالة مزيد و لا نتوهم في حق آدم مثل هذا ، بل ولا في حق أجهل آحادنا نحن".[1]

٤ ـ ومن المعاني المنافية لكمال العلم الباري تعالى ، المعنى الذي يصوره الإصحاح الثامن من سفر التكوين فقرة (١) ، يقول النص : " وذكر الله نوحاً و كل الحيوانية و كل البهائم التي معه في السفينة ، و عصف الله بريح على الأرض فسكنت المياه " .

فالنص يصور الباري ـ تعالى علواً كبيراً ـ بصورة الناسي لنوح ومن معه ، ثم المتذكر لهم حيث أنه لما تذكرهم عصف بالريح لتسكن المياه ، وهذا باطل لأن القرآن الكريم قد قرر حقيقة أن الله تعالى لا

---

[1] انظر: على التوراة للفقيه علي بن محمد بن عبد الرحمن الباجي الشافعي ، تحقيق : الدكتور أحمد حجازي السقا، ط١ ، ١٤٠٠ هـ ، دار الأنصار ، مصر . ص ٣٣ — ٣٤ .

يجوز له النسيان ولا يصح اعتقاده فيه لما فيه من إلحاق الجهل به في بعض الأحوال ووصفه بما هو من قبيل صفات البشر القاصرة . قال تعالى في سياق إخباره عن موقف فرعون المتعنت إزاء دعوة موسى و هارون عليهما السلام حين سألهما على سبيل التبكيت و التعجيز :﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ ، فكان الرد الحاسم :﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ طه (٥٢). وقال عز من قائلٍ حكيمٍ عليم :﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم (٦٤) .

فالنسيان المستلزم للتذكر محالٌ ممتنع في حقه تعالى ، لأن فيه منافاةٌ لعلم الباري تعالى إذ يستلزم القول به اعتقاد وقوع الجهل به تعالى في وقتٍ من الأوقات إلى حين أن تتم عملية التذكر لذلك الأمر.

يقول الإمام الباجي معلقاً : " وذكر الله نوحاً وكل الوحوش " ، يوهم أن طول المدة كان بسبب النسيان وهو باطل .[1]

٤ ـ ومن الخطأ المنسوب إليه تعالى و المنافي لعلمه عزوجل كذلك ما يرويه سفر الخروج الإصحاح الحادي عشر من أن الله أخبر موسى بأن فرعون سيطلق بني إسرائيل ليخرجوا من مصر ، ثم بعد ذلك يخبره أنه لن يطلقهم ! !

تقول الفقرة الأولى :" فقال الله لموسى : بقي بلاء واحد أحضره على فرعون وعلى المصريين وبعد ذلك يطلقكم من هاهنا ، وعند إطلاقه الكل طردا يطردكم من ها هنا "، ثم بعد أن ينزل به هذا البلاء وهو موت الأبكار من كل شيء ، من الناس والبهائم ، تخبرنا بقية القصة بأن فرعون لم يطلقهم ولم يطردهم! !تقول الفقرة (٩)(١٠) : " وقال الله لموسى إنما لم يسمع منكما فرعون بسبب كثرة معجزاتي في أرض مصر، وموسى وهارون صنعا كل المعجزات هذه بحضرة فرعون وشد الله قلب فرعون ولم يطلق بني إسرائيل من أرضه ".

---

[1] المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

إذن فلماذا أخبره أنه سيطلقهم بعد أن يقع به البلاء الواحد المتبقي ؟! أكان ذلك الإخبار مبنيٌ على الحدس والظن الذي بدا الأمر فيه بعد ذلك أنه خلاف ماهو متوقعٌ أن يكون من فرعون!

ولماذا كان الإستنتاج أن ذلك بسبب كثرة المعجزات في أرض مصر ؟! أليست كثرة المعجزات دعما لدعوة الأنبياء ،وسببا لزيادة إيمان أتباعهم أم أنها سبب للكفر والصدود؟!

ثم وكأن في الكلام تبريراً لموسى عليه السلام لئلا يظهر الله تعالى ـ وحاشاه عزوجل ـ بمظهر القائل بغير الحق أو القائل قولاً عن غير علم ، إذ بعد أن أخبره بأنه سيطلقهم كانت نتيجة الواقع أنه لم يطلقهم، فأراد تبرير ذلك الموقف بأن أخبره أن فرعوناً لم يطلقهم بسبب كثرة المعجزات! !

فموقف فرعون المتمثل في عدم إطلاق الشعب يستلزم نسبة الكذب إلى القول الأول الذي أفاد بأن الإطلاق سيتم بعد البلاء الأخير ، و هذا بداء في الخبر تتنزه عنه أخبار الله تعالى .

٥ ـ ومن الخطأ الذي ينسبونه إلى الله تعالى ، عدم قدرته على تمييز بيوت المصريين! ، يقول النص الوارد في سفر الخروج الإصحاح الثاني عشر الفقرات (١٢-١٣) :"وأعبر في أرض مصر في تلك الليلة هذه وأقتل كل بكر في أرض مصر من إنسان إلى بهيمة . و بكل آلهة المصريين أصنع أحكاما. أنا الله ، ويكون الدم لكم آية على البيوت التي أنتم هناك. فأنظر الدم وأعرج عنكم ولا يكون منكم منصدم في ضرباتي في أرض مصر ".

فالنص السابق منافٍ لكمال علم الله تعالى ، و التعليق عليه من جوانب :

١) أنه يصور الرب ـ وحاشاه جل وعلا ـ محتاجاً إلى غيره من خلقه ليساعده على المعرفة والتمييز بين بيوت المصريين ، وذلك بما طلبه منهم من تمييز بيوتهم بخضبها بالدماء حتى يتجاوز عن بيوت أوليائه اليهود حين ينزل ضرباته بالمصريين ! !وهذا القول يستلزم اعتقاد الجهل عليه سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

٢) ثم كيف احتاج لأن يطلب علامة على البيوت و لم يحتج لأن يطلب علامة لتمييز الأبكار مع أن الثانية أصعب من الأولى ! !

٣) وكذلك لماذا لم يطلب علامة على أرض مصر لاسيما و أنه سيجتاز في الليل فكيف سيميزها ؟! لماذا لم يطلب علامة منهم كإشعال نار كبيرة مثلاً ليميز أرض مصر عن غيرها من الأراضي في شدة ظلمة الليل .

٤) لوصحت رواية الأمر بوضع الدم على الأبواب فنقول أن ذلك إنما سيكون لأمرٍ تعبدي لم تُعلم للعباد حكمته و ليس لأجل التمييز بين بيوت الإسرائيليين و المصريين كما يزعم النص .

وقد علّق الإمام الباجي على هذا النص بقوله : " إن الرب سبحانه عالمٌ ببيوتهم لا يحتاج إلى علامةٍ عليها " .[1]

٦- ومن الخطأ الذي يخالف الواقع ما يرويه النص الوارد في سفر الخروج الإصحاح التاسع عشر الفقرتان (٣) (٤) : " وموسى صعد إلى الله . وناداه الله من الجبل قائلا هكذا تقول لآل يعقوب وتخبر بني إسرائيل، أنتم نظرتم ما صنعت بالمصريين وحملتكم على أجنحة النسور و أحضرتكم إلي".

والواقع يشهد بخلاف ذلك ،إذ كان خروجهم على عجل حتى أنهم أكلوا فطيرا - ولم ينتظروا الخبز ليختمر - وأوساطهم مشدودة من فرط تعجلهم في الخروج من مصر ، ولذلك اتخذوا ذلك اليوم عيدا ولو كانوا حُملوا على أجنحة النسور لما احتاجوا لهذه العجلة.

فهذا النص مناقض للنص الذي يروي الواقعة ، يقول النص الوارد في الإصحاح الثالث عشر من سفر الخروج الفقرات (٢٠) : " ورحلوا من سُكُّوتَ [2] ونزلوا في إِيثَامَ [1] التي في طريق البرية وملاك الله

---

[1] على التوراة ، ص ٩٣ .

[2] اسم عبري معناه "مظلات " وهي اسم مدينة في مصر كانت هي أول مكان وصل إليه بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر ، ويرى البعض أن موقعها اليوم هو " تل المسخوطة " . انظر قاموس الكتاب المقدس " سكوت " ، ص ٤٧٢ . وَ دائرة المعارف الكتابية ، جـ ٤ ، ص ٣٩٨.

سائر بين أيديهم نهارا بعمود غمام لإرشادهم الطريق وليلا بعمود نار للإضاءة لهم للمسير نهارا وليلا "، ولو كان خروجهم على أجنحة النسور لقال : وملاك الله طائر أمامهم ! !

ثم كيف سيتسنى لفرعون أن يلحق بهم لو كانوا فعلا طائرون على أجنحة النسور ، ولو كان كذلك ما احتاجوا لأن يضرب موسى البحر فينشق كي يسيروا كما أمره ربه . تقول الفقرات (١٥-١٦-١٧) من الإصحاح الرابع عشر : (وقال الله لموسى : ما تصرخ إلي ؟ خاطب بني إسرائيل أن يرحلوا وأنت أرفع عصاك ومد يدك إلى البحر وشقه ليدخل بنو إسرائيل في وسط البحر في يابسة، وهاأنا مشجع قلوب المصريين فيدخلون تبعهم ، وأستكبر على فرعون وعلى كل جيشه من ركبه وفرسانه).

وهذه النصوص التي أوردناها جزء من بين تلك النصوص الكثيرة والتي امتلأت بها صفحات توراة السامريين، وقد أوردنا ما أوردناه على سبيل الاستشهاد ، لا التقصي والحصر ففيه الكفاية.

وأما بالنسبة لأراء أحبارهم وفلاسفتهم في مسألة علم الله تعالى على وجه الخصوص ، فلم يتوفر لدي شيء من ذلك من خلال مارجعت إليه من مصادر ومراجع ، غير أنه ليس بالإمكان القطع بعدم وجود محاولات سامرية لإثبات صفة العلم الإلهي على غرار محاولات الربانيين أمثال سعدي الفيومي وابن ميمون وغيرهما، مادام ليس في الإمكان الجزم بوجودها كذلك فيبقى الأمر قيد الاحتمال .

ونظراً لعدم توافر أراء واضحة لدى فرقة السامريين في مسألة العلم الإلهي ، فإننا سنتبين ذلك من خلال الرجوع إلى توراتهم المقدسة "التوراة السامرية" وذلك لسبب وجيه جداً وهو : أن تلك الآراء إن وجدت فإنها لن تتخطى إلى غير ماهو مقرر في كتابها المقدس قيد أنملة، ما دام هو الدستور

---

(١) مكان حلَّ فيه العبرانيون عند خروجهم من أرض مصر ، و يقع شرقي سُكُّوت التي كانت على أطراف الصحراء ، و يُرجح أن إيثام كانت بالقرب من مدينة الإسماعيلية الحالية . انظر قاموس الكتاب المقدس " إيثام " ، ص ١٤٠.

المقدس المعتقد بوحيه وبصحته المطلقة عند جميع المؤمنين بـه مـن السـامريين ، لاسـيما وأنهـم قـد عرف عنهم التمسك والوقوف عند حرفية تلك النصوص .[1]

وبناء على ذلك فالقول الذي يمكن التوصل إليه بشأن تصور فرقة السامريين لصفة العلم الإلهي هـو الآتي :

إن كتاباً يحمل صفة القداسة باعتباره كلام الله عزوجل، يحمل بين دفتيه جملـة مـن المتناقضـات العقلية والمتعارضات النقلية ،لا يمكن النظر إلى أتباعه المؤمنين به – على أنه وحي لم يتطرق إليـه أدنى شك–إلا من منظور ازدواجي يتماشى مع ازدواجيـة تلـك النصـوص ، إذ لايمكننـا أن نطالـب إنساناً بأن يعتقد بأن لله علما تاما كاملا محيطا سابقاً على وجـود الخليقـة ، وكتابـه الـذي يـؤمن بقدسيته–ولا يشك في ذلك – يخبره بأن الله لما انتهى من خلق العالم استحسن كماله وتمامه ، ثـم اكتشف بأنه ليس صواباً أن يترك الإنسان وحده وإنما لا بد له مـن اسـتحداث خلـق جديـد يكـون عونا لآدم . [2]

ويخبره بأن كلام الحية كان أمضى من كلام الله –تعالى علواً كـبيراً– حيـث لم يمـت آدم ولا حـواء بعد أكلهما من الشجرة .[3]

ويخبره بأن آدم لما عصى في الجنة اختبأ من وجه الرب الإله ، وأن الإله توجه إليه متسائلاً بقولـه أين أنت [4]؟!! ويخبره كذلك بأن الله لما ذكر نوحاً ومن معه على السـفينة أجـرى ريحـا فأذهبـت

---

[1] انظر: موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، للدكتور عبد الوهاب المسـيري ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، دار الشروق ، القاهرة ، جـ ٢ ، ص ١١٩ .

[2] راجع سفر التكوين الإصحاح الثاني ، فقرة (١٨) من التوراة السامرية .

[3] راجع نفس السفر الإصحاح الثالث ، فقرة (٧) .

[4] راجع نفس السفر و الإصحاح السابقين ، فقرة (٩) .

المياه[1]!! !! ويخبره بأن الله أقام قوسه في الغمام ليكون آية عهد بينه وبين الأرض ليتذكر فلا يأت بطوفان مغرق للأرض مرة أخرى!!.[2]

ويخبره بأن الرب أعمل فكره حين رأى بناء البشر للبرج وخرج باستنتاجٍ بنى عليه ما قرره من الفعل بعد ذلك!! يقول النص :" وقال الله إن شعباً واحد ولغة واحدة لكلهم وهذا ابتداؤهم للفعل. والآن لا يصعب عليهم كل ما يعزمون للفعل،هات ننحدر ونغير هناك لغات حتى لا يفهم رجل لغة صاحبه "!!![3]

أقول إن كتاباً على هذه الصفة ، لا يمكن لأتباعه بحال أن يعتقدوا الاعتقاد الصحيح في صفة علم الله تعالى في الوقت الذي ينضح فيه كتابهم بنقيض ذلك تماما. لا سيما إذا عُد اعتقاد خلاف ماهو مسطور من قبيل الكفر والهرطقة ، زد على هذا أن ما ينبغي اعتقاده بحق ، يعد مبدأً راسخاً في عقيدة أحد طوائف "الجوييم" أو"الأغيار"- وهم هنا المسلمون- فأنى للشعب المختار أن يعتقد أمرا هو من صميم مذهب الأغيار!!

ولهذا فليس لنا أن نعتقد أن السامريين خصوصاً واليهود بعامة سيتخلون عن تلك الازدواجية في تصور علم الله تبارك وتعالى — والتي يطغى فيها جانب النقص على جانب التنزيه — مالم يتمردوا على تلك النصوص التي سوغت تلك المتناقضات ونقلتها من بين السطور لتستقر في العقول على أنها مسلمات ، دينية بل ضرورات دينية لا يصح الإيمان إلا بها ، ما دامت تحمل صفة القداسة والتنزيل الإلهي .

ولا يمكننا بحال أن نروم توحيداً من عقل تشرب إلحاداً ونضح به وعد دستورهُ أي دعواتٍ للتوحيد، ضرباً من ضروب الهرطقة التي تخالف ضرورة دينية ، تشكل مخالفتها ضرباً لأساس الإيمان وانتقالاً من حالة الإيمان إلى حالة الشرك والكفر !!

---

[1] راجع نفس السفر الإصحاح الثامن الفقرة الأولى .

[2] سفر التكوين الإصحاح التاسع الفقرات (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) .

[3] سفر التكوين ، الإصحاح الحادي عشر الفقرات (٥ ،٦ ، ٧) .

المبحث الثاني

الربانيون

الربانيون من اليهود هم الذين كانوا يمثلون قمة العلم الديني لأنهم رجال الدين الذين اختصوا بالعلوم الإلهية ، وقد تتابعوا زمنيا بعد موسى عليه السلام [1] ، وذلك بدليل قوله تعالى :
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة(٤٤) ، فالربانيون كانت عليهم مهمة بيان الكتاب والحكم بما أنزل الله تعالى على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

ولما حادوا عن جادة الحق كانت لهم تلك السلطة الدينية التي حفظها لهم عامة اليهود لم تزل بحكم أنهم مستأمنون على الكتاب والدين ، فلذلك اتبعوهم حتى على ما صاروا إليه من الضلال بإتباع الهوى فاتخذوهم بذلك أربابا من دون الله تعالى ، وذلك مصداق قوله عزوجل :
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة (٣٢).

---

[1] انظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص٨٨ . وانظر أيضاً تاريخ اليهود و آثارهم في مصر لتقي الدين المقريزي ، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب ، د . ط ، د . ت ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ص ١١٨.

ونعود إلى التعريف بهم فنقول : أن الربانيين يطلق عليهم كذلك اسم "الحاخامات" ، وهذه الكلمة جمع "حاخام" ، وتعني "حكيم" ، فهؤلاء الحكماء كانوا في الفترة الأولى هم المرشدين الأوائل إلى التوراة.[١] وقد استخدم العرب في عهد النبوة مصطلح الربانيين للإشارة إلى الحاخامات.[٢]

وقد كانت في بادئ الأمر مستقلة عن فرقة التلموديين لأن الربانيين هم الذين كانوا يعلمون الناس ويرشدونهم إلى شرائع التوراة في وقت لم يوجد فيه التلمود بعد — وإن كانوا هم واضعوه على الحقيقة — غير أن مسمى التلموديون إذا أطلق كان المقصود منه أولئك الذين اقتصر عملهم على الشرح والتدوين والتحرير لأجزاء التلمود .

يقول إسرائيل ولفنسون[٣]: " إن تدوين التلمود الفلسطيني استمر منذ أوائل القرن الثالث وإلى نهاية القرن الرابع بعد الميلاد وانقطع قبل أن يتم شرحه وتعليقه على أجزاء المشنا بسبب اضطهاد رومه القاسية ".[٤]

ورغم ذلك نجد أن هناك من يقرن المرحلة الربانية بالفترة التي بدئ فيها بالعمل في كتاب التلمود[٥].بينما هناك من يربط بداية نشأتهم بما بعد عصر كتابة التلمود الفلسطيني ، كالإمام المقريزي[٦] الذي ذكر بأن الربانيون هم الفرقة التي كانت تعمل بما في المشنا الذي كتب

---

[١] انظر: المرجع السابق ،ص ٩١ .

[٢] انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبد الوهاب المسيري ، جـ ٢ ، ص٦١ .

[٣] أبو ذؤيب مؤرخ وكاتب يهودي في أوائل القرن العشرين ، له كتابات باللغة العربية كالكتاب الذي بين أيدينا.

[٤] الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص ٩٦ .

[٥] انظر: المرجع السابق ، ص ٩٢ .

[٦] هوا لإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ابن تميم ، الشيخ الإمام البارع تقي الدين المقريزي . نشأ بالقاهرة و تفقه على مذهب الحنفية ثم تحول إلى المذهب الشافعي ، وكانت له معرفة بالفقه و الحديث والنحو،=

بطبريا[١] و تُعّوَّل في أحكام الشريعة على ما في التلمود إلى هذا الوقت الذي نحن فيه.[٢]

والرباني هو الموصوف بعلم الرب ، وورد عند القرطبي أن المبرد [٣] قال : الربانيون أرباب العلم ،واحدهم ربان من قولهم : ربه يربه فهو ربان إذا دبره وأصلحه ، فمعناه على هذا أي يدبرون أمور الناس و يصلحونها.[٤]

طائفة الربانيين :

يعد الربانيون أكبر فرق اليهود ، وكتابهم هو التلمود الذي يقولون عنه بأنه الشريعة غير المنزلة ، والمكملة لشريعة موسى عليه السلام المحفوظة في التوراة[٥] . وهم في الحقيقة يُعَوِّلون في أحكام الشريعة عليه وبعيدون كل البعد عن العمل بالنصوص الإلهية (التوراة) .[٦]

يقول الإمام تقي الدين المقريزي :" ومن أطلع على حقيقة دينهم ، تبين أن الذي ذمهم الله به في القرآن الكريم حق لامرية فيه ، وأنه لا يصح لهم من اسم اليهودية إلا مجرد الانتماء فقط

=وعلوم السلف وإلمام بمذاهب أهل الكتاب. قال عنه صاحب النجوم الزاهرة:"هو أعظم من رأيناه وأدركناه في علم التاريخ وضروبه". له تصانيف كثيرة وتوفي رحمه الله في (٨٤٥هـ).

[١] طبرية مدينة بالشام وكانت قصبة الأردن ، انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، د ، ط ، د، ت ، المكتبة العلمية ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٣٦٨ .

[٢] انظر: تاريخ اليهود و آثارهم في مصر لتقي الدين المقريزي ، ص١١٧ـــ١١٨.

[٣] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمرو بن حسان ، و يقال بن مالك الثمالي المبرد البصري اللغوي ، مشهور وثقه الخطيب و جماعته ، انتهى علم النحو بعد المازني و الحربي و طبقتهما إليه ، توفي سنة ٢٨٥ هـ . انظر: لسان الميزان ، جـ ٥ ، ص ٤٣٠ .

[٤] انظر: موسوعة الأديان الميسرة ، دار النفائس ، بيروت ، ص ٢٦٢ .

[٥] انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص ١١٥ .

[٦] انظر: تاريخ اليهود و آثارهم في مصر ، ص ١١٨ .

لا أنهم في الإتباع على الملة الموسوية ، لا سيما منذ أن ظهر فيهم ابن ميمون القرطبي ".[١]

وفي ذلك يقول الإمام السموأل[٢] –رحمه الله تعالى – : "ثم إن اليهود فرقتان إحداهما[٣]: عرفت أن أولئك السلف الذين ألفوا" المشنا "و" التلمود" ؛ وهم فقهاء اليهود ، قوم كذابون على الله تعالى وعلى موسى النبي عليه السلام ، أصحاب حماقات ورقاعات هائلة ، من ذلك، أن أكثر مسائل فقههم ومذهبهم يختلفون فيها ، ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في كل واحدة من هذه المسائل ، يوحي الله إليه بصوت يسمعه جمهورهم ، يقول : الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان".[٤]

ويقول أيضاً :" ..والفرقة الثانية يقال لهم الربانيون ، وهم أكثر عدداً ، وهم شيعة الحاخاميم الفقهاء المفترين على الله عزوجل...وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم".[٥]

ويمكن تشبيه فرقة الربانيين بأنها الفرقة الأم والتي انشعب عنها كثير من الفرق خلال فترات تاريخها ، فمثلاً في فترةٍ من الفترات ظهر من بين أفرادها طائفة عُرفوا "بالفريسيين"[٦]، "بالفريسيين"[٦]، وهم يؤمنون بالتوراة وما يلحق بها من تعاليم ومرويات الحاخامات" التلمود"

---

[١] المرجع السابق نفس الصفحة . وابن ميمون القرطبي هو موسى بن ميمون أبو عمران ، صاحب كتاب " دلالة الحائرين" المشهور – وسيأتي ذكره – .

[٢] تقدمت ترجمته .

[٣] ويقصد هنا القرائين .

[٤] إفحام اليهود للسموأل ، ص ١٧١ .

[٥] المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

[٦] "الفريسيون" مأخوذة من الكلمة العبرية "بروشيم" ، أي المنعزلون والفريسيون فرقة دينية وحزب سياسي سياسي ظهر نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهلينية التي تعلي شأن الحكيم على حساب الكاهن ، ويُرجع التراث اليهودي جذورهم إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد . انظر : موسوعة اليهود واليهودية ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

وينظرون إليها نظرة خاصة يعتبرون بها أن كل ذلك مندمج اندماجا عضويا في التوراة بحيث لا يمكن الإيمان بهذه التوراة مع الشك في مكملاتها [١]، بل إن بعض الباحثين يذكرون أن فقهاء الفريسيين هم الذين ألفوا التلمود ،وأنهم هم المقصودون بمصطلح الربانيين في الكتابات الإسلامية . [٢]

يقول يوسيفوس [٣] ، كما ينقل عنه صاحب كتاب "اليهود تاريخ و عقيدة" في شأن الفريسيين : "إنهم شيعة من اليهود يجهرون بأنهم أكثر استمساكاً بالدين من سائر أبناء ملتهم ، وبأنهم أدق من غيرهم في تفسير شرائعهم " [٤] ، وهذا وصفٌ ينطبق تماماً على طائفة الربانيين. وعلى هذا فهم يُعَدون من أهم الفرق اليهودية وأخطرها وأكثرها عدداً في ماضي تاريخهم وحاضره ويمثلون اليوم اليهودية الأرثوذكسية التي تؤمن بالتلمود إيمان الفريسيين به كما تذكر ذلك دائرة المعارف اليهودية .[٥]

التلمود كتاب الربانيين الأول ! [٦]

يُعد التلمود كتاب الربانيين الأول على الحقيقة ، إذ أنهم يرفعونه فوق مرتبة التوراة كما سنرى .

---

[١] انظر: الفكر الديني اليهودي ، ص ٢١٠ .

[٢] انظر: الكنز المرصود ، ص ٣٣ .

[٣] مؤرخ يهودي شهير

[٤] الدكتور كامل سعفان ، ص ٢٠٤ .

[٥] انظر: التلمود أسرار...حقائق ، ص٦٢٨ ،٦٢٧ . وَ الكنز المرصود ، ص ٣٣ .

[٦] انظر: دائرة المعارف الكتابية ، جـ ٢ ، ص٣٩٥ ـ ٤٠٠ . وَ فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية للأب .برانايتس ، إعداد زهدي الفاتح ، ط ٥ ، ١٤٢٤هـ ، دار النفائس ، بيروت ، ص ٢١ ـــ ٢٨ . وَالتلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ، ط ٨ ،١٤٢٣ هـ ، دار النفائس ، بيروت ، ص١١ ــ ٣٠. وَ التلمود كتاب اليهود المقدس لأحمد إيبش ، ط١ ، ١٢٤٧هـ ، دار قتيبة ، دمشق ـ بيروت ، ص٢٥ ـ٤٠ ، ٤٩ ـ ٥٨ . وَالكنز المرصود في فضائح التلمود ، ص ١١ ـ ١٦ . وَ التلمود أسرار..حقائق ، ص ١٧ـ٥١ .

يقول بولس حنا مسعد صاحب كتاب همجية التعاليم الصهيونية :" في كل عصر عد اليهود عموماً ، ما عدا بعض المشاقين (كالقرائين) ، التلمود إلهياً كالتوراة . ولكن إذا فحصنا الحقائق بمنظار الروية وجدناهم يضعونه فوق التوراة نفسها " .[1]

وكلمة التلمود مشتقة من "لامود" التي تعني التعاليم وإذا استخدمت هذه الكلمة على سبيل المجاز أصبحت تعني : الكتاب الذي يحتوي التعاليم اليهودية. والتلمود كما هو معروف عبارة عن الكتاب العقائدي الذي يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه.[2]

ويعتقد الربانيون أن موسى عليه السلام هو المؤلف الأول لهذا الكتاب ، وأنه يضاف إلى القانون المكتوب الذي تسلمه موسى من ربه على جبل سيناء (التوراة) على اعتبار أن موسى تسلم من الله تفسيرات وشروحات هذا القانون المكتوب شفاهياً ، ولذلك سمي بالقانون الشفوي أو التعاليم الشفوية .

ويدللون على ذلك بمكوث موسى عليه السلام – كما يزعمون – فترة طويلة على جبل سيناء حينما ذهب للقاء ربه ، فيقولون : إن بقاء موسى لوقت أطول مما هو محدد له إنما كان بسبب تلقين الله عزوجل لموسى القانون الشفوي الذي بدوره نقله إلى "جوشو"[3] وهذا الأخير نقله إلى الشيوخ السبعين ، وهؤلاء بدورهم نقلوه إلى الرسل الذين انتهوا بنقله إلى كبير اليهود ! ومنه إلى عدد من الربيين حتى جاء حين من الدهر بات من المستحيل استيعابها و الحفاظ عليها شفوياً.[4]

أنواعه وتاريخ تدوينه:

لكتاب التلمود نوعين أساسيين ، تم تصنيفهما بالنظر إلى مكان تدوينهما، وهما :

---

[1] همجية التعاليم الصهيونية ، ص ١٦ نقلاً عن التلمود أسرار..حقائق ، ص ١٦٨ .

[2] فضح التلمود ، ص ٢١ .

[3] لم أعثر له على ترجمة ، وهو أحد الأحبار السبعون آنذاك.

[4] انظر: المرجع السابق ، ٢٢ .

١ـ التلمود الفلسطيني أو الأورشليمي: وهو الذي تم تدوينه في فلسطين ، وهو يشتمل على مناقشات المعلمين الفلسطينيين الذين قاموا بمهمة التعليم ، من القرن الثالث الميلادي وحتى بداية القرن الخامس ، لاسيما في مدارس طبرية وقيصرية وسفوريس .

٢ـ التلمود البابلي : وقد ظـــهر بعد ظهور التلمود الفلسطيني ،كما أنه أكبر حجما منـــــه ، ويعد مرجعا أقوى عند اليهود.[١]

أقسامه :

ينقسم التلمود إلى جزأين هامين :

١ـ "المشنا" : وهي الأصل أو المتن ، ولفظ المشنا يعني الشريعة المكررة ، فهي تكرار لشريعة موسى . كما تفيد أيضا معنى المعرفة ، وعلى هذا فالمشنا تعد أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، وتعد خُلاصة القانون الشفهي الذي تناقله الحاخامات منذ حركة الفريسيين . وقد جمعها الحاخام "يهوذا هاناسي" [٢] فيما بين (١٩٠–٢٠٠ق.م) .

وتتألف المشنا من ستة أقسام رئيسية تدعى "سداريم" جمع سدر ، وكل سدر يضم عددا من الأسفار أو الكتب ، التي تضم عددا من الإصحاحات أو الفصول تدعى "برقيم" .

وهذه الأسفار الرئيسية هي:

١) " زراعيم " ، ويتضمن الأحكام أو القوانين المتعلقة بالزراعة.
٢) " موعد "، ويتضمن أحكام الأعياد والمواسم ، والمناسبات والطقوس الدينية والشعائر والفرائض ، وكيفية معرفة الأشهر العبرية والقمرية . ويقع في اثني عشر سفراً.

---

[١] انظر: فضح التلمود ، ص ٢٤ ـ ٢٥ . وَ الكنز المرصود ، ص ٢٦ ـ ٢٧ . وَ التلمود تاريخه و تعاليمه لظفر الإسلام خان ، ص ٢٢ ـ ٢٨ .

[٢] ويسمى أيضاً "الحاخام المقدس" أو "الأمير" ، وهو من أكبر علماء اليهود وهو الذي جمع المشناه فيما بين ١٩٠ ـ ٢٠٠م . انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ، ص ٩٨ ، ملحق رقم (١).

٣) " ناشيم "،ويتضمن الأحكام المتعلقة بالمرأة ،من أحكام الزواج والطلاق وغيرها . ويقع في سبعة أسفار.

٤) "نزيقين"، ويضم القوانين المدنية والجنائية ، كما تكلم عن السيد المسيح وبالغ في الحط من شأنه ، وهو يقع في ١٠ أسفار.

٥) "قداشيم" ، أو المقدسات ويتناول التضحيات وشعائرها ، والأحكام الخاصة بالهيكل ، و الإثم والخطيئة وكفارتها .ويقع في احد عشر سفر

٦) "طهاروت" ،أي الطهارة ، ويضم قوانين الطهارة و النجاسة والرجاسة . ويقع في اثني عشر سفراً.

٢-"الجمارا" : وهي عبارة عن شرح المشنا ، ومعنى الجمارا أي " الإكمال" ، وهي تعد بالأساس وثيقة تشريعية، لكنها فوق ذلك تزود المشنا بالجدال حول التفاسير التوراتية ، كما أنها مصدر التاريخ والأساطير المختلفة ، وهي اثنتان :

١)جمارا أورشليم أو فلسطين .

٢) وجمارا بابل .

فأما بالنسبة لجمارا أورشليم ،فهي عبارة عن سجل المناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين أو بالأخص علماء مدارس طبرية ، لشرح أصول المشنا ، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام (٤٠٠م). وجمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشنا التي دونها علماء العراق من اليهود ، وقد انتهوا من جمعها سنة (٥٠٠م) تقريباً. فالمشنا مع جمارا أورشليم يسمى "تلمود أورشليم"، والمشنا مع جمارا بابل يسمى "تلمود بابل".

أهمية التلمود عند فرقة الربانيين :

إننا إذا نظرنا إلى أقوال الحاخامات و ارآؤهم حول كتاب التلمود، نجد أنهم يخلعون عليه من القداسة مالا يخلعون على التوراة !! وقد فرض هيمنةً لا يمكن التغافل عنها ، يقول الأستاذ

الحسيني[1] :"منذ نهاية القرن السابع للميلاد ، ومع مطلع القرن الثامن ، صار التلمود العامل الجوهري في التجربة الدينية للجماعات اليهودية ، إذ أصبح المعيار السائد المقبول في كل ما يتعلق بحياة اليهود و أعمالهم ونشاطهم الفكري . حتى أننا حينما نتحدث عن " اليهودية" بعد ذلك التاريخ ، فإننا في واقع الأمر نتحدث عن "اليهودية الحاخامية" [2].

وقد وضعوا نصوصا كثيرة لبيان أهميته والتأكيد على قداسته ، فمن ذلك قولهم :

١-" أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق عليها المكافأة، ومن درس المشنا فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها ، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة ". [3]

٢-"من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت ، دون من احتقر أقوال التوراة ، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود ، واشتغل بالتوراة فقط ، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في توراة موسى ! ! " .

٣- أن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء .

٤- إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ، ولو بأمر الله...وقد وقع اختلاف بين الرب وعلماء اليهود في مسالة ، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربانيين ، واضطر الرب أن يعترف بخطئه !

٥- أن الله لا شغل له في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين في مدرسة السماء.

٦- ويقول أحد الحاخامات :" لا يلزم أن تختلط بمن يدرس التوراة والمشنا دون الجمارا ".

٧- وذكر في التلمود قول أحدهم :" التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى " .

٨- وذكر في التلمود :" إعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء . وزيادة على ذلك

---

[1] كاتب و مفكر إسلامي معاصر ، من مؤلفاته : الكتاب الذي بين أيدينا ، وكتاب " القبالة و شفرة التوراة و العهد القديم " ، و غيرهما .

[2] التلمود أسرار...حقائق ، ص ٣١ . وهذا واضح جداً لدى يهود الحسيديم اليوم حيث يهتمون بتعليمه أبنائهم في سن مبكرة .

[3] الكنز المرصود ، ص ١٦٨ . وَ التلمود أسرار ..حقائق ، ص ٨٢ .

يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي " .

٩- وقال أحد حاخاماتهم -وقد عاش في القرن الثاني عشر- : "مخافة الحاخامات هي مخافة الله".

١٠- وجاء في التلمود : من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ ، وكأنه جادل العزة الإلهية ! ! .[١]

١١- يقول أحد اليهود المعاصرين : "الحياة اليهودية حتى هذا اليوم مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية ، فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا و قوانين زواجنا، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود...". [٢]

١٢- ويقول أحد الربانيين في العصر الحديث أيضاً : " نعترف جهاراً بسمو التلمود أكثر من كتاب الشريعة الموسوية"! وغير تلك النصوص كثير .[٣]

وقد ورد ذكر التلمود في بعض مؤلفات علماء الإسلام ، أمثال الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم ، والذي يعد أقدم مصدر أتى على ذكر التلمود.

يقول الإمام ابن حزم :"...والتلمود وهو معولهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم ، وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم..." ثم يذكر وصفاً لأولئك الأحبار فيقول : "..فإن اليهود كلهم مجمعون يعني الربانيين منهم مجمعون على الغضب على الله ، وعلى تعييبه وتهوين أمره عزوجل ".[٤]

ذكر بعض الشخصيات الربانية :

---

[١] الكنز المرصود الصفحات : ١٦٨، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦، ١٧٨ . وَ التلمود أسرار...حقائق ، الصفحات : من ٨٢ إلى ٨٦ .

[٢] التلمود أسرار ..ص ١٠ .

[٣] همجية التعاليم الصهيونية لبولس حنا ، ص ١١ نقلاً عن المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

[٤] انظر: الفصل في الملل والأهواء و النحل ، للإمام ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي ، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد ، د. ط ، د. ت المكتبة التوفيقية ، القاهرة. جـ ١، ص ٢٤٨ .

لقد حفل تاريخ الفرقة الربانية بالعديد من ربانيي اليهود الذين تفانوا في خدمة التلمود والإعلاء من شأنه وتعصبوا له أشد التعصب .

ولا شك أن أوائل أولئك التلوديين أو الربانيين هم الذين عنوا بتدوين التلمود وأقاموا على شرحه ، ففي فلسطين كما أسلفنا توافر علماء مدارس طبرية لشرح أصول المشنا ، وفي بابل توافر علماء العراق لذات الغرض وهو شرح المشنا ، غير أن أهم من تذكره المراجع المعنية بالتراث اليهودي ، هو الرابي " يهوذا هناسي"، باعتبار أن له فضل السبق في تدوين أصول المشناه ، والتي قامت عليها مختلف الشروحات فيما بعد.[1]

فمن هو يهوذا؟

يهوذا هناسي "الرئيس":

هو يهوذا ابن شمعون بن جمالئيل الثاني ، المشهور ب"يهودا هناسي" ، و "الرابي" ولد في عام ١٣٥م ومات عام ٢٢٠م[2]. ويعد أشهر فقهاء "التنائيم"- أي الرواة- . كان رئيساً للسنهدرين[3] ، ولعب دوراً كبيراً في تاريخ التلمود[4] ، حيث كان أول جامع لأصول المشنا التي عرفت فيما بعد "بمشنا الحبر يهوذا" ، وانتشرت إنتشاراً أصبحت معه بعد زمن ما ، هي المشنا والصورة المعتمدة لشريعة اليهود الشفوية.[5]

---

[1] انظر: الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي للدكتور عبد الرزاق أحمد قنديل ، د. ط ، ١٤٠٤ هـ ، دار التراث ، القاهرة ، ص ٤٣ .

[2] انظر: المرجع السابق ، ص٤٢ .

[3] السنهدرين: هو المجلس الأعلى العلمي الديني عند أتباع العقيدة اليهودية ، وأصل الإصطلاح يوناني معناه: المجلس .

[4] انظر: الفرق اليهودية منذ البدايات ، ص ٩٣ .

[5] انظر: الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ، ص ٤٣ .

كما قام بإعادة ترتيب تلك الشروحات وتنظيمها ، وأضاف إليها إضافات من عنده . وقسمها إلى الأقسام الستة المعروفة على ما هي عليه اليوم ، وبالتالي فإليه يرجع الفضل في ذلك.[1]

ويقال أنه لم يجتمع لأحد منذ عصر موسى النبي ، ما اجتمع له من معارف غزيرة و عميقة ، وسلطة مرجعية وسمو مكانة [2]. وقد تعاقب الشراح والمفسرون من بعده على مدى عصور عديدة و طويلة .

الذات الإلهية وصفاتها في التلمود : [3]

إن الناظر إلى حديث التلمود عن الذات الإلهية وصفاتها ، لا يتبادر إلى ذهنه سريعاً سوى أن هذه الذات لا تختلف كثيراً في صفاتها عن ذوات المخلوقين وصفاتهم . بل ربما كان هناك من المخلوقين من يباريها في القداسة – إن لم يرتفع عليها – كأولئك الحاخاميم ، بما خلعوه على أنفسهم وأقوالهم وأفعالهم من القداسة المزعومة ! !

فكما أن البشر عرضةٌ للخطأ والنقص ، فكذلك هي الذات التي يصورها التلمود ، فهي تحتاج لأن تستفيد علماً عن طريق الدراسة و المطالعة ، كما أنها ليست معصومة من اللهو الذي يدل على السفه وما إلى ذلك . يقول أحد نصوص التلمود : إن النهار اثنتي عشرة ساعة ، في الثلاث الأولى منها يجلس الله – تعالى عن إفكهم علواً كبيرا – ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك ! !

وليس هذا فحسب بل إن تلمودهم – وكما يذكر الإمام ابن حزم – قد جعل لمعبودهم حدوداً و قياسات تصوروه بها ، فيقول رحمه الله :"...وفي كتاب ٍلهم يسمى" سفر توما" من كتاب

---

[1] انظر: المرجع السابق ،ص ٤٢ ،٤٩ .

[2] انظر: التلمود كتاب اليهود المقدس ، ص ٢٣٩ .

[3] انظر:الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ١ ، ص ٢٤٥ . الكنز المرصود في فضائح التلمود ، ص١٧٦ ـ ١٧٩ . وَ التلمود أسرار...حقائق ص٨٦ ، ٥٦٩ .

"التلمود"...ففي الكتاب المذكور أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة الآلف ذراع، حاشا لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات " .[1]

صفة العلم الإلهي عند الربانيين:

لقد ترددت نصوص التلمود وأقوال ربانيي اليهود ـ كما هو شأن العهد القديم ـ بين النفي والإثبات للعلم الإلهي ، فعلى الرغم من غلو أقوال ربانيي اليهود في الذات الإلهية ـ سلباً ـ والتي تنافي العلم الإلهي إلا أنه قد وُجدت نصوص تتضمن معنى الإثبات للعلم الإلهي . وهي وإن كانت لا تُقارن بكثرة النصوص التي تتعارض معها إلا أنها قد وُجدت فعلاً ، فلذلك سنعرض لذكر ما ينافي العلم الإلهي أولاً ثم نعرج لذكر بعض النصوص التي يُفهم منها معنى الإثبات .

أولاً / ذكر نماذج من تفسيرات الربانيين وحواشيهم وأقوالهم ، والتي يتجلى فيها التصور الوثني لعلم الله تبارك وتعالى ، ووجه منافاة ذلك لكمال صفة العلم الإلهي :

لقد امتلأت صفحات التلمود بالعديد من التصورات الوثنية التي تنافي كمال علم الرب تبارك وتعالى ، فمن ذلك:

١ ــ عند تفسيرهم للنص الذي يحكي قصة الطوفان وأصحاب السفينة (سفر التكوين الإصحاح السابع والثامن) فيقولون : عند ذلك توجه نوح إلى الله الأزلي ضارعاً :"يارب ، أتوسل إليك ، نجنا الساعة !فبغير عون في وجه هذه الشدة ترانا سنؤوب إليك .أنهار المياه تروعنا ، والموت يلتطم بين الأمواج حولنا، انظر بوجهك إلينا يارب !ارحمنا ، أحينا وانجدنا وخلصنا !" فسمع الله صوت نوح وتذكره ! ! [2]

ففي هذا النص جملة من الأمور المنافية لكمال علم الله تبارك وتعالى نجملها فيما يلي:

---

[1] انظر: الفصل في الملل ، جـ١ ،٢٤٥ .

[2] انظر: التلمود كتاب اليهود المقدس ، ص ٧٦ .

أولاً : في عبارة النص "وتذكره" وصف للخالق جل وعلا بأنه" يتذكر"وهذا ينافي صفة علمه الإلهي سبحانه وتعالى ، ووجه المنافاة أن التذكر يستلزم بالضرورة حصول النسيان قبل ذلك ، وهذا يقتضي بقاء الناسي في حالةٍ من الجهل بالأمر المنسي إلى أن يتم له تذكره ، وهذا إنما يصدق في حق البشر ولا يصح اعتقاده في الباري تعالى حيث أن علمه محيط بكل شيء على وجه لايمكن معه تصور عزوب شيء عن علمه تعالى لا في السموات ولا في الأرض ، وذلك مصداق قوله تعالى :﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يونس(٦١).

ثانياً: في عبارة النص "فسمع" ، إيهام بحصول علم الرب تعالى بحال نوح ومن معه في تلك اللحظة ، وذلك لأن نوحاً لما دعا ربه وتضرع إليه –كما هو مفهوم من النص – جاءت النتيجة مقترنة بالفاء العاطفة "فسمع" ، والمعنى أنه لما تضرع نوح سمع الرب ذلك التضرع وحصل له العلم بأحوالهم على الوجه الذي شرحها نوح ، فتذكر عقيب سماعه في ذلك الوقت نوحا ومن معه فأنقذهم من ثَمْ . فالإنقاذ جاء كنتيجة للتذكر !! ولو لم يكن النسيان لما احتاجوا لأن يمكثوا وقتا طويلا في البحر ، فطول مدتهم إذن ليس عائد إلى حكمة سابقة وفق مقتضى العلم المحيط التام وإنما كان بسبب النسيان!!سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا.

ثالثاً: القول المنسوب إلى نوح عليه السلام " انظر بوجهك إلينا" ، عبارة يفهم أن المراد منها هو لفت الانتباه وهذا أيضا مناف للعلم الإلهي ، إذ لا يفيدنا ذلك المعنى المفهوم إلا بحدوث الغفلة والسهو ، وهذا مناف لمعنى الإحاطة وعدم العزوب اللذين يختص بهما علم الرب تعالى .

٢ـ وكذلك عند تفسيرهم لقصة إخوة يوسف حين ذهبوا إلى مصر مصطحبين معهم أخاهم بنيامين (سفر التكوين الإصحاح الـ٤٣)، فقالوا : ولما رحلوا قصد حضرة الله القدير بصلاته داعيا : "يا رب ، يا إله السماء والأرض ، أضرع إليك فلتذكر عهدك إلى أبينا إبراهام . وأضرع إليك أن تذكر حسناك بيصحاق (إسحاق) أبي ، فلأجلهما ترفق بأبنائي ولا تسلمهم لأيدي ملك مصر بالسوء ، أعدهم إلي ، أتوسل إليك ، وأرجعهم سالمين مع أخويهم " [١]

---

[١] انظر: المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

في النص منافاة لعلم الرب تبارك وتعالى ، على غرار النص الذي سبق والذي يوهم بحصول النسيان للرب تبارك وتعالى . وهذه المنافاة في عبارة النص " أضرع إليك فلتذكر"!!. فهذه العبارة تفيدنا معنى آخر ، وهو محاولة يعقوب أن يسرد عدداً من تلك العهود التي أبرمها حضرة القدير – حسبما يروي النص – في محاولة منه لتذكير الرب – تعالى علوا كبيرا – أو محاولة منه لمساعدة الرب على التذكر !! وهذا المعنى نستفيده من القول المنسوب إليه " أضرع إليك فلتذكر" مما يوهم بصعوبة عملية التذكر – حاشاه سبحانه وتعالى .

على أننا لسنا بصدد تصحيح تلك النصوص أو إثبات بطلانها ، فهذا مما هو معلوم في ديننا بالضرورة ، فنحن نعتقد اعتقادا لا يخالجه أدنى شك في أن كل ذلك مما هو مناف لعلمه تعالى، أنه محال ممتنع في حقه عزوجل . وإنما مقصدنا هاهنا هو الأخذ بالنص من حيث هو ، ووفق منظور معتقديه ، وبيان وجه منافاته لعلم الباري جل وعلا دون التعرض لموضوع صحته أو بطلانه .

٣ ـ وكذلك عند تفسيرهم لقصة الخروج (سفر الخروج الإصحاح الرابع عشر)، فقالوا : ثم حدث بعد أن تكلم موشيه (موسى) بهذه الكلمات أنه قام في وسط الشعب ، ودعا الرب قائلاً: " أتوسل إليك يارب يا إله الكون أن تنجي هذا الشعب الذي أخرجته من مصر ، ولا تذر المصريين يغلبون فيقولون متبجحين : " يدنا قوية ، فقال الرب لموشيه : " ما بالك تصرخ إلي؟ قل لبني إسرائيل أن يرحلوا ".[1]

ووجه المنافاة في هذا النص لعلم الله تبارك وتعالى تنحصر :

أولاً : في التوسل المنسوب إلى موسى عليه السلام ، ففيه عبارة يفهم منها أنه يقوم بتوعية الرب بما لم يفطن إليه –تعالى علوا كبيرا – من أن المصريين سيشمتون بهم إن أهلكهم !!يقول النص : " ولا تذر المصريين يغلبون فيقولون متبجحين "يدنا قوية" !! وهذا يوهم بحصول الجهل بعواقب الأمور ، وينافي سبق العلم الإلهي بكل ما هو كائن ،وهذا محال ممتنع في حقه عزوجل .

---

[1] انظر: المرجع السابق ، ص١٧٨ .

ثانياً: في تصوير النص للرب بصورة الضجر الغضوب من تنبيهات موسى التي – وكما يبدو أنه لم يفطن إليها من قبل ، فلما قام موسى بتنبيهه وجد أنها تمثل رأيا سديداً– استغفر الله العظيم – ولكنه في ذات الوقت ضجر منها ربما لأنها ستقف حائلا دون إرادته في إهلاك الشعب ، ولذلك قال لموشيه : ما بالك تصرخ إلي ؟ قل لبني إسرائيل أن يرحلوا" !! فالنص يصور حوارا بين الرب وموسى ، لا يختلف في شكله عن أي حوار بين اثنين من البشر سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا.

٤ ـــ وكذلك عند تفسيرهم لحوار موسى مع الرب في سفر الخروج الإصحاح الثالث فقرة(١٣) :"فإذا قالوا لي : ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ ". فيقولون (أي الأحبار) : فأجاب الرب: لي أسماء عديدة...ثم قال الله لموشيه : " أنا هو الكائن ، وهذا اسمي إلى الأبد " وعنى الله بذلك:" الكائن معهم في عبوديتهم ، والكائن معهم في أسرهم المقبل " . ثم قال موشيه :" لماذا علي أن أنبئهم بأسرهم المقبل ، طالما أنهم يعانون الساعة ربقة العبودية ؟". فأجاب الله : " أحسنت القول ، لا تقل لهم عن مآسيهم المقبلة "![1]

ووجه المنافاة لعلم الله تعالى في هذا النص يتضح في :

أولاً:أن النص يصور أن الخالق –تعالى علوا كبيراً–لم يفطن للآثار المترتبة على إخبارهم بما سيحدث لهم مستقبلاً من المآسي والأسر، وما سيكون مردوده عليهم إن علموا بما سيقع عليهم من البلاء ، ولذلك أمر موسى أن يخبرهم أن معنى اسمه " الكائن " أي الذي سيكون معهم في الأسر !! فلما نبهه موسى إلى فداحة إخبارهم بذلك في وقتهم الحرج وهم يعانون ذل العبودية، حصل له العلم بما هو أنفع لهم في وقتهم الراهن ، وهو ألا يُخبروا بالأمر !! ولذلك عقب الرب على كلام موسى بقوله " أحسنت القول"! فكأنه خفي عليه ما يصلحهم وما يصلح لهم وهذا يتنافى مع كمال علمه سبحانه وتمامه وإحاطته بكل شيء.

---

[1] انظر: المرجع السابق ، ص ١٨١ .

ثانياً : في العبارة المنسوبة إلى الله تعالى " أحسنت القول" ،تستلزم القول بنقيضها في حقه تعالى – وحاشاه عزوجل – فموسى أحسن القول من حيث أساء الرب تقدير ذلك ، وهذا مناف لعلمه الأزلي وشموليته ، إضافة إلى ما فيه من نسبة الخطأ إلى الباري تعالى وتقدس .

٥ ـ أيضا عند تفسيرهم للفقرة التي تذكر خلق المرأة في سفر التكوين الإصحاح الثاني فقرة(٢١) يقول النص : فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام ، فأخذ واحدةً من أضلاعه وملأ مكانها لحماً) ، فيقولون : أخذ الرب يفكر من أي جزء من جسم الرجل يخلق المرأة ؟ : ليس من الرأس لئلا تكون مغرورة . ولا من العينين لئلا ترغب برؤية كل شيء ، ولا من الفم لئلا تكون ثرثارة ، ولا من الأذن لئلا ترغب بسماع أي شيء ، ولا من القلب لئلا تغلب عليها صفة الحسد . ولا من اليد لئلا ترغب باستكشاف كل شيء ولا من القدم لئلا تكون جوالة لا يقر لها قرار، وإنما من أكثر الأماكن احتجابا وهو الذي يبقى مستوراً حتى وإن كان الرجل عارياً... ألا وهو الضلع "![1]

إننا إذا تأملنا في النص السابق نجد أننا أمام صورة موغلة في الوثنية فيما يتعلق بصفة علم الله تبارك وتعالى. فالنص يفهم منه أن خلق حواء لم يكن عن سابق علم بالكيفية التي سيكون عليها خلقها والمقدرة في علم الله تعالى أزلاً ، وإنما كان نتيجة إعمال واستغراق في التفكير– نشآ عن حيرة وتردد – للتوصل إلى الجزء الأمثل والمناسب لخلق المرأة !

ومعلوم أن ذلك منافٍ لعلم الباري تعالى ، لأن التفكير وإعمال العقل إنما يكون في حق الخلق دون الخالق الذي أحاط علمه بكل شيء ، والذي أخبر عن سابق تقديره للخلق فقال عزوجل: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا شَيْـًٔا)الفرقان(٢) ، وقال أيضاً مبيناً تفرده في الخلق :﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾الكهف(٥١)

[1] انظر: المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

كما أن الحيرة والتردد إنما ينشآ عن ضعف تصور للأمر المراد البت فيه ، وما سيؤول إليه، وهذا أيضا يصدق في حق البشر دون الرب تبارك وتعالى ، فهو الذي أحاط علمه بكل شيء وعَلِمَ خلقه وما هم عاملون وما يصلحهم قبل أن يخلقهم .

وفي النص معنى آخر من نسبة الخطأ إليه سبحانه ، وهو يتضح في مجموع تلك الإستنتاجات والتي يوهم النص فيها أن الأخذ من الضلع دون الأجزاء السابقة سيجعل ذلك الخلق الجديد بعيداً كل البعد عن الاتصاف بشيء من تلك الصفات الذميمة !! مع أن شهادة الواقع ودلالة النصوص الصحيحة المقررة في ديننا تؤكد أن تلك الصفات إنما هي أمور في فطرة الإنسان ككل ، وليست حكراً على جنسٍ دون الآخر . وإن كانت بنسبٍ متفاوتةٍ بين كل جنسٍ وآخر، وحتى بين أفراد الجنس الواحد .

وأما دلالة النصوص فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة ، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي..." إلخ الحديث [1].فالإنسان لابد واقع في تلك الأمور بحكم بشريته لا لإعتبار جنسه ذكراً أو أنثى!!

٦ـ ومن أقوال الحاخامات : " الله يبحث عن الصالحين ، كيف؟ عن طريق الحكم على الكيفية التي يعاملون بها الرعية الموكلة إليهم . لقد جرب الله داود بن يشاي النبي وفق هذه النظرية!! فداود قدم للحملان عشباً طرياً تغتذيه ، وللخراف الهرمة حشائش غضة وعشباً طرياً ، أما الخراف الفتية القادرة على المضغ فأعطاها العشب الذابل ، فخص كلاً منها بحسب حاجتها وطاقتها . ولهذا قال الرب :"إن داود القدير على القيام بأود القطعان الموكلة إليه بعناية لهو جدير برعاية قطيعي ، أي شعب يسرائيل(إسرائيل) ". وكذلك أيضاً جرب الرب موشيه. فأثناء غدوه بماشية حميه في البرية شرد حمل عن القطيع وعدا مبتعداً فما كان من الراعي الرحيم إلا أن تبعه ، ووجدوه يروي ظمأه من نبع على طرف الطريق . قال موشيه: " ياللحمل المسكين ماكنت أعلم أنك ظامئ " . فلما فرغ الحمل من الشرب حمله برفق بين

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب"الإستئذان" ، باب " زنا الجوارح دون الفرج" ، حديث رقم(٥٨٨٩) .

ذراعيه ورده إلى القطيع ، فقال الله :" يا موشيه الرحيم ، إن كان حبك ورعايتك بهـذا القـدر لحيـوان أعجـم فكـم سـيكون أعظـم تجـاه بـني جنسـك ! ! لـذا فإنـك سـتقود شـعبك بـني يسرائيل(إسرائيل)".[1]

أما بالنسبة لوجه المنافاة في النص لعلم الله تبارك وتعالى فيكمن في أمور نوجزها في الآتي :
أولاً : في عبارة النص " لقد جرب الله داود...وفق هذه النظرية " ، نجـد أن الحاخـاميم هاهنـا يجعلون أفعال الله تعالى وتقديراته وقضائه ، قائم على مجـرد النظريـات الـتي لم تـرق لمسـتوى اليقين وإنما هي قائمة على الظن، وفي هذا من التسفيه لأفعاله عزوجل ما فيـه ، وذلـك منـاف لسابق علمه عزوجل .

وربما يكون لنا أن نتساءل من واضع تلك النظرية التي يبني عليهـا الـرب أفعالـه ؟ فـإن كـان أحد غيره – كالحاخاميم مثلاً – زدنا على حكمها الظني كون النص يصور ، علم الـرب تعـالى – وحاشاه سبحانه – إنما هو مستفاد من خلقه ، وهذه طامة أخرى تنافي علم الله تعالى وتنسب إليه افتقاره إلى غيره من خلقه تعالى علواً كبيراً.

ثانياً: في عبارة النص :" لقد جرب الله داود" ، يُفهـم منهـا أن الـرب تبـارك وتعـالى لا يعلـم صلاحيتهم لسياسة أقوامهم إلا عن طريق التجريب ! ! فهو يجعل أحدهم على رعايـة الحمـلان ليرى ويستنتج بناء على ذلك إن كان أهلاً لأن يكون نبياً أم لا . وهذا يتنافى تمامـا مـع سـابق علمه تعالى الذي اصطفاهم وأختارهم قبل أن يخلقهم . وعلى هذا فالقول بالتجربة والمشاهدة أمر غير وارد البتة فيما يتعلق بكلامنا عن الخالق جل وعلا لما في ذلك من منافاة لعلمه عزوجل .

والحقيقة أن الحكمة من رعيهم للحملان ليس التجريب لاستفادة العلم ، وإنما لتهيئتهم ليقودوا شعوبهم فهم مصطفين مختارين أزلاً والله تعالى قد علم صلاحهم وصـلاحيتهم أزلاً ، وإنمـا كـان رعيهم للغنم عبارة عن التهيئة لهم ولما هو مقدر عليهم من حمل النبوة .

---

[1] انظر: المرجع السابق ، ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .

وقد ورد في التصور الإسلامي هذا المعنى الذي ذهبنا إليه ، حيث يروى من كلام سيد المرسلين قوله ﷺ : " ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ".[1]

يقول الشارح – الإمام ابن حجر – رحمه الله : "قال العلماء الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم".[2]

٧ــ من أقوال الربانيين :" أن الله عندما غضب على بني إسرائيل في الصحراء حلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة ".[3]

ووجه منافاة ذلك القول للعلم الإلهي :

أولاً : فيما يصوره النص من أن الرب حلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، والحلف لا يكون غالباً إلا ممن خشي عدم الوفاء ، فيسعى لتقييد نفسه بالحلف أو القسم ليلزم نفسه الوفاء بما سيقوله! ، وفي ذلك من نسبة الكذب إلى أخباره — وحاشاه تعالى — ما هو معلوم ، لأن تكرار عدم الوفاء مع وجود الوعد والعهد يعد كذباً من المخبر . خصوصاً إذا كان الوعد غير مشروط فليس هناك حاجة للحلف أصلاً .

ثانياً: يصور النص الرب أنه بعد أن حلف عاد في حلفه !! وهذا يقتضي نسبة ما ذكرناه آنفا إليه عزوجل .

ثالثاً : أنهم يعللون ندمه بأنه كان منه لَمَّا عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة وهذا يُفهم منه حدوث علمه في وقتٍ متأخرٍ عن الحلف ـ تعالى علواً كبيراٍ ـ فهو عندما حلف ابتداءً لم يكن يعلم أن ذلك ضد العدالة ثم لما علم ضديته للعدالة ندم منه ، كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب" رعي الغنم على قراريط"، حديث رقم (٢١٤٣).

[2] انظر: شرح الحديث في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .

[3] انظر: الكنز المرصود ، ص ١٧٨ .وَ التلمود أسرار... حقائق ، ص ٨٧ .

فحتى لا يُفهم من النص ما هو واضحٌ بـينٌ منـه قـالوا بندمـه ! ! تقـول العبـارة (لكنـه نـدم) ، فأصبحوا كمن رام الهرب من شق ليقع قي حفرة ! !

ومعلوم أن الندم يتنافى مع علم الله تعالى ، إذ لا يكون إلا من جاهل بما سينتهي إليه أمر مـن أموره المستقبلة ، فأقدم على أمر لم يعلمه يقينا وإنما سار فيه على حدسه وظنـه ثـم ظهـر لـه خلاف ما كان متوقعا لديه ! ! ومن ثم فتجويز الندم عليه تعـالى يقتضـي المنافـاة لعلمـه السـابق واللاحق بالخلق وبما سيؤول إليه أمرهم وما ستصير إليه مصائرهم بعد ذلك .

٨ ــ ومن أقوال الربانيين كذلك : أن الله لا شغل له في الليل غـير تعلـم التلمـود مـع الملائكـة ومع ملك الشياطين "أسموديه" في مدرسة السماء .[١]

في النص عدة مناقضات لعلم الله عزوجل :

أولاً : تصريح النص بتلقي الرب – تعالى عن إفكهم علواً كبيرا – العلـم ، عـن طريـق مطالعـة التلمود ! ! وهذا يتعارض مع علمه الكامل المحيط التـام الـذي لا يحتـاج فيـه لغـيره . فهـو لا يعزب عن علمـه شـيء في الأرض ولا في السـماء ، أفيحتـاج لأن يـتعلم ؟.سـبحانك هـذا بهتـان عظيم.

ثانياً: أن تعلم التلمود كما يزعمون يكون مع ملك الشياطين !. وفي هذا تصريح بتشبيه الخـالق جل وعلا بخلقه وأن علمه لا يختلف عن علمهم ، ما داموا قد اشتركوا في تلقيه . ولا حـول ولا قوة إلا بالله العليم الحكيم .

ثالثاً: عبارة "في مدرسة" يفهم منها أنه ليس مايحدث تعلم للتلمود فحسب وإنما مجموعة علوم ومعارف تضمها تلك المدرسة ، فالنص يُفهم منه أن هناك منظومة تعليميـة كاملـة – تعـالى الله عن إفكهم وزورهم علواً كبيراً .

---

[١] انظر: الكنز المرصود ، ص ١٧٦ . وَ التلمود أسرار...حقائق ، ص ٨٦ .

والحق أن علم الباري تعالى علم محيط شامل كامل تام سابق على وجود كل الخليقة ، لا يفتقر لأن يستفاد من أحد ، وإنما كل الخلق والوجود مستفاد منه كما أن علوم جميع المخلوقات مستفادة من علمه عزوجل .

رابعاً : أن المتعلم لابد له من معلم ، وما داموا قد جعلوا الله ـ تعالى علواً كبيراً ـ متعلماً للتلمود فقد جعلوه في موضع المتتلمذ عليهم و الخاضع لأحكامهم و تعاليمهم بصفتهم واضعوا التلمود ، وعلى هذا فهم يريدون أن يثبتوا لأنفسهم قدراً يضاهي قدر الإله بل و يرتفع عليه ، وحاشا ربنا جل وعلا .

٩ـ ومن أقوالهم المنافية لكمال العلم الإلهي كذلك ما ورد عند تفسيرهم للنص الوارد في سفر حبقوق الإصحاح الثالث فقرة (٦) : " وقف وقاس الأرض . نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية و خسفت آكام القِدم . مسالك الأزل " . فيقولون : " إن اليهودي وحده يستحق التوراة ، وقاس جميع المدن فوجد القدس وحدها جديرة باحتواء الهيكل ، ثم قاس جميع البلدان ، فرأى أن البلد الوحيد الذي يليق بأن يُعطى إلى بني إسرائيل هو أرض إسرائيل " .[1]

ووجه منافاة هذا النص لعلم الباري تعالى يتلخص في :

أولاً : أنه يصور الله تعالى بصورة من جهل مساحة الأراضي فاحتاج لقياسها حتى يعلم الأصلح لشعب إسرائيل تعالى علواً كبيرا .

ثانياً : في عبارة النص " فوجد " ، " فرأى " يُفهم منها أن نتيجة القياس أسفرت عن جدارة القدس وحدها لتكون موضع الهيكل وملك الشعب .وهذا يفيد حدوث علمه في تلك الساعة التي قاس فيها جميع المدن ، لأن الفاء التعقيبية تفيد أن العلم بصلاحية القدس للشعب المختار إنما كان على إثر عملية القياس وعقبها مباشرة لا قبلها وهذا منافٍ لسابق العلم الإلهي و تمامه .

---

[1] المرجع السابق ، ص ٥٧٦ .

١٠ـ ومن أقوالهم المنافية لكمال العلم الإلهي أيضاً ما أوردوه من تخطئة القمر لله ـ تعالى علواً كبيراًـ فيقولون بأن القمر قال لله تعالى : أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس . فأذعن الله لذلك و اعترف بخطئه ، وقال : اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأني خلقتُ القمر أصغر من الشمس.[1]

ووجه منافاة ذلك للعلم الإلهي يتضح في :

أولاً : أن تجويز الخطأ في فعل الباري تعالى يستلزم القول بعدم سبق علمه بالشيء الذي وقع عليه الخطأ لأن الخطأ إما أن يقع نتيجة الجهل بالشيء ، و إما أن يكون عن عمد وهذا لا يقدم عليه عاقل إذ سيكون نوعاً من العبث حينئذٍ . و كلاً من الجهل و العبث محالان عليه تعالى و القول بهما منافٍ لعلمه التام السابق على وجود كل شيء ، و منافٍ أيضاً لحكمة الخلق الإلهية المبنية على ذلك العلم .

ثانياً : أن الإعتراف بالخطأ ، والمنسوب زوراً إلى الباري تعالى يفيد معنى إقراره على نفسه بالخطأ وهذا يستلزم نفي الحكمة الإلهية التي هي مبنى العلم الإلهي .

ثم وأخيراً لانعلم الجهة التي سيتم ذبح التكفير لها و لكن ذلك يستلزم قطعاً اعتقاد وجود من سيقوم بقبول الكفارة أو ذبيحة التكفير، والقبول إنما يتم من قِبل الْمُكَفَّر له الذي يكون دائماً أعلى شأناً و أسمى منزلة من المكفِّر ـ تعالى الله علوا كبيرا ـ كما يكون أيضاً ممن يُرجى ثوابه أو يُخشى عقابه ، و كلٌ من تلك الصفات محالٌ على الباري تعالى ممتنعٌ عليه سبحانه وتعالى ، بل له سبحانه نعوت الكمال و صفات الجلال و الكبرياء و العظمة لا إله إلا هو سبحانه و تعالى عما يشركون .

ثانياً / ذكر بعض النصوص التي يُفهم منها معنى الإثبات للعلم الإلهي :

١) قول أحد الربانيين عند تفسيره لسفر الخروج (٣ / ٧) :"...وهكذا كان الأمر مع اليسرائيليين في مصر . فقد عرف الرب ماذا سيصدر عنهم من أفعال في المستقبل ، فقال : "

---

[1] الكنز المرصود ، ص ١٧٧ . وَ التلمود أسرار...حقائق ، ص ٨٧ .

إني قد رأيت ناظراً " ،لا مجرد إني " رأيتُ " ، بل " رأيتُ ناظراً " ، بمعنى يفيد أكثر من مجرد النظر المحدود أو الملاحظة السريعة .

ويتابع تفسيره لنفس الفقرة فيقول : " وقال الرب لموشيه: أنت ترى أمراً واحداً ، أما أنا فأرى اثنين . فأنت تدري أن بني يسرائيل سيتلقون الوصايا العشر عند جبل سيناء ، أما أنا فأعلم سلفاً بما سيقع بعد ذلك ".[1]

٢) قول أحد الحكماء عندما حانت وفاته : " يارب ياإله الكون ، أنت تعلم إن كنتُ عملتُ بإخلاص بهاتين اليدين من أجل مجدك...".[2]

٣) قال رجل لأحد الربانيين : " أتؤمن بأن الله يعرف الغيب ؟ ". فأجاب الرابي : " نعم".[3]، وغير تلك النصوص .

ومما مر معنا يمكننا القول بأن الربانيين من اليهود لم يعرفوا تنزيهاً أو إثباتاً حقيقياً للعلم الإلهي ، بل وردت أقوالهم تحمل كثيراً مما لايليق بعلم الباري تعالى ، والنصوص في ذلك كثيرة جداً ، لكننا أوردنا ما أوردناه للاستشهاد والتدليل لا الحصر .

بل قد لا نكون مبالغين في حكمنا إذا قلنا أن الربانيين وحتى من جنح منهم إلى تأويل النصوص ليثبت بذلك علم الباري تبارك وتعالى ، وأنه سبحانه متصف بها على الحقيقة – أمثال سعديا وابن ميمون وغيرهما – نقول أنهم لا يثبتون علم الله تبارك وتعالى على الحقيقة ، لماذا ؟!

لأنهم – وخاصة المتعصبين منهم أمثال سعديا الفيومي الذي كان يدافع عن ربانيته وعن الربانيين بضراوة ضد خصومهم من القرائين وغيرهم – فنقول إنهم لم يثبتوا لله تعالى صفة العلم

---

[1] التلمود كتاب اليهود المقدس ، ص ١٨٠ .

[2] المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

[3] المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

المحيط الشامل والسابق لكل شيء وبكل شيء ،لأنهم يؤمنون أن أقوال الحاخامات على تناقضها إنما هي كلام الله عزوجل ضمن ما يسمونه بالتعاليم الشفوية – وحاشاه تعالى وحاشا كلامه من أن يتناقض ويكذب بعضه بعضاً .

وهذه التعاليم التي يؤمنون بها – وكما مر معنا – تقول بعض نصوصها :

* أن كلام الحاخامات أفضل من كلام الله
* وأن أقوال الحاخامات لا يمكن نقضها ولو بأمر الله تعالى !
* وأن مخافة الحاخامات هي مخافة الله .
* وأن الله يستشير الحاخامات إذا وجدت معضلة لم يمكن حلها في السماء.
* وأن الله لما هدم الهيكل ندم وبكى .
* وأن الله يمكث وقتا في تعلم التلمود .
* وأن أقوال الحاخامات هي كلام الله مهما وجد فيها من التناقض ، فمن لم يعتبرها ، أو قال إنها ليست أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى ! !

وغيرها كثير؛ أفبعد هذا يمكننا القول بأنهم يثبتون علم الله تعالى كما يليق ؟! بل إنه حتى من رام منهم تأويل النصوص المنافية لعلمه تعالى ليظهر منها خلاف ما هو مستفاد منها من المعاني الظاهرة الواضحة ، فحتى من رام التأويل ، فلا يمكن الجزم بأنهم أرادوا الإثبات حقاً، وذلك لأن الضرورة الدينية تستلزم إنكار ما هو خلاف الحق ورده كلياً، لا تأويله ليصبح مقبولاً لدى الناس أو لدى من عرف بمعارضة تلك الخرافات ، لا سيما إذا كان ذلك المعارض من طائفة ملةٍ أخرى كالمسلمين الذين أنكروا على اليهود نصوصهم وخرافاتهم بحق الله تعالى ، فيكون الحق هنا ماذكره الإمام السموأل – وهو أعلم بهم منا – حيث قال : " على أن أحبارهم قد تهذبوا كثيرا عن معتقد آبائهم ، بما استفاد وه من توحيد المسلمين ، وأعربوا عن تفسير ما عندهم بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم مما لا تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها ، وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح استتروا بالجحد والبهتان خوفاً من فظيع ما يلزمهم من الشناعة ".[1]

---

[1] انظر: إفحام اليهود ، ص١٣٢ .

وكذلك الإمام ابن حزم –رحمه الله – حين قال : "فإن اليهود كلهم يعني الربانيين منهم فهم مجمعون على الغضب على الله تعالى وعلى تعييبه وتهوين أمره عزوجل ، فإنهم يقولون ليلة " عيد الكبود" وهي العاشرة من تشرين الأول ، وهو أكتوبر : يقوم "الميططرون" ومعنى هذه اللفظة عندهم " الرب الصغير" تعالى الله عن كفرهم . قال : ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكي قليلاً قليلاً : ويلي إذ خربت بيتي و أيتمت بني ، قامتي منكسة ولا أرفعها حتى أبني بيتي ، وأرد إلي بني وبناتي . ويردد هذا الكلام[1]. ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فالله عزوجل عندهم هو "الميططرون" – كما يفترون على الله الكذب – فهل يتوقع من هكذا عقول أن تثبت تنزيها يليق بجلال الباري تعالى ؟!

---

[1] انظر: الفصل في الأهواء والملل والنحل ، جـ١ ، ص ٢٤٨ .

المبحث الثالث

القراؤون

القراؤون حسبما يذكر أحد المؤرخين اليهود ـ وهو رباني ينتمي لفرقة اليهود الربانيين ـ : هم الفرقة التي كفرت بصلاحية التوراة الشفوية حسبما ورد وتبلور في الأدب التلمودي. [١]

ويُقصد بالتوراة الشفوية أي التعاليم الشفوية وهي غير التوراة المكتوبة المنزلة على موسىعليه السلام كما يذكرون. ويُقصد أيضاً بإنكارهم لها أي إنكار سماويتها وتنزيلها من عند الله تعالى لا ردها أو عدم الإستشهاد والعمل بها . [٢]

فمن حيث الاسم ، يسمون أبناء "المقرا" وهاتان التسميتان موجودتان منذ النصف الأول من القرن التاسع الميلادي ، وفي فترة متأخرة جداً تم تسميتهم أيضاً بأهل الكتاب . [٣]

أما من حيث تاريخ ظهور هذه الفرقة فقد كان ظهورها في الربع الثالث من القرن الثامن مرتبطا باسم عنان بن داود [٤] ، وهذا ما تذكره المصادر والمراجع المختلفة ، حيث تصرح بأن ظهور فرقة

---

[١] انظر : الفرق اليهودية في الموسوعة العبرية. ترجمة نبيل أنسي الغندور ص ٩٤

[٢] انظر : القراءون والربانون ص ٥١، ٤٢، نقلاً عن تاريخ اليهود وآثارهم في مصر للمقريزي ، هامش رقم «٢» ، ص ١١٨.

[٣] إشارة إلى التسمية التي عرف بها اليهود والنصارى على السواء في العصر الإسلامي ، وهذه التسمية ترجع إلى ما قبل هذه الفترة التي ذكرها مؤلف الموسوعة إذ أنها ترجع إلى عصر الوحي وعهد النبوة ، أما تخصيص هذه الفرق بهذا الاسم فلم يعرف في المصادر الإسلامية .

[٤] عنان بن داود رأس الجالوت قدم إلى العراق سنة ست و ثلاثين و مائة من الهجرة أيام أبي جعفر المنصور ومعه نسخ المشنا الذي كُتب بخط النبي موسى عليه السلام كما يزعم، و قد رأى ما عليه الربانيين من=

القرائين إنما كان في عهد الحكم الإسلامي ، وبتأثرٍ بالفكر الإسلامي كذلك كردة فعل تجاه هيمنة تعاليم الربانيين على نصوص الكتاب المقدس والتعاليم الشفوية .

وقد شكلت فرقة القرائين امتداداً للحركات التي سبقتها في التمرد على سلطة التلمود يقول صاحب الموسوعة العبرية : " ويحاول القراؤون إثبات أن عنان بن داود هو الحلقة الأخيرة في سلسلة الخلاف المستمر مع الربانيين ، والتي كانت بداياتها في عصر الهيكل الأول ".[1]

فهو يرى أن مباديء هذه الطائفة كانت موجودة منذ عصر الهيكل الأول وقد تمثلت في مواقف مختلف الفرق التي رفضت أحكام التلمود .

أما خصومهم من "الجأونيم" فيطلقون عليهم اسم " الفرقة العرجاء" [2] وتذكر المصادر الإسلامية أن بداية ظهور فرقة القرائين إنما كان بسبب ما رأوه من كذب أحبار اليهود الذين ألفوا المشنا والتلمود – على رأى الإمام السموأل — وهم كما يذكر ، قوم كذابون على الله تعالى .

يقول الإمام السموأل :" فلما نظر اليهود القراؤون إلى هذه المحالات الشنيعة وإلى هذا الافتراء الفاحش والكذب البارد انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء ، وعن كل من يقول بمقالتهم ، وكذبوهم في كل ما افتروا على الله " [3] ، فهذه شهادة أحد أئمة القرائين[4] وأعلامهم المشاهير الذين يعتد برأيهم .

= الباطل فتجرد لخلافهم و طعن عليهم في دينهم ، وقد كان عظيماً عند اليهود حيث يعتقدون أنه من نسل داود عليه السلام . انظر تاريخ اليهود للمقريزي ، ص ١٠٨ ، ١٢٠

[1] الفرق اليهودية في الموسوعة العبرية ، ص ٩٤ .

[2] المرجع السابق ، ص ٩٧ .

[3] انظر : إفحام اليهود ص ١٧١

[4] انظر : الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات لعبد المجيد همو ص ١١٢

كما يذكر العديد من مؤرخي اليهودية أن قيام الحركة القرائية ، إنما كان عائداً إلى تـأثير الثقافة الإسلامية على يهود ذلك العصر [1]. وخاصة التأثر ببعض طوائف الفكر الإسلامي والمتمثلة في الفكر الاعتزالي ، الذي كان مـن أهـم ميولـه التحـرج مـن اعتبـار الحـديث مصـدراً مـن مصـادر التشريع. [2]

أما الدكتور محمد خليفة [3] فيرى أن فرقة القرائين قد استوعبت بعض الفرق اليهودية التي تأثرت بالإسلام كالعيسوية [4] التي أسسها أبو عيسى الأصفهاني ، واليودجانية [5] التي أسسها يـود جـان تلميذ أبي عيسى الأصفهاني في القرن الثامن الميلادي ، كمـا اسـتوعبت فرقـا يهوديـة أخـرى مثـل بعض فرق الصدوقيين من بقايا عصر ما قبل التلمود ، وغيرها من الحركات الدينية المضادة ليهودية التقليدية . [6]

---

[1] انظر : تاريخ الديانة اليهودية للدكتور محمد خليفة حسن ص ٢٣٢ ، ونشأة الفكر الفلسـفي في الإسـلام لعلى سـامي النشـارص ٧٤ ، ٧٥ . وَ التلمـود كتـاب اليهـود المقـدس للـدكتور أحمـد أيـبش ص ٤١ و موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ص ١٧٧ و اليهود تاريخ وعقيدة للدكتور كامل سعفان ص ٢٠٨ .

[2] انظر : الفكر الديني اليهودي ، ص ٢٤٩ .

[3] كاتب ومؤرخ معاصر له مؤلفات في التراث اليهودي منها هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

[4] هم أتباع أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني ، بدأ دعوته في زمن أخر ملوك بـني أميـة مـروان بـن محمد فتبعه بشر كثير من اليهود ثم أدعى النبوة وأدعى أنه المسيح المنتظر. كما خالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة المذكورة في التوراة ، وأقر بنبوة عيسى عليه السلام إلى النصارى ومحمـد ﷺ إلى العـرب . انظـر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص ١٤٦ .

[5] نسبة إلى يود جان يهودا الراعي وهو زعيم فرقة يهودية في بلاد فارس ، وكان أحـد تلاميـذ أبـو عيسـى الأصفهاني . وقد بدأ نشاطه بعد مـوت سيده وأسـتاذه ، قـي القرن الثـامن المـيلادي ،فـادعى لنفسـه النبوة.انظر ملحق المترجم لكتاب الفرق العبرية في الموسوعة العبرية ،ص١٥٤ .

[6] انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٢٩ .

وللمصادر الحاخامية التقليدية رأي آخر حيث ترد ظهور فرقة القرائين إلى عوامل شخصية محضة وهي طمع عنان بن داود في رئاسة الجالوت بالإضافة إلى حقده على أخيه "حنانيا" الذي اختير لرئاسة الجالوت .[١]

وتعليقا على هذا الرأي يقول الأستاذ عبد المجيد همو :..والمهم أن القرائين ليست كما يقول أعداؤهم الربانيون ومن يجاريهم من المؤرخين أنهم خرجوا وليدة النقمة الشخصية لدى عنان بن داود بسبب إخفاقه في الوصول إلى رئاسة الجالوت ، بل هي حركة مقاومة للسلطة التلمودية والفرقة الربانية ، وهي استمرار للعناصر الصدوقية و الأسنية التي رفضت التلمود[٢]. وهذا يؤيد ما ذكره الإمام السموأل عن سبب نشوء تلك الفرقة .

وبينما يذهب بعض المؤرخين بأصول القرائين إلى عصر انقسام الممالك الإسرائيلية في القرن العاشر قبل الميلاد [٣]، نجد أن هناك من يرجع ظهورهم وانشقاقهم عن الربانيين إلى القرن الأول الميلادي، ثم تأكده فيما بعد على يد عنان بن داود في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي .[٤]

أماكن انتشارهم قديماً وحديثاً :

تذكر الموسوعة العبرية بأن القرنين العاشر والحادي عشر قد شكلا عصراً ذهبيا بالنسبة لفرقة القرائين حيث تعددت الأنشطة الأدبية في مجال تفسير المقرا وشرحه وكتب الفكر وغيرها ، كما تفاقم الجدال الموجه ضد الربانيين في أعقاب نشاط الرابي "سعديا جاؤون" . كما تذكر أيضا بأن نشاط القرائين التوسعي امتد من أقصى المغرب وشمال أسبانيا غرباً وحتى بيزنطة شرقاً .[٥]

---

[١] انظر : نفس المرجع والصفحة .

[٢] انظر : الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص ١١٤.

[٣] انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٢٩.

[٤] انظر : اليهود في شرق البحر المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي للدكتور على أحمد محمد السيد ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ،الهرم ، ص ٩٥ ، هامش «٥» .

[٥] انظر : الفرق اليهودية في الموسوعة العبرية ، ص ٩٧ .

وفي القرن التاسع توطدت القرائية في بلاد فارس واتسع انتشار الدعوة إليها بين اليهود حتى وصلت إلى مصر وبلغت الأندلس . أما ذروتها– فكما سبق – كانت خلال القرنين العاشر و الحادي عشر.[1]

يقول الدكتور أحمد إيبش[2] عند حديثة عن المذهب القرائي وتاريخه وطبيعته :" وتاريخ الحركة القرائية يبين أنها كانت ذات طابع ثوري متحرر...ويعتقد أن يهود الخزر[3] اعتنقوا يهودية قرائية،وكان كثير من قرائي روسيا [4] وبولونيا [5] يروون أن لغتهم هي اللغة التركية ".[6]

أما في العصر الحديث فقد وُجدت أهم واكبر جماعة ـ كما تذكر الموسوعة العبرية ـ في القاهرة حتى عام ١٩٤٨م حيث عملوا كمفسرين للمقرا ومفتين ، كما وجدوا أيضاً في أورشليم حيث كانت مطلباً ومبتغى للحجاج القرائين الذين يطلق عليهم بعد عودتهم من هناك أسم "الأورشليميون" ، لكن في

---

[1] انظر : الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص ١١٤.

[2] كاتب وباحث ومؤرخ سوري معاصر له دراسات في اليهودية وترجمات للتراث اليهودي منها الكتاب الذي بين أيدينا وكتب تاريخية عديدة.

[3] الخزر قبيلة من أصل تركي عاشت في منخفض الفولجا جنوبي روسيا ، وكانت مملكة الخزر تقع بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية ، وقد دارت بينهم وبين المسلمين معارك عديدة انتهت بهزيمة الخزر عام ٧٣٧على يد مروان بن محمد (مروان الثاني) وأسلم بعدها خاقان الخزر ولكنه ارتد إلى اليهودية . انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، جـ١ ، ص٩٠ .

[4] روسيا الإشتراكية أكبر دولة في العالم ، يقع جزء منها في أوروبا وجزء في آسيا . لغتها مستقلة ، وأهم مدنها موسكو عاصمة البلاد . تخضع جميع جمهورياتها للنظام الشيوعي .

[5] بولونيا استقلت حديثاً عن الإتحاد السوفييتي ، واللافت فيها حجم النفوذ اليهودي . تُعد أكبر دول الإتحاد السوفييتي مساحةً وسكاناً ، وتُقدر بعض المصادر عدد اليهود فيها اليوم بعدة ألاف ، حيث تقلص عددهم بعد نشوب الحرب العالمية الثانية إذ كان يبلغ مايزيد على ١٧ مليوناً قبل نشوب الحرب.

[6] انظر : التلمود كتاب اليهود المقدس ، ص ٤١.

بداية القرن الثامن عشر ومع وفاة شيخ القرائين ، وبسبب الفقر والتدهور تلاشت هذه الفرقة . ولم تعرف في أورشليم إلا في بداية القرن الرابع عشر الميلادي. [١]

وفي أوروبا نشأت جماعة للقرائين في بودوليا [٢] والنمسا [٣] وليتوانيا [٤] وبولندا[٥] في القرن السادس عشر والنصف الثاني من القرن السابع عشر، ثم تعرضوا بعد ذلك لأحداث غيرت من أوضاعهم في شرق أوروبا ، ومن تلك الأحداث انقسام بولندا وتزايد هجرة الحكماء القرائين من ليتوانيا وبولين [٦] مما أدى إلى تقلص وجودهم في ليتوانيا وبولندا في القرن التاسع الأمر الذي أدى معه إلى ازدياد أعدادهم في جنوب روسيا.[٧]

---

[١] انظر : الفرق اليهودية في الموسوعة العبرية ، ص ١٠٠.

[٢] بودوليا :إقليم يقع بين أوكرانيا وملسدافيا ، واليوم تُعد جزءاً من دولة أوكرانيا .

[٣] النمسا أحد دول أوروبا الوسطى والتي تقع في وسط القارة الأوروبية ، وهي جمهورية إتحادية مستقلة منذ عام ١٩٤٥م ، يتألف سطحها من جبال الألب غرباً وسهول الدانوب في الوسط . تبلغ مساحتها (٨٣،٨٤٩كلم مربع) وسكانها (٧،٥٢٠،٠٠٠) نسمة .

[٤] ليتوانيا هي أكبر دولة من دول البلطيق الثلاث وإحدى جمهوريات الإتحاد السوفييتي السابق إلا أنها ليست من دول شرقي أوروبا بل من دول أوربا الشمالية . انضمت للإتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٤م ، ٨٣،٥٪ من سكان البلاد ليتوانيون ويتحدثون الليتوانية وهناك بعض الأقليات الأخرى أهمها: الروسية والبولندية والروسية البيضاء . واللغة الليتوانية تتبع اللغات الهند أوروبية . والديانة السائدة في البلاد هي الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية واليهودية إضافة لأقلية مسلمة .

[٥] بولندا تقع على ساحل البلطيق وتُعتبر حلقة الوصل بين روسيا وأوروبا الوسطى والغربية ، ينقسم سطحها إلى ثلاثة أقسام : الجبال والمرتفعات الجنوبية ثم السهول الوسطى المنخفضة ثم السهول والهضاب الشمالية . وهي جمهورية شعبية منذ عام ١٩٤٥م . تبلغ مساحتها (٣١٢،٥١٩ كلم مربع)، وسكانها (٣٤٧٠٠،٠٠٠) نسمة ، وعاصمتها مدينة وارسو .

[٦] بولين لو أعثر على معلومات بهذا الإسم ، ولعل المراد بها برلين عاصمة ألمانية الشرقية وهي جمهورية ألمانية الديمقراطية التي تقع تحت النفوذ السوفييتي ، يبلغ عدد سكانها - أي برلين - (١،١٠٢،٠٠٠) نسمة .

[٧] انظر: المرجع السابق نفس الصفحة .

وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح تواجدهم على حدود بولندا وحدود الإتحاد السوفيتي وبعد الحرب العالمية الثانية قدر عدد أولئك والذين تواجدوا في الإتحاد السوفيتي بحوالي ٥٧٢٧ قرائي . [١]

أما في البلدان العربية فقد تركز وجودهم في مصر وقدر عددهم في منتصف القرن العشرين بحوالي ١٠٠٠٠نسمة ومنهم من أشترك في أنشطة " صهيونية "[٢] وهاجر معظمهم إلى إسرائيل في الفترة مابين ١٩٥٠- ١٩٦٠م .[٣]

ويتركز في إسرائيل معظم القرائين الموجودين في العالم ويقدروا بأكثر من ١٠٠٠٠نسمة ، وخصوصاً في رام الله وعكا وغيرها من المدن نتيجة تزايد الهجرات القرائية إلى فلسطين [٤] فهم بذلك يعدون أقلية بالنسبة ليهود فلسطين [٥] . والآن عددهم حوالي ٤٥٧١ في القرم[٦]، وهناك تجمع قرَّائي في كاليفورنيا [٧] يضم حوالي ١٢٠٠يهودي معظمهم من أصلٍ مصري ، و كذلك القرائين الموجودين في إسرائيل أيضاً يعودون

---

[١] انظر: المرجع السابق نفس الصفحة .

[٢] عقيدة ومنهج عمل تستند إلى التوراة ، وتقوم على القول بأفضلية اليهود على العالمين بدعوى تعهدٍ قطعه الله على نفسه لنبيه إبراهيم . انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص ١٣٩.

[٣] انظر : المرجع السابق ص ١٠٠ ، ١٠١ .

[٤] انظر: المرجع السابق نفس الصفحات .

[٥] انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٣٣.

[٦] القرم وهي شبه جزيرة تقع على البحر الأسود ، تتبع حالياً أوكرانيا . وهي جمهورية ذات حكم ذاتي تبلغ مساحتها (٢٧٠٠كلم مربع) وسكانها (٢،٥) مليون نسمة يشكل الروس منهم حوالي ٥٠٪ ، والأوكران ٣٠٪ والباقي من التتار المسلمين . عاصمتها "سيمفروبل" . وتعني كلمة القرم باللغة التتارية : " القلعة".

[٧] كاليفورنيا أحد الولايات الأمريكية ، تقع في الجزء الغربي من شبه القارة الأمريكية الشمالية بالقرب من خليج كاليفورنيا . يحدها من الجزء الشرقي هضبة كولورادو وهضبة المكسيك في الجزء الجنوبي الشرقي ، والمحيط الهادي من الغرب .

لأصولٍ مصرية .[1]

أما بالنسبة لانتمائهم الديني وتمسكهم بمبادئهم فلا يزال قوياً الأمر الذي سبب خلافات دائمة بينهم و بين اليهود الحاخامين داخل المستوطنات المشتركة [2]، ومما يجدر ذكره أيضاً أن القرائين يعدون من ألد أعداء الصهيونية الحديثة.[3]

مبادئ "العقيدة القرائية" :

إن المبدأ القرائي الذي أطلقه عنان بن داود ضد التلموديين هو العودة إلى التوراة و التقيد بنصها ، ثم مباشرة البحث والتفسير على هذا الأساس واعتماد التأويل.[4]

وربما يكون المؤلف قد قصد بذلك ، التأويل على أساس الحرفية أوأنه التأويل بمعنى التفسير إذ أن المعروف عن القرائين أنهم يتمسكون بحرفية النص تمسكاً شديداً. يقول الدكتور محمد خليفة : "ومن أهم عقائد القرائيين اعتبار العهد القديم المصدر الوحيد للدين والتشريع وذلك بالاعتماد على المعني الحرفي للنص والاستخدام العادي للألفاظ والسياق وبالتالي رفض التأويل ". [5]

ويستطرد بقوله : " ويسمح القراءون رغم الالتزام بحرفية المعنى ، بحرية دراسة العهد القديم ويمكن تغيير الآراء السابقة من خلال المعرفة والضمير حسب مقولة عنان : « ابحث بعمق في التوراة ولا تعتمد على رأيي »إذ لا توجد قيود على الفهم الفردي الحر للكتاب المقدس والمبني على العقل".[6]

---

[1] موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

[2] المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

[3] انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٣٣.

[4] انظر : الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص ١١٤.

[5] انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٣٠.

[6] انظر : نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

إذن فمن مذهب عنان عدم الالتزام بتفسيرٍ محدد للنص التوراتي وإنما الأمر في ذلك خاضع لرؤيةِ الفرد الذاتية للنص حسبما يُمليه عليه فهمه للنص وحسبما يهديه إليه ضميره!

أما بالنسبة لمجمل **مبادئ عقيدة القرائين**[1] . كما ذكرها صاحب الموسوعة العبرية نقلاً عن كتاب" مجمع العطور" لليهودي القرائي يهودا هداسي فهي على النحو الآتي :

١. أن الله قد خلق كل شئ بعلمه وحكمته.
٢. أن الله قد يم وأول ، وفرد وقادر وعالم وموجود وحي ولاجسم له.
٣. أن العالم مخلوق.
٤. أن الله هو الذي أرسل موسى عليه السلام وسائر النبيين ،وإن كان موسى أعلى في درجته منهم .
٥. أن الله هو الذي أنزل التوراة.
٦. يجب فهم جميع التوراة والتصديق بلغتها المقدسة ،ولذلك نجدهم يتمسكون بمعناها الحرفي تمسكاً شديداً.
٧. أن الهيكل هو مسكن الرب العظيم في هذا العالم.
٨. الإيمان بالبعث وبخلاص إسرائيل في آخر الزمان.
٩. أن الله سوف يحاسب الناس على كل أعمالهم ويقضي بينهم بالحق.
١٠.الإيمان بالثواب والعقاب.[2]

وكما رأينا فإن هذه المبادئ يبدو فيها التأثر بأمهات العقائد في الفكر الإسلامي واضحاً . وقد مر معنا أن القرائين على رفضهم للتعاليم الشفوية " التلمود " مع تمسكهم بحرفية التوراة لا يعني تركهم المطلق له وعدم الاستشهاد به في مختلف المناسبات، ولكن رفضه من حيث زعم سماويته وتنزيله وأنه من عند الله تعالى.

---

[1] انظر أيضاً المرجع السابق ، ص ٢٣١.

[2] انظر : الفرق اليهودية في الموسوعة العبرية ، ص ١٠٢،١٠٤ .

يقول الدكتور مراد فرج :"وليس معنى إنكار القرائين المشنا أوالتلمود أنه محرم عليهم شرعاً رجوعهم إليه واعتمادهم عليه...بل المعنى أنهم لا يؤمنون أنه منزل من السماء وإنما هو شرح وتفسير للتوراة من وضع الأحبار...والفرق بين القرائين والربانيين :

أن الربانيين قالوا : أن المشنا والتلمود سماوي كالتوراة ، ولم يقرهم القراءون على ذلك . فلا تعارض أو تضارب في رجوع القرائين إلى المشنا والتلمود إذا شاؤا مع عدم إقرارهم به سماوياً. [١]
فهذه الحركة هي أول رد فعل ضد التلمود في العصر الغاؤني [٢] . وسميت القرائية نسبة إلى أتباع التوراة أو المقرا، على النقيض من مشنا بمعنى التكرار الشفوي.[٣]

أما بالنسبة لأهم أعلام المذهب القرائي والذين كان لهم رأي في صفة علمه سبحانه وتعالى فسنتناول منهم اثنين ممن توافر لدينا تراجم عنهم ، وهم :

١) الإمام الحبر السموأل بن يحي المغربي ، وهو- رحمه الله تعالي – وإن كان قد أسلم إلا أنه يمثل لنا شاهد العيان بالنسبة لتفاصيل المذهب مما قد يخفي على من لم يخض فيه .
٢) هارون بن إلياس.[٤]

أولاً : الإمام الحبر السموأل بن يحي:

هو الإمام السموأل بن يحي المغربي ، تسمى بهذا الاسم بعد أن شرح الله صدره للإسلام، وقد كان اسمه العبراني :" شموائيل بن يهوذا بن آبون" ، وهو عالم حكيم ورياضي هندسي ، علمٌ

---

[١] انظر : القراءون والربانون ص ٥١، ٤٢، نقلاً عن تاريخ اليهود وآثارهم في مصر للمقريزي ، هامش رقم «٢» ، ص ١١٨.

[٢] هو العصر الذي سادت فيه مدرسة الجاؤنية ، الجاؤنية هي المنصب الذي يتولاه رئيس الطائفة اليهودية

[٣] انظر : الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص ١١٣

[٤] سيأتي التعريف به .

باليهودية والإسلام . أجمع المترجمون على أنه من أعيان علماء القرن السادس الهجري فـي الطب والرياضيـات .[1]

ولد – رحمه الله – في بيت علم ودين فكان أبوه حبراً يهودياً ، ومن ثم نشأ أبنه وحيده تنشئة علمية ممتازة ، فتمكن من اللسان العبري ، ودرس التوراة وفقهها وعلومها ، ثم درس الهندسة والرياضيات والهيئة وشيئاً من علوم اليونان والطب على كبار المهندسين والأطباء المرموقين والمشهود لهم من المفكرين أمثال أبن ملكا البغدادي وغيره .

وإضافةً على ذلك كان له نصيب وافر من الفصاحة والبلاغة والتذوق الأدبي الرفيع ، وله تصانيف كثيرة لعل من أشهرها كتابه "إفحام اليهود"، الذي كان بالغ الأهمية في فضح معايب اليهود ، وكان ذا جهد متميز فاق من سبقوه ومن لحقوا به . توفي – رحمة الله – شاباً بالمراغة عام ٥٧٠هـ.[2]

دوره في فضح اليهود:

لقد كان للسموأل دور بارز في فضح يهود التلمود [3] . ويهود التوراة على السواء ، فأما الربانيين فلأنه كان من خصومهم في الأصل ، إذ كان يتبع اليهود القرائين في مذهبهم ، وأما دوره في فضح اليهود القرائين فلإسلامه ـ رحمة الله عليه ـ وهذا الدور الرئيسي الفريد هو الذي كان سبباً في استطارة الكتاب وانتشاره في الآفاق ، وقد استفاد منه علماء المسلمين كثيراً لا سيما الذين ردوا على اليهود ودينهم كابن تيمية و تلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ .

وأما بالنسبة لآراء القرائين في علم الله سبحانه وتعالى فسنستعرضها من خلال ردود الإمام على المعتقدات القرائية بشأن صفة العلم لله سبحانه وتعالى ، وبذلك نكون قد سقنا النص واستفدنا من رؤية الإمام الناقدة ، فنقول وبالله المستعان:

---

[1] انظر : مقدمة كتاب الإفحام ، ص ١٣ .

[2] انظر : مقدمة كتاب الإفحام الصفحات ١٣ـ٢٣ .

[3] انظر : إفحام اليهود صفحة ٢٥ .

إن الناظر في مجمل ما أورده الإمام السموأل يجد أن اليهود القرائين شأنهم في صفة العلم لله تعالى، شأن باقي اليهود ، إذ اضطرب تصورهم في علم الله تعالى ، فنسبوا إليه القصور في علمه الإلهي ، ومن ثَمَّ ألحقوا به النقص سبحانه وتعالى ـ علواً كبيراً ـ فمن جملة ما اعتقدوه عليه سبحانه وتعالى :الندم والرجوع في الرأي، والبداء وذلك بما ذهبوا إليه من إنكار النسخ .

ولقد عرض الأمام السموأل جملة من النصوص التوراتية التي تنافي علم الله تبارك وتعالي ، وبين ما فيها من خلل لايصح اعتقاده بحق الله عز وجل ، ولا شك أن الأمر المستفاد من هذا البيان هو أنه يمثل عين المذهب القرائي في تصوره لصفة العلم ، كما أن نقده ـ رحمه الله ـ لذلك البيان يمثل رداً عليه . وفيما يلي نسوق مثالين للبيان والتدليل :[1]

(١) قولهم: " انتبه لم تنام يارب ، استيقظ من رقدتك " ! ![2]

فهم قد تصوروا الله تعالي – حسب تعبير النص – لا أنه ينام فحسب بل أنه ثقيل النوم يحتاج لمن يوقظه ويطرد عنه ، الخمول لينتبه إلى مصالحهم ويفرج عنهم همومهم .

وعلى الرغم من أن النوم المذكور هنا ليس المقصود منه معنى النوم الحقيقي ، إلا أنه يعد من جملة ما ينافي صفة علم الله عزوجل لما يصوره من معنى في حق الله تعالى ، إذ يصور الله — وحاشاه تعالى في صورة الغافل الذي لم يُحط علماً بما هم عليه من العبودية والشتات ، وإنما احتاج لأن يثيروا فيه النخوة لشعبه ، وينبهونه بأحوالهم حتى ينتصر لهم، وقد نفى الله تعالى عن ذاته العلية من أن يعتريها شيء من الغفلة أو النقص فقال عز وجل :﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ ﴾ إبراهيم (٤٢) ، فالغفلة ومافي معناها ، كل ذلك مما هو محال وممتنع في حقه تعالى ، إذ قد أحاط علمه بكل شيء ، وسبق على كل شيء .

وقد علق الأمام السموأل على ذلك النص بقوله :" وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بعداً ،

---

[1] ومن أراد الاستزادة فليراجع كتاب الإفحام الصفحات ٩٤ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ .

[2] انظر : المرجع السابق صفحة ١٣١

فأوقعهم ذلك في الطيش والضجر، وأخرجهم إلى نوعٍ من التزندق والهذيان الذي لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة فتجرأوا على الله بهذه المناجاة القبيحة ، كأنهم ينخون الله بذلك لينتخي لهم، ويحمي لنفسه ، لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك فكأنهم يخبرونه بأنه قد أختار الخمول لنفسه ، وينخونه للنباهة واشتهار الصيت".[1]

ومعلوم ما في ذلك من المنافاة لتمام علمه عز وجل وكماله حيث أنهم يصورونه محتاجاً لمن ينبهه ويثير فيه النخوة لينتصر لهم ، وكأن الله لا يعلم بما هم فيه وما سيحصل بعد ذلك وما سيكون من أمرهم " وصدق الله إذ يقول :﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾يونس(١٨) .

كما يفهم من نصوصهم كذلك اعتقادهم البداء على الله تعالى ، وليس هذا فحسب بل أنه عقيدة متمكنة في نفوسهم ويشهد لهذا ما ورد من كلام الأمام السموأل حيث قال :" فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة ، يقشعر جلده . ولا يشك في أن كلامه يقع ـ عند الله. بموقع عظيم ، وانه يؤثر في ربه ويحركه بذلك ويهزه وينخيه !![2] وليس بعد هذا الضعف العقلي والتخبط من ضعف .

(٢) ومن قولهم مما ورد في التوراة بلفظها العبري : " وندم الله على خلق البشر في الأرض وشق عليه "[3] فقد اختلفت ترجمة النص الذي بأيديهم فأصبح النص :" وعاد الله في رأيه "[4] وكلا النصين فيها من نسبة الجهل والبداء على الله تعالى مالا يخفي .

إذ الندم إنما يكون عن جهل بما سيكون وما سيؤول إليه فإذا وقع الأمر خلاف ما هو متوقع حصل الندم وكذلك العودة في الرأي ، فهي إنما تكون بعد تبين أمر ما كان خافياً .

---

[1] انظر : نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

[2] انظر:المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[3] انظر: المرجع السابق ، ص١٣٣ .

[4] انظر:نفس المرجع والصفحة .

فكلاهما موجبان لحصول الجهل في حال من الأحـــوال وذلك منـاقض تمامـاً لمفهـوم صـفة علـم الله تعالي التي يجب اعتقادها في حقه عز وجل .

وقد علق الأمام السموأل ـ رحمه الله – علي ذلك بقوله : "وهذا التأويل وإن كان غـير موافـق للغـة فهو أيضاً كفر ! ! بل مناقض لما يدفعونه من البداء و النسخ .[1]

واستطرد بقوله :" وهذه الآية عندهم في قصة قوم نوح زعموا أن الله تعالى ، لما رأى فساد قوم نوح، وأن شرهم وكفرهم قد عظما ، ندم على خلق البشـر وشـق عليـه ، ولا يعلمـون أن مـن يقـول بهـذه المقالة لزمه أن الله قبل أن يخلق البشر ، لم يكن عالما بماً سيكون من قـوم نـوح ، وغـير ذلـك مـن النقص ، تعالى الله عما يكفرون ." [2]

و بناء على ما سبق فيظهر من محاولة الإمام السموأل للتدليل على ثبوت علم الله تعالى، من خـلال الأمثلة التي ساقها ، أن اليهود القرائين لم يعتقدوا كمال علمه تعـالى كمـا ينبغـي ، وإنمـا ألحقـوا بعلمه عزوجل ماهو مناف له من الصفات وهو واردٌ في توراتهم .

ثانيا: ً هارون بن إلياس:

ويطلق عليه هارون الأصغر تمييزاً له عن ابن يوسف هارون الأكبر الذي عـاش قبلـه بقـرن ، وهو قرائي تركي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، له ملفـات أشـهرها كتـاب " تـاج التوراة " وهو شرح للتوراة ، وكتاب "جنة عدن" وهو كتـاب وصـايا ، وكتـاب " شـجرة الحيـاة " الذي عارض فيه كتاب دلاله الحائرين لابن ميمون . [3]

---

[1] انظر: نفس المرجع والصفحة .

[2] انظر: نفس المرجع ،ص١٣٣-١٣٤

[3] انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص٢٧.

أما منهجه فقد اعتمد فيه على العقل في تفسير الشريعة و استخلاص الأحكام وفق الضوابط القرائية [١]، إذ هو عنده وسيلة لتحصيل المعرفة بالله .[٢]

عقيدته في الله تعالي :

يرى ابن إلياس أن الله تعالي موجود وأنه واحد سرمدي لا يتغير . كما ينكر ابن إلياس التجسيم ويبيح تأويل النصوص التوراتية التي تصف الله تعالى وتشبهه وتجسمه ، ولكنه يحظره فيما سوى ذلك . [٣]

أما بالنسبة لمسألة الصفات وإثباتها فيرفض فيه طريق ابن ميمون الذي قال بالسلوب المحض ، فليس صحيحاً أن إيجاب الصفات لله إشراك به [٤] كما يرى أبن ميمون .

رأيه في صفة العلم الإلهي :

لم يتوافر لدينا شيء من أقوال ابن إلياس في مسألة علم الله تعالى على وجهٍ تفصيلي ، وذلك لشحة المراجع في هذا الشأن ، غير أننا سنقتصر على مجمل رأيه في هذه القضية من خلال ما أورده الدكتور عبد المنعم الحفني في موسوعته ، حيث يذكر أن تأثر ابن إلياس بالدين الإسلامي ، قد بدا واضحاً في مسألة العلم الإلهي فهو يرى أن علم الله تعالى محيطٌ بكل شيء. [٥]

وعلى هذا فمنهجه يميل إلى إثبات علم الباري جل وعلا على غرار ماهو موجود لدى المسلمين وذلك بحسب تأثره بمختلف طوائف الفكر الإسلامي ، بمعنى أن منهجه يميل للإثبات المطلق كما هو

---

[١] وهذه الضوابط في استخدام العقل وفقاً لوصية : (لا تزيدوا و لا تغالوا) ، وقد تم تحديد هذه الوصية بعدم التجاوز عن طريق أربعة ضوابط وهي : أ) تحكيم العقل ، أي ما يتم إدراكه بالحس والبديهة ، ب) المعنى الحرفي ، أي المعنى الظاهري للنص المكتوب . جـ) القياس ، د) الإجماع ، أي ما أجمعت عليه الأمة . انظر : الفرق اليهودية في الموسوعة العبرية ، ص١٠١– ١٠٢ .

[٢] انظر: موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص٢٧ .

[٣] انظر: المرجع السابق ، ص٢٧– ٢٨.

[٤] انظر: نفس المرجع و نفس الصفحات .

[٥] انظر: نفس المرجع و نفس الصفحات .

واردٌ في الكتاب و السنة إن كان تأثره بأهل الحديث و السنة ، ويميل لنفي الصفة في حقيقته إن كان تأثرهُ بالفكر الاعتزالي وهكذا .

وبناء على ما سبق فإنه يمكننا القول أن آراء الفرقة القرائية بشأن صفة علم الله تبارك وتعالى قد تناقضات تناقضاً بيناً واضحاً بين ما هو مُعتقد حقيقيةً ، وبين ما هو نظري من مبادئ العقيدة لدى القرائين وإن كانوا يميلون حقيقة نحو الإثبات ، حيث يذكر بعض من كتب فيهم أن من بين القضايا الرئيسية التي دافعوا عنها و تبنوها قضية إثبات علم الله تبارك و تعالى المحيط بكل شيء[1] ، فينص المبدأ القرائي على :

١- أن الله خلق كل شئ بعلمه وحكمته.
٢-أن الله عالم .

بينما نجد ما ذكره الأمام السموأل ورد عليه يتناقض كلياً مع هذه المبادئ ، من اعتقاد النوم والغفلة والرجوع في الرأي ، وعدم تجويز النسخ وغير ذلك .

كما أن المذهب لم يخل من محاولات بعض أعلامه التي سعت إلى التنزيه والتحرر من التشبيه و التجسيم متأثرة في ذلك بما لدى المسلمين من تصورٍ عن الألوهية . أما فيما يتعلق بصفة العلم الإلهي فإن تلك المحاولات قد مالت إلى الإثبات المطلق لعلم الله تعالى وفق ما لدى المسلين ، من إثبات إحاطته وشموله وأزليته كما يليق به عز وجل.

لكن السؤال المتبادر هنا هو: هل ارتقى ذلك الإثبات من مجرد الإثبات النظري إلى الرسوخ العقدي على وجه الجزم بإثبات صفة العلم الإلهي ، أم أن الأمر لا يعدو كونه هرباً من إفحام علماء الإسلام لهم فأثبتوا ذلك خوفا من فظيع ما يلزمهم من الشناعة كما قرر ذلك الإمام السموأل من قبل؟!

---

[1] انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، جـ ١ ، ص ٧٥ .

إن الضرورة الدينية التي يفرضها الكتاب المقدس تجعلنا أبعد عن القول بأن مسألة العلم الإلهي قد أرتقت لدى يهود القرائين بحيث تصور جانباً تنزيهياً بإطلاق ،على غرار ما هو موجود في عقيدة أهل السنة من أهل الإسلام ولذلك فلا سبيل لإثباتٍ وتنزيهٍ مطلقين ما لم توجد نصوص مطلقة في التنزيه والإثبات على وجهٍ غير منازعٍ عليه .

المبحث الرابع

الحسيديم

يرجع أصل كلمة"حسيديم"في اللغة العبرية إلى كلمة"حسد"التي تدل على مدى الإحسان وعمل الخير بشكل عام ، ثم أُطلقت هذه اللفظة لتدل على جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة من تاريخ اليهود ، واستُعمل فيها مصطلح"حسيد"للدلالة على اليهودي التقي والمخلص للدين والناذر له نفسه .[1]

والبعض يرى أن الحسيدية هي الحصيدية التي تمثل مذهباً باطنياً في اليهودية ، ولكن البعض الآخر أمثال الدكتور عبد المنعم الحفني يرى أن ثمة اختلاف بينهما إذ أن الحصيدية مشتقة من الحصيد وهو أسافل الزرع وهي تعني المحاربين أو المجاهدين بينما الحسيديون هم البقية الصالحة التي لم تتمكن منها ديانات ولاعادات الأعراب ولم تصرفها عن عبادة الله على ملة اليهود[2] والبعض يرى أن معنى حسد أي رأف[3]، وفي العموم فإن كلمة الحسيدية إذا أطلقت تأتي بمعنى الأتقياء .[4]

ويرى البعض أن فرقة الحسيدية الأولى ألتي نشأت في القرن الثاني قبل الميلاد تمثل أصلاً لفرقة

---

[1] انظر: اليهود الحسيديم للدكتور جعفر هادي حسن ص٥.

[2] انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود ص١٠٧.

[3] انظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ص٥٣.

[4] انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص١٠٨، تاريخ الديانة اليهودية ، ص٢٢١، اليهود تاريخ وعقيدة للدكتور كامل سعفان ، ص ٢١٨ ،موسوعة اليهودية والصهيونية ، ص١٣٧ ، والفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص٥٣ .

الحسيدية المعاصرة التي أسسها "بعل شم طوب"[1] بينما يفرق البعض بينهما ولايرى رابطاً يجمعهما أصلاً رغم الإشتراك بينهما في التسمية ، ويعتبرهم أي – الحسيدية الأوائل- فرقة ممهدة لفرقة الفريسيين.[2]

وأياً ما كان الأمر فإن الإشتراك بينهما في الاسم يجعلنا لا نقطع بعدم وجود تأثر اللاحق منهما بالسابق حتى ولو انحصر في مجرد التشابه الإسمي بينهما .

نشأة الحسيدية ومؤسسها :

يُطلق مسمى الحسيدية على الجماعة التي أسسها الحاخام " بعل شم طوب " في القرن الثامن عشر ، وهي تنتمي إلى التيار اليهودي الأرثوذكسي ، وقد جاءت هذه الحركة الأرثوذكسية كردة فعل للتيارات التنويرية [3] والإصلاحية [4] بين اليهود ، وتشكل اليهودية الأرثوذكسية الإمتداد

---

[1] هو التساديك الحسيدي "اسرائيل بن إليعازر"، و"بعل شيم " عبارة عبرية تعني "سيد الإسم" والإسم هُنا هو الإله (الغنوص) فمن امتلك ناصيته (أي نطق به واستخدمه بحيث يمكنه التأثير في الإرادة الإلهية) أصبح قادراً على التحكم في الكون من خلال التحكم في الذات الإلهية – تعالى الله- ومعنى بعل شيم طوف مؤسس الحركة الحسيدية أي ذو السمعة الطيبة أو صاحب السيرة العطرة ، عاش بين (١٧٠٠-١٧٦٠) ، انظر :موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للمسيري ، جـ٢، ص١٤٢.

[2] انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص١٠٨، وتاريخ الديانة اليهودية ، ص٢٢١-٢٢٢ .

[3] التنوير اليهودي : ويقصد بها الحركة الفكرية الإجتماعية التي ظهرت بين يهود غرب أوروبا في ألمانيا ووسطها ثم انشرت إلى شرقها ، وتنطلق حركة التنوير اليهودي من الأفكار الأساسية في حركة الاستنارة الغربية مثل الإيمان بالعقل باعتباره مصدراً أساسياً وربما وحيداً للمعرفة ، وبتعبير أخر هي دعوة للإندماج في المجتمع الغربي بالإستناد إلى العقلانية المادية . انظر: موسوعة اليهود واليهودية ، جـ ١ ، ص ٢٥١- ٢٥٢ .

[4] اليهودية الإصلاحية تهدف إلى صيغة معاصرة لليهودية تلائم العصر وتتخلص من آثار الجمود الحاخامي، ويمكن القول بأن جوهر مشروع اليهودية الإصلاحية هو محاولة نزع القداسة من كثير من المعتقدات الدينية اليهودية ووضعها في إطار تاريخي ، ومن أهم أساليبها سعياً للوصول إلى ذلك تعديل فكرة التوراة فهي بالنسبة لهم مجرد نصوص أوحى بها الإله للعبرانيين الأولين ولذا يجب احترامها=

الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية [١] في الماضي .[٢]

والحسيديم ينتمون إلى الأرثوذكسية الشرقية – المتواجدة في شرق أوروبا– والتي تسلك مسلك التطرف والتعصب في كل شئ حتى في مظاهر الحياة العادية كاللباس والمظهر وغيرهما فنتيجةً لذلك يُعد الحسيديون من اليهود المتطرفين المتشددين .[٣]

مؤسس الحركة الحسيدية :

هو إسرائيل إليعازر والذي عُرف فيما بعد إسم"بعل شم طوب" ، وُلدفي منطقة بودوليا الواقعة جنوب شرق أوكرانيا [٤] ، ونشأ فيها حيث تعلم في المدرسة اليهودية التقليدية[٥] ، ثم

=كرؤى عميقة لكنها في ذات الوقت يجب أن تتكيف مع العصور المختلفة . انظر : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٨.

[١] اليهودية التلمودية(اليهودية الحاخامية) : مصطلح يستخدم للإشارة إلى جوهر العقيدة اليهودية السائد بين معظم الجماعات اليهودية في العالم بدءاً من حوالي القرن التاسع الميلادي حتى نهاية القرن الثامن عشر، وقد استخدم اليهود القراءون هذه التعبيرات ليؤكدوا أن النسق الديني الذي يؤمن به الفريق الديني لهم لا يتمتع بالمطلقية بل هو ثمرة جهود الحاخامات . انظر المرجع السابق ، جـ ٢، ص ٣٢ .

[٢] انظر: اليهود الحسيديم ، ص٥ ، وموسوعة اليهودية واليهود والصهيونية ، جـ ٢ ، ص١٥٢.

[٣] انظر: المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة ، وهؤلاء الأرثوذكس يعتقدون بأن الله تعالى أوحى التوراة إلى موسى عليه السلام فوق جبل سيناء ، وتمثل فكرة وحي التوراة – الحالية– لديهم معتقداً راسخاً مطلقاً لا يقبل الجدل أو المراء ، كما يؤمنون بالشريعة الشفوية باعتبارها لاتقل قدسية عن التوراة إضافة إلى كُتب وتفاسير القبالاه .

[٤] من أكبر جمهوريات العالم ، وهي دولة من دول العالم القليلة التي ليست بها أمية ، يعيش فيها حوالي (٥٠،٠٠٠،٠٠٠) نسمة . يدين حوالي ٧٪ من سكانها بالإسلام ، والمسلمون بها يمارسون عباداتهم بكل حرية ولكن يحتاجون المزيد من العون لنشر الدعوة . دخلها الإسلام منذ زمن بعيد عن طريق الأتراك . وقد استقلت عن الإتحاد السوفييتي في ١٩٩١م وبدأت تعمل بالنظام الجمهوري الديمقراطي ، تبلغ مساحتها (٦٠٠،٠٠٠كلم مربع) ، وعاصمتها " كييف " .

[٥] اليهودية التقليدية مصطلح يطلق على النمط التقليدي الموروث المعبر عنه اليوم بالأرثوذكسية المعروفة بمعارضة كل محاولات التجديد والإصلاح . انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٣٨.

أنقطع عن الدراسة بعد ذلك ، وعندما بلغ الثانية عشر من عُمره تولى أعمالاً مختلفة فعمل معلماً ثم حاجباً في كنيس ، ثم انقطع للقراءة و التأمل لفترة ، ثم أصبح يسافر بين المدن يعالج الناس ويطببهم معتمداً في ذلك على الرقى والأدعية والتمائم السحرية وبعض النباتات والأعشاب وبرع في ذلك حتى اعتقد الناس بقدرته على الشفاء وطرد الأرواح الشريرة ، ولما أشتهر بين الناس أخذوا يعزون إليه الكرامات والخوارق مما جعل الناس يأتون إليه ليس لمعالجة أسقامهم فحسب بل لحل مشاكلهم والتنبؤ بمستقبلهم ، وكان يعَول على كتاب"الزهر"أو"الزوهار"[1] في تنبؤاته ووصفاته العلاجية.[2]

عقائد الحركة الحسيدية :

على الرغم من اختلاف العقائد الحسيدية عن سائر عقائد اليهود بعض الشئ ، إلا أنها إتفقت معها على الخطوط العريضة الرئيسة والتي تشكل في مجملها أمهات العقائد اليهودية ، كالإيمان بفكرة الماشيح(المسيح) المخلص ، والإيمان بتناسخ الأرواح وفكرة الشعب المختار ، أما بالنسبة لعقيدتهم في الله تعالى والعالم ومسألة الثواب والعقاب والجنة والنار فهي وإن كانت تشكل لب العقيدة الحسيدية إلا أننا نجد أن تصورهم لها مختلف بعض الشئ عما هو عليه عند الفرق الأخرى .

وفيما يلي نعرض لأهم عقائد فرقة الحسيديم فيما يتعلق بالله جل وعلا ، والعالم والنفس البشرية ومفهوم الخير والشر والثواب والعقاب إضافة إلى القول بوحدة الوجود [3]، فنقول :

أولاً: عقيدتهم في الله تعالى:

---

[1] كتاب"الزوهار"من أهم كتب القباله وأكثرها قُدسية حيث لاتقل قدسيته عن قدسية التوراة وقد عكف على دراسته حتى ربانيي العصر الوسيط أمثال ابن ميمون .

[2] انظر:اليهود الحسيديم الصفحات ١٥-١٦-١٧- ١٨.

[3] مذهب في الوجود يقول إن كل شيء هو الله ، أو أن الله هو كل شيء . أي أن الله هو العالم ، والعالم هو الله . موسوعة الفلسفة ، للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٦٢٤ .

يرى الحسيديم أن الله تعالى كان موجوداً قبل أن يكون هناك شئ ومن ثم فهو الحقيقة الوحيدة قبل الخلق ، كما أنه أبدي ولانهائي وقد خلق الخلق من لا شئ فلذلك يطلقون عليه "أين سوف" أي لانهاية كما يرون أنه ليس هناك فضاء خال منه وإنما يحيط بالكون كما يحيط الفضاء بالأرض ، وقد أظهر نفسه في العليقة في سيناء من أجل أن يُرى البشر بأنه ليس هناك مكان خال منه . ويعتقدون أيضاً بأنه لاتوجد حركة في الكون دون أن يكون سببها الله تعالى ولذلك فعناية الله في خلقة عناية خاصة وليست عناية عامة فحسب .[1]

ثانياً: عقيدتهم في العالم وفي النفس البشرية :

يرى الحسيديم أن ثمة عوالم أخرى خلقها الله تعالى في غير هذا العالم المشهود وهي كما يعبرون عن ذلك :

عالم الفيوضات ، ويضم مخلوقات روحية وهو أعلى مراتب الخلق وأعظمها لأنه خالي من الشر تماماً ، ولأن الله تعالى يكون أكثر ظهوراً وتبدياً وانكشافاً فيه ، وصفات عالم الفيوضات تكون أكثر وضوحاً عند الصديقيم أي عليهم [2] ، **عالم الخلق** وهو عالم يغلب عليه الخير لكنه في نفس الوقت فيه شئ من الشر ، وهذا العالم يضم الملائكة ، **عالم التكوين** وهذا العالم نصفه خير ونصفه الأخر شر، وتوجد فيه أنواع دنيا من الملائكة ، **عالم الفعل** وهو عالمنا الذي نعيش فيه، وفي هذا العالم تكون الفروقات بينَه وواضحة بين المادة والروح ، وتسكن في هذا العالم أكثر أنواع مخلوقات العالم تدنياً وإنحطاطاً . وعالمنا كما يرون ليس له وجود مستقل قائم بنفسه لأنه معتمد في بقائه على الله تعالى وراجع إليه .[3]

أما بالنسبة لتصور الحسيديم للإنسان فهم يرون أن الإنسان اليهودي على وجه الخصوص يُولد وفيه نفسان أحدهما حيوانية وأخرى إلهية ، فالحيوانية تمده بقوة الحياة وتبقيه على قيدها وهي مسئولة عن ميول الشر عند الإنسان بينما النفس الإلهية تغلب عليها القوة العقلية فتسيطر

---

[1] انظر:اليهود الحسيديم ، ص٥٧-٥٨.

[2] انظر: المرجع السابق ، ص٥٩ .

[3] انظر: المرجع السابق ، ص٥٩ .

بذلك على النفس الحيوانية ، كما أنها تضم شيئاً من طبيعة الخالق.أما الإنسان الغير يهودي فهو يختلف تماماً عن هذه الطبيعة إذ يتكون من نفسٍ واحدة فقط هي النفس الحيوانية التي تمثِّل الشر المحض ولاخير فيه على الإطلاق ! ![1]

ثالثاً: قولهم بوحدة الوجود :

ينطلق مبدأ القول بوحدة الوجود عند الحسيديم من القول باشتمال الله – تعالى عما يقولون – على الطبيعة وليس العكس ، إذ يرون أن الكون قد خرج منه كخروج محارة الحلزون منه ، ومن أقوال"شم طوب"في ذلك: "إن العالم مرآة يعكس جلال الله". وكذلك قوله : "إن الله موجود حتى في الشر والذنوب...وليس هُناك فاصل بين المقدس وغير المقدس...وليس هُناك حاجزٌ بين الإنسان وخالقه".[2]

والحق أنهم برؤيتهم تلك يناقضون القول بقدسية الصديقيم المطلقة من حيث لايشعرون إذ – وكما يزعمون – ليس هناك فاصل بين المقدس وغير المقدس ! !

مفهوم الوحدانية عند الحسيديم :

لقد أختلف مفهوم الوحدانية لدى طائفة الحسيديم عن ذلك المفهوم الذي نادى به من سبق ممن أشتهر بينهم من اليهود الربانيين أمثال سعديا وابن ميمون وغيرهما ، إذ يرون – وكما يذكر– أحد الصديقين وهو حفيد مؤسس الحركة الحسيدية بعل شم طوب: "أن تلامذة بعل شم طوب قد اتجهوا بمفهوم الوحدانية وجهة عميقة جداً ، إذ أن كلمة الوحدانية أصبحت لاتعني بأنه متفرد كما يرى مفكرو العصور الوسطى ، بل أصبحت تعني بأنه ليس هناك حقيقةً في الأشياء المخلوقة ، أي الأشياء ليست أشياء أو صورةً منها كما نراها بأعيننا ، لأن هذا من وجهة نظرنا وكما نراها نحن ، لأننا لايمكن أن نستوعب حقيقة الألوهية . وأما من وجهة نظر الحقيقة الإلهية والتي تمدنا

---

[1] انظر: المرجع السابق ص٦١.

[2] انظر: اليهود الحسيديم ص٦١.

بالوجود فنحن ليس لنا وجود ، ونحن ضمن درجة اللاشيئية...ولذلك فإن الذي يفيض منه ليس له وجود عدا وجوده هو وهذا هو التفرد الحقيقي[1]. وهذا منتهى فلسفة وحدة الوجود .

رابعاً: مفهوم الخير والشر والثواب والعقاب عند الحسيديم :

يعتقد الحسيديم أن الله تعالى هو خالق الخير والشر على السواء ، ونتيجةً لذلك فليس هُناك ما يُسمى بالشر المحض إذ أن الشر أحياناً داعم للخير وجزء منه فالكل خير ولكن هذا الخير يتفاوت بحسب درجاته مما يشعرنا وكأنه شرٌ أحياناً ، فالذنب يحمل في داخله جذور التوبة ، ولذلك يرون أن من واجبات الإنسان أن يقتحم الشر ويواجهه ليحوله إلى خير وقد عُرفت فلسفتهم تلك بمبدأ"الهبوط من أجل الصعود"والتي يعَولون عليها كثيراً في أمورهم كسبيل لإستجلاب الخير ، ومن الأمثلة على ذلك المبدأ أن الصديق أو المؤمن الحسيدي لوشاهد عاصياً يغرق في ذنب ما فإنه لابد له من أن يشاركه في ذلك الذنب"يهبط إليه"لينتشله منه ويساعده على التخلص منه "الصعود".[2]

أما بالنسبة للثواب والعقاب فيرى الحسيديم أن هناك ثواباً وعقاباً بعد الموت حيث يُعاقب المذنب على ذنوبه ويُثاب الصالح على أعماله الحسنة ولكن لابد لأن يتطهر الإنسان قبل دخوله الجنة"جان عدن"، وهذا التطهير يمر بمرحلتين أما المرحلة الأولى فهي عبارة عن هزَ الملائكة لجسم الإنسان حتى تتساقط أدرانه التي سببتها ملاذه الحسية والجسدية ، وأما المرحلة الثانية فهي عبارة عن التطهر الذي يلحق بالروح والفكر وهذه تتم عن طريق تقاذف ملكين لهذا الإنسان بين نهايتي العالم ، أما الخبث الذي لم يمكن زواله في المرحلتين السابقتين فلابد له حينئذ من جهنم لتطهيره ! [3] . هذا مختصر مجمل العقائد الحسيدية .

"التساديك" والحسيدية :

---

[1] انظر: المرجع السابق ص٦٢.

[2] انظر: المرجع السابق ، ص٦٣، ص١٠٥.

[3] انظر: المرجع السابق ، ص٦٧-٦٨-٦٩.

إنه من المهم وحتى نقف على الخلفية الروحية و الفكرية لجماعات الحسيديم أن نتحدث عن أهمية الصَديق أو "التساديك" عند جماعة الحسيديم ، والدور الذي يلعبه في الحركة ككل حيث يعد المحور الأول من محاور تشكل الجماعة بإعتباره مرشداً روحياً له من القداسة ما ليس لغيره .

والصديق أو"التساديك"منصب حاخامي يحتله قائد الجماعة الدينية ، وهي – أي التساديك – كلمة عِبرية معناها "الرجل الصالح" أو "الصديق" ، وهي مرادفة لكلمة "ربي" التي تعني "االسيد" ، وهو حسب التصور الحسيدي شخص ذو قداسة خاصة إذ تتلو منزلته منزله الإله مباشرة لذا فهو أحد التجليات النورانية بصفته جزء من الإله ، كما أنه أساس العالم وليس هذا فحسب بل أن العالم كله خُلق من أجله .[1]

ويمثل الصديق وفق التصور الحسيدي حاجةً إلهية ماسة ومُلحة للوصول إلى الناس ، فالإله يحتاج إليه ليصل إلى الناس بإعتباره الوسيلة الوحيدة التي تربط الأرض بالسماء !! ولاتقل حاجة الجماهير عن حاجة الإله إلى التساديك – باعتبار حلقة الوصل بين الأرض والسماء — في أن يوصل صوتهم وحاجاتهم وتضرعهم وشكواهم إلى الإله ، ويحضر لها الحياة من السماء كما أنه يوصل روح الإله إليها من خلال إلتصاقه بالإله .[2]

ونظراً لتلك المعتقدات التي يتمتع بها الصديق أو التساديك فإن لديهم قدرات تفوق قدرة الإله نفسه[3]– استغفر الله العظيم –

---

[1] انظر: موسوعة اليهودية واليهود والصهيونية ، ص١٤٠.

[2] الهدف من حياة الإنسان وفق التصور الحسيدي ليس فهم الكون أو تغيره أو حتى تنفيذ الأوامر والنواهي وإنما الإلتصاق بالله والتوحد به . انظر : موسوعة اليهودية واليهود والصهيونية ، ص ١٤٠. واليهود تاريخ وعقيدة للدكتور كامل سعفان ، ص٢١٩ .

[3] انظر: المرجع السابق ، ص١٤١.

وبناء على ماسبق فالحسيديين لا يعتبرون زعيمهم رجل دين فحسب وإنما يرون فيه معلماً ومستشاراً وأباً روحياً ومخلوقاً مقدساً قد خُلق لمهمة عُليا ، بل أن قداسته تلك تلازمه من رحم أمه فجسمه مخلوق من مادة أكثر شفافيةٍ من غيره بحيث أنه يتمكن أن يعبد الله من خلال شهواته الجسمانية فيما بعد ، فهو يحمل روح موسى النبي ولذلك قال أحدهم : "إن الصديق ليس فقط هو أكثر الناس كمالاً وأنه لا يقترف ذنوباً بل إنه مثل موسى ويمثل الإله" وكذلك قال الصديق ليفي إسحاق[1] : "إن كلمات الصديق أكثر أهمية من كلمات التوراة وكلمات الأنبياء" ، بل أن كلامه تُخلق منه الملائكة لقدسيته وصفاءه .[2]

وما إلى ذالك من مهاترات لا حصر لها ، وإنما سقنا ما سقناه هُنا لبيان ما لهذه الشخصية من النفوذ الديني والذي يصل إلى حد التقديس والطاعة العمياء ! ! أما ما يهمنا هنا بالمقام الأول فهو ما يصدر عن تلك الشخصية من أقوال وأفعال تكون محلاً لأن تصبح عقيدة راسخة غير قابلة للنقض أو النقد وذلك بسبب تلك القداسة المزعومة.

وسنتعرف- من خلال ما سيمر معنا إن شاء الله تعالى- على كيفية تصور هذه الشخصيةٍ لعلم الله تعالى ، الأمر الذي سيفيدنا في تكوين رؤية عامة عن مفهوم العلم الإلهي لدى هذه الطائفة عموماً ، وذلك نظراً لما تتميز به هذه الشخصية من التبعية المطلقة من سائر أفراد الجماعة .

وقبل أن ننتقل إلى ذلك نود أن نعرض لبعض شخصيات"الصديقيم"في جماعة"الحسيديم" ، والذين كان لهم دور بارز في انتشار الفكر الحسيدي ، فمن أشهرهم :

١. ليفي إسحاق برديشيف .
٢. نحمان براسلاف .
٣. مناحم مندل كوتسك.

---

[1] ستأتي ترجمته.

[2] انظر : اليهود الحسيديم ، ص ١٠٤ .

أولاً : ليفي إسحاق برديشيف (ت١٨١٠م) :

عُرف هذا الصديق بلقب"المدافع عن اليهود"وذلك بسبب دفاعه الشديد عنهم أمام ربه !!.
قال مؤرخو حياته بأنه لم يكن هناك رجلٌ في تاريخ اليهود أكثر دفاعاً عن اليهود من هذا الصديق، وقد روى أتباعه عن بعل شم طوب بأنه أشار إليه بقوله :"إن روحاً شريفة مقدسة ستنزل إلى الأرض وسوف تكون محامية ومدافعة عن اليهود "!![1]

والحق أنه أشد جرأه على الله تعالى وليس دفاعاً كما يهرطقون ويزعمون . إذ يرون أن هذا الذي يُدعى بالصديق أنه كلما أوغل في سوء أدبه مع ربه عز وجل كلما كان ذلك فخراً ومنقبة له لأنه في موطن دفاع عن قومه ولكن هذا الدفاع ضد من ؟ إنه ضد الله عز وجل ! كبرت كلمة تخرج من أفواههم .

ثانيا : نحمان براسلاف(ت ١٨١١م) :

هذا الصديق هو حفيد مؤسس الحركة الحسيدية من جانب الأم ، قيل بأنه كان يعذب نفسه بالعبادة والتقشف ،كما أشتهر بحبه للجدل والنزاع الذي زعم بأنه جزء من النظام الكوني القائم على العملية الجدلية.[2]

وقد عُرف بمهاجمته لبقية الصديقين ناعتاً إياهم بالكذب [3] ، غير أن ذلك العداء الذي كان منه لبقية الصديقيم لم يكن ليغير شيئا من مفهومه تجاه الإله بحيث تظهر فلسفته تنزيهية ، وإنما شابه من سبقه في ذلك الكفر و الضلال ، فمن أقواله في ذلك:"إن الصديق لا يشبه إلا بالخالق ، فهو لا يشبه المخلوقين ولا يقارن بهم و الناس لا يفهمون حقيقته وهم كذلك غير قادرين على الحكم عليه لأن معياره يختلف عما هو عند الناس" .[4]

---

[1] انظر : اليهود الحسيديم ، ص١٣٥-١٣٦-١٣٧.

[2] انظر : اليهود الحسيديم ، ص١٤٢-١٤٣-١٤٤.

[3] انظر : نفس المرجع السابق .

[4] انظر : المرجع السابق .

ويوجد أكثر أتباعه اليوم في إسرائيل ، ويسمون بالحسيديم الأموات لأنهم لم يتخذوا صديقاً روحياً بعد وفاة صديقهم"نحمان"وذلك بناء على طلبه .[1]

ثالثاً: مناحم مندل كوتسك (ت١٨٥٩م):

وُلد هذا الصديق في عام١٧٨٧م، في إحدى مدن بولندا لعائلة فقيرة ، ولما بلغ السادسة عشرة رحل للدراسة فدرس على يد أساتذة مشهورين من أعلام الفكر الحسيدي . ثم أصبح صديقاً فيما بعد .[2]

ومن أقواله عن نفسه : "إن روحي قد خُلقت قبل تهديم المعبد ، وأنا لست من بشر هذا العالم ولا أنتمي إليهم...والسبب الذي جاء بي إلى هذا العالم إنما هو من أجل أن أُفرق بين المقدس وغير المقدس "، كما أنه كان شديد الإعجاب بشخص فرعون لأنه في رأيه قد تحدى الله ! ! وقال عنه : "ما أحسنه ، لأنه لم يتذلل بمجرد أن جاءته الضربة الأولى بل أنه استمر" .[3]

وهذا و أمثاله هم الذين يصدق عليهم قول الحق تبارك وتعالى :﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾المائدة (٨٠) .

أما بالنسبة لأتباعه فقد كانوا يرون بأنه كان زعيماً روحياً عظيماً لا تساوي عظمته إلا بعظمة بعل شم طوب .[4]

---

[1] المرجع السابق ، ص١٤٨، ١٥٣.

[2] المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[3] المرجع السابق ، ص١٦٧.

[4] انظر : المرجع السابق ، ص ١٧١.

رأيهم في علمه تعالى :

يرى الحسيديم أن كل ما يحدث في هذا الكون إنما هو بتقدير الإله وعلمه ولا يحدث شئ من هذا دون علمه عزوجل ، ويذكرون قصة يعزونها إلى بعل شم طوب مؤسس الحركة مفادها أنه خرج من بيته مع بعض أتباعه وأوقفهم عند ورقة كانت تحركها نسمة هواء لبضعة أمتار ، ثم خرجت ديدان من الأرض وقضمتها فأخبر أتباعه بأن ما رأوه إنما كان بعلم الله وقدرته .[1]

لكن الذي يهمنا هنا هو هل كانت عقيدة إثبات علمه عز وجل عقيدة راسخة في نفوس أولئك القوم أم أنها في حقيقتها لم تتعدَ كونها مبدأ نظرياً لم يتخط مجرد القول ليصل إلى مستوى الإعتقاد اليقيني ؟! ، فهذا ما سنعرفه خلال الصفحات القادمة – إن شاء الله تعالى – .

غير أن ما يجدر التأكيد عليه أن هذه النصوص التي سنوردها إنما تعبر عن رأي فرقة الحسيديم وحدها لأن أقوال صديقيهم تعد ملزمة للجماعات الحسيدية التي تنتمي إليها دون سائر فرق اليهود، ولذا فإن أصح ما يمكن أن يُقال في أقوال الصديقين أنها في حقيقتها تعبير عن خلفية عقلية سقيمة لم ترتق للوصول إلى تنزيهٍ صحيحٍ للألوهية وصفاتها عموماً وصفة العلم الإلهي على وجه الخصوص .

ـ نماذج من أقوال وأفعال الصديقين المنافية لكمال علم الله عز وجل:

١] يقول أحد الصديقين بعد أن أحس بالضجر من كثرة زيارة أتباعه له وتتابع توافدهم عليه :"يارب العالم ، اغفر لي جرأتي وتهوري ، إنني أعلم بأني يجب أن أشكرك على كل ما تفضلت به علي ، وأشكرك لذلك على أن جعلت أبنائك"اليهود"يحبونني كثيراً ، ولكني أتوسل إليك أن تفهم بأنه ليس لدي وقت كاف أخصصه لك ، فأفعل شيئاً ، أي شئ ، وأجعل الناس يقللون من حبهم لي"!![2]

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ص٥٨ .

[2] انظر : المرجع السابق ، ص١٣٣.

ووجه المنافاة لعلم الله سبحانه وتعالى يكمن في عبارة " أن تفهم" فمعلوم أن عدم الفهم إنما ينشأ عن عدم الإدراك الكامل لشئ ما أو عن عدم التصور الكامل لموضوع ما ، وهذا يستلزم حصول الجهل بالشئ أو ببعض أجزاءه في وقت من الأوقات ، وهذا منافٍ تماماً لعلم الله تعالى و منافٍ لقوله عزوجل : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يونس (٦١) . يقول شيخ الإسلام تعليقاً على هذه الآية : عدم العزوب مستلزم لإحاطة علمه تعالى لكل شئ من خلقه حتى الذرة في السموات والأرض[1] ، و بالتالي فاعتقاد عدم الفهم ينافي تمام الإحاطة بالشيء وهو محال في حقه عزوجل . وهذا يبين مستوى الفهم السقيم الذي انحدر إليه عقل هذا الصديق في عقيدته في العلم الإلهي بل وعقيدة الألوهية عموماً .

٢] يقول أحد الصديقين بعدما يئس من حال بني جلدته وهم يعانون الشتات والمنفى الذي أوقعهم فيه جبنهم وخوفهم :" ليتني أعرف الغناء فأغني ،[2] وأجبره (أي الرب) على أن ينزل إلى الأرض ويكون مع أبنائه ويشهد عذاباتهم ويخلصهم ".[3]

ووجه المنافاة لعلم الله تعالى في هذا القول الذي ينمُّ عن عقلية سقيمة فيما يصوره من معنى يُفهم منه أن الباري تعالى – وحاشاه عزوجل – ما كان ليعلم عن عذاباتهم شيئاً مالم ينزلونه ليشهدها! فمصدر علمه تعالى عندهم هو الحس بالشهود و الحضور وهذا مناف تماما لما ينبغي إعتقاده في حقه تعالى من كمال علمه و شموله ، مع أن عدم الشهود لايعني بالضرورة عدم العلم لأنه يصح أن يكون قد علم بمعاناتهم وعذاباتهم ومع ذلك أهملهم عقاباً لهم وعلى علمٍ منه ، وهذا المعنى واضح جلي

---

[1] انظر : مجموع الفتاوى ، جـ٣ ، ص٣٦ .

[2] للغناء عند الحسيديم أهمية روحية لاتقل عن أهمية العبادة ذاتها إذ أن العبادة التي يرافقها الغناء والرقص تكون مقبولة أكثر ، كما أن الرقص ـ وهو صلاة وتجربة روحية ـ والأغاني يطردان الرغبات والأفكار الشريرة !! وللحسيديم أقوال كثيرة في أهمية الأغاني وتأثيرها .انظر: اليهود الحسيديم ، ص٨٨-٩٠-٩١.

[3] انظر : المرجع السابق ، ص١٣٣ .

في الآية التي تذكر تحريم دخولهم الأرض المقدسة عقاباً لهم على استنكافهم وامتناعهم من دخولها أول مرة حين أمرهم موسى عليه السلام ، قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝٢١ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ المائدة (١٩ - ٢٦) .

وربما يكون مستندهم في هذا الفهم السقيم ذلك النص الوارد في سفر التكوين (١١ / ٥) والذي يروي نزول الرب لينظر البرج الذي كان بنو آدم يبنونه ، يقول النص :" فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما ". فالنزول لعلة بينها النص وهي النظر ، والنظر إنما يحصل به العلم . ودليل صحة هذا الإستشهاد وارد في الفقرة التالية والتي بُدءت بواو الاستئناف والتي تفيد تجدد العلم وحدوثه بالنظر في تلك اللحظة ، يقول النص :" وقال الرب هوذا شعبٌ واحد ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل...".

فتصور وثني كالنص السابق لم يكن ليظهر بهذه الصورة لو لم يكن الكتاب المقدس راعيا له و مؤيداً ، كيف لا وهو يصور نزوله بالأمس ليرى بناء البرج و ليبلبل الألسنة كما مر معنا !! ونزوله قبل ذلك وبعده مرات عديدة !! فجذور البلاء – العقدي – إذن ممتدة ، ثم لما صادفت أعيناً عمياً وآذناً صماً وقلوباً غلفاً استشرت واستفحلت لتظهر في أسوأ صورةٍ من القول والفعل ، وصدق المولى عز وجل حيث قال :﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج

(٤٦). وحيث قال : ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الرعد (٣٣).

ومن أقوال هذا اليهودي أيضاً وهو يخاطب ربه :" لماذا تترك شعبك في الشتات ؟ لماذا استمر هذا إلى هذا الوقت ؟ هل أننا لم نطع شريعتك ولم نطبقها ؟ ولكن قل لي من أجبرك على إعطائها لنا ؟ هل نحن سألناك إياها ؟ هل نحن أردناها ؟ إنك أنت الذي جعلتنا نتسلمها . وأيضاً قل لي يارب العالمين ألم تكن تدري بأنك عندما أعطيتها لنا بأننا لا نطبقها ، ومع ذلك فقد أخترتنا . أخبرني إذن لماذا أنت غضبان".[1]

ووجه منافاة هذا القول في مجموعة الإستفهامات التي يُفهم من بعضها معنى التوبيخ والتقريع ، وهذا التقريع والتوبيخ غالباً لايكون إلا عن خطأٍ ذي بال يصدر من الطرف المُوَبَّخ ، فلا يُحر جواباً عندها !! ومعلومٌ مافي هذا المعنى الذي نسبوه إليه تعالى ، وكذلك ما نسبوه أيضاً من سوء تصريف الأمور بما في ذلك أحوالهم – حسب زعمهم – فمعلوم مافي ذلك من المنافاة الشديدة لسابق علم الله تعالى وشموليته ، وحكمته وعدله الإلهيين .

إن الذلة التي امتلأ بها تاريخ اليهود وتطبعت بها نفوسهم جعلتهم لا يسَيغون طهارة الشرع أو قدسية الألوهية ووحدانيتها ، فأصبحوا يقذفون بزبد أقوالهم ومنكر قلوبهم ممالايطيقه عقل ولا دين.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ . فاطر (١٥-١٨).

---

[1] اليهود الحسيديم ، ص١٣٣.

٣] يقول الصديق ليفي إسحاق برديشيف – والـذي مـرت ترجمتـه معنـا – مخاطبـاً ربـه : (منـذ اللحظة التي أخذت بها العهد على شعبك حاولـت دائمـاً ألا تفـي بهـذا العهـد لكـي تختـبرهم ، فلماذا هذا ؟ ألا تذكر أنك في سيناء ذهبت من هنا وهناك وتوراتك بيدك...لقد عرضت توراتك على كل الشعوب فرفضها كل واحد منهم بإحتقار وأعلن بنو إسرائيل وحدهم إستعدادهم لقبولها وقبولك فأين الجزاء إذن) .[1]

إننا إذا نظرنا إلى هذا القول ، نجد أنه قد حوى مجموعة من العبارات التي تنافي تمام علم الله عز وجل، ونجملها في نقاط هي على النحو التالي :

أ)"حاولت دائماً ألا تفي" ويُفهم من هـذه العبـارة أن البـاري تعـالى تعمـد نقـض مواثيقـه معهـم. ومعلوم مافي هذا القول من نسبة البداء في خبر الله تعالى علواً كبيراً ، الأمر الذي يستلزم معه إنتفاء كمال علمه الإلهي وتمامه. فالنص يصَور الخالق تعالى – وحاشاه عما يقولون– بصورة الذي يمنيهم ويعدهم وهو يعلم من نفسه أنه لايريد الوفاء ! !

ومعلوم أن القول بغير الحق لايكون إلا من جاهل أو عاجز عن أن يفعل ، وكلاهما منافيان لعلم الله عزوجل إذ الجاهل يتوقع أمراً قد يكون نتيجة إخباره بالصدق ، وهـذا التوقـع مـبني علـى غلبـة الظن على عقله بأنه ربما يحدث كذا وكذا من الأذى مـثلاً لـو صـرح بقـول الحـق ، ولـو علـم بمـا سيكون عليه الأمر لما أحتاج لأن يكذب ويخبر بغير الحق هذا من جانب .

ومن جانب آخر أنه قد يكون خفي عليه الصواب من الأمر وعرض له الخطأ فظنه الصـواب فـأخبر به على أنه صواب وحق ، ثم بان له الصواب المتيقن فعاد إلى القول الثاني الذي حدث له العلم به وهذا يستلزم ضرورة وقوعه في الكذب ، إذ لابد لأحد الإخبارين أن يكون خطـأ وهـذا منـافٍ للعلـم الإلهي ، والله تعالى منزهٌ عن ذلك كله .

---

[1] انظر: اليهود الحسيديم ، ص١٤١.

وإما أن يكون قول غير الحق بسبب العجز وعدم تمام القدرة على مقابلة الآخر والإنتصار حال طروء الأذى مثلاً الأمر الذي يستلزم معه ورود الخوف على المخبر الذي سيخبر حينئذ بخلاف الصواب نظراً لما يعتقده ويخافُهُ من الأذى . وكل ذلك قد يصدق علينا معشر البشر، ولكن لا يجوز بحال أبداً نسبته إلى الخالق جل وعلا إذ كل ذلك محالٌ ممتنع في حقه تعالى.

ب)"ألا تذكر" وهذه العبارة توهم بحصول النسيان له عز وجل، لأن حصول التذكر مستلزمٌ لحصول النسيان أولاً، وحصول النسيان مُستلزم لوقوع الجهل بالشئ أو بالأمر في وقت من الأوقات ، وهذا ينافي شُمول علمه عز وجل وإحاطته بكل شئ .

وليس هذا فحسب ، بل إن العبارة "ألا تذكر" توهم بحدوث صعوبة في التذكر نظراً للإستغراق في النسيان ربما لطول أمده !! كما توهم بقصدٍ من القائل لتذكير الإله !! الأمر الذي يستلزم معه بقاء الإله في حالٍ من الجهل بالشئ نتيجة النسيان ، مع توفر العلم بذات الشئ لأحد خلقه في ذات الوقت !! وفي هذا نسبة لقصور العلم إلى الباري تعالى، ومع نسبة كمال العلم إلى المخلوق .

ج) في قوله :"ذهبت من هنا وهناك وتوراتك.." هنا تشبيه للرب بمن يحتار ويتردد- سبحانه وتعالى عن إفكه وشركه علواً كبيراً - ومعلوم أن الحيرة والتردد لاينبغي اعتقادهما البته في حق الخالق جل وعلا لأن هذا الوصف ينافي تمام العلم وكماله وقضاءه السابق المبني على هذا العلم ، بل أن الصورة التي قصدها هذا اليهودي يتنزه عنها أولى النهى وأصحاب العقول والأراء فكيف بخالق كل تلك الأوصاف في ذلك المخلوق البشري الضعيف أيمكن إعتقادها فيه ؟! بالطبع لا ، لأن ذلك من المحالات المتنعة عليه جل وعلا ، فهو القائل عن نفسه سبحانه :﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ يس(٨٢) ، وهو القائل أيضاً:﴿ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ الأنعام(٧٣) ، وهو القائل عز شأنه:﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ القصص (٧٠) وهو القائل :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ ﴾ المائدة(٤٤) ، فأين الحيرة والتردد وجميع ماورد به الكتاب العظيم ، على وجه الجزم بحيث لايُتوهم مخالفته لمقتضى القضاء

المستلزم لعلمه سبحانه وتعالى ، فإذا سبق العلم بكل شئ لم يكن هناك مجال للحيرة والتردد أصلاً ! !

٤] يقول أحد الصديقين : " إن الرب لم يكن عادلاً حتى مع يهودي واحد" ! ! [١]

ووجه منافاة هذا القول لعلم الله تعالى أن عدله تعالى مبنيٌ على علمه عز وجل ، وعلى زعم هذا اليهودي بأن الله تعالى – وحاشاه عز وجل – لم يعدل لايخلو الأمر من أحد أمرين : فإما إنه علم ومع ذلك لم يعدل وهذا هو الظلم بعينه والباريُ عز وجل منزهٌ عن ذلك سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وإما أن يكون لم يعلم ولم يحصل له العلم بالأمر فلذلك لم يعدل ، بينما يخبرنا تعالى عن ذاته القدسية فيقول عز وجل :﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فصلت (٤٦) ، ويقول :﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ آل عمران (١١٧) ، فالظلم محال وممتنعٌ في حقه تعالى ، وقد أخبرنا النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، قوله عزوجل :"إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا " [٢] ، فكيف بعد ذلك يُقال بأنه لم يعدل ! !

٥] ومن أقوالهم أيضاً في يوم عيدهم (عيد الغفران)لديهم :

يا إله الكون ، عندي[٣] إليك أربع شكاوى أريد أن أسجلها ضد قرار محكمتك ، لأني حاخام وعلى إطلاعٍ على شريعتك ، وهذه الشكاوى الأربع هي :

أولاً: انه مكتوبٌ في التلمود في قسم " كتوبوت" : يجوز تبرئة المتهم في غيابه ، ولكن لا يجوز إدانته في غيابه، فكيف إذن أمكن لمحكمة السماء أن تجرمنا قبل أن نظهر أمامها .[٤]

---

[١] انظر:المرجع السابق ، ص١٤١.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة و الآداب ، باب " تحريم الظلم " ، حديث رقم " ٢٥٧٧" .

[٣] الصديق يتحدث باسم أتباعه وأمامهم .

[٤] انظر : اليهود الحسيديم ، ص١٤٠.

وهنا يقصد هذا المعاند اليهودي أن الأحكام الإلهية محض جور وإتهام قبل أن يظهر الحق بمثول اليهود أمامها ليحصل لها اكتمال المرافعة وحتى يظهر لديها صدق الحجاج والبراهين!!!

وها هنا عدة نقاط تنافي كمال علم الباري تعالى نجملها فيما يلي:

أ) وصف الأحكام الإلهية بأنها قرارات محكمة ، فالأمر أو الحكم ليس لله تعالى وحده وإنما هو ناجم عن التداول والتراجع والمشاورة بين أعضاء تلك المحكمة – سبحانه وتعالى عما يشركون- والله عزوجل يقول:﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ الرعد(٤١) ، فالأمر له من قبل ومن بعد.

ب) على كونها قرارات محكمة فهي إضافة إلى ذلك قرارات خاطئة (وجائرة) من وجهة نظرهم، وإلا لما ترافعوا ضدها!! وقد ذكرنا ما في القول بالجور والخطأ من المنافاة لعلم الباري عز وجل.

ج) بعد أن ذكر الحاخام إعتراضه على إله الكون ، برر ذلك بأنه ممن يسوغ له النقض والإعتراض على إقرار تلك المحكمة الإلهية ، لأنه حاخام وعلى إطلاع بشريعة الرب وكأنه يُعلَم الله بما لايعلم من حاله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.
يقول الله عز وجل :﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ الحجرات(١٦) .

ثانياً: ويستطرد هذا اليهودي في سرد بنود مرافعته ضد الله تعالى فيقول : لقد قال حاخامونا في كتاب "فرقي أبوت": لاتحكم على أخيك حتى تصنع نفسك في مكانه ، فكيف إذن يمكن لأولئك الذين في السماء أن يحكموا على من في الأرض قبل أن يعيشوا الحياة على الأرض (مثلهم) .[1]

ووجه منافاة هذا القول لكمال علم الله عز وجل تكمن في عدة نقاط:

---

[1] انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

الأولى : إعلاء شأن أقوال حاخاماتهم وجعلها أساساً في محاكمتهم المزعومة للرب تعالى – عما يقولون علواً كبيراً – .

وإذا كان كذلك – أي كانت أقوال الحاخامات التي أرادوا تقرير الله تعالى بها تملك من القداسة ما يخولها لذلك – فبالتالي جعلوا الله تعالى خاضعاً لها من جهة ، وجعلوها حاكمة ومقررة لله من جهة فجعلوا علم حاخاماتهم فوق علمه عزوجل .

الثانية: في سردهم للحكمة التي نطق بها حكماؤهم وأرادوا تقرير الله بها ،" لاتحكم على أخيك حتى تضع نفسك في مكانه" ، وكأنهم يعلمون الله بما لايعلم في السموات والأرض ! !

الثالثة: جعلوا علم الله تبارك وتعالى محدوداً قاصراً يفتقر إلى الحس ، وذلك حين قال هذا اليهودي – وبالطبع من خلفه من مريديه تبعٌ له في ذلك – " فكيف إذن يمكن لأولئك الذين في السماء أن يحكموا على من في الأرض قبل أن يعيشوا الحياة على الأرض مثلهم". فحسب تصورهم أن الله تعالى لن يحصل له تمام العلم وكماله ، مع تمام الإطلاع على أحوال شعبه ومعاناتهم مالم يعايش معهم الحياة اليومية على الأرض ليقف على حقيقة الوضع ! ! ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصدق الله عز وجل إذ يقول :﴿ وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ الإسراء(٧٢) .

الرابعة : وردت عبارات عديدة في أقوال هذا اليهودي :"على أخيك" ، "تضع نفسك في مكانه" ، "مثلهم" وهذه العبارات تحمل تصريحاً بتشبيههم الخالق عز وجل بالمخلوق ، ومعلوم أن ذلك يقتضي إلحاق النقص بالخالق جل وعلا – وحاشاه سبحانه– ولاجرم أن من بين ما يلحق به من جملة ذلك ، قصور علمهُ الإلهي– تعالى عما يقولون علواً كبيراً– نتيجة تشبيه علمه بعلم المخلوق .

٦] ومن أقوال صديقيهم كذلك قول ليفي بن إسحاق حين قال مرة مخاطباً ربه :"إذا كنت تعتقد بأن تجعل شعبك مطيعين بتعذيبهم ومعاناتهم فإني ليب بن راحيل أقسم لك بأنك سوف لاتنجح

في ذلك...إذن لماذا كل هذه المحاولات ؟ ولماذا لا تحفظ شعبك بخلاصهم ، وإنك إن فعلت ذلك فسوف لاتخسر شيئاً بل ستكون أنت الرابح".[1]

ووجه منافاة هذا القول لمقتضى العلم الإلهي هو مافيه من تصويرٍ للخالق تعالى ـ وحاشاه ـ بصورة المخطئ الذي يعتقد شيئاً ثم يبين له خلافه ، تقول العبارة "إذا كنت تعتقد بأن تجعل شعبك..." فكأن فعل الباري تعالى مبنيٌ على مجرد الإعتقاد الذي بان خطأه وتوضح بقسم هذا اليهودي ، فكأن هذا القائل هو أعلم بقومه وبنفسه من الله تعالى حيث يحاول أن يثبت للخالق – وحاشاه عز وجل– فساد ذلك الإعتقاد الذي اعتقده بأن المعاناة والبؤس والتعذيب للشعب اليهودي، سيجعله شعباً مطيعاً ، حسب تصورهم عن خالقهم".

ثم المنافاة الثانية في قول ذلك اليهودي والذي ينمُّ عن خلفية لا تقل سقامة عما سبقها من الأمثلة : "وأنك إن فعلت ذلك فسوف لاتخسر شيئاً بل ستكون أنت الرابح". فكأنه يبين للرب نتيجةً خفيت عليه – وحاشاه عز وجل — من أن في عدم تعذيبهم ربحاً له وليس ما يتوقعه من الخسران ثم في قوله: "لماذا كل هذه المحاولات"إيهامٌ بتكرار عمليات التجربة التي أراد هذا اليهودي في النهاية أن يثبت للرب فشلها !!.

لقد أطلقوا لألسنتهم العنان لتخوض في تلك الكُفريات والمهاترات التي لاحصر لها ، وصدق عليهم قول الله عز وجل إذ يقول :﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحجرات (١٦) ، و إذ يقول :﴿ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾الرعد (٣٣) .

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ص١٥٤.

٧] ويقول أحدهم أيضاً: " إنـه مكتـــوب في التـــوراة بأن الله نظـر إلى خلقه عندمـــا انتهـى منـه فوجـــده جيداً ، ولكني لست مثله إذ أنني أُدقق وأطالب أكثر. إن الكون كما هو عليه إنما هـو شئ تافه بالنسبة إليَ...".[1]

ووجه منافاة هذا القول لعلم الله تعالى ، أنه يصور الله عز وجل بصورة المتعجل في الحكم على الأشياء دون رويةٍ أو فكـر أو بُعـد نظـر، فهـو مـا أن خلـق العـالم وانتهـى مـن خلقـه حتـى استحسنه !! بينما قائل هذه العبارة- والذي أراد امتداح نفسه حتى لوكان ثمن ذلك الامتداح هـو الإساءة إلى الله عز وجل - يصَور نفسه بصورة المدقق الممحص ، ثاقب النظر وبعيد البصيرة!!

إضافة إلى ذلك فقائل تلك العبارة نجده قد نصَب نفسه نداً لله تعالى بما عقده من مقارنـة بينـه وبـين الخالق،فأضفى على نفسه شيئاً من القداسة في الوقت الذي لم يتـورع فيـه عـن وصـف خالقـه بـذلك الوصف وتصويره بتلك الصورة التشبيهية القاصرة .

على أننا لانسلِّم بصحة النص الوارد في تلك الرؤية والإستحسان ، لكن نظراً للمجاراة التي يستلزمها الرد عليهم من واقع نصوصهم ، فلذلك أوردنا ما أوردناه هاهنا وفي غـيره مـن المواضـع ، فنحن- كما أسلفنا — لسنا بصدد تصـحيح تلـك النصـوص ، وإنمـا الـرد عليهـا بغـض النظـر عـن صحتها أو بطلانها وعدم ثبوتها.

٨] قول أحدهم بعدما بلغ من الكبر عتياً ولم يتحقق له ما توهمه هو وسائر اليهود من رؤية الماشيح المخلص قبل نهاية الألفية الثانية : "لوكنت أعلم بأن شعر رأسي سـيكون أبـيض ولا ترى عيناي المسيح المخلص لما بقيت حياً . يارب أنت الـذي أبقيـتني وحفظـتني بهـذا الأمل وهذا الإعتقاد . إنك ضحكت علي فهل هذا شئ جيد ؟ وهل هو شئ جيد أن تضحك على رجل كبير مثلي ؟ أجبني" .[2]

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ص١٦٦.

[2] انظر : المرجع السابق ، ص١٧٦.

ووجه منافاة هذه العبارة لصفة العلم الإلهي تتلخص فيما يصوره عن الخالق جل وعلا، إذ يصوره في صورة السفيه المخادع ـ تعالى علواً كبيرا ـ ، وذلك ينافي تمام العقل ورشده إذا تكلمنا عن المخلوقين فكيف بالخالق جل وعلا.

إن رؤيتهم هذه تتفق تماماً بما يمليه عليهم تلمودهم الذي يُظهر الله عز وجل – وحاشاه تعالى- بصورة السفيه الذي يغلب عليه اللهو في مواضع كثير ، كالنص الذي يذكرون فيه ملاعبته للحوت ملك الأسماك!!.

والعجيب أنه قد ورد في الأساطير الرومانية القديمة ملاعبة بعض آلهتها لبعض الكائنات البحرية [1] الأمر الذي يرجح احتمال تأثر اليهودية بأساطير الشعوب القديمة السابقة على وجودها.

٩] وكذلك قول أحدهم وهو بصدد الدفاع المزعوم: "أيها الرب إذا أردت لعرشك أن يثبت حتى تجلس عليه بجلال حيث يكون لائقاً بملك الملوك، أذن عامل أبناءك برحمة ، وأصدر قراراتك بخلاصهم . أما إذا عاملتهم بقسوة ، وأصدرت قرارات قاسية ، فإن عرشك سوف لايقوم ، وسوف لاتجلس عليه بحق لأن الصديقيم في كل جيل من الأجيال سوف لا يسمحون لك أن تجلس على عرشك وقد تصدر قرارات ولكن هؤلاء الصديقيم سيلغونها لذلك أنا اطلب منك أيها الملك أن يقوم عرشك على الرحمة وعندها سوف تجلس عليه بحق"[2] ، كما رُوي عن صديق إحدى المجموعات الحسيدية أنه كان مريضاً في السنة الأخيرة من حياته، إذ دخل عليه حاجبه مرةً فرآه ينضح عرقاً،فسأله عن حاله فأخبره الصديق بأنه كان في السماء يمنع قراراً اتخذه العرب لمحاربة اليهود!![3]

---

[1] انظر : المعتقدات الرومانية ، للدكتور خزعل الماجدي ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، دار الشروق ، عَمَّان ، ص ٢٦٨ .

[2] انظر : اليهود الحسيديم ، ص١٣٩.

[3] انظر: اليهود الحسيديم ، ص١٠١-١٠٢-١٠٤-١٢٨.

ووجه منافاة قوله لكمال علم الله تعالى يتلخص في عدة أُمور :

أولاً : فيما يمليه هذا اليهودي على الباري تعالى من شروط حيث أساء الخطاب مع الله تعالى ، وكأنه يُعلمه بما لا يعلم ـ تعالى الله عن إفكه علواً كبيرا ـ .

ثانياً : في وصفه الأحكام الإلهية بالقرارات ، وقد سبق بيان ذلك ووجه منافاته للعلم الإلهي .

ثالثاً : في وصف الأحكام الإلهية بالقسوة يتضمن ذلك اعتقاد ظلم الرب لهم ـ وحاشاه تعالى علواً كبيرا ـ وقد بينا علاقة الظلم بالعلم الإلهي ووجه منافاة ذلك لعلمه تعالى .

رابعاً : أن مجرد إعتقادهم أن ثمة أحكام إلهية يمكنهم إلغائها أو إرجائها فيه ترجيح ضمني لآرائهم المخالفة لتلك الأحكام الإلهية الأمر الذي يستلزم معه اعتقاد بطلانها – تعالى الله علواً كبيرا – وفي هذا القول منافاةٌ عظيمة لعلم الباري تعالى و أحكامه الإلهية المبنية على ذلك العلم و التي هي صوابٌ و خير مطلق و إن بدا لنا خلاف ذلك في ظاهر الأمر – سبحان الله وتعالى علواً كبيراً.

١٠] ما يعتقده الحسيديم من أن الناس يُصابون بفقد الذاكرة حين يقفون أمام الرب مما يجعلهم ينسون أسماءهم وأشخاصهم فلذلك يُعطى الحسيدي من قبل مرشدة الروحي"الصديق"كُنية يُعرف بها إضافة إلى إسمه ! ![1]

ووجه منافاة ذلك الإعتقاد لعلم الباري تعالى يتجلى في قولهم بأن الناس يُصابون بفقد الذاكرة حين يقفون أمام الرب فيُفهم منه أن الرب – وحاشاه سبحانه– ماكان ليعلم أشخاصهم أو أسمائهم مالم يُخبروه هم بها ولذلك ونظراً لما سيصابون به من ذلك الفقدان للذاكرة فإن الصديق يُعطي للحسيدي كُنيه يُعرف بها إضافة إلى الإسم! ! و هذا ينافي الكثير من الآيات التي تؤكد كمال إحاطة علمه وتمامه ، قال تعالى :﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ الملك(١٤) .

---

[1] انظر : اليهود الحسيديم ، ص٦٧-٦٨-٦٩.

فهذا الإعتقاد ينافي علم الباري تعالى لأنه يوهم أن علمه – تعالى علوا كبيرا – مستفادٌ منهم وأنه يفتقر إليهم ليعلموه بأسمائهم و كناهم و أشخاصهم ؟! تعالى الله عن ذلك وتقدس عزوجل .

أما أفعالهم فمنها:

أن تقاليدهم تقضي بأن يتناولوا في الوجبة المقدسة الثالثة من كل يوم سبتٍ سمكاً. إضافةً إلى الخبز الذي يُعد شيئاً أساسياً في تلك الوجبة ، ويُعللون ذلك – أي أكلهم للسمك – بأن السمك يوقظ الأنظار العليا "العناية الإلهية" لأن السمك معروف بدوام إنفتاح العين ! ! .[1]

ووجه منافاة ذلك للعلم الإلهي أنهم صوروا الباري تعالى بصورة الغافل– وحاشاه عزوجل ، المفتقر إليهم لينبهوه من غفلته ومعلـــوم أن الغفلة تجعــل صاحبها غير مـــدرك تمام الإدراك لمـا حوله وهي منقصةٌ في حق المخلوقين فكيف يُعتقد اتصاف الباري تعالى بها . كما أنهم عندما أدعوا أن تلك الوجبة التي يتناولونها في يوم سبتهم ، أنها توقظ الأنظار العليا جوزوا عليه تعالى وقوع الغفلة به في وقتٍ من الأوقات ـ تعالى علواً كبيراً ـ – وهو وقت وجبتهم تلك من كل يوم سبت – وهذا مستلزمٌ لنسبة الجهل إليه سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

وقد أخبر تعالى في محكم تنزيله عن ذاته القدسية ، وأنها لا يجوز عليها النوم ولا الغفلة ولاغيرهما من سائر ما يستلزم معه نسبة النقص إليه بحالٍ من الأحوال ، يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌ ﴾ البقرة(٢٥٥) . ويقول عز من قائل سميع عليم :﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ الأنعام (١٣٢).

وإذا تأملنا في طقوسهم تلك ، نجد أنه في الوقت الذي يصورون الله تعالى بمختلف صور الجهل والقصور المنافية لعلم الله عز وجل ، نجد أنهم ينفون ذلك تماماً عن صِديقيهم ومرشديهم الروحيين !! فالصَديق يقظ دائماً ومشغول دائماً بالتفكر والتأمل

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ص١١٨.

بالأفكار السامية والعليا سواء كان نائماً أم صاحياً [1] بينما الرب – وحاشاه عز وجل– يحتاج لمنبَه من السمك حتى يستيقظ وتلتفت أنظاره نحو شعبه!!

ولايمكننا أن نعتقد أن هناك ما هو أسوأ من وصف الباري عزوجل بما لايليق وبما لم ينزل به سلطاناً ، فلا حول ولا قوة إلا به .

وبعد أن استعرضنا شيئاً من أقوال مرشدي هذه الفرقة وحاخاماتهم والذين يمثلون أساس الدين والعقيدة لدى أتباعهم فهل يمكننا أن نقول بأن أولئك القوم موحدين وحدانية صحيحة كما هي في مفهوم الأديان السماوية فضلاً عن أن نتساءل إن كانوا من مثبتة الصفات أم لا !!

إنه من خلال ما مر معنا سابقاً لايمكننا أن نقول بأن الطائفة الحسيدية قد عرفت تنزيهاً صحيحاً، كما لايمكننا كذلك أن نعتقد بأن هؤلاء القوم قد أثبتوا كمال العلم لله جل وعلا كما ينبغي وكما يليق به تعالى ، وإنما – وكما رأينا — اعتقدوا فيه خلاف ذلك بل والأشد من ذلك أنهم ساووه وشبهوه بالمخلوقين وليس هذا فحسب بل رفعوا أنفسهم وصديقيهم فوق مرتبة الألوهية وخلعوا عليهم من الصفات مالا يجب إلا لله عز وجل ، ونتيجة لذلك وبسبب تقديس الصديقين المفرط سواء كان ذلك التقديس منهم لأنفسهم أم من أتباعهم لهم ، فإننا نجد أنهم نتيجة لذلك قد أساؤا الأدب مع الله تعالى في مناجاتهم له ، فتارة يعتقدون عليه الخطأ بتخطئتهم أوامره الإلهية كذباً وزوراً وافتراءً عليه تعالى .

وتارةً يطلبون منه أن ينزل إلى الأرض ليشهد عذاباتهم ويعلمها ليكون عادلاً معهم ـ مع أنه لا علاقة تلازمية بين النزول والشهود وبين العلم الإلهي ـ !! وتارة يصورونه بصورة الناسي والحائر المتردد والسفيه الغافل أو النائم الذي يحتاج لأن يأكل شعبه السمك ليبقى متيقظاً ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، كبرت كلمةً تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذباً .

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ص١٠٢.

فنجد أنهم وإن زعموا أنهم يثبتون لله تعالى علماً إلا أن ذلك العلم الذي أثبتوه إنما هو من منظور بشري قاصر ، و لذلك ظنوا أن علمه سبحانه يعتريه ما يعتري علم البشر والمخلوقين ، فشبهوا بذلك الخالق بالخلق ، ثم أساؤا الخطاب معه تعالى فرفعوا أنفسهم فوق مرتبة الخالق .

وإذا استعرضنا مختلف آيات القرآن العظيم نجدها قد بينت أحوال أسلاف أولئك القوم و صفاتهم، والتي تنطبق تماماً على أخلافهم اليوم فمن ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقًا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ) آل عمران (٧٧ – ٧٨) ويقول :(وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرًاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ المائدة(٦٢ – ٦٤) .

ويقول عزوجل :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ التوبة(٣٢) .

ويقول جل ذكره:﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأعراف (٥١-٥٢).

ومما سبق نخلص إلى أن:

1) اليهود الحسيديم لم ترتقِ عقيدتهم في علم الله تبارك وتعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه.

2) اليهود الحسيديم قد خلعوا على صديقهم كثيراً من الصفات التي لاتختص إلا بالخالق عز وجل كعلم المستقبلات من الحوادث والأمور ، وذلك عن طريق إيمانهم بتنبئوات مرشديهم ، والتي يَدعون فيها علمهم للغيب .

الفصل الثاني

عقيدة البداء عند اليهود

ويتألف من ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : موقف اليهود من البداء قديماً (تأصيل فكرة البداء) .
المبحث الثاني : موقف فلاسفة اليهود من البداء .
المبحث الثالث : البداء و الفكر اليهودي المعاصر .

المبحث الأول

موقف اليهود من البداء قديماً (تأصيل فكرة البداء)

وفيه مطــالب :

المطلب الأول : معـــاني البـــداء وأنواعه والفـرق بينه وبين النســـخ.

المطلب الثاني : تاريخ وجود البداء في التصور اليهودي بالنظر إلى تشابه العِلل.

المطلب الثالث : تاريخ وجود البداء في الأسفار اليهودية بالنظر إلى العامل التاريخي .

المطلب الرابع : الأدوار التي مرت بها عقيـــدة البـــداء في كتـاب اليهود المقدس .

المبحث الأول

موقف اليهود من البداء قديما

تتجلى أهمية الحديث عن عقيدة البداء في التصور اليهودي في كونها مما احتج به اليهود على اختلافهم على إنكار النسخ و إنكار نبوة محمد ﷺ .

وقد وقع من وقع من اليهود في هذا الخطأ ـ حاشا المعاندين و الجاحدين منهم ـ نتيجة الخلط بين معنى كل من النسخ و البداء فتوهموا أن النسخ في الشرائع يُعد من البداء ، و البداء مُحالٌ على الله تعالى . هذا هو الأصل الذي بنوا عليه عدم قبولهم لدين الإسلام .

أما الطائفة الثانية وهم المعاندون منهم فقد اتخذوا من دعوى البداء ذريعةً لإنكار كون نبوة محمد ﷺ وشريعته ناسخة لشريعة موسى عليه السلام وذلك تملصاً منهم حتى لا ينصاعوا لنبيٍ من غير بني إسرائيل .

ونتيجةً لتلك الدعاوى الباطلة جرَّد علماء الإسلام و علمائهم أقلامهم لبيان وجه الحق و الصواب ، فأظهروا الفرق بين كلٍ من النسخ و البداء بأوضح دليل و أظهر عبارة .

وقد تسنَّم الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ في القرن الخامس الهجري هامة أولئك العلماء الذين كتبوا للرد على ما في توراة اليهود من عقائد باطلة منكرة لا تليق بذات الباري تعالى ، ومنها عقيدة البداء المنافية لعلم الباري تعالى . فكان بذلك من أوائل العلماء الذين نقدوا العهد القديم على أساس علمي ـ إن لم يكن أولهم ـ.

على أن اليهود و على الرغم من تمسكهم الشديد بدعاوى البداء على الله لايرون غضاضةً فيما يحكيه كتاب عهدهم القديم مما هو أشد من البداء بمراحل مما ينافي العلم الإلهي ، بل و عقيدة الألوهية ككل .

والمقصود أن اليهود لم يلتفتوا إلى البداء من حيث هي عقيدة منحرفة منافية لعلم الباري تعالى بالقدر الذي تمسكوا بها من حيث كونها تُعد حجة ودليلاً صالحاً لتأييد دعواهم بعدم نسخ شريعة موسى إلى الأبد ، وذلك تفلتاً منهم من إلزام الخصوم وحتى لا تتسنى إقامة الحجة عليهم بوجوب اتباع شرع محمدٍ ﷺ في ظل قيام الدليل على صدقه و صحة نبوته ﷺ .

وفي هذا الفصل سنتناول بمشيئة الله تعالى عقيدة البداء قديماً حيث تخضع لعمليةٍ تأصيلية بالإستناد إلى تاريخ وجودها في الأسفار المقدسة ، ثم موقف فلاسفة اليهود منها ثم مكانها في الفكر اليهودي المعاصر .

لكن قبل أن نشرع في الكلام عنها لابد لنا من بيان معاني البداء المختلفة لمعرفة مدى علاقة عقيدة البداء بالعلم الإلهي .

المطلب الأول

معـــاني البـــداء وأنواعه والفرق بينه وبين النسخ

أولاً : البداء لغة:

للبداء معانٍ كثيرة تنتهي جميعها إلى معنى واحد وهو "الظهور". فيُقال بَدَا بُدُوًا وبداءً: ظهر وبدا له فـي الأمر كذا: أي جَد له فيه رأي . ويقال : فعل كذا ثم بدا له . وفي المثل " ما عدا مما بدا ".والجمع بَدَوَات ، يقال فلان ذو بَدَوَات .[1]

والبداء : ظهور الرأي بعد أن لم يكن.

ومن معانية أيضاً استصواب شئ عُلم بعد أن لم يعلم .

ويقال : بدا لي في هذا الأمر بداءٌ ، أي ظهر لي فيه رأي آخر .[1]

---

[1] انظر : المعجم الوسيط ، إخراج إبراهيم مصطفى وآخرون ، مادة "بدا" .

وعليه فيمكن تلخيص المعاني اللغوية في معنيين رئيسين : الأول ظهور الرأي بعد أن لم يكن ، والثاني ظهور صواب رأي آخر .

ثانياً : معاني البداء في القرآن الكريم:

لقد وردت لفظة البداء في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة ترجع في جملتها إلى المعنيين اللغويين اللذين سبق ذكرهما ، وسيتضح ذلك جلياً من خلال استعراضنا لمعاني البداء في القرآن الكريم .

فمن معاني البداء المذكورة في القرآن الكريم :

أولاً : الظهور بعد الخفاء . ومنه قوله تعالى:﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ الزمر(٤٧) ، أي ظهر لهم من العذاب ما كان قد خفي عليهم ولم يكن في دائرة حسبانهم ، وكذلك قوله تعالى :﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾ الجاثية (٣٣)[٢]، وكذلك قوله تعالى :﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ﴾ الزمر (٤٨) ، أي ظهر لهم من الأمر ما كان خافياً عليهم ، وقوله أيضاً :﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ الأعراف(٢٢)[٣] أي ظهرت لهما . ومنه قولهم: بدا لنا سور المدينة [٤]. فبدا الشيء بدواً أي ظهر ظهوراً بيناً .[٥]

و الملاحظ أن جميع تلك المعاني ترجع إلى المعنيين اللغويين كليهما ، الأول وهو المذكور آنفاً ، والآخر وهو ظهور صواب رأي آخر لأن أولئك القوم الذين ظهرت لهم عواقب سيئاتهم التي

---

[١] انظر : المرجع السابق .

[٢] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للأستاذ الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ٢ ، ص ١٩١ .

[٣] انظر: المفردات في غريب القرآن الكريم لأبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، د . ط د . ت ، دار المعرفة ، لبنان ، جـ١ ، ص ٤٠ .

[٤] انظر: مناهل العرفان ، جـ٢ ، ص ١٩١ .

[٥] انظر: المفردات في غريب القرآن ، ص ٤٠ .

اكتسبوها ، والذين ظهر لهم العذاب كذلك لابد أن يكونوا قد أيقنوا ضرورةً صدق الرسل و صواب ما أخبروا به من الوعد و الوعيد ، وخطأ ما كانوا عليه من الشرك و الضلال .

فعلى سبيل المثال : من أنكر البعث و النشور وعذاب المكذبين في الآخرة ، فإنه يظن صواب ما هو عليه من الإنكار ، ثم إذا وقع ذلك في يوم القيامة فإنه سيظهر له حينئذ أن الصواب في خلاف ظنه و اعتقاده .

ثانياً : وأما المعنى الآخر فهو نشأة رأي جديد لم يكن موجوداً ، و هو أيضاً إذا تأملناه نجده يرجع إلى المعنيين اللغويين "الظهور" و"الإستصواب" ، كما في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ يوسف(٣٥) [1]. وذلك لأنهم قد ظهر لهم رأيٌ بشأن يوسف عليه السلام – وهو أن يتم سجنه – واستصوبوا ذلك الرأي فأخذوا به و سُجن عليه السلام ، فأخذهم بذلك الرأي دليل على استصوابهم له وظنهم بسداده .

ثالثاً : ومن المعاني كذلك ، إخفاء المعلوم المستيقن جحوداً واستكباراً ، فحال وقوعه يُسمى بَدَاء وإن كان معلوماً لصاحبه قبل ذلك ، كقوله تعالى :﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ الأنعام (٢٨) ، فالمعنى أنهم كانوا يخفون ما استيقنته أنفسهم جحوداً و إستكباراً وبعد ما وقع زال الإنكار والجحود فجُعل بداء [2]. فوقوعه في الحقيقة ظهور للأمر الذي حاولوا إنكاره وهو في نفس الوقت ظهور لما هو حق وصواب .

رابعاً : ومن معانيه أيضاً ظهور قضاء قد كان في سابق علم الله تعالى ، فالبداء هنا في ظهور ذلك القضاء لنا لا بالنسبة إليه سبحانه وتعالى . وهذا كقول عبدالمطلب جد النبي ﷺ:

---

[1] انظر: المرجع السابق ، ص١٩٦ – ١٩٧ .

[2] انظر: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، للشيخ موسى جار الله ، ط١ ، ١٣٩٩هـ ، سهيل إكيديمي ، لاهور ، ص ١١١ .

للهم إن المرء يمنـــــع رحله فامنع رحـالك

إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمـر مـا بـدا لك[1]

وعليه فيمكن القول أن معاني البداء الواردة في القرآن الكريم تشترك في أنها جميعها ترجع إلى معنيي البداء المذكورين في اللغة واللذَيْن يجمعهما معنى واحد رئيس هو"الظهور"سواء كان هذا الظهور لأمرٍ أو لرأي كان خافياً أو غائباً ، أو كان ظهوراً لصواب رأي آخر، هذا من جانب .

ومن جانب آخر نقول إن جميع معاني البداء الوردة في القرآن الكريم قد كانت إما في معرض خطابٍ للكافرين أو المكذبين المعاندين كما هو شأن الآيات الواردة في ذلك والتي مر معنا بعضها آنفاً ، و إما في معرض سردٍ قصصي كما هو شأن الآيات الواردة في قصة يوسف عليه السلام وسجنه . وجميعها تقرر معنى ظهور ما كان غائباً ، الأمر الذي يستلزم بالضرورة وقوع الجهل بالأمر أو الرأي قبل ظهوره ، أو الجهل بمدى صواب الرأي و خطئه قبل ظهور ذلك أيضاً .

وبناء على ذلك فيُقال بأنه لا يجوز نسبة شيء من البداء إلى الباري تعالى لما في ذلك من إستلزام نسبة الجهل إليه عزوجل في وقت من الأوقات وهو محال و ممتنع عليه تبارك وتعالى .

ثم بقي أن نشير إلى أمرٍ قد يكون مثاراً للتساؤل ، و هو يتضح في نظم عبدالمطلب حين قال "فأمر ما بدا لك"، فقد يظن ظان أن في تلك العبارة نسبة للبداء إليه تعالى ، فيقال بأن المراد من عبارة"بدا لك" أي "بدا منك"وظهر لنا من ثَمَّ ، لا أنه خفي عليه تعالى شيء لم يكن يعلمه ثم ظهر له بعد ذلك .

فالمعنى هوما يوضحه صاحب الوشيعة و يعلق عليه بقوله : "أي إن كنت أنا تركتهم وكعبتنا فأمرٌ ما في دفع العدو يبدو منك بقضائك ، فالبداء في هذه الحادثة هو ظهور قضاء قد كان

---

[1] هذه الأبيات هي مما اشتُهر في كتب التاريخ عن عبدالمطلب جد النبي ﷺ في حادثة الفيل . انظر على سبيل المثال البداية والنهاية لإبن كثير ، جـ٢ ص١٧٢ ، والكامل في التاريخ لإبن الأثير ، جـ١ ، ص٣٤٤ .

منه في سابق علمه " [1]. وكل ما يكون منه تعالى من القضاء و التقدير المبنيين على سابق علمه عزوجل هو حق و صواب وخير في حقيقته وإن بدا لنا خلاف ذلك مما هو عليه ظاهر الأمر كما أسلفنا .

على أن ما يجدر ذكره أن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما المعول عليهما في تقرير العقائد دون ما سواهما خصوصاً عند التباس المفاهيم ، وقد خلا كل منهما من نسبة شيء من البداء إليه تعالى سوى في موضعٍ حديثي واحد سيأتي ذكره معنا في موضعه إن شاء الله تعالى .

وعلى العموم فلا يجوز اعتقاد البداء على الباري تعالى البتة ، لأن في إعتقاده عليه عزوجل منافاةٌ لعلمه الإلهي ولخصائص ذلك العلم من الأزلية و الشمول و الإحاطة ، ومناقضةٌ لجميع النصوص الصحيحة الثابتة المثبتة لصفة العلم الإلهي و خصائصها .

ثالثاً : مفهوم البداء في التصور اليهودي:

لم توجد كلمة "البداء" فيما اطلعت عليه من معاجم مسيحية يهودية بهذه اللفظة تحديداً ، وبالتالى لم أعثر على معنىً لها وفق التصور اليهودي ، غير أنه يمكننا التوصل إلى معناها في التصور اليهودي من خلال الربط بينها وبين الصور الواردة في العهد القديم والتي فيها نسبة الجهل وقصور العلم إلى الله تعالى ، وذلك من خلال المقارنة التي أجراها الدكتور الجميلي بين عقيدة البداء وبين الندم والجهل والنسيان المنسوب إلى الله تعالى في نصوص العهد القديم.

إذ أن كلا ًمن هذه الصفات تشترك مع عقيدة البداء في معاني أساسية . يقول الدكتور الجميلي: "..ومن تأمل هذه الصفات ظهر له ما بينها من تقارب المعاني ، فمن ندم أو حزن أو تأسف على فعلٍ ما ، أو رأى رأي في مسألة معينة ، لا بد أن يمر بمرحلتين :

المرحـلة الأولى : تغير الرأي في تلك المسألة .

المرحلة الثانية : أن يحصل له من العلم ما يعلم به خطأه في المسألة السابقة فيندم .

---

[1] ص ١١٧ .

وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما علماء اللغة في معنى البداء .[1]

وأمرٌ آخر وهو أن كلاً من تلك الصفات تشترك في كونها تجيز جهلاً في وقت من الأوقات ، وهو محالٌ على الخالق جل وعلا ، فلذلك لايجوز اعتقاد البداء أو الندم أو النسيان أو الحزن أو التأسف على الله تعالى وذلك لما في جميع تلك المعاني من نسبة الجهل إلى الباري جل وعلا ، ومعلوم أن الجهل محالٌ وممتنعٌ في حقه تعالى .

رابعاً : أنواع البداء كما أوردها الإمام الشهرستاني: [2]

لقد أورد الإمام الشهرستاني – رحمه الله– أنواعاً للبداء ، وهي :

١) البداء في العلم : وهو أن يظهر له خلاف ما علم ولا يتوهم عاقل إعتقادها على الله تبارك وتعالى.
٢) البداء في الإرادة : وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم.
٣) البداء في الأمر : وهو أن يأمر بشئ ثم يأمر بشيءٍ آخر بعده بخلاف ذلك ، وهذا هو النسخ .
٤) البداء في الإخبار[3] وهو أن يخبر المخبر بوقوع أمر ثم لايكون ، أو يقع بخلاف ما أخبر به أو يذكر شيئاً بخلاف ما هو واقع فعلاً وهذا هو الكذب بعينه.

وجميع تلك الأنواع المذكورة — عدا مسألة النسخ — لايصح نسبتها إلى الله تعالى لما فيها من معانٍ تستلزم اعتقاد مالا يليق على الخالق جل و علا ، و سنتناول كلاً منها بشيءٍ من الشرح .

---

[1] انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود للدكتور عبد الله الجميلي ،ط٤ ، د.ت ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، جـ١ ، ص ٣٣٤ .

[2] الملل والنحل ، جـ١ ، ص١٧١-١٧٢.

[3] انظر: الفصل ، جـ١، ص١٢٤.

١) العلاقة بين البداء و العلم :

تتجلى العلاقة بين عقيدة البداء وصفة العلم في كونها تعد عقيدةً منافية للعلم إذا اطلقت واستخدمت في حق الله تعالى ، كما هو حال كثيرٍ من طوائف الشيعة .

ومن ثم فلا ضيرإذا أطلقت واستخدمت في حق المخلوقين لأن علم المخلوق من القصور الذي يتناسب مع كونه مخلوقاً ضعيفاً ، فهو ينسى ويندم ويحزن ويخطيء ، ويفكر وتعنّ له أشياء و تستجد له آراء، و تظهرله أمور كانت خافية عليه من قبل ، كما أنه قد تعتريه الحيرة والتردد في أمرٍ ما ؛ وكل ذلك بحكم طبيعته وبشريته الخاضعة لوجوه النقص . فجميع تلك الأوصاف تنضوي تحت مفهوم البداء ، حيث يجمعها جامع ورود الجهل في حال من الأحوال وذلك : كالجهل بمدى صواب الرأي أم خطئه ، أو الجهل بما قد يقع في مستقبلات الأمور، أو الجهل بالأمر حال نسيانه وما يلزم ذلك من الجهل بما قد طرأ على ذلك الأمر من التغيير، كما أن التردد في أمرٍ من الأمور لا ينم إلا عن جهل بما سيؤول إليه ذلك الأمر من عواقب مع تخوف الوقوع في أسوئها ، وما إلى ذلك.

أما إطلاق البداء على الله سبحانه وتعالى أو اعتقاده في حقه جل وعلا ، ففيه من المنافاة العظيمة لعلم الله عزوجل ما يستلزم معها إلحاق النقص به تعالى بوجهٍ من الوجوه ، إذ ليس علمه تعالى كعلم المخلوقين ومن ثم فلا يمكن تصور أن يعتري علمه عزوجل ما يعتري علم المخلوقين .

وكما أن ذاته تعالى كمالٌ وتنزيهٌ مطلقين ، فكذلك علمه تعالى كمالٌ وتنزيهٌ مطلقين بحيث يمتنع ورود الجهل عليه عزوجل في حال من الأحوال .

فعلمه تعالى انكشافي أزلي قديم ، متعلقٌ بجميع الخلق ومحيطٌ بهم ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولاتخفى عليه خافية .

يقول صاحب "الكليات" : "...والبداء في وصف الباري تعالى محال لأن منشأهُ الجهل بعواقب الأمـــور، ولا يبدو له تعالى شيء كان عنه غائباً ".[1]

ويقول الشيخ موسى جارالله : "..وحيث أن الله يعلم علمـاً إجمالياً وعلماً تفصيليـاً بكل شيء ، كليـات الأشياء وجزئياتها علماً مطلقاً كلياً منذ الأزل إلى الأبد في كل آن قبل خلقها وبعده على حدٍ سواء في الظهور و الإحاطة ، فالبداء في علم الله محالٌ مستحيلٌ ممتنع".[2]

وبناء على ذلك تكون العلاقة بين العلم الإلهي وبين عقيدة البداء علاقة الضدين أو النقيضين اللذين لا يمكن اجتماعهما ، لأننا إذا اعتقدنا اتصاف الباري تعالى بصفة العلم على وجهٍ تنزيهي بإطلاق لزمنا عدم اعتقاد شيء من البداء عليه تعالى ، وإذا قيل بالبداء على الله تعالى كما هو واقع نصوص العهد القديم وما عليه كثير من روافض هذه الأمة ، لزم اعتقاد قصور علمه تعالى ، وفي ذلك منافاةٌ لعلمه الإلهي الأزلي المحيط .

٢) البداء في الإرادة :

على الرغم من أن البداء في هذا النوع متعلقٌ بالإرادة ، إلا أن ذلك مما ينافي العلم الإلهي أيضاً لأن في إعتقاده بحق الباري تعالى نوعاً من تجويز وقوع الخطأ في أفعاله و أحكامه تعالى ، وهو محالٌ عليه تعالى .

فالمخطئ إما أن يكون قد تعمد إرادة الخطأ ، و إما أن يكون قد غاب و خفي عليه وجه الحق و الصواب حين أراد الخطأ أو حين حكم به ، و كلاهما لا يمكن إعتقاده في حق الله تعالى . لأن تعمد إرادة الخطأ لايمكن أن يكون أن يصدر عن نفسٍ سوية هذا إذا تكلمنا في حق المخلوقين فكيف بالله تعالى وهو الذي أخبر عن محض خيرية إراداته ، فقال سبحانه و تعالى :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب(٣٣) ، وقال عزوجل :﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن

[1] انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق: عدنان درويش، د.ط ، ١٤١٩ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، جـ١ ، ص ٢٤٣ .

[2] انظر: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، ص ١١١ .

يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ النساء (٢٧) ، وقال أيضاً : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ النساء (٢٦) ، فإراداته تعالى جميعها خير محض وصواب لايتطرق إليه خطأ في الحكم أو الأمر ، لأن إرادته تابعةٌ لعلمه التام لذا نجد أن الله تعالى قد ختم الآية السابقة بتقرير علمه وحكمته عزوجل ، و إن ظهر لنا خلاف ذلك بحكم طبيعتنا البشرية القاصرة عن إدراك الحكم الإلهية من وراء تلك الأحكام . وهذا بالنسبة للأمر الأول .

وأما بالنسبة للأمر الثاني ، وهو أن يكون قد خفي و غاب عليه وجه الصواب حين أراد فعل الخطأ أو حين حكم به ، فهذا أيضاً مما هو محال عليه عزوجل لأن في القول به تجويزٌ لاعتقاد أنه تعالى – وحاشاه عزوجل – ما كان يعلم بأن الصواب بخلاف ما أراد حتى ظهر له ذلك فيما بعد بوقوعه و حصوله ، فمعنى هذا النوع من البداء أوجزه الإمام الشهرستاني بقوله : "البداء في الإرادة وهو أن يظهر له صوابٌ على خلاف ما أراد وحكم".[1]

ومما يجدر بيانه هاهنا أنه لامنافاة بين ما يحدث في ملك الملك المتصرف من وقوع الشرك أو الكفر من الكافر لأن الله تعالى قد خلق الخير والشر وقدَّر الإيمان على المؤمن والكفر على الكافر وجميع ذلك لحكمٍ وغايات منها حصول الابتلاء والتمحيص وتحقق السنة الإلهية في وجود المتضادات المختلفة وغير ذلك ، فلا يقع في ملكه إلا ما يريد سبحانه وتعالى ، ولذلك فحتى يستقيم المعنى الذي ذكرناه آنفاً يمكننا تقييد نوع الإرادة الواردة في هذا المعنى بالإرادة المتعلقة بالأحكام الشرعية للمكلفين على وجه الخصوص كما هو واضح من الآيات التي سقناها قبل قليل .

وخلاصة القول أن البداء في الإرادة المتعلقة بالحكم الشرعي منافٍ لسابق علمه تعالى ، لأن تجويز وقوع الخطأ في أحكامه المبنية على تلك الإرادة مستلزم لإعتقاد جهله بالخطأ – وحاشاه تعالى – أو تعمده للحكم به وكلاهما محال عليه تعالى . ومن ثم فلا يجوز اعتقاد ذلك في حقه عزوجل .

---

[1] انظر: الملل و النحل ، جـ ١ ، ص ١٧٢ .

٣) البداء في الأمر :

وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلافه ، و هذا هو النسخ [١].

تعريف النسخ :

النسخ لغة : الإزالة .

يُقال نسخت الريح آثار الديار ، ونسخت الشمس الظل بمعنى إزالتهما ، ويقال نسخ الله الآية بمعنى : أزال حكمها قال تعالى :﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَا ﴾ البقرة (١٠٦) . ومن معاني النسخ أيضاً الإبطال ، يُقال نسخ الحاكم الحكم أو القانون أي أبطله .[٢]

أما معناه في الاصطلاح :

فهو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي .[٣]

ولابد من توافر **ضوابط** لهذا الرفع :

أولها : أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً.

وثانيها: أن يكون دليل رفع الحكم دليل شرعياً.

وثالثها :أن يكون هذا الدليل الرافع متراخياً عن دليل ذلك الحكم الشرعي المرفوع وغير متصل به كإتصال القيد بالمقيد والتأقيت بالمؤقت .

رابعها: أن يكون بين هذين الدليلين تعارض حقيقي بحيث لايمكن الجمع بينهما وإعمالهما معاً.

---

[١] انظر : المرجع السابق ، نفس الجزء و الصفحة .

[٢] انظر: المعجم الوسيط مادة " نسخ".

[٣] انظر: مناهل العرفان ، جـ٢، ص١٩١.

وهذه الضوابط لابد منها لتحقق النسخ بإتفاق جمهرة الباحثين . [1]

الفرق بين النسخ والبداء :

وأما بالنسبة للفرق بين النسخ والبداء ، فالبداء يستلزم سبق الجهل بالأمر ، بينما لايستلزم النسخ أسبقية ذلك الجهل أو توهم وجود الجهل أصلاً لأن النسخ مختص في الأوامر التي نيطت بها أحكام تراعي مصلحة أمةٍ في زمن من الأزمان وتلبي إحتياجاتها وبالتالي فلا عجب في أن يتغير الأمر بعد ذلك إذا تغيرت حاجة الأمة حسبما تقتضي المصلحة ويلبي ذلك الإحتياج وكل ذلك وفق ماهو سابقٌ في علمه تعالى .

ويذكر الإمام ابن حزم في هذه المسألة رأياً نفيساً فيقول :

"الفرق بينهما لائح وهو أن البداء أن يأمر بالأمر والآمر لا يدري ما يؤول إليه الحال والنسخ هو أن يأمر بالأمر والآمر يدري أنه سيحيله في وقت كذا ولابد قد سبق ذلك في علمه وحتمه وقضائه ، فلما كان هذان الوجهان معينين متغايرين مختلفين وجب ضرورة أن يُعلق على كل واحدٍ منها اسم يعبر به عنه غير اسم الآخر ليقع التفاهم ويلوح الحق ، فالبداء ليس من صفات الباري تعالى". [2]

وكذلك من الفروق بينهما كما يذكر الإمام ابن الجوزي "أن سبب النسخ لا يوجب إفساد الموجب لصحة الخطاب الأول، والبداء يكون سببه دالاً على إفساد الموجب لصحة الأمر الأول مثل أن يأمره بعمل يقصد به مطلوباً فيتبيَن أن المطلوب لايحصل بذلك الفعل فيبدوا له ما يوجب الرجوع عنه وكلا الأمرين يدل على قصور في العلم والحق عز وجل منزه عن ذلك" . [3]

---

[1] انظر: المرجع السابق ، ص١٩٦.

[2] الإحكام لابن حزم ، جـ٤ ، ص٤٧١ .

[3] نواسخ القرآن ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ١ ، ص١٦ .

وقد وقع من أنكر النسخ – من طوائف الملل الثلاث– [1] في الخلط بين مفهوم البداء والنسخ، فظنوا أن كل واحدٍ منها مستلزمٌ للآخر فأنكروهما جميعاً ، ولاشك أن البداء لايجوز القول به على الله تعالى البتة لأنه يوهم وقوع الجهل له تعالى في وقت من الأوقات وهو محالٌ ممتنع عليه سبحانه .

بينما النسخ في الأوامر والنواهي التي نيطت بها الأحكام لمصلحة ما في وقت من الأوقات لايستلزم وقوع الجهل عليه سبحانه ، لأنه علم بأنه سيرفع ذلك الحكم في وقت معين قد علمه سبحانه أزلاً وقدره وسيجعل بدلا عنه حكماً آخر يراعي حال ومصلحة تلك الأمة كما قدر وقضى أزلاً وكل ذلك وفق علمه سبحانه وتعالى ، وقد أشتهر لدى اليهود إنكارهم للنسخ فلم يجوزوه أصلاً كما يذكر الإمام الشهرستاني .[2]

سبب عدم إقرار اليهود بالنسخ:

لقد كان الباعث وراء إنكار اليهود للنسخ جملةً أمور نورد منها مايلي :

الأول : الخلط – كما أسلفنا — بين مفهوم البداء والنسخ وعدم التفريق بينهما وفي ذلك يقول الإمام القرطبي: "وجعلت اليهود النسخ والبداء شيئاً واحداً ولذلك لم يجوزوه فضلوا" .[3]

ويقول الإمام ابن حزم رحمه الله : "أنكر اليهود النسخ وقالوا أنه يؤذن بالغلط والبداء وهم قد غلطوا لأن النسخ رفع عبادة قد علم الآمر أن بها خيراً ، ثم أن بها غايةً ينتهي إليها ثم يُرفع الإيجاب ، والبداء هو الإنتقال عن المأمور به بأمر حادث لا بعلمٍ سابق " .[4]

---

[1] هناك من المسلمين من أنكر النسخ أمثال أبو مسلم الأصبهاني .

[2] انظر : الملل والنحل ، جـ١ ، ص٢٥١.

[3] الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب القاهرة د.ت، د.ط . عند تفسير الآية السادسة بعد المائة من سورة البقرة .

[4] الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، لعلي بن حزم الظاهري ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ١ ، ص٨ .

والثاني : أنه لاسبيل لجحد نبوه محمد ﷺ إلا بالقول بعدم جواز النسخ لأنهم لو جوزوا النسخ في الشرائع لكان الإيمان بمحمد ﷺ لازماً في حقهم لزوماً لا انفكاك لهم عنه . فحتى لا يلُزموا بذلك قالوا بأن نسخ الشرائع لايجوز لأنه بداء والبداء محالٌ على الله تعـالى ! !

وسواء صحت النية بذلك أم فسدت فإن القول الذي ارتكزوا عليه – من أن النسخ بداء والبداء لايجوز عليه سبحانه وتعالى[1] – مفضٍ إلى نتيجةٍ واحدة وهي أنه لا نسخ في الشرائع وبالتالي لا تكون شريعة محمد ناسخة لشريعة موسى عليه السلام ومن ثم فلا يلزم اليهود الإيمان بمحمد ﷺ ، وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ الأنعام (٩١) .

أما الثالث : فلأنهم تمسكوا بحرفية نصوص أوردوها ليثبتوا دعواهم في عدم إمكان النسخ مع أن مذهبهم دالٌ على خلاف ذلك بالضرورة العقلية والدينية معاً ، فالضرورة الدينية ، أن لفظ على التأبيد يُطلق في نصوص كثيرةً في التوراة ويراد به الفترة الزمنية الطويلة لا التأبيد بمعنى الأبدية الدهرية ! ! ، والضرورة العقلية هي أن التوراة دلت على أن الله سيقيم لهم من أخوتهم نبياً مثل موسى عليه السلام وضرورة العقل تثبت أنه نبي الإسلام محمد ﷺ لأنه مكتوب عندهم بصفته ونعته .

---

[1] والقول بأن البداء محالٌ علية سبحانه ، كلمة حق أُريد بها باطل من قبل أولئك الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ على سبيل العناد والمكابرة أمثال ابن كمونه ، وإلا فتوراتهم شاهدة على وقوع النسخ فلا سبيل إلى نكرانه بل وفيها من محالات العقول وقبائح الوقائع الشئ الكثير . وسيأتي ذكره لاحقاً .

فمن ذلك ما تحكيه التوراة بأن شريعة موسى عليه السلام أبديه : " هذه شريعة مؤبدة ما دامت السموات والأرض" وكذلك : "ألزموا يوم السبت أبداً" ، فذهبوا إلى أن ذلك يُفيد امتناع النسخ لأن نسخ شئ من أحكام التوراة لاسيما تعظيم يوم السبت ، إبطالٌ لما هو من عنده تعالى . [1]

ولقد تباينت أراء طوائف اليهود حول مسألة جواز النسخ أو عدمه تبايناً شديداً ، وذهبوا إلى التفريق بين الإمكان العقلي والإمكان الفعلي حتى نتج عن ذلك التفريق أن صاروا أقساماً ثلاثة:

١) فمنهم من قال بعدم جوازه عقلاً ولا شرعاً وزعموا أن النسخ هو عين البداء [2] ولعل هذا القسم هو الذي عناه الإمام الشهرستاني حين قال بأن اليهود لا يجوزون النسخ أصلاً لأنهم يرون أن في النسخ بداء وأن البداء لايجوز عليه تعالى . [3]
وهؤلاء لا يَعْدُون أحد الأمرين :
١. إما نفاةٌ لوقوع النسخ عقلاً وشرعاً عن جهل وتقليد .
٢. وإما نفاةٌ لوقوعه جحوداً ومكابرة.

فالأول إذا قوبل بالأدلة الظاهرة والحجج الباهرة والبراهين القاطعة قد يرجع عما هو عليه.وأما الثاني فمن جنس قوله تعالى :﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّا ﴾ النمل(١٤).فأنى له أن يذعن للحق وقد أستل سيف الجحود المكابرة لمحاربته ومبارزته !!

وأوضح مثال على هذا التفريق ، إبن كمونه الذي استفرغ جهده لينفي إمكان النسخ وإمكان وقوعه أصلاً حتى ألجأه ذلك لأن يقلب الأمور رأساً على عقب ويحوَل الحقائق عن نصابها بأن قال : "

---

[1] انظر : مناهل العرفان ، جـ٢ ، ص٢١٨.

[2] انظر : المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق : د. صالح الضامن، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، جـ١، ص١٤.وَ نواسخ القرآن، ص١٤ .

[3] انظر : الملل والنحل للشهرستاني ، جـ١ ، ص٢٥١.

ولا تتم شريعة الإسلام إلامع القول بأن شريعة موسى منسوخة ، ولهذا إفتقروا إلى رفع توراة اليهود والقول بتحريف التوراة . حتى لايقع إلزامهم بما فيها مما يدل على تأبيدها وعدم نسخها". [1]

الرد على هذه الشُبهة :

الواضح من قول إبن كمونه ومن سلك مسلكه أنه ممن يتذرع بعدم جواز البداء على الله تعالى – وهذا حق لامرية فيه – ليتوصل بذلك إلى إنكار النسخ ومن ثم إنكار نبوه محمد ﷺ وإنكار كون شريعته ناسخة لشريعة موسى عليه السلام وهي النتيجة المترتبة تباعاً على القول بعدم جواز النسخ أصلاً.

فمبدأ اليهود أن الشريعة لاتكون إلا واحدة وهي إبتدأت بموسى عليه السلام وتمت به وأما ماكان قبل موسى فإنما كان حدوداً عقلية وأحكاماً مصلحية [2] وفي هذا الصدد يذكر الدكتور حجازي أمراً ذا بال في الفصل الخامس عشر من كتابه "نقد التوراة" فيقول : أن اليهود إنما حرفوا التوراة لينكروا نبوة محمد ﷺ لأن التوراة تذكر أن الله تعالى قد استجاب دعاء إبراهيم في أن يكون من نسل إسماعيل هداة للأمم وأن الله وعد بمباركة الأمم في آل إسماعيل بنبي يظهر فيهم ، ونظراً لأن إسماعيل من جارية لإبراهيم وهم من نسل " سارة " إنقادوا لما سوله لهم إبليس من إنكار نبوة محمد ﷺ لئلا يخضعوا لأوامر نبي من نسل الجارية ! ! وإذا أنكر اليهود هذا النبي العربي من قبل ظهورهِ ، فهل يتصور أحد أن يعترفوا بالنسخ في شرائع الله على يديه؟!

إنهم لن يعترفوا قط بأنه سينسخ كتابهم ويغير عوائد موسى وطقوس دينه . لكن إذا رفعنا جدلاً إسم محمد فسيقر اليهود حينئذٍ بأن النسخ في شرائع الله ممكن عقلاً وواقع فعلاً ! ، وبأن

---

[1] انظر: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية، المسيحية، الإسلام، لسعد بن كمونه اليهودي، د.ط، د.ت ،دار الأنصار ، لبنان ، ص٤٩ . وهدف ابن كمونه الأول في كتابة هذا الذي ألَفه للرد على كتاب السموأل"الإفحام" بعد مرور ما يقارب من المائة عام ، هو الطعن في صحة نبوة محمد ﷺ والتشكيك فيها وفي القرآن الكريم بتعصب شديد ومكابرة واضحة .

[2] انظر: الملل و النحل للإمام الشهرستاني ، جـ ١ ، ص ٢٥١ .

شريعة موسى ستنسخ في يوم من الأيام ، فهم إذا أنكروا النسخ إنما ينكرونه إذا سمعوا إسم محمد، وإذا لم يسمعوا به اعترفوا به ! ! ![1]

٢) ومنهم من قال بأن النسخ يجوز عقلاً وإنما منع الشرع من ذلك وزعموا أن موسى ﷺ قال إن شريعته لا تنسخ من بعده وان ذلك في التوراة . ومن هذا القسم أيضاً من قال لايجوز النسخ إلا في موضع واحد وهو أن تنسخ عبادة أمر الله بها بما هو أثقل على سبيل العقوبة لا غير .[2]

ويقال أن ابن الراوندي هو الذي قال لليهود بأن يقولوا أن موسى ﷺ قال لا نبي بعدي.[3]

٣) وأما القسم الثالث فقالوا يجوز شرعاً لا عقلاً و هؤلاء اختلفوا في نبوة عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فمنهم من قال ليسا نبيين، ومنهم من قال بأنهما نبييَن صادقين ولكنهما لم يبعثا بنسخ شريعة موسى ولا بُعثا إلى بني إسرائيل وإنما بُعثا إلى العرب والأمييَن .[4]

الرد على دعاوى اليهود وإلزامهم النسخ :

ويتضمن هذا الجزء إيراد الأدلة على جواز النسخ عقلاً ووقوعهُ شرعاً . فأما من جهة الدليل على جوازه عقلاً فكما يذكر الإمام ابن حزم – رحمهُ الله– فيقول: "ولا يمنع جواز النسخ عقلاً لوجهين:

---

[1] انظر : ص٢٥٧.

[2] انظر : نواسخ القرآن ، ص١٤ ، وسيأتي الرد على الشبهات .

[3] انظر: نواسخ القرآن ، ص ١٥ .

[4] انظر : نفس المرجع السابق ، ص ١٤ .

أحدهما أن للآمر أن يأمر بما يشاء ، **وثانيهما** أن النفس إذا مرنت على أمرٍ ألفته فإذا نقلت عنه إلى غيره شق عليها لمكان الإعتياد المألوف فظهر منها بإذعان الإنقياد لطاعة الأمر" .[1]

و"التكليف لا يخلو أن يكون موقوفاً على مشيئة المكلِّف أو على مصلحة المكلَّف فإن كان الأول فلا يمتنع أن يريد تكليف العباد عبادة في مدة معلومة ثم يرفعها ويأمر بغيرها"[2] ، وكما أسلفنا من أن بعضاً من نصوص الأوامر والنواهي منوط بها أحكاماً تُراعي مصلحة ما ، أو تُلبي حاجة ما في زمن معين ثم لا يلبث أن يتغير الأمر إلى خلاف ماهو عليه سواء كان ذلك تبعاً لتغير مصلحة الناس وحاجاتهم كما يظهر لنا ، أو كان مما تعبدنا الله تعالى به فلم يظهر لنا الحكمة فيه [3] ،وعلى هذا فالنسخ ليس وقفاً على تحقيق مصلحة أو حكمة تُعرف بل الأصل في الأمر التعبدي السمع والطاعة وإن لم تُدرك الحكمة منه ، يقول تعالى :﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف(٥٤)

وحول جواز النسخ يذكر الإمام الشنقيطي ـ رحمهُ الله ـ فيقول :

"إن ما زعمهُ المشركون واليهود من أن النسخ مستحيل على الله لأنه يلزمه البداء وهو الرأي المتجدد ظاهر السقوط واضح البطلان لكل عاقل، لأن النسخ لا يلزمه البداء البته ، بل الله جل وعلا يشرع الحكم وهو عالم بأن مصلحته ستنقضي في الوقت المعين وأنه عند ذلك الوقت ينسخ ذلك الحكم ويبدله بالحكم الجديد الذي فيه المصلحة، فإذا جاء ذلك الوقت المعين أنجز– جل وعلا– ما كان في علمه السابق من نسخ ذلك الحكم الذي زالت مصلحته بذلك الحكم الجديد الذي فيه المصلحة ، كما أن حدوث المرض بعد الصحة وعكسه ، وحدوث الغنى بعد الفقر وعكسه ، ونحو

---

[1] الناسخ والمنسوخ لإبن حزم ، ص٨ .

[2] نواسخ القرآن لإبن الجوزي ، ص١٤ .

[3] ومثال ذلك نسخ مدة عدة المتوفي عنها زوجها من الحول إلى الأربعة أشهر وعشراً ، وفيه كذلك نسخ جواز الوصية للوارث من الوالدين الأقارب إلى غيرهم .

ذلك لا يلزم فيه البداء لأن الله عالم بأن حكمته الإلهية تقتضي ذلك التغير في وقته المعَين له على وفق ماسبق في العلم الأزلي كما هو واضح" .[1]

وقد أشار جل وعلا إلى علمه بزوال المصلحة من المنسوخ وتمحضها في الناسخ بقوله هنا :﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ النحل (١٠١) ، وقوله :﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة (١٠٦) ، وهذه الآية الأخيرة دليل على قوله تعالى : ﴿ بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ النحل (١٠١) ، بأن المراد هو النسخ ، فبدلنا بمعنى "نسخنا وأنسينا".[2]

فلا يمنع مقتضى العقل من جواز النسخ إذ أنه من قبيل التقلب من حال إلى حال لدى الآدمي غير أنه تقلبٌ من أوامر تقتضي أحكاماً إلى أوامر أخرى تقتضي أحكاماً أخرى . فلم أُنكر النسخ ولم تُنكر أحوال الآدميين مع أنها جميعها بيد الله سبحانه وتعالى يقلبها كيف يشاء ويأمر فيها بما يشاء ويريد والكل واقعٌ تحت ملكه داخلٌ ضمن ملكوته ! !

والعقل يقتضي بأن للملك أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ، فكيف بمن بيده ملكوت كل شئ وقد قال سبحانه من قائل عزيز حكيم :﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ الأنبياء (٢٣) ، فلا يعدوا كون النسخ تغيراً من حكمٍ إلى آخر وفق علمٍ قد سبق بكل شئ لا بسبب استجداد أمرٍ لم يكن أو مصلحةٍ لم تُعلم ! !

وحول هذا المعنى يقول الإمام ابن الجوزي – رحمه الله – : "قد يكون التغير في بعض الأوقات حكمةً ، فإن تقلب الآدمي من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كُله حكمة ، وقد حظر عليكم

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، د.ط ، ١٤١٥هـ ، دار الفِكر ، بيروت ، جـ٢ ، ص٤٤٦ .

[2] انظر: نفس المرجع السابق، جـ٢ ، ص٤٤٥ – ٤٤٦.

العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد وهذا من جنس ما أنكرتم ، وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك". [1]

وأما من حيث الإمكان العقلي لجواز النسخ فقد ذكر – رحمه الله – ذلك بقوله :

" وأما الدليل على جواز النسخ عقلاً فهو أن التكليف لايخلو أن يكون موقوفاً على مشيئة المكلف أو على مصلحة المكلف، فإن كان الأول فلا يمتنع أن يريد تكليف العباد عبادة في مدة معلومة ثم يرفعها ويأمر بغيرها .

وإن كان الثاني فجائز أن تكون المصلحة للعباد في فعل عبادة زمان دون زمان ، ويوضح هذا أنه قد جاز في العقل تكليف عبادةٍ متناهية كصوم يوم وهذا تكليف انقضى بانقضاء زمان ، ثم قد ثبت أن الله تعالى ينقل من الفقر إلى الغنى ومن الصحة إلى السقم ، ثم قد رتب الحر والبرد والليل والنهار وهو أعلم بالمصالح وله الحكم". [2]

وقد أورد الشيخ الزرقاني أربع شبه استمسك بها منكرو جواز النسخ عقلاً ، وذكر أن ذلك المذهب يعد أخطر المذاهب وأشنعها وأبعدها عن الحق وأوغلها في الباطل ، لأن مجرد إنكار الجواز العقلي يستلزم ضرورة إنكار الوقوع الشرعي . [3]

وسأورد هذه الشبه والرد عليها إتماماً للفائدة.

١- شبهات المنكرين لجواز النسخ عقلاً:

الشبهة الأولى : قالوا لو جاز على الله تعالى أن ينسخ حكماً من أحكامه لكان ذلك إما لحكمةٍ ظهرت له كانت خافية عليه ، وإما لغير حكمة وكلا هذين باطل ، أما الأول فلأنه يستلزم تجويز البداء والجهل بالعواقب على علاَم الغيوب ، وأما الثاني فلأنه يستلزم تجويز العبث

---

[1] تلبيس إبليس ، للإمام أبي الفرج عبد لرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، د.ط ، ١٤٢٧هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت . ص٦٨ .

[2] نواسخ القرآن لإبن الجوزي جـ ١ ، ص١٤ .

[3] انظر : مناهل العرفان ، جـ٢ ، ص٢١٤.

على الحكيم العليم اللطيف الخبير والبداء والعبث مستحيلان عليه سبحانه بالأدلة العقلية والنقلية ، فما أدى إليهما وهو جواز النسخ محال .[1]

الرد :

إن نسخ الله تعالى ما شاء من أحكامه مبني على حكمةٍ كانت معلومة له أولاً ، ظاهرة لم تخف عليه ولن تخفى عليه أبداً ؛ وأسراره وحكمه سبحانه لا تتناهى .ولا يحيط بها سواه . فإذا نسخ حكماً بحكم لم يخل هذا الحكم الثاني من حكمةٍ جديدة غير حكمة الحكم الأول ، هي مصلحة جديدة للعباد في الحكم الجديد وإذن فلا يستلزم نسخ الله لأحكامهِ بداءً ولا عبثاً.[2]

الشبهة الثانية : قالوا لو جاز على الله تعالى أن ينسخ حكماً بحكم للزم على ذلك أحد باطلين: جهله جل وعلا ، وتحصيل الحاصل وبيان ذلك أن الله تعالى إما أن يكون قد علم الحكم الأول المنسوخ على أنه مؤبد وإما أن يكون قد علمه على أنه مؤقت ، فإن كان الأول يعني أنه علمه مؤبدا ثم نسخه فهذا يعني أن علمه انقلب جهلاً والجهل عليه تعالى محال ، وإن كان الثاني فيكون علمه تحصيل حاصل لأن علمهُ مؤقت بوقت معين ثم نسخه عند ذلك الوقت مع أنه سينتهي بمجرد انتهاء وقته .[3]

الرد:

نقول بأن الله تعالى قد سبق في علمه أن الحكم المنسوخ مؤقت لا مؤبد ، ولكنه علم بجانب ذلك أن تأقيته إنما هو بورود الناسخ لا بشي آخر ، وبالتالى فعلمه بانتهاء الناسخ لايمنع النسخ بل يوجبه وورود الناسخ محقق لما في علمه لا مخالف له ، شأنه تعالى في الأسباب ومسبباتها وقد تعلق علمه بها كلها.[4]

---

[1] نفس المرجع والصفحة .

[2] انظر: نفس المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٥.

[3] انظر: نفس المرجع السابق ، نفس الجزء و الصفحة .

[4] انظر: نفس المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢١٥ – ٢١٦ .

الشبهة الثالثة: قالوا : لو جاز النسخ للزم أحد باطلين : تحصيل الحاصل وما هو في معناه وبيان ذلك أن الحكم المنسوخ إما أن يكون قد غيّاه بغاية ينتهي عندها أو يكون قد أبده نصاً فإن كان قد غيّاه بغاية فإنه ينتهي بمجرد وجود هذه الغاية إذ لا سبيل إلى إنهائه بالنسخ وإلا لزم تحصيل الحاصل .

وإن كان دليل الحكم الأول قد نص على تأبيده ثم جاء الناسخ على رغم هذا التأبيد لزم المحال من وجوهٍ ثلاثة :

أولها : التناقض لأن النسخ ينافي التأبيد.

الثاني : تعذر إفادة معنى التأبيد من الله للناس لأن كل نص يمكن أن يفيده تبطل إفادته بإحتمال نسخه ، وذلك يقتضي إلى القول بعجز الله وعيَه عن بيان التأبيد لعباده فيما أبده لهم،تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

الثالث : استلزم ذلك لجواز نسخ الشريعة الإسلامية مع أنها باقية إلى يوم القيامة عند القائلين بالنسخ .[1]

الرد :

أولاً : حصر الحكم المنسوخ في هذين الوجهين – التأقيت والتأبيد – المذكورين غير صحيح لأن الحكم المنسوخ يجوز ألا يكون مؤقتاً ولا مؤبداً بل يجئ مطلقاً عن التأقيت وعن التأبيد كليهما.

ثانياً : أن ما ذكروه من امتناع نسخ الحكم المؤبد غير صحيح أيضاً ، وما استندوا إليه منقوض بوجوهٍ ثلاثة :

أولها : أن استدلالهم بأنه يؤدي إلى التناقض مدفوع بأن الخطابات الشرعية مقيدة من أول الأمر بألا يرد ناسخ كما أنها مقيدة بأهلية المكلف للتكليف .

ثانيها :أن استدلالهم بأنه يؤدي إلى أن يتعذر على الله بيان التأبيد لعباده مدفوع بأن التأبيد يفهمه الناس بسهوله من مجرد خطابات الله الشرعية المشتملة على التأبيد ، والأصل بقاء

---

[1] المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢١٦.

الحكم الأول وما أتصل به من تأقيت أو تأبيد ، وطَروء الناسخ إحتمال مرجوح واستصحاب الأصل أمر يميل إليه الطبع ويؤيده العقل والشرع .

ثالثها : أن جواز نسخ الشريعة الإسلامية ، إن لزمنا معاشر القائلين بالنسخ فإنه يلزمنا على اعتبار أنه إحتمال عقلي لا شرعي بدليل أننا نتكلم عن الجواز العقلي لا الشرعي .

وأما نسخ الشريعة الإسلامية بغيرها من الناحية الشرعية فهو من المحالات الظاهرة لتظافر الأدلة على أن الإسلام دين عام خالد ، ولا يضير المحال في حكم الشرع أن يكون من قبيل الجائز في حكم العقل .[1]

الشبهة الرابعة : قالوا: إن النسخ يستلزم اجتماع الضدين واجتماعهما محال ، وبيان ذلك أن الأمر بالشئ يقتضي أنه حسن وطاعة ومحبوب لله . والنهي عنه يقتضي أنه قبيح ومعصية و مكروه له تعالى ، فلو أمر بشئ ثم نهى عنه والعكس لاجتمع الوصفان المتضادان في الفعل الواحد .[2]

الرد :

نقول أن الحسن والقبح ليسا من صفات الفعل الذاتية حتى تكون ثابتة بها لا تتغير ، بل هي تابعة لتعلق أمر الله ونهيه بالفعل وعلى هذا يكون الفعل حسناً وطاعة لله مادام مأموراً به من الله . ثم يكون هذا الفعل نفسه قبيحاً ومعصيةً ومكروهاً له تعالى مادام منهياً عنه منه تعالى، وبهذا التوجيه ينتفي اجتماع الضدين في وقت واحدٍ على فعلٍ واحد .

---

[1] انظر : مناهل العرفان ، جـ٢ ، ص٢١٧ .

[2] انظر: المرجع السابق نفس الصفحة .

وأما من جهة الدليل على وقوعه شرعاً فإنه قد ثبت فعلاً وجوده في أسفارهم المقدسة [١]، وفي ذلك يقول الإمام القرطبي رحمهُ الله : " وأنكرته أيضاً طوائف من اليهود وهم محجوجون بما قد جاء في توراتهم" [٢] وذكر عدداً من أمثلة وقوع النسخ في توراتهم .

وقريبٌ منه أيضاً قول الإمام ابن الجوزي- رحمه الله - : " والدليل على جواز النسخ شرعاً أنه قد ثبت أن من دين آدم عليه السلام وطائفة من أولاده جواز نكاح الأخوات وذوات المحارم والعمل يوم السبت ثم نسخ ذلك في شريعة موسى ، وكذلك الشحوم كانت مباحة ثم حُرمت في دين موسى فإن أدعوا أن هذا ليس بنسخ فقد خالفوا في اللفظ دون المعنى" [٣]. ومن ثم فلابد لهم من التسليم بذلك .

وأما من أنكر عدم جواز وقوع النسخ شرعاً فهم فرقة العنانية[٤] والشمعونية[٥] من اليهود واستدلوا على ذلك بنصوص وردت في أسفارهم ، فقالوا : "إن التوراة التي انزلها الله على موسى لم تزل محفوظة لدينا منقولة بالتواتر بيننا ، وقد جاء فيها : هذه شريعة مؤبدة مادامت السموات والأرض وجاء فيها أيضاً : ألزموا يوم السبت أبدا ، وذلك يفيد إمتناع النسخ لأن نسخ شي من أحكام التوراة لاسيما تعظيم يوم السبت ، إبطال لما هو من عند الله تعالى" .[٦]

---

[١] بل وفيها ما يعد من المحالات العقلية والقبائح التي لاتليق كما أسلفنا - والعجب أنه في الوقت الذي يشتد فيه نكيرهم على مسألة النسخ - وهو أمر ثابت عقلاً وشرعاً - نجدهم يضربون صفحاً عن تلك القبائح وبدلاً من أن ينكروها يلتمسون لها مخارج عن طريق التأويلات الفاسدة وهي مما قد عُلم بُطلانه وفساده شرعاً وعقلاً .

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، جـ٢ ، ص٦٤ ، عند تفسيره للآية السادسة بعد المائة من سورة البقرة.

[٣] نواسخ القرآن لإبن الجوزي ، جـ١ ، ص١٥ .

[٤] العنانية نسبة إلى عنان بن داود ، تقدمت ترجمته ص٨٦ .

[٥] طائفة من اليهود لم أعثر لها على ترجمة.

[٦] مناهل العرفان ، جـ٢، ص٢١٨ .

وقد بنوا على عدم وقوع النسخ - لأنه يوجب بداء كما يزعمون والبداء محال- أن الشريعة لاتكون إلا واحدة وهي شريعة موسى عليه السلام ، وهم - كما أسلفنا - إنما أرادوا جحد نبوة محمد ﷺ بتلك المقدمة التي أوردوها ليبنوا عليها تلك النتيجة الباطلة .

وعلى هذا جاء رد الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - حيث قال : " وأما دعوى من أدعى أن موسى عليه السلام أخبر أن شريعته لا تُنسخ فمحال...ويدل على ما قلنا أنه لو صح قولهم لما ظهرت المعجزات على يد عيسى عليه السلام لأن الله تعالى لا يصُدق بالمعجزة من كذَب موسى فإن أنكروا معجزة عيسى لزمهم ذلك في معجزة موسى ، فإن اعترفوا ببعض معجزاته لزمهم تكذيب من نقل عن موسى عليه السلام لأنه قال لا نبي بعدي" .[1]

ومما يدل على كذبهم فيما ادعوا أن اليهود ما كانوا يحتجون على نبينا محمد ﷺ بكل شئ[2]. إلا ما ظنوا أنه معجز مما لم يعلمهُ غيرهم أو لم يعلمه أحد ، كسؤالهم عن فتية الكهف وسؤالهم عن الروح وسؤالهم عن الملك الصالح ذي القرنين. وسؤالهم له ﷺ بم يُشبه الولد أباه أو أمه وغير ذلك كثير ، لكنهم لم يكونوا يحتجون على كون موسى نبياً خاتماً لايمكن نسخ شريعته ﷺ ، بل أن بعض اليهود عرفوا علامته ﷺ وأصبح لديهم يقيناً بذلك فأسلموا وحسن إسلامهم أمثال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم كثير رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما الرد على شبهة النص ـ أي نصوص التأبيد. كتأبيد شريعة موسى وتأبيد العمل يوم السبت ـ التي أوردوها فهو كالآتي :

أولاً : أن قصارى ما تدل عليه هذه الشبهة إن سُلمت هو امتناع نسخ شريعة موسى عليه السلام بشريعة أخرى ، أما تناسخ شرائع سواها فلا تدل على امتناعه بل يبعد أن ينكر اليهود

---

[1] نواسخ القرآن ، جـ١ ، ص١٥ .

[2] نفس المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٥ .

إنتساخ شرائع الإسرائيليين قبل اليهودية بشريعة موسى ، فدليلهم أقصر من دعواهم ومن ثم فلا تكافؤ بينهما فتنقض الدعوى .

ثانياً : أنا لانسلِّم لهم ما زعموه من أن التوراة لم تزل محفوظة في أيديهم حتى يصبح استدلالهم بها بل الأدلة متضافرة على أن التوراة الصحيحة لم يعد لها وجود وأنه قد أصابها من التحريف والتغيير والتبديل ما لايعلمه إلا الله تعالى . والأدلة على ذلك كثيرة متواترة حتى عند اليهود .

ثالثاً : أن دعواهم بتواتر التوراة لايُسلَم لهم أيضاً لأنها لو كانت متواترة تواتراً صحيحاً لحاجوا أنفسهم بذلك النبي ﷺ ولعارضوه في دعوى[1] عموم رسالته بقول التوراة التي يؤمن بها ولا يجحدها ولأتى القرآن الكريم بإثبات صحتها وتواترها ولكن أياً من ذلك لم يحصل ، بل هو على النقيض من ذلك ، حتى كبار أحبارهم كعبد الله بن سلام وغيره – كما أسلفنا – اعترفوا بأنه الرسول الذي بشرت به التوراة والإنجيل .

رابعاً : أن لفظ التأبيد الذي اعتمدوا عليه فيما نقلوه لا يصلح حجة لهم لأنه يُستعمل كثيراً عند اليهود معدولاً به عن حقيقته ، ومن ذلك ما جاء في البقرة التي أُمروا بذبحها : " هذه سنةٌ لكم أبداً " وما جاء في القربان : "قربوا كل يوم خروفين قرباناً دائماً "، مع أن هذين الحكمين منسوخين باعتراف اليهود أنفسهم على رغم التصريح فيهما بما يفيد التأبيد .

خامساً: أن نسخ الحكم المؤبد لفظاً جائز على الصحيح ، وشبهة التناقض تندفع بأن التأبيد مشروط بعدم ورود ناسخ فإذا ورد الناسخ انتفى ذلك التأبيد وتبين أنه كان مجرد تأبيد لفظي للابتلاء والاختبار فتأمل.[2]

---

[1] هي دعوى بالنسبة لهم لأنهم يرون أن النبي صلى ﷺ قد أدعى النبوة ، أما بالنسبة لنا فهي من اليقين الذي لايتطرق إليه شكٌ البتة .

[2] انظر: مناهل العرفان ، جـ٢، الصفحات ٢١٨ – ٢١٩ – ٢٢٠.

وفيما أوردناه من الشبهات والردود عليها أقوى حجة على إمكان النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً وهذا يستلزم التسليم بذلك لكل من أراد الحق .

بعض الأمثلة على مسألة النسخ الواقعة في التوراة كما أوردها الإمام السموأل في كتابه "إفحام اليهود":

لقد كان مما ذكره الإمام السموأل في ثنايا كتابه أن اليهود لم ينكروا النسخ فحسب بل اعترضوا على المسلمين وجود النسخ في القرآن الكريم فقالوا : "كيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتابٌ ينقض بعضه بعضاً ؟!.يريدون بذلك ينسخ بعضه بعضاً." [1]

وقد رد عليهم الإمام السموأل - رحمهُ الله — بأن ذلك مما يوجد مثله في كتبهم ، وساق عدداً من النصوص التي تثبت وجود النسخ في كتبهم ، وكان مما أورده :

المثال الأول : بالنسبة لتعظيم السبت فيقول بأنهم إن أنكروا وجود النسخ في كتابهم فيقال لهم: ما تقولون في السبت أيهما أقدم ، افتراضها عليكم أو افتراض الصوم الأكبر ؟
فيقولون : "السبت أقدم".
لأنهم إن قالوا : الصوم أقدم كذبناهم بأن السبت فرض عليهم في أول إعطائهم المن والصوم الأكبر فُرض عليهم بعد نزول اللوحين ومخالفتهم وعبادتهم العجل ، ولما رفع عنهم عقاب ذنبهم ذلك في هذا اليوم فُرض عليهم صومه وتعظيمه ، فإذا أقروا بتقديم السبت قلنا لهم :ما تقولون في يوم السبت هل فُرضت عليكم الراحة والدعة وتحريم المشقات أم لا ؟ فيقولون بلى .
فنقول لهم :
فلم فرضتم فيه الصوم إذا أتفق صومكم الأكبر يوم السبت مع كون صومكم فُرض بعد فريضة السبت، ولكم في ذلك الصوم أنواع من المشقة . منها القيام جميع النهار ؟ أليس هذا قد نسخ فريضة السبت ؟ .[1]

---

[1] إفحام اليهود للإمام السموأل ، ص١٥٥ .

المثال الثاني: قال نقول لهم: أليس عندكم أن الله أختار من بني إسرائيل الأبكار، ليكونوا خواصَ في الخدمة للأقداس ؟

فيقولون : بلى .

فنقول لهم : أليس عندكم أيضاً أن موسى عليه السلام لما نزل من الجبل وبيده الألواح ، ووجد القوم عاكفين على العجل ، وقف بطرف المعسكر ونادى : "من كان لله فليحضرني " فأنضم إليه بنو ليوي ، ولم ينضم إليه البكور ، على أن مناداته ، وإن كان لفظها يقتضي العموم ، لم يكن أشار بها إلا إلى البكور. إذ هم خاصة الله يومئذٍ دون أولاد ليوي ، فلما خذله البكور ونصره أولاد ليوي ، قال الله لموسى : "وقد أخذت الليوانيين ، عوضاً عن كل بكر في بني إسرائيل . وفي عقيب نزول هذه الآية ، أليس أن الله عزل الأبكار عن ولاية الاختصاص ، و أخذ أولاد ليوي عوضاً عنهم فهم لا يقدرون على إنكار ذلك ، وهذا يلزمهم منه القول بالبداء أو النسخ.[٢]

وفيما أوردناه كفاية – إن شاء الله تعالى – على ما في التوراة من النسخ والحمد لله رب العالمين .

إحتجاجٌ وارد :

وقد يُحتج على عقيدة البداء بما ورد عندنا معشر المسلمين كسؤال الله تعالى لملائكته عن أحوال بني آدم وذلك كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يُعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم" كيف تركتم عبادي"؟ فيقولون: " تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ".[٣]

---

[١] انظر: المرجع السابق ، الصفحات من ١٥٥– ١٥٧.

[٢] انظر: المرجع السابق ، الصفحات من ٩٩ –١٠٢ .

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ،"كتاب الصلاة" ، "باب فضل صلاة العصر" ، حديث رقم (٥٣٠) .

وعلاقة ذلك بعلم الله عز وجل أنه قد يتوهم متوهم بأن التساؤل هنا لطلب العلم والمعرفة مما يستلزم معه اعتقاد الجهل عليه تعالى بأحوال خلقه الذين سأل عنهم ملائكته ، ولكن الحق أن لذلك السؤال حِكم اجتهد العلماء في بيانها والدليل على أن ذلك التساؤل الإلهي ليس لطلب العلم والمعرفة ، ما ورد في النص من قوله ﷺ : " وهو أعلم بهم " وقد أجتهد العلماء لبيان تلك الحِكم فكان مما أوردوه :

"أن قوله فيسألهم قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبنى أدم بالخير واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون أي وقد وُجد فيهم من يُسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم ، وقال عياض : هنا السؤال على سبيل التعبد للملائكة كما أُمروا أن يكتبوا أعمال بني آدم وهو سبحانه وتعالى أعلم من الجميع بالجميع" .[1]

وقد يُحتج بذلك من حديث الثلاثة نفر ممن كان قبلنا، والذين أراد الله أن يمتحنهم .
يقول الإمام ابن كثير – رحمهُ الله – روى البخاري ومسلم من غير وجه عن همام بن يحي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن ثلاثةً في بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً...الحديث ".[2]

يقول الإمام ابن حجر في شرح الحديث : قوله بدا لله بتخفيف الدال المهملة بغير همز أي سبق في علم الله فأراد إظهاره وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً لأن ذلك محال في حق الله

---

(1) شرح الإمام ابن حجر للحديث السابق .

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري ،"كتاب الأنبياء" ، "باب ما ذكر عن بني إسرائيل" ، حديث الأقرع والأبرص و الأعمى ، حديث رقم (٣٢٧٧).

تعالى وقد أخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ [1] عن همام [2] بهذا الإسناد بلفظ " أراد " الله أن يبتليهم فلعل التغيير فيه من الرواة [3] مع أن في الرواية أيضاً نظر لأنه لم يزل مريدا والمعنى : أظهر الله ذلك فيهم وقيل معنى أراد قضى ، وقال صاحب المطالع : ضبطناه على مقتضى شيوخنا بالهمز أي ابتدأ الله أن يبتليهم . قال : ورواه كثير من الشيوخ بغير همز وهو خطأ انتهى . وسبق إلى التخطئة أيضاً الخطابي وليس كما قال، وأولى ما يحمل عليه أن المراد قضى الله أن يبتليهم وأما البداء الذي يُراد به تغير الأمر عما كان عليه فلا . [4]

٤) البداء في الأخبار :

وهذا النوع أشد الأنواع السابقة لما فيه من معنى الكذب . لأن المخبر إما أن يخبر بوقوع أمر ثم لايكون ، وإما أن يخبر به فيقع الأمر بخلاف ما أخبر به ، أو يذكر شيئاً بخلاف ما هو واقع فعلاً ، وهذا هو الكذب بعينه . فلذلك لايمكن بحال اعتقاد تبدل إخبارات الباري تعالى و تغيرها لأن ذلك مفضٍ إلى تجويز إلحاق النقص الذي يقتضي ذماً في حقه عزوجل – عياذاً بالله تعالى – ،

---

(1) شيبان بن فروخ الإمام الثقة محدث البصرة ومسندها ، قال أبو زرعه صدوق وقال أبو حاتم قدري ، مات سنة ٢٣٦هـ . انظر : تذكرة الحفاظ لأبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي ، ط ١ ، د ، ت، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٤٤٣ .

(2) همّام بن يحيى بن دينار العوذي الشيباني البصري كنيته أبو بكر ويُقال أبو عبد الله ، مات سنة ثلاث أو أربع وستون ومائة هـ في شهر رمضان ، روى عن قتادة في الإيمان وغيره ويحيى بن أبي كثير وعطاء بن أبي رباح . روى عنه شيبان بن فروخ وغيره . انظر : رجال صحيح مسلم ، لأبي بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني ، تحقيق : عبد الله الليثي ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، دار المعرفة ، بيروت، جـ ٢ ، ص ٣٢١ .

(3) لا سيما و أن مسلم قد روى الحديث بلفظ " أراد" في كتاب الزهد و الرقائق ، وكذلك البيهقي وابن حبان روياه بلفظ "أراد" ، وهناك رواية أخرى للبخاري أيضاً بلفظ "أراد" .

(4) انظر: شرح الحديث في فتح الباري حديث رقم (٣٢٧٧) .

بل أن هذا النوع من البداء يتنزه عنه أولي النهى وكل من صلح سبيله من المخلوقين ، فكيف يمكن إعتقاده في حق خالقهم وهو الحق والتنزيه والكمال المطلق ، فهذا مالا يقول به عاقل .

غير أن ما يجدر ذكره هو أن تلك الصور المذكورة في هذا النوع من البداء جميعها قد وردت في العهد القديم ، ولذلك نجد الإمام ابن حزم – رحمه الله – يعلق في معرض رده ونقده لتوراة اليهود بقوله: "وفي توراتهم البداء الذي هو أشد من النسخ ، وذلك أن فيها : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : سأهُلك هذه الأمة وأقدمك على أمة أخرى عظيمة ، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى في أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم وهذا هو البداء بعينه و الكذب المنفيان عن الله تعالى لأنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم و يقدمه على غيرهم ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه تعالى الله عنه".[1]

ومُفاد القول أن أنواع البداء السابقة خلا البداء في الأمر"النسخ" لايمكن إعتقادها في حق الباري تعالى لما فيها من أوجه المنافاة لعلمه عزوجل .

أما النسخ فلا يُعد بداءً أصلاً في حال الإطلاق ، أما في حال تقييده بالأمر فليس هو من قبيل البداء المستلزم إلحاق الجهل والنقص به تعالى – وحاشاه عزوجل- لأنه تصرف من الملك تعالى في ملكه وفق علمه السابق .

ومثال ذلك من واقع حياتنا – ولله المثل الأعلى – كحال الطبيب الذي مثلت أمامه حالة من المرض تقتضي أن يتدرج معها في طريقة العلاج ، فهو في هذه الحالة سيأمر المريض بتناول دواءٍ معين ولفترةٍ معينة ، وفي قرارته أنه سيقوم بتغيير نوع الدواء بعد إنتهاء الفترة مراعاةً لحالة المريض المستلزمة لذلك التدرج . فالطبيب هاهنا يتصرف وفق علمه المكتسب ، لحكمةٍ تستلزمها حالة المريض وهي التدرج تجنباً لحصول مخاطر أو مضاعفات لاتحمد عقباها إن أعطي الدواء دفعة واحدة.

---

[1] انظر : الفصل في الملل و النحل ، جـ١ ، ص١٢٤ .

وقد يدفع سلوكُ الطبيبِ المريضَ لأن يشك في حذق الطبيب ومهارته بسبب غياب تلك الحكمة و المصلحة عنه مالم يخبره بها الطبيب ، فيظهر ويبدو له حينئذ وجه المصلحة في ذلك ، وحالنا نحن كحال ذلك المريض الذي جهل حكمة الطبيب من وراء تغييره لنوع الدواء كما جهل مصلحته.

المطلب الثاني

تاريخ وجود البداء في التصور اليهودي بالنظر إلى تشابه العِلل

يعتقد الكثير بأن وجود الإنحراف العقدي في تاريخ الدين اليهودي قد بدأ بما وضعهُ عزرا ـ كاتب شريعة السماء كما يلقبونه ـ من المرويات والمحفوظات والشرائع المختلفة في الملة اليهودية .

والحق أن الإنحراف العقدي قد وُجد قبل زمن تدوين عزرا للشريعة اليهودية بزمن طويل ـ وهو وإن لم تكن حدته على الحال التي وُجد عليها بعد زمن تدوين الأسفار اليهودية إلا أنه قد وُجد فعلاً ـ بل و ربما يمكن القول بأن أول بواكير ذلك الإنحراف قد حدثت في زمن نبي الله موسى عليه السلام ، فقد حكى لنا القرآن الكريم عن ذلك الطلب الذي تقدم به بنو إسرائيل لموسى عليه السلام بأن يجعل لهم إلهاً مماثلاً لتلك الآلهة التي رأوها بعد عبورهم البحر ، فرد عليهم نبيهم عليه السلام مستنكراً ذلك الطلب بأن نعتهم بالجهل الذي هو في الحقيقة منشأ وسبب كل انحراف يتطرق إلى الدين والعقيدة ، إذ لو عرف المرء حق المعبود سبحانه وتعالى تمام المعرفة لما انحرف إلى طلب غيره . يقول تعالى :﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٍ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٍ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٌ تَجۡهَلُونَ ﴾ الأعراف (١٣٨) . لكن ورغم هذا الرد وهذه الإجابة من نبي الله موسى عليه السلام على بني إسرائيل إلا أن الفكرة ظلت ماثلةً في عقولهم حتى انتهزوا فرصة غياب نبيهم عليه السلام إلى ميقات ربه فصنعوا العجل الذهبي و عبدوه من دون الله تعالى ، يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ الأعراف (١٤٨) . ولذلك لما سبق نعت نبيهم لهم بالجهل ورد

بلفظ الإطلاق والتأكيد حيث لا جهل أعظم من الجهل بالخالق ، فقال "تَجْهَلُون" ولم يقل جهلتم إشعاراً بأن ذلك منهم كالطبع و الغريزة لا ينتقلون عنه في ماضٍ ولا مستقبل .[1]

فالإنحراف قد وقع منهم فعلاً في زمن نبي الله موسى بسبب غيابه عنهم تلك الأيام القلائل حين ذهب لميقات ربه ، فكيف بمن تطاولت بهم السنون والأزمان بعد موته عليه السلام ؟! فذلك أدعى لأن تتزايد موجه الإنحراف وتتسع دائرتها وتبلغ ذروتها خصوصاً في ظل تجاذب المؤثرات والعوامل المختلفة لتلك الأفئدة وتلك العقول .

وإذا نظرنا إلى مختلف آيات الذكر الحكيم التي تعرضت لقضية الإنحراف اليهودي نجدها قد قرنت بين ذكر ألوان الفساد والإنحراف الديني الذي أصاب الأديان السابقة سيما اليهودية وبين التشابه في العلة المسببة لذلك الإنحراف ، فمن تلك العلل :

١/ قسوة القلب بسبب طول الأمد :

لا شك أن تطاول الزمان بين الأمة وبين عهد نبيها يُعد عاملاً حاسماً في نوع الإنحراف ودرجته إذ كلما بعدت عن عصر معين توحيدها الصافي ـ المتمثل في عصر النبوة ـ كلما زادت درجة الإنحراف واقترب من المساس بثوابت العقائد ، فبينهما من الإطراد والتلازم مالا يخفى ، قال تعالى :﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد (١٦) .

ويؤيد هذا المعنى أيضاً قوله ﷺ حين ذكر خير عهود الناس فقال ﷺ : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته " .[2]

---

[1] انظر : تفسير البحر لمحيط ، جـ ٤ ، ص ٣٧٧ .

[2] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات ، باب " لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد " حديث رقم (٢٥٠٩) .

فكلما اقتربت الأمة ـ كما أسلفنا ـ من عهد النبوة كلما كان ذلك أحرى لاستقامتها وخشوع قلوب أفرادها وسرعة استجابتها لداعي الحق ، والعكس بالعكس فكلما بعدت عن عصر نبوتها كلما انتابت القسوة تلك القلوب الأمر الذي ينذر بظهور الإنحراف الديني والعقدي على السواء . وعلى هذا فطول الأمد سبيلٌ لقسوة القلب ، وقسوة القلب سبيلٌ للانحراف عن جادة الحق .

ويؤيد ذلك أيضاً قوله تعالى تعقيباً بعد ذكر قصة قتيل بني إسرائيل :﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ البقرة (٧٤) ، وقد كانت القصة في عهد نبي الله موسى عليه السلام هذا يفيدنا معنىً آخر مفاده أن القسوة القلبية قد تبدأ في زمن النبوة ، وغالباً ما تكون المخالفة للأوامر الإلهية الربانية سبباً لتلك القسوة، يقول تعالى :﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة (١٣) .

إذن فكلٌ من طول الأمد ومخالفة الأوامر الإلهية والتمرد عليها أسبابٌ لقسوة القلوب التي هي سبيلٌ للوقوع في مختلف أنواع الانحرافات العقدية والشرعية على السواء ، ولا شك أن الانحراف في مفهوم العلم الإلهي يُعد من جملة العقائد التي طرأ عليها الانحراف منذ وقتٍ مبكر ، لأن مجرد الانحراف في عقيدة الألوهية يستلزم بالضرورة الإنحراف في شيء من صفاتها إن لم يكن جميعها .

٢/ تشابه قلوب أهل الإنحراف :

وهذه عِلة أخرى من علل التحريف تُفيد معنى أن التشابه في قسوة القلوب وطغيانها سببٌ لاتحاد أقوال وأفعال أهل الفساد رغم بعد الشقة الزمنية بينهما . يقول تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ البقرة (١١٨) ، فجعل سبب تشابه المقال هو تشابه القلوب في البعد عن الحق [1] . يقول صاحب البحر المحيط عند تفسيره لهذه الآية : لما ذكر تماثل المقالات

---

[1] أضواء البيان ، جـ ٦ ، ص ٢٠ .

وهي صادرة عن الأهواء والقلوب ذكر تماثل قلوبهم في العمى والجهل كقوله تعالى :﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ﴾ الذاريات(٥٣).[1]

قال الزمخشري :﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ﴾ الضمير للقول يعني أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوا جميعاً متفقين عليه ؟! ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ الذاريات (٥٣)، أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العِلة الواحدة وهي الطغيان ، والطغيان هو الحامل عليه.[2]

فلما كانت عِلة التحريف هي الجامعة بين اليهود وبين من سبقوهم من الأمم الوثنية ضاهت أقوالهم وانحرافاتهم أقوال وانحرافات تلك الأمم وهذه هي النتيجة التي انتهى إليها كلاً من الفريقين ، يقول الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ التوبة (٣٠) : " قالوا مثل ما قال أهل الأوثان "[3]. ويقول صاحب الدر المنثور : " يضاهئون : أي قالوا مثل ما قال أهل الأديان "[4] . و في أحد معاني هذه الآية عند الإمام الرازي: أي أن هذا القول يضاهي قول قدمائهم وهذا دال على أنه كفرٌ قديم وليس بمستحدث .[5]

---

[1] لأبي حيان الأندلسي ، جـ ١ ، ص ٥٣٧ .

[2] الكشاف ، جـ ٤ ، ص ٤٠٨ .

[3] تفسير الطبري ، جـ ١٠ ، ص ١١٣ .

[4] عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، د . ط ، ١٩٩٣م ، دار الفكر ، بيروت ، جـ ٤ ، ١٧٣.

[5] التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ١٦ ، ص ٣٠ .

٣/ غلبة الهوى :

إن مما لا شك فيه أن تغليب جانب الهوى سببٌ لرد الحق وهذا ما وقع فعلاً من الأمم المنحرفة عموماً واليهودية على وجه الخصوص ، يقول تعالى :﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة (٨٧) ، فلما خالف الحق أهواءهم عمدوا إلى دفعه ومحاربته و إيجاد البديل الذي يتوافق مع تلك الأهواء بل وإضفاء الشرعية والقداسة عليه وزعم تنزيله من عند الله تعالى ، وهذا ما حدث فعلاً مع اليهود إذ ألحقوا بكتابهم المقدس كل ما يتوافق مع نزعاتهم الشخصية وحرفوا وبدلوا كل مالم يحفل بالرضا منهم ومن أحبارهم الأمر الذي أدى لتأليه الأحبار من دون الله تعالى ، قال تعالى :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة (٣١) .

ولما كان جانب النفع المادي الدنيوي هو الغالب على الهوية الإسرائيلية جاءت نصوص تحريفهم تنضح بكل ما من شأنه تغذية العنصرية والنزعة المادية لديهم ، فهم شعب الله وأبناءه ومنزلتهم منه بمثابة منزلة الابن من أبيه ، وعلى هذا فهم خير شعوب الأرض الذي يستحقون كل خيراتها دون غيرهم من الأغيار ، بل حتى الإله خاص بهم ليس لأحد مشاركتهم في عبوديته ، وليس هذا فحسب بل إن الإله ذاته قد سخّر نفسه لخدمه شعبه مهما يكون من ذلك الشعب من العصيان! !ولذلك فلا عجب من وجود النصوص التي تحوي تشويها لعقيدة الألوهية طالما أنها قد صيغت لتلاءم أهواء اليهود في نظرية تسخير الكون بما فيه بل وحتى خالقه ـ تعالى علواً كبيراً ـ ليراعي مصالح الأمة اليهودية فحسب .

وعلى هذا فيمكن القول بأن الهوى الذي غلب عليهم قد دفعهم للتدخل في موروثهم الديني وهذه عِلة أخرى من علل الإنحراف العقدي المفضِ بالضرورة إلى الوثنية في عقيدة الألوهية .

٤/ تدخل عقولهم في الموروث الديني :

ونعني بذلك مختلف نصوص الكتاب السماوي الخاصة بالأمة ـ وهي هنا الأمة اليهودية ـ فالتدخل فيها بإعمال الأيدي والعقول لا ينجم عنه سوى مختلف النقائص والنقائض التي لم تكن

لتلقى سبيلاً لأن تطفو على سطح الكتاب المقدس لو لم تُعمل فيها العقول البشرية تحريفاً وتبديلاً ، لأن ما كان محجوباً من الغيب لاسبيل إلى معرفته إلا بطريق الخبر ، فإذا أُعملت العقول في هذا الخبر خرج عن مطلق الحق إلى الضلال وانحرفت الأمة عن ثوابتها العقدية ، وقد قصَّ القرآن الكريم في أكثر من موضع عن وقوع التحريف والتبديل في كتاب اليهود المقدس ، فقال عزَّ من قائلٍ حكيمٍ عليم :﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ المائدة (١٣) ، وقال متوعداً لهم تارة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ البقرة (١٥٩) ، ونعتهم بكتمان الحق وإحلال الباطل مكانه :﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ آل عمران (١٨٧) .

والنصوص في هذا المعنى كثيرة ، والذي تفيده جميعها أن التدخل اليهودي في الموروث الديني قد حصل فعلاً ، وما دام قد وقع فالانحراف العقدي إلى حيز الوثنية لم يزل قائماً مالم تنقَّح تلك النصوص ويُفصل بين التنزيل السماوي والوضع البشري فيها ، وهذا مع كونه متعذراً أشد التعذر إلا أنه لن يجدي نفعاً ـ لو افترضنا جدلاً حصوله مع تعذره ـ في ظل وجود الدين الخاتم دين الحق الناسخ لجميع ما قبله من الأديان ألا وهو دين الإسلام .

والمقصود مما تقدم ذكره أن الإنحراف في مفهوم العلم الإلهي قد بدأ منذ وقت مبكر حيث توافرت علل ذلك الإنحراف الذي طال العقيدة الإلهية عموماً وعقيدة العلم الإلهي على وجه الخصوص ، وهذا يدفعنا لاعتقاد وجود البداء منذ وقت مبكر وسابق على عصر تدوين الأسفار اليهودية .

المطلب الثالث

تاريخ وجود البداء في الأسفار اليهودية بالنظر إلى العامل التاريخي

إن مما لا شك فيه أن الأسفار المقدسة لدى اليهود كانت قد مرت بعدة عوامل مختلفة خلال رحلتها التاريخية من لدن نبيها الأول الذي أُنزلت عليه ومروراً بمؤثرات لعبت دوراً كبيراً في إرتكاسها وإنتكاسها عن جادة الحق مراتٍ ومرات ، إبتداءً من فترات الإشراك بالله الواحد ثم مروراً بفترة إخفاء التوراة وإشاعة الضياع ووصولاً بعد ذلك إلى الإيمان بوضع بشري استند تارة إلى التخرص وادعاء الإلهامية [١] ، وتارةً إلى البدعة المحضة .[٢]

ولا يخفى ما تمثله الأسفار المقدسة وتعاليم الحاخامات كذلك من أهميةٍ لدى اليهود و في الديانة اليهودية إذ يعدان أول مصدرين من مصادر الدين اليهودي ، ثم يليهما ما يُعرف ببرتوكولات حكماء صهيون وهي الجانب التنفيذي لما في المصدرين الأولين ، إذ هي في حقيقتها تُشكل مجموعة الآليات لتنفيذ الأهداف اليهودية الصهيونية في وقتنا الحالي .

وإذا أردنا معرفة موقف اليهود من عقيدة البداء ، فإن ذلك يتطلب منا الوقوف على ما تحويه تلك الأسفار من نصوص تنضح بتلك العقيدة ، وأما بالنسبة لعملية التأصيل فإنها تتطلب بصورةٍ أولية الوقوف على تاريخ تدوين تلك الأسفار لمعرفة أول من نادى بتلك العقيدة، ومعرفة الفترة الزمنية التي مرت بها وكيف تبلورت حتى أصبحت عقيدة لدى اليهود .

ونظراً لأن التوراة أو "أسفار موسى الخمسة" – وفق ما هو متعارفٌ لدى كتَاب الأديان – تمثل أساس الدين اليهودي ، فإننا سنسلط الضوء عليها من خلال نقطتين هما :

---

[١] وهذا يمثل توراة عزرا التي أدعي أنه كتبها بإلهامٍ ووحي إلهيين .

[٢] وهذا يمثل أراء وأقوال الحاخامات ، وهو ما عُرف "بالتلمود" أي "التعاليم" ، ويقصد بها تعاليم الحاخامات والأحبار .

١) من هو كاتب الأسفار المقدسة ؟

٢) ومتى كُتبت ؟

وسيتم التركيز على الأسفار الخمسة لأنها – كما ذكرنا — تمثل أساس الدين اليهودي لاعتبارات أهمها :

١) اعتقاد اليهود أنها تمثل التوراة بل ونسبة كتابتها إلى موسى عليه السلام بتلقيها وحياً من عند الله تعالى ، ومع أنهم واهمون مخطئون في هذا الزعم إلا أن تناولنا لها بالنقض والرد يمثّل نقضاً لها ولبقية الأسفار لأن إطلاق مسمى التوراة على العهد القديم بكامله ـ كما هو معلوم عند علماء العهد القديم ـ إنما هو من باب إطلاق الجزء على الكل، أما عند التخصيص فيُراد بالتوراة الأسفار الخمسة دون ما عداها ، حيث يُعتقد أنها هي التي أنزلت على النبي موسى عليه السلام وأما سائر الأسفار فتُنسب إلى من سميت بأسمائهم .

يقول الدكتور شلبي: "يعترف الإسلام بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ آل عمران (٢-٣) وقال تعالى :﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ هود(١٧) . وفيما عدا ما أنزله الله على موسى عليه السلام فإن الإسلام لا يعترف به ، فسفر يشوع وسفر القضاة والملوك...ليست من الكتب المقدسة في نظر الإسلام . والأنبياء السبعة عشر [1] هم أنبياء في نظر اليهود ولم يتعرض القرآن الكريم لهم ولا كتبهم بأي فكر" .[2]

---

[1] وهم : اشعيا ، إرميا ، باروخ ، حزقيال ، دانيال ، هوشع ، يوئيل ، عاموس ، عوبديا ، يونان ، ميخا، ناحوم ، حبقوق ، صفنيا ، حجي ، زكريا ، ملاخي .

[2] انظر: اليهودية للدكتور أحمد شلبي، ط ١٢ ،١٦٩٧م، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ، ص٢٥٤.

ويرى كثير من المحققين ـ من بينهم يهوداً ـ عدم صحة نسبة تلك الأسفار إلى من نسبت إليهم .[1] ومجرد الشك في صحتها قادحٌ فيها فكيف بالجزم بعدم صحة نسبتها فإن ذلك ناقضٌ لتلك الأسفار إذا أضفنا إلى ذلك ما فيها من تناقضات وضلالات .

٢) أنها أقدم تاريخاً من سائر الأسفار التي نُسبت إلى من جاء بعده من أنبياء العهد القديم ، ولذلك فإن ما سنتوصل إليه من النتائج ونحن بصدد التأصيل لعقيدة البداء — ينسحب تِباعاً على بقية المصادر التي هي في حقيقتها امتداد للتراث والفِكر اليهوديين.

وسنعرض فيما يلي من الصفحات للحديث عن تلك المطالب التي سبق أن أشرنا إليها في محاولةٍ للتوصل إلى أصل عقيدة البداء وجذورها ، بهدف معرفة موقف اليهود من عقيدة البداء قديماً فنقول :

يكاد يجمع مؤرخو اليهودية وعلماء اللاهوت من اليهود وغيرهم على أن كتابة الأسفار المقدسة إنما كانت بعد فترة السبي البابلي الذي قادهُ " بختنصر" ضد اليهود ، وعلى يدي عزرا الكاتب .[2]

وحتى تنجلي أمامنا الصورة بوضوح لابد لنا من إلقاء الضوء على كلٍ من المحورين السابقين : من هو كاتب الأسفار المقدسة ؟ ومتى كُتبت ؟ ، وذلك لمعرفة الدور الحاسم الذي لعبته تلك الأصول التاريخية للأسفار المقدسة في شأن موضوع البداء قديماً .

---

[1] أمثال اسبنيوز وهو مفكر يهودي ، و الشيخ رحمت الله الهندي ، و الدكتور أحمد حجازي ، و عالم الآثار اللاهوتي "ينسن" وغيرهم .

[2] انظر: الفصل في الملل ، جـ١ ، ص٢٢٢ ، إفحام اليهود ، ص ١٤٠ . و هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام ابن القيم الجوزية ،ط١ ، ١٤٢٥هـ، مكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية، ص١٤٢. وإظهار الحق لرحمت الله بن خليل الهندي ،د.ت ، د.ط ، دار الجليل ، بيروت ، جـ١ ،ص٦٣. وَالأسفار المقدسة قبل الإسلام للدكتور صابر طعيمة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ، عالم الكتب ، بيروت، ص٦٩، واليهودية للدكتور أحمد شلبي ، ص٢٦٠-٢٦١ .

على أن التركيز على الدور الرئيس الذي كان في زمن تدوين الأسفار اليهودية لا يعني بالضرورة نفي وجود محاولات تدوين سابقة ، وقد وُجدت فعلاً ولكن حديثنا سينصب على الدور الأكبر الذي كان زمن تدوين أسفار العهد القديم ، فنقول :

أولاً : من هو كاتب الأسفار المقدسة ؟

يمكن القول بأن معظم مؤرخي اليهودية من اليهود وغيرهم متفقون اتفاقاً يقارب الإجماع على أن كاتب الأسفار المقدسة هو عزرا الكاتب .

فهذه دراسةٌ أجراها عالم لاهوتٍ أمريكي و أعلن على إثرها هذه الحقيقة بقوله : " و المعلومات المدهشة التالية أعلنها بحّاثة يهودي مرموق أصبح فيما بعد أستاذ علم الإجتماع في الجامعة العبرية في القدس : إن الأسس التاريخية لهذه العقيدة الأرثوذكسية قد أُعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا حوالي ٤٠٠ سنة قبل الميلاد ، ثم عُدلت ونقحت في القرون التالية في الشريعة غير المكتوبة أي الشفهية و تلمود بابل".[1]

ويؤيد هذا الرأي يهوديٌ آخر هو الفيلسوف إسبينوزا حيث ذهب ـ مستنداً إلى مجموعة قرائن ـ إلى أن عزرا هو كاتب الأسفار المقدسة ، فيقول : " و المسألة الأساسية هي أن عزرا الذي أعده المؤلف الحقيقي طالما لم يبرهن لي أحد على مؤلفٍ آخر أكثر يقيناً لم يكن آخر من صاغ الروايات المتضمنة في هذه الأسفار، و أنه لم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كُتّاب متعددين " . [2]

وهذه القرائن يمكن تلخيصها في :

١) وحدة الهدف و الموضوع .

٢) تسلسل الحوادث الزمني . [3]

---

[1] التوراة تاريخها وغاياتها ، ترجمة وتعليق سهيل ديب ، ط ١ ، ١٣٩٢ هـ ، دار النفائس ، بيروت ، ص ١٧ .

[2] اللاهوت والسياسة ، ترجمة و تقديم الدكتور حسن حفني ، ط ٣ ، د . ت ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ص ٢٨٣ .

[3] المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

٣) إنتهاء جميع أحداث القصص التاريخية التي تم سردها إلى ماقبل زمن عزرا .[1]
٤) تصريحه ـ أي عزرا ـ في السفر الذي يحمل اسمه أنه قد وهب حياته لتنقية الشريعة .[2]

فبالاستناد إلى القرائن الثلاثة الأولى استنتج اسبينوزا أن كتابة الأسفار المقدسة تمت على يد مؤرخٍ واحد أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم حتى هدم المدينة لأول مرة[3] ، وبالإستناد إلى القرينة الرابعة و مجموعة قرائن أخرى استنتج أن كاتب الأسفار هو عزرا .[4]

وليس هذا فحسب بل إن أكثر مفسري التوراة من كاثوليك وبروتستنت اليوم يذهبون إلى أن الأسفار الخمسة ليست من تأليف رجلٍ واحد و إن كان لعزرا اليد الطولى في كتابتها .[5]

وقد سبقت المصادر الإسلامية إلى تلك النتائج التي قررها علماء اللاهوت في العصر الحديث حول كاتب أسفار العهد القديم ، فيذكر الإمام السموأل ـ وقد كان يهودياً فشرح الله صدره للإسلام ـ مانصه : " فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله " .[6]

كما يذهب الإمام ابن حزم ـ وهو أعظم ناقدي التوراة في عصره ـ إلى أن عزرا الوراق الهاروني هو الذي أملى التوراة على اليهود من حفظه .[7]

---

[1] المرجع السابق ، ٢٧٧ .
[2] الإصحاح السابع فقرة (١٠) .
[3] اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٦ .
[4] المرجع السابق ، ص٢٨٣ .
[5] انظر : فضيحة التوراة للدكتور عابد توفيق الهاشمي ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص ٩٦ .
[6] إفحام اليهود ، ص ١٤٠ .
[7] انظر : الفصل في الملل و النحل ، جـ ١ ، ٢٢٢ .

وكذلك الإمام الجويني في كتابه " شفاء الغليل " قرر النتيجة ذاتها ، فذكر أن التوراة التي بيد اليهود الآن هي التوراة التي كتبها عزرا الوراق ، بعد فتنتهم مع بختنصر " . [1]

وقد علل الإمام الجويني سبب تبديل عزرا للتوراة بأنه إنما طمع للرياسة التي كان لها شأنٌ عظيمٌ لدى الإسرائيليين . [2]

أما الإمام ابن القيم فيصرح بنفس النتيجة السابقة بقوله : "...فلما رأى عزير أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم " . [3]

وتؤكد المصادر الحديثة على ذات النتيجة ، فعلى سبيل المثال يذكر صاحب فضيحة التوراة أن ما بين أيدينا اليوم من أنواع التوراة العبرية و السامرية والسبعينية المترجمة عن اليونانية إنما هي بمجموعها متفرعة من توراة عزرا المفقودة و التي تُعد ثالث أنواع التوراة التي كانت موجودة قبل فقدها جميعها ، وهي توراة موسى المنزلة ، و توراة هارون الصحيحة [4] وتوراة عزرا . [5]

وبهذه المعادلة يكون عزرا هو المحرر الأساس و الأول للتوراة المنسوبة إليه ، و التي تعد الأصل للنسخ الثلاث المذكورة . وقد اعترف أحد الكهنة السامريين بأن عزرا وزر بابل[6] هما اللذان ابتدعا التوراة الجديدة الجديدة

---

[1] انظر المرجع المذكور نقلاً عن إفحام اليهود للسموأل ، ص ١٤٠ ، هامش رقم (١) .

[2] انظر المرجع السابق ، ص ١٤١ ، هامش رقم (١) .

[3] هداية الحيارى ، ص ١٤٢ .

[4] وقد ورد ذكرها على لسان حبرٍ قدِم إلى الرسول ﷺ واخبره بصفته فيها إلا أنها لم تشتهر .

[5] فضيحة التوراة ، ص٨٣ .

[6] إسم أكادي معناه " زرع بابل " أو " المولود في بابل" ، وهو شخص من بيت داود كان ذو أهمية لدى اليهود حيث رجعت أول دفعة من اليهود من بابل إلى أورشليم تحت إمرته وأقيم والياً في أورشليم فوضع أساس الهيكل . انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٢٥ .

ويتلخص دور زر بابل في أنه أقر التوراة التي كتبها عزرا ، وباركها .[1]

وإذا أخذنا بتلك الأقوال جميعها نستطيع أن ننتهي إلى أن كاتب الأسفار المقدسة أو"التوراة" هو "عزرا" الورَاق [2] أوالناسخ حيث كانت مهمته نسخ التوراة أو الشريعة وكتابتها . وقد ذهبنا إلى هذا القول بالاستناد إلى عدة أمورٍ تتلخص في :

أولاً : إعتراف كثير من علماء اللاهوت من اليهود أنفسهم .

ثانياً : شهادة الحبر شموئيل الذي أسلم وهو يهودي قد سبر أغوار الملة اليهودية وعرف أسرارها ثم شرح الله صدره للإسلام فقام بفضح ما أنطوت عليه مللهم وعقائدهم المنحرفة وتولى الرد عليهم . وقد كان مما أكده أن عزرا هو الذي كتب التوراة التي بأيدي اليهود على علم منهم بذلك.

ثالثاً : تأكيد محققي الإسلام وعلماءهم على أن عزرا هو كاتب أسفار اليهود .

رابعاً: تظافر المصادر التاريخية على أن كاتب الأسفار المقدسة لدى اليهود هو عزرا.[3]

وإذا تقرر لنا بأن"عزرا" هو كاتب التوراة بعد ضياع توراة موسى المنزلة أمكننا أن نصل إلى نتيجة أولية مفادها أن عزرا يُعد من أوائل من قال بالبداء على الله تعالى بما خطهُ من مروياته ومحفوظات الكهنة والتي مُلئت بمختلف الأساطير و الأحداث التي حوت مفاهيم و تصورات منافية للعلم الإلهي متأثراً فيها بمن سبقه من وثنيات الأمم والشعوب ، فمن هو عزرا ؟ .

"عزرا" :

---

[1] انظر: التاريخ مما تقدم عن الآباء نقلاً عن كتاب نقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٣.

[2] كما يسميه الإمام ابن حزم . انظر : الفصل ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ .

[3] وقد دلل بعض الكتاب على ذلك بأن جميع الأحداث التي يرويها الكتاب المقدس تنتهي ـ كما أسلفنا ـ إلى زمان "عزرا" وما قبله ، وبذلك يكون هو المؤرخ الحقيقي للجماعة اليهودية .

يذكر قاموس الكتاب المقدس بأن "عزرا" اسم عبري معناه : " عون" وهو اختصار لإسم عزريا وهو كاهن ابن سرايا لُقَب بالكاتب ، وكان موظفاً يحتل مكاناً رفيعاً لدى امبراطور الفرس ومستشاراً له في شئون الطائفة اليهودية التي كانت تُقيم في ما بين النهريين منذ أيام السبي، وقد تمكن "عزرا" من أن ينال عفو الإمبراطور عن اليهود وسماحهُ لهم بالعودة إلى القدس وإقامة حُكم ذاتي لهم في فلسطين .

كما قاد عزرا معه إلى فلسطين جماعة من اليهود، وصحب معهم عدداً من الكهنة للقيام بالواجبات الدينية في الهيكل، وحمل معه أموالاً وكنوزاً وفيرة لتأثيث الهيكل وتزيينه.

وعُرف عزرا في القدس بإخلاصه ونشاطه في سبيل طائفته التي كان كاهناً عليها وبذلك حاز ثقة وولاء الطائفة التي كان كاهناً عليها بحيث لم يعارضوه في أعماله وإصلاحاته ، التي من أبرزها إعادة كتابة التوراة كما يبدو .[١]

وقد قام عزرا بمجرد عودته إلى القدس بقراءة ناموس موسى أمام اليهود وتفسيره لهم بمعونة اللاويين مستعيناً بالترجمة الأرامية للأصل العبراني ، وهذا ما جعل اليهود المتأخرين عنه عدة أعصر يعتبرونه زعيماً لهم بعد موسى الذي أخرجهم من مصر ، ويعتبرونه أيضاً مُؤسس نظم اليهودية المتأخرة (أي التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد) ولقبوه بالكاهن وبالكاتب لأنه كان دارساً مجتهداً ومفسراً عميقاً لوصايا الله وعهده لبني إسرائيل وهو أول كاتب بهذا المعنى ، وقد تعاقبت الكُتَّاب من بعده حتى أصبح الربانيون اليوم يقومون مقام الكتبة في تلك العصور . [٢]

---

[١] ص٦٢١ .

[٢] وهذه هي حقيقة كُتَّاب " المشناوالجمارا" فهم مشرَعون وكتبة في وقت واحد ، لأن الكتابة التي عناها قاموس الكتاب المقدس هنا بمعنى التشريع والتفسير ، وليس النسخ والكتابة فحسب .

ويعتقد اليهود أن عزرا هو الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها ، وأنه هو الذي حمل إلى فلسطين الأحرف الآرامية المربعة الشكل كذلك [١]، كما يذكرون أنه أوصى بتنقية الدم اليهودي [٢] ، ووافقه الشعب على ذلك . [٣]

وكما رأينا فإن بعض اليهود يعترفون بأن عزرا هو الذي كتب التوراة ويسمونه "كاتب شريعة السماء "، في حين يؤمن البعض الآخر بأن هذه التوراة الموجودة اليوم إنما هي توراة موسى الأصلية وأنها لم تتبدل حرفاً واحداً [٤]. أما يهود السامرة فيؤكدون تعمد عزرا لتبديل التوراة وتعمده استبدال الحق بالباطل . [٥]

ثانياً : متى كُتبت الأسفار المقدسة ؟

١) تاريخ التدوين إجمالاً :

ينقل لنا صاحب كتاب " التوراة تاريخها وغاياتها " إجماع علماء الكتاب المقدس حول تاريخ تأليف الأسفار المقدسة بقوله : " إن علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل " . [٦]

---

[١] وهذا ما أكده علماء اللغات في عصرنا الحديث فقالوا بأن الخط العبري المستعمل عند اليهود في عصرنا الحاضر كان ابتداء استعماله من عصر عزرا الكاتب أي عهد رجوع سبي بابل ويطلقون عليه اسم : الخط الأشوري أو المربع .انظر على سبيل المثال كتاب نقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ، ص١٠٣ .

[٢] ولعل هذا ما يفسر عزلة اليهود عن سائر الشعوب الغير يهودية إذا ماأضطرت للتواجد والعيش معها على ارض واحدة . كما أن هذا يفسر أيضاً ما يذهب إليه اليهود من أن اليهودية هي العرق والدم لا الدين والعقيدة .

[٣] انظر : قاموس الكتاب المقدس ترجمة "عزرا" ، ص ٢٦١.

[٤] ولا أصدق من نبأ القرآن الكريم الذي أخبر بوقوع التحريف والتبديل فيها.

[٥] انظر : نقد التوراة ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

[٦] ص ٢٠ .

كما يذهب رفكن ـ وهو بروفسور وعالم لاهوت يهودي ـ إلى نفس النتيجة حيث ينقل عنه صاحب الكتاب الآنف الذكر قوله : " ظهرت فكرة التوحيد لدى اليهود ورسخت بناءً على مقتضيات معينة تاريخها محدد بدقة ، وهو تاريخ الكتبة الفريسيين في بابل ، أي حوالي العام ٤٠٠ قبل الميلاد ، وهي الفترة التي ألفوا فيها الأسفار الخمسة الأولى من التوراة " . [١]

ويمثل اعتقاد سبينوزا اليهودي أيضاً أن عزرا هو الكاتب للأسفار الخمسة اعترافاً منه بأن الأسفار جرى تأليفها في عصر النفي البابلي وما بعده لأن عزرا عاش خلال تلك الحقبة الزمنية ، و بالتالي فهو يعزو التراث اليهودي إلى عصر عزرا وما بعده .

تقول الموسوعة اليهودية : " وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين ـ أي منذ عصر السبي البابلي ـ منظمة حسب تعليمات الفريسيين ، كما أُعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية ، و أعطي وجه جديد للتشريعات السابقة " . [٢]

ويعلق صاحب الكتاب السابق بناء على المعطيات التي أوردها بقوله : " وبناءً على ذلك كله لا مناص أمامنا من الجزم بأن تاريخ اليهود مختلفٌ على نطاقٍ واسع ، وقد اختلقه المتآمرون البابليون وهدفهم خلق تقاليد قومية لها غاية قائمة بذاتها لدى المنفيين وذريتهم " . [٣]

وهذا يفسر لنا سبب تشويه عقيدة الألوهية وصفاتها في الأسفار التي أُلفت في فترة السبي البابلي إضافةً إلى ما أكده صاحب كتاب " صياغة التاريخ اليهودي " وهو يهودي وُجد في العصر الحديث ، حيث يذكر أن فكرة التوحيد وتطبيقها لدى اليهود لم ترتكز على أُسس دينية أو روحية بقدر ما ارتكزت على ضرورات سياسية و اقتصادية ، وذلك على إثر منافسةٍ شديدة على زعامة اليهود بعد النفي إلى بابل . [٤]

---

[١] ص ٨٠ .

[٢] نقلاً عن المرجع السابق ، ص ١٦ .

[٣] ص ٢١ .

[٤] التوراة تاريخها و غاياتها ، ص ٧٩ .

ومن خلال الكلام السابق تتأكد لدينا نتيجتين :

١) أن كتابة العهد القديم تأكدت دون أدنى شك في فترة السبي وما بعدها .

٢) أن الدافع من وراء تلك الكتابة التطلع لرياسة الشعب . وهذا ما قرره الإمام الجويني حين ذكره لسبب كتابة عزرا لتوراة اليهود ، وقد مر معنا قوله .

وأما بالنسبة لما تذكره المصادر الإسلامية حول تاريخ كتابة تلك الأسفار ، فيطالعنا قول الإمام ابن حزم : "وكانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس ، وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عام " . [١]

وهذا يعني أن تأليف الأسفار كان بعد العودة من السبي بفترة زمنية ، وهذه القول الذي ذهب إليه الإمام ابن حزم تؤيده الشواهد المختلفة ومنها :

١) ما يذكره بعض مفسري التوراة من أن الأسفار الخمسة تمت كتابتها في كنعان أو أورشليم . [٢]

٢) ما يذكره أحد كتاب الحضارة الغربيين ـ كما ينقل عنه الدكتور أحمد شلبي ـ من أن اليهود حين ذهبوا إلى بابل لم يكن لهم أدب مشترك معروف وليس هناك ما يدل على تعودهم تلاوة أي كتاب ثم لما عادوا إلى موطنهم عادوا ومعهم شطرٌ كبير من مادة العهد القديم التي جُمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد . [٣]

وما دام هذا هو حال التوراة من حيث التدوين والكتابة بعد الانقطاع الطويل [٤] فإنه لايمكن بحال إثبات السند ولا التواتر ، وفي هذا الصدد يذكر الشيخ رحمت الله الهندي عند رده على قصة عثور

---

[١] الفصل في الملل و النحل ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ .

[٢] انظر : إظهار الحق لرحمت الله الهندي ، جـ ١ ، ٦٣ .

[٣] اليهودية ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

[٤] حيث فقدت توراة موسى عندما أسر الفلسطينين التابوت الذي كان يحويها إذ كانت محفوظة فيه بأمر الله تعالى لموسى ، ثم لما استرجعوه منهم في منتصف عهد القضاة لم يفتحوه إلا في حكم سليمان عليه السلام الذي لم يجد أثراً للتوراة حين فتحه للتابوت ، وهذا أول تصريح من التوراة وشهادة منها بضياع توراة موسى المنزلة . انظر فضيحة التوراة ، ص ٩٠ ، وأخبار الأيام الثاني الإصحاح الخامس ، فقرة (١٠) .

حلقيا على كتاب التوراة في الهيكل في زمن يوشيا بن آمون بأن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون (٦٢٢) ق.م [١] والنسخة التي عُثر عليها وهو على رأس سلطته لا اعتماد عليها يقيناً ، ومع كونها غير معتمدة فقد ضاعت أيضاً غالباً قبل حادثة بختنصر .[٢]

والذي يُستفاد من معرفة انقطاع الإسناد هو عدم إمكان نسبة ماجمعهُ عزرا من مرويات و محفوظات إلى مصدر سماوي صحيح ، و بالتالي فلا مجال البتة لإعتقاد صحة جميع محتويات العهد القديم بإطلاق ، الأمر الذي يستلزم بالضرورة عدم اعتقاد وجود البداء و النصوص المنافية للعلم الإلهي بصورتها التي هي عليها اليوم قبل وضع عزرا للعهد القديم .

٢) التدوين الخاص بكل سفر :

لقد تمكنت دراسات اللاهوت الحديثة في المدارس المختلفة [٣] من الكشف عن بعض المعلومات التفصيلية للأسفار المقدسة بحيث أمكن تحديد تاريخ تدوين كل سفر على وجه التقريب ، كما كشفت النقاب عن المصادر التي يتكون منها العهد القديم ، و الأجزاء التي يتكون منها كل سفر .

لكننا سنكتفي بعرض تاريخ تدوين كل سفر بشكلٍ إجمالي دون الخوض في تفصيلات و تحليلات المذاهب والنظريات المختلفة ، إذ ليس هذا مجالها .

وسنبدأ في ذلك بعرض ما ذكره الدكتور علي عبد الواحد وافي مستنداً فيه إلى التحقيقات الحديثة فيما يتعلق بزمن تأليف كل سفر ، حيث يذكر أن سفر التثنية قد أُلِّف في أواخر القرن السابع

---

[١] انظر : الأسفار المقدسة قبل الإسلام لصابر طعيمة ، ص٦٢ .

[٢] انظر : إظهار الحق لرحمت الله الهندي ، جـ١ ، ص٦٠ .

[٣] مثل مدرسة نظرية المصادر و مدرسة فلهاوزن وغيرها ، انظر تاريخ نقد العد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث ، تحرير : زالمان شازار ، ترجمة أحمد محمد هويدي ، د . ط ، د . ت ، المجلس الأعلى للثقافة ، الصفحات من ١٢١ إلى ١٤٨ .

بينما أُلِّف كلٌ من سفري العدد و اللاويين في ما بعد عام (٥٨٧) قبل الميلاد وكل ذلك كان بأقلام يهودية .[١]

أما سفري التكوين والخروج فيذهب أكثر مفسرو الكتاب المقدس المحْدَثون من النصارى الكاثوليك والبروتستانت إلى أنهما قد كُتبا في القرن التاسع قبل الميلاد ، أي بعد ما يقارب ٤٠٠ سنة من موت موسى عليه السلام [٢] ، وهذا يكاد يُجمع عليه المؤرخون لليهودية، وبهذا يكون تدوين سفري التكوين والخروج في فترة متقدمة على بقية الأسفار الثلاثة .

كما يذهبون إلى أن سفر التثنية كُتب في القرن السابع قبل الميلاد ، أي بعد تأليف سفري التكوين والخروج بحوالي قرنين من الزمان ، بينما ألف كلٌ من سفري العدد و اللاويين في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد السبي البابلي بقرن أو قرنين .[٣]

هذا بالنسبة لما يتعلق بتدوين كل سفر على وجه الإستقلال ، بينما ثمة تصنيف آخر يهتم بذكر تاريخ تدوين الأسفار المقدسة حسبما ترجع إليه من مصادر . وقد أرجع كُتَاب العهد القديم وعلماء اللاهوت مصادر الكتاب المقدس إلى أربعة مصادر رئيسة .

مصادر العهد القديم :

لقد أثبتت الأبحاث العلمية في العصر الحديث أن التوراة ترتد إلى أربعة ينابيع شكَل كلٌ منها حقبة تاريخية متباينة، وقد تم تصنيفها إلى مصدرين جوهريين قديمين ، والثالث منفصل عنهما في مضمونه وزمانه ، والرابع وهو أحدثها تاريخاً [٤] ، و هي على النحو التالي :

---

[١] انظر : الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، ص١٧ .

[٢] انظر : فضيحة التوراة ، ص١٠٠ .

[٣] انظر : فضيحة التوراة ، ص١٠٠ ـ ١٠١ .

[٤] انظر: الفكر الديني اليهودي للدكتور ظاظا ، ص٢٦.

ـ المصدر اليهودي : وهو المصدر الذي أطلق فيه إسم "يهوه" علماً على الله تعالى ويرجع تاريخ تدوينه إلى القرن التاسع قبل الميلاد ورواته كانوا من مملكة يهوذا الجنوبية .

ـ وأما المصدر الثاني فهو المصدر الذي يحمل اسم "ألوهيم" علماً على الحق تبارك وتعالى ، وقد دُوَن في القرن الثامن قبل الميلاد ، ورواته كانوا من مملكة الشمال الذين حرصوا على تمييز المعبود بإسم " ألوهيم" حسب التسمية التقليدية القديمة التي كانت شائعة إلى زمن ظهور موسى عليه السلام حسب إعتقادهم .[1]

ـ وأما المصدر الثالث فهو مصدر تثنية الشريعة وقد تم تدوينه في القرن السابع قبل الميلاد [2] ثم أُعتبر جزءاً من توراة موسى سنة ٦٢١ق.م.[3]

ـ والمصدر الرابع عبارة عن حواشي الكهنة الذي يرجع تدوينه إلى القرن الخامس ق.م وإلى النصف الأخير منه على التحقيق ، وهذه الحواشي أُضيفت إلى نص التوراة بعد العودة من السبي البابلي . [4]

ولا يخفى التفاوت الزمني الكبير بين المصادر مما يجعل التسليم بأن تأليف التوراة استغرق قرابة السبعة قرون تقريباً – على رأي أغلب نقَاد العهد القديم– [5] أمراً وارداً.

---

[1] انظر: المرجع السابق ، ص٢٦ — ٢٧.

[2] وهذا ما ذهب إليه الدكتور وافي في كتابه الأسفار المقدسة ، ص١٧، والدكتور الهاشمي في فضيحة التوراة ص١٠٠ ـ ١٠١ .

[3] على أن هناك من نقاد العهد القديم من لا ينسب إلى موسى عليه السلام سوى سفر التثنية ، وهناك من لم ينسب إلى موسى عليه السلام شيئاً من الأسفار سوى الوصايا العشر فقط ، وهناك من شكك حتى في نسبة الوصايا العشر إلى موسى عليه السلام ! !

[4] انظر: الفكر الديني اليهودي ، ص٢٧–٢٨.

[5] انظر : فضيحة التوراة ، ص٩٢.

وإذا تقرر معنا كل ما تقد م أمكننا الوصول إلى النتائج الآتية :

أولاً: أن "عزرا" كاتب التوراة بعد فقد توراة موسى عليه السلام يُعد من أوائل من قال بالبداء على الله سبحانه وتعالى مُذ خطت يده نصوصاً يصف الخالق – وحاشاه تعالى – بالجهل والنسيان وسائر ما من شأنه إيهام اعتقاد النقص في حقه تعالى .

ثانياً : أن ما نُسب إلى عزرا من الأسفار يُثبت البداء لله تعالى .

فهو من الأوائل الذين ابتدعوا القول بالبداء على الله تعالى من خلال ما وضعوه لليهود من مرويات وقصص وحوادث مُضافاً إليها محفوظات الكهنة وحواشيهم فيما عُرف بتوراة "عزرا"ـ بعد ضياع توراة موسى عليه السلام قبيل حادثة السبي ـ ، والتي أُنتسخ منها مما كان محفوظاً لدى الكهنة بعد ضياع نسختها الأصلية . و على هذا فكثير مما هو موجودٌ في الأسفار الحالية من ضلالات وأباطيل و أساطير[1] تخالف الشرع وتعارض العقل ، إنما يعود بأصله إلى ما كتب من النسخ عن تلك التوراة الضائعة ، و بهذا يكون عزرا هو الأصل في القول بهذه العقيدة لكثيرٍ ممن جاء بعده .

وأما بالنسبة لتاريخ وجود تلك العقيدة في أسفار التوراة فيرجع إلى وقت تدوين تلك الأسفار سواء بالنظر إلى الفترة الإجمالية لبدء التدوين وهي ما بعد عام ٥٨٦ ق.م . وقبل ٤٤٤ق.م– وهو التاريخ الذي توفي فيه عزرا– أو بالنظر إلى زمن تأليف كل سفر وبذلك يمكننا تقسيم النتيجة إلى :

أ– نتيجة عامة باعتبار الفترة التاريخية للتدوين إجمالاً ، وهي ما بعد عام (٥٨٦ق.م) كما سبق وأن أشرنا آنفاً. وهنا يمكننا أن نعتبر ابتداء عزرا بتدوين التوراة هي النواة الأولى التي بُني عليها ما بعدها.

ب– نتيجة خاصة باعتبارين الأول : باعتبار الفترة التاريخية التي دُونَ فيها كل سفر حيث يمكننا القول بأن عقيدة البداء وُجدت في كل سفر بحسب زمن تدوينه بغض النظر عن باقي الأسفار ، وإذا بنينا على هذا القول أمكننا أن نتوصل إلى أن عقيدة البداء وُجدت في كل من سفري التكوين والخروج في القرن التاسع قبل الميلاد بينما تأخر وجودها في

---

[1] وهي وأن وجد فيها بعضاً من بقايا الحق إلا أنه لايقارن بما فيها من الفساد والبطلان .

سفر التثنية إلى القرن السابع . وفي سفري العدد واللاويين وُجدت عقيدة البداء في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد.

د _ باعتبار المصدر الأقدم فيكون المصدر اليهوي هو المصدر الذي حوى عقيدة البداء أولاً باعتبار قِدم تأليفه حيث أُلف في القرن التاسع قبل الميلاد ، كما يُنسب البداء الموجود فيه إلى رُواة مملكة يهوذا الجنوبية وليس إلى عزرا .

وهذا في حال ما إذا أردنا إرجاع تاريخ تلك العقيدة بحسب وجودها في الأسفار التي تضمنتها على وجه الإستقلال بالنظر إلى تاريخ تدوين كل سفر .

وإذا تقررت هذه النتيجة أمكننا القول بأن عقيدة البداء على الله تعالى قد ضربت بجذورها في كتب الملة اليهودية ، وأوغلت إيغالاً يرجع في قِدمه وتاريخه إلى ما يقارب الألفين والسبعمائة عام وزيادة . ولعل هذا ما يعلل لنا فشل اليهود في الإنفلات من عقالها مهما حاول فلاسفتهم وعلمائهم ذلك إذ لاسبيل إلى نكرانها ونفيها نفياً تاماً البتة ، ولكن بالتوفيق بين ماهو مسطور وما هو مطلوب من التنزية مما استفادوه من تنزيه المسلمين لله تعالى ، ولا سبيل إلى جحودها وإنكارها من أصلها إلا بجحود وإنكار تلك النصوص والأسفار التي حوتها وهذا لايكون.[1]

---

[1] وفي الحقيقة أن هناك عامل أساس يضُاف إلى عامل تواجد عقيدة البداء في الأسفار المقدسة اليهودية ، وهذا العامل هو الذي جعل موسى عليه السلام يحكم عليهم بالجهل في قوله الذي حكاه لنا الله تعالى على لسانه عليه السلام :(إنكم قومٌ تجهلون) الأعراف(١٣٨) ، ألا وهو غلبة الحس والمادة على العقل اليهودي إضافة إلى عامل أساس وهو إعمال العقل في إطار الغيب والذي لا يُدركُ إلا البداء .

المطلب الرابع

الأدوار التي مرت بها عقيدة البداء في كتاب اليهود المقدس

إنه على الرغم من وجود عقيدة " البداء" منذ وقتٍ مبكر في الأسفار اليهودية إلا أنها لم تكن قد تبلورت بالمفهوم الذي هي عليه الآن كعقيدة تلقى جانباً من الأهمية والجدل والنقاش ، لسبب بسيط وهو أن سيطرة المادية والحسية على العقل اليهودي حال دون فهم ذلك العقل لما يجب ومالا يجب في حق الإله وما ينبغي له من التنزيه وما لايليق به من التجسيم والتشبيه والتجسيد، فهم لم يشعروا بأن تلك الأسفار تحتاج إلى مزيد من التنقيح والتهذيب ولم يشعروا بوجود خلل أصلاً وذلك يعود إلى :

١) مادية العقل اليهودي وحسيته كما سبق وأن أشرنا وإعماله فيما لا ينبغي له كالبحث في المسائل الغيبية .
٢) أن اليهود وضعوا كل ثقتهم في "عزرا" حتى سموه " كاتب شريعة السماء" ،ومادام قد زعم إلهاميتها فقد قُبلت بما فيها دون أدنى معارضة أو إنكار .
٣) أن الهدف الأساس من وراء تأليف الأسفار كان خاضعاً لغرضٍ دنيوي لا ديني .

ولم يستفق العقل اليهودي إلا على إثر النقد القرآني الواسع لما في التوراة والأسفار المقدسة من عقائد فاسدة وضلالات لايمكن لكتاب مقدس موحاً به من عند الله تعالى أن يحتويها .

غير أن اليهود ورغم ذلك لم يعنوا في ذلك الوقت بتصحيح ما في كتبهم من فساد ، وجاءت أولى المحاولات متأخرة عن تلك الفترة بما يزيد على القرنين من الزمان ، وقد تزعم تلك المحاولة سعدي الفيومي بمنحاه العقلي في تفسير التوراة حتى أصبح رأساً لكل من جاء بعده من المفسرين والأحبار

والفلاسفة [1]، وفي هذا يقول الكاتب اليهودي إسرائيل ولفنسون: " كان أول من أتصل بالفلسفة الإسلامية من اليهود سعديا الفيومي منذ القرن الثاني الهجري". [2]

على أنه يتوجب علينا – وحتى تصح المعادلة – أن نضيف فترةً تاريخية أخرى لعقيدة البداء في الأسفار اليهودية وبذلك تصبح الأدوار أوالفترات التاريخية التي مرت بها عقيدة البداء ثلاثة نجملها فيما يلي :

أولاً : مرحلة العدم : وهذه الفترة تمتد من بداية عصر الرسالة الموسوية إلى قبيل إشاعة ضياع التوراة من تابوت العهد أو إلى حادثة دمار أورشليم التي قادها "بختنصر" وقتل فيها الهارونيين من بني لاوي الذين وُكل إليهم حفظ التوراة وهذه الفترة تمتد مابين ١٣٠٠ ق.م إلى ١٠٥٠ق.م [3] ، أي ما يقارب القرنين من الزمان .

ففي هذه الفترة لم تزل التوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام محفوظة لم يتطرق إليها التحريف والتبديل وهي التوراة الحقة التي أخبرنا عنها الحق تبارك وتعالى أنه أنزلها ، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ المائدة (٤٤) ، وقال تعالى:﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلاً ﴾ الإسراء (٢). وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء (٤٨).

---

[1] وهذا واضح في فلسفة ابن ميمون حيث تأثر بسعدي الفيومي وسار على منواله في تفسير التوراة معتمداً في ذلك على الطرق الفلسفية . انظر : موسى بن ميمون لإسرائيل ولفنسون .

[2] موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته ، للدكتور إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .ص٥٨ –٥٩ .

[3] وهذا حسبما يذكر مؤرخو الكتاب المقدس إذ يذهبون إلى أن ضياع التوراة من تابوت العهد كان في هذه الفترة ١٠٥٠ق.م ، وإذا علمنا أن بين موسى وعيسى عليهما السلام ما يقارب ثلاثة عشر قرناً من الزمان وهو ما يذكره علماء اللاهوت ، أمكننا أن نحدد عصر الرسالة الموسوية على وجهٍ تقريبي . والعلم عند الله عز وجل فهو أعلم بذلك .

ونحن وإن كنا لا نستطيع الجزم بذلك تماماً على وجه القطع ، ولكن يمكننا الجزم والقطع بأنها وإن دخلها شئ من التغيير فهو ليس بالدرجة التي هي عليها اليوم ، وربما يشير رأي الإمام السموأل إلى هذا المعنى حيث يقول: " ولسنا نرى أن هذه الكفريات ، كانت في التوراة المنزلة على موسى صلوات الله عليه " .[1]

ويقول أيضاً في موضع آخر مبيناً أن موسى عليه السلام كان قد حفظ التوراة ولم يبدها لليهود ـ بأمر من الله تعالى ـ مما يؤكد أنها قد حفظت أو أكثرها في ذلك الوقت إلى وقت دمار الهيكل من أن يداخلها شيء من التحريف أو التبديل ، يقول النص: "..وأيضاً فإن هذا دليل على أن موسى لم يعطِ بني إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة ، فأما بقية التوراة ، فدفعها إلى أولاد هارون ، و جعلها فيهم ، و صانها عن سواهم . و هؤلاء الأئمة الهارونيون ، الذين كانوا يعرفون التوراة ، و يحفظون أكثرها ، قتلهم بخت نصَّر على دمٍ واحد يوم فتح بيت المقدس".[2]

وبعد هذا فمحال أن يعتقد معتقدٌ بأن عقيدة "البداء" كانت قد وجدت قبل فترة الإنحراف العقدي الذي أصاب اليهودية في العهود الأولى ، إذ قد وصف الحق تبارك وتعالى توراة موسى بالنور والهدى والضياء والفرقان والذكر ، ومحالٌ لكتابٍ موحىً به من عند الله تعالى ومشتمل على تلك الأوصاف الكريمة أن يحوي عقيدة فاسدة ضالة كعقيدة البداء أو أن يحوي مناقضات للعقل فضلاً عن أن يطعن في عقيدةٍ هي من الأهمية بمكان كعقيدة الإلوهية التي ما أتت الأديان والشرائع السماوية إلا لتقريرها في النفوس بصورتها البيضاء الناصعة في مقابل ما اعتراها من تشويه وتضليل .

ثم إن الأديان متفقةٌ في أصول عقائدها وإن اختلفت شرائعها بحسب ما تقتضيه أحوال أممها فلا مجال إذن لاعتقاد خلاف ذلك فيما حوته تلك الكتب المنزلة الصحيحة من أصول العقائد .

---

(1) إفحام اليهود ، ص١٣٥.

(2) المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

ثانياً : مرحلة الوجود كتدوين : وهذه هي الفترة التي وُجدت فيها عقيدة البداء كتدوين أحتل مكانهُ بين سائر العقائد الأخرى التي ضمها الكتاب التوراتي ، وهذا الوجود ممثلٌ في تلك النصوص التي حوت القصص والأساطير المختلفة .

ويمكن القول بأن هذه المرحلة غلب عليها الاهتمام بالسرد التاريخي والسرد القصصي أكثر من الاهتمام بأصول العقائد من أن يشوبها تحريف أو نقص .

وهذه المرحلة تمتد تقريباً من الفترة التي بدأ فيها عزرا تدوين التوراة – أي ما بعد ٥٨٦ ق.م[1] وحتى القرن الثامن أو التاسع من الميلاد أي ما ينيف على الألف عام ، وإنما ذكرنا ذلك على وجه التقريب لأن ذكرنا لهذه المرحلة لاينفي وجود كتابات يهودية محرفة ومنحرفة سابقة عليها .

ثالثاً: المرحلة التي تم فيها الإلتفات إلى "البداء" الموجود في الأسفار المقدسة كعقيدة ، وهذه هي المرحلة التي تبلورت فيها عقيدة البداء وابتدأ علماء اليهود و فلاسفتهم محاولات التنزيه بإثبات صفة العلم الإلهي على غرار ما هو موجود في التصور الإسلامي ، نتيجة ما وجهه إليهم علماء الإسلام من انتقادات وردود على ما في كتبهم من عقائد فاسدة لا تصح ، فظهرت أول محاولة للقضاء على نزعات التشبيه الواردة في العهد القديم على أساسٍ من التوفيق بين الدين و العقل .

كما ظهرت كذلك بصورة جلية في خضم الجدل و النقاش الذي كان قائماً بين المسلمين واليهود حول قضية النسخ ، إذ كانت من بين الدعاوى التي تشبث بها اليهود لإنكار نسخ الشرائع ، بهدف إنكار نبوة محمد ﷺ .

---

[1] ولابد من التنبيه هنا على أن الفترة الواقعة قبل هذا التاريخ إنما كانت فترة انقطاع عن الوحي المكتوب، فلم يكن هناك إلا المرويات الشفوية ، وظل الحال على ماهو عليه من انقطاع من عـــام ١٠٥٠ق.م إلى ٥٨٦ ق.م، أي أن فترة الانقطاع دامت خمسة قرون تقريباً . وجدير بالذكر أن هذه المرويات الشفهية قد يكون فيها بعض مالا يصح في العقيدة الإلهية على وجه الخصوص غير أننا لايمكنننـــا الحكم عليها لافتقادها التوثيق .

و كان أبرز من تناول ما في تلك الكتب بالنقد والتمحيص على نطاق واسع هو الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى، حيث بين معنى تلك العقيدة الضالة وما تتضمنه من إلحاق النقص بالخالق جل و علا بمنافاة علمه الإلهي ، كما رد على دعاوى اليهود بكون النسخ في الشرائع من البداء عليه تعالى ، فبين الفرق بين النسخ و عقيدة البداء المنافية لعلم الله تعالى ، كما أوضح أن في توراتهم ونصوصهم التوراتية ما هو أشد من النسخ الذي أنكروه .

وهذه المرحلة تمتد من الفترة الزمنية التي تم فيها الإلتقاء الفكري المتسم بالجدل والنقاش بين الإسلام واليهودية بصورة أوضح .

وكل ما سبق معنا من الكلام على المراحل التي مرت بها عقيدة البداء في الأسفار المقدسة إنما هو على وجه التقريب لا الجزم والعلم عنده تعالى .

لكن قد يقول قائل بأن عقيدة البداء لا تمنع أن تكون قد وجُدت منذ عصر موسى عليه السلام بدليل حصول ماهو أشنع منها كعبادة العجل وطلب صنع آلهة من موسى عليه السلام فنقول :

أما من حيث العقل فغير ممتنع حدوث ذلك الزيغ أو الضلال بإعتقاد البداء عليه تعالى ، غير أننا لا نسَلم بوقوع ذلك شرعاً كيف لا ونبيهم بين أظهرهم يبين لهم الحق والصواب والأنبياء كما نعلم معصومون في تبليغ ما يتلقونه من الوحي . وما أرسلوا إلا لتعريف الناس بخالقهم سبحانه وتعالى ليعبدوه على الوجه الأكمل ، فلا يتصور إذاً أن تتواجد في عصر النبوة عقيدة ضالة فاسدة كعقيدة البداء وتتواتر ولا تلقى من يبَين عوارها من العلماء الربانيين فكيف بالأنبياء المؤتمنين على الوحي والرسالة.

على أننا لا نستطيع الجزم بأن تلك الفترات التي سبقت لاسيما الدور الثاني من أدوار البداء لم يداخلها شئ من النكير على تلك العقائد الضالة بالدعوة إلى التنزيه الصحيح ، وخصوصاً في الفترات التي اتفق فيها وجود الأنبياء والمصلحين وهذا يدفعنا إلى القول بأن زمن كل نبي كان يشكل صحوةً دينية في تاريخ الدين اليهودي لكن السؤال الأهم هنا هو: هل كانت تلك الصحوات الدينية تلقى إستجابة وقبولاً من قبل الإسرائيليين أم لا ؟

وقبل أن نشرع في تقديم الإجابة على مثل هذا التساؤل حريٌ بنا أن نستمع إلى ما حكاه القرآن الكريم عن مواقفهم حيال أنبيائهم ، وحيال دعوات الإصلاح :

يقول الله تعالى : ﴿ ..وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ البقرة (٦١).

ويقول عز من قائل حكيم عليم :﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة (٨٧) . ويقول:﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ آل عمران (٢١٣). وكذلك قوله تعالى :﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ النســاء (١٥٥) وغيرها من الآيات الكريمة .

وبعد هذا النبأ القرآني نستطيع القول بأن تلك الدعوات النبوية إلى الإصلاح لم تلق آذاناً صاغية أو قبولاً لدى الإسرائيليين ـ لاسيما الأنبياء الذين جاءوا في فترة السبي وما بعدها ـ و إنما قوبلت بالصدود والإعراض والتكذيب تارة والجرأة على قتل الأنبياء تارة أخرى .

ولو أن تلك الدعوات لاقت آذاناً صاغية أو قلوباً واعية لما وصل إلينا شئ من تلك الضلالات أو على الأقل لكان شيئاً يسيراً . لكن ماهو مشاهد وواقع فعلاً يخالف هذا القول تماماً .

وليس العجب من ذلك فحسب بل العجب كل العجب أنه في الوقت الذي تنضح فيه أسفار اليهود بتلك العقيدة الضالة نجدهم ينكرون النسخ لأنه – كما يزعمون – يوجب اعتقاد البداء على الله تعالى !!

وما وقعوا فيما وقعوا فيه من إنكار النسخ إلا لأحد أمرين :

الأول / الخلط بين البداء والنسخ وهذا الخلط ناجم عن الجهل بمعنى كلٍ من البداء والنسخ .

والثاني / أنه لاسبيل إلى جحد نبوة محمد ﷺ إلا بإنكار نسخ الشرائع ولو أقروا بوقوع النسخ للزمهم الإيمان به ﷺ وبكتابهِ القرآن الكريم ، وهذا مالا يريدونه .

وأدل شاهد على هذا أنهم يقرون بوجود النسخ في كتبهم ، ويقرون بأنه سيأتي نبي تكون شريعته ناسخة لشريعة موسى عليه السلام ، ولكنهم لايُقرون بكونه عربي من بني إسماعيل ! !

ولقد كانت ردود علماء الإسلام عليهم مفحمة وشافية لاسيما ماجاء عن الأمام السموأل المغربي في كتابه "إفحام اليهود" حيث ذكر حججاً وبراهين لايمكن أن يطلع عليها إلا من سبر أغوار تلك الملة وعرف تفاصيلها ودقائقها ، كيف لا وقد كان حبراً جهبذاً جمع علوم العبرية والعربية على حدٍ سواء حتى صار بحراً فيها .

المبحث الثاني

موقف فلاسفة اليهود من البداء

وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : موقف فيلون الإسكنـــدري من البـــداء .
المطلب الثاني: موقف سعدي الفيومي من البـــداء .
المطلب الثالث: موقف موسى بن ميمون من البـــداء .
المطلب الرابع: موقف هرمن كوهن (أبرز فلاسفة العصر الحديث) من البداء .

المبحث الثاني

موقف فلاسفة اليهود من البداء

لقد تباينت الآراء الفلسفية اليهودية حول مفهوم العلم الإلهي تبايناً كبيراً ، وتعددت حسب تعدد البيئات المختلفة التي وُجد فيها ، فمن الفكر الفلسفي الفيلوني الذي تأثر بالفلسفة اليونانية حيث حاول التوفيق بين اليهودية والفلسفة اليونانية، إلى الفلسفة الفيومية والميمونية اللتين تأثرتا بالفكر الفلسفي الإسلامي والمتكلمين المسلمين ، وإلى فكر كوهين الذي يمثل فلسفةً يهودية معاصرة ذات طابعٍ أوروبي .

وفيما يلي سنلقي الضوء على أبرز فلاسفة اليهود الذين كان لهم أثر واضح في التاريخ الديني اليهودي لمعرفة آراءهم في صفة العلم الإلهي ومعرفة مواقفهم من ثمّ من عقيدة البداء الواردة في كتابهم المقدس .

المطلب الأول

فيلون السكندري

هو فيلون السكندري أو الإسكندري أكبر ممثل للفكر اليهودي المثقف باليونانية في عصره ، وُلد بالإسكندرية (٢٠ ق . م) لأسرةٍ ثرية و عاش بها و تعلم ، و دراسته يونانية كلها .[1]

---

(1) انظر : موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص ١٦٤ .

كان وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية و خصوصاً عند أفلاطون حتى لُقِّب بالأفلاطوني أو أفلاطون اليهود [١] ، وقد بلغ من تأثره بالثقافة و الفلسفة اليونانية أن تحلل من قيود الشريعة اليهودية بالتأويل .[٢]

كما قام بشرح التوراة باليونانية و كان غرضه من ذلك تقريبها للمفكرين اليونان ، و إثبات أن في كتاب اليهود فلسفة أقدم وأسمى من فلسفتهم [٣] ، و هذا ساعد على التقريب بين اليونانية و اليهودية بعض الشيء مما دفع مختلف مؤرخي اليهودية لأن يعدوه أقدم وأبرز فلاسفة اليهود على الإطلاق .

يقول الأستاذ العقاد : " و أقدم فلاسفة اليهود الذين أسسوا قنطرة الاتصال بين الدين و الفلسفة هو و لاشك فيلون الإسكندري " [٤]، ويقول الدكتور عبدالرحمن بدوي : " أول فيلسوف يهودي جمع بين الفلسفة و اللاهوت " .[٥]

موقفه من البداء الموجود في العهد القديم :

يمكننا تلمس آراء فيلون من البداء الموجود في العهد القديم من خلال عرض موقفه من صفة العلم الإلهي نفياً و إثباتاً ، حيث سيكشف لنا ذلك عن ما إذا كان ممن يثبت العلم الإلهي ، و بالتالي سيكون موقفه موقف الرافض لمختلف نصوص البداء الموجودة و إن لم يصرح بذلك الرفض . أو ممن ينفي العلم الإلهي فيكون موقفه متمشياً تماماً مع ما هو مسطور في كتاب العهد القديم ، و بالتالي يكون ممن لا يعتقد اتصاف الخالق تعالى بصفة العلم على الوجه الذي يليق به عزوجل وهذا يشكل خللاً كبيراً في الإعتقاد .

---

[١] انظر : وعد التوراة من إبرام إلى هرتزل ، للدكتور موسى مطلق إبراهيم ، د. ط ، د . ت ، دار أمواج ، نسخة محفوظة بمكتبة الحرم المكي الشريف .

[٢] انظر : موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص ١٦٤ .

[٣] المرجع السابق نفس الصفحة .

[٤] الله لعباس محمود العقاد ، ط ٣ ، ٢٠٠٣م ، نهضة مصر ، القاهرة ، ص ١١٤.

[٥] موسوعة الفلسفة للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، جـ ٢ ، ٢١٩ .

آراؤه في صفة العلم الإلهي :

لعلنا نبتدئ حديثنا عن آراء فيلون في صفة العلم الإلهي بذكر أهم المبادئ التي ترتكز عليها فلسفته عن الله تعالى ، و التي يمكننا أن نتبيَّن من خلالها بعض ملامح فلسفته في صفة العلم الإلهي ، و أهم هذه المبادئ :

١) **مبدأ العلية.**

٢) **مبدأ أو فكرة اللامتناهي .**

٣) **مبدأ اللوغوس أو الكلمة .**

وفيما يلي نتناول كلٍ منها بشيء من البيان .

أولاً : مبدأ العلية :

يرى فيلون أن الله هو العلة الأولى للعالم و أنه الخالق له و المعني به ، و أنه هو الموجود حقاً [(١)]، وهنا يمكن تلمس جوانب الإثبات للعلم الإلهي من خلال نقطتين :

الأولى : القول بمبدأ العناية الإلهية ، و معلوم أن العناية تتطلب تمام العلم بالشيء المعتَنَى به ، و هذا المبدأ يتأتى القول به كسبيل للإستدلال على صفة العلم الإلهي إذا قلنا بمبدأ العناية المباشرة من الله تعالى لهذا الخلق أو العالم ، أما في حال القول بفكرة الوسائط بين الله و المادة ـ كما سنرى ـ فإن النتيجة ستكون عكسية تماما الأمر الذي يستلزم اعتقاد الجهل في حقه تعالى و هذا مناقضٌ لعلمه الإلهي المحيط .

الثانية : عند توسيعه لمفهوم تلك العناية ليشمل العالم باعتبار أن الله تعالى إلهٌ و خالق للعالم أجمع و ليس لبني إسرائيل فحسب ، و هذا القول يستلزم اعتقاد شمول عنايته و بالتالي شمول علمه بخلقه و ليس كما ذهب إليه ابن ميمون حين قال بالعناية النوعية لما سوى الإنسان ، غير أن فيلون قد ناقض نفسه فيما ذهب إليه من آراء .

---

(١) انظر : موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص ١٦٦ .

أما مناقضته للعلم الإلهي فتتبدى من خلال قوله بمبدأ العِلية و أن الله هو العلة الأولى لهذا العالم، ومعلومٌ أن القول بالعلية مستلزم لنفي الإرادة و الإختيار عنه تعالى ، و نفي الاختيار مستلزمٌ لنفي العلم بالضرورة وهذا محالٌ في حقه عزوجل لأنه فاعلٌ للعالم و مختارٌ في فعله و ليس بعلةٍ له .

و يتبدى مفهوم العلية عند فيلون بوضوح في تصنيفه لأنواع عِليَّة الله ـ تعالى علواً كبيرا ـ فيذهب إلى أنها نوعان :

١) **عِليَّة مطلقة** تتجلى في كونه الخالق للعالم أو المادة من العدم ، أما عن كيفية ذلك الخلق فيذكر بأنه تعالى ولدها كما يلد العقل أفكاره [١] و في هذا مناقضةٌ و منافاةٌ للعلم لأن تولد أفكار العقل عملية غير اختيارية غالباً و بالتالي لا يمكن توهم إثبات العلم الإلهي وفق نظرية التولد هذه .

٢) **عِليَّة نسبية** و تتجلى في كونه الصانع الذي خلق الأشياء و لم تكن من قبل ، فالعالم المحسوس نتيجة تنظيم الله لهذه المادة عبر الوسطاء بين الله و المادة .[٢]

و هنا أيضاً منافاةٌ لكمال العلم الإلهي لأن قيام مبدأ العناية و التنظيم على فعل الوسائط مستلزمٌ لإخراج ذلك كله عن فعل الله تعالى ، و الفعل إنما هو مستلزمٌ لتصور الفاعل لما سيفعله أي علمه بالشيء المفعول لأن التصور هو العلم ، فكيف إذا كان الفعل مقصوداً كعملية التنظيم و العناية فالتصور هُنا في حق المعتني و المنظِّم آكد وأولى ، وهذا لا يوجب القول بإثبات العلم الإلهي فحسب و إنما يوجب إثبات العلم بالجزئيات على وجه الخصوص ، وهو مستلزمٌ تباعاً لإثبات العلم بالكل .

فحسب فلسفة فيلون يكون علم الله تعالى متعلقٌ بما صدر عنه وهم الوسطاء أو العقل دون غيرهما ، و في هذا منافاةٌ لعلمه الإلهي تبارك وتعالى ، ونسبةٌ للجهل إليه بأكثر الخلق أو المعلومات لأن من المعلوم أن المعلومات الجزئية أكثر عدداً من المعلومات الكلية .

---

[١] انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

[٢] انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

ثانياً : مبدأ أو فكرة اللامتناهي :

يُطلق فيلون على الله تعالى وصف اللامتناهي في مقابل المتناهي أو المحدود . و اللامتناهي عند فيلون هو الحاوي لصفاتٍ لا حصر لها و بالتالي فهو أعلى درجةً من المتناهي الذي يشتمل على عددٍ محدودٍ من الصفات .[1]

و إيجاب فيلون للامتناهي لأن يتصف بصفاتٍ لا حصر لها يجعلنا نؤكد اعتقاده اتصاف الله تعالى بالعلم لأن صفة العلم ستكون ولا شك من بين جملة الصفات التي يميل فيلون لإثباتها للامتناهي .

و لعل الأمر يزداد وضوحاً إذا استعرضنا طريقة فيلون في الإثبات حيث يعتمد طريقتين :

١) **الوصف بالكمال :** و هذا يتجلى في آرائه حيث يرى أن الله يشمل كل الصفات الكمالية الممكنة أو الموجودة ، و ليس هذا فحسب و إنما يجب أن تكون ممثلة لكمال الله إلى أعلى درجة. فإذا وصفناه بالعلم فيجب أن يكون هذا العلم أعلى درجةً من العلم .[2]

٢) **منهج المماثلة أو التمثيل :** بمعنى أننا يجب أن نضيف إلى الله تعالى الصفات الرئيسية التي تكوِّن صفات الكمال في الإنسان .[3]

و على هذا فإننا إذا قسنا ذلك المنهج على صفة العلم فإنه لابد لله تعالى من الإتصاف بها ، لأن العلم صفة كمال في الإنسان و بالتالي فهي صفة رئيسية لابد من إضافتها لله تعالى .[4]

لكن فيلون لم يستقر على منهج الإثبات و إنما ناقض نفسه بما ذهب إليه من وصف الإله بالصفات السلبية

---

[1] انظر : موسوعة الفلسفة للدكتور عبدالرحمن بدوي ، جـ ٢ ، ص٢٢١ ، ٢٢٢ .

[2] انظر : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣ .

[3] انظر : المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

[4] انظر : المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

كما ناقض نفسه حين مال إلى القول بأن الله هو الموجود بلا كيف و لا صفة [1] ، و هذا يلزم منه إثبات صفة الوجود فحسب الأمر الذي يستلزم نفي كل صفةٍ عداها .

ثالثاً : مبدأ اللوغوس أو الكلمة :

تكمن أهمية الحديث عن "اللوغوس" أو الكلمة عند فيلون في كونه يعده تارة صفة من صفات الله تعالى هي العلم ، وتبعاً لهذا فهو جانبٌ من الله و شيءٌ باطنٌ فيه .[2]

وإذا اعتمدنا على هذه النظرية الفيلونية نستطيع القول بأن فلسفة فيلون تثبت علم الله تعالى ، و هذا مستلزمٌ لرفضه مختلف صور البداء الواردة في العهد القديم .

أما فكرة اللوغوس أو الكلمة من حيث هي عند فيلون ، فيُعبر عنها بأنها الوسائط أو القوى الإلهية التي من خلالها يفعل الله أو يخلق .[3]

وعلى هذا فالله تعالى يفعل عن طريق الوسائط التي هي عبارة عن القوى الإلهية ، و هي تارة عبارة عن صفة العلم الإلهي و هي جزء داخل في الله تعالى ، وهذا القول مستلزمٌ للقول بالأزلية غير أن فيلون يرى ماهو خلاف ذلك فليس "اللوغوس" عنده أزلياً و إنما هو تارةً صادرٌ عن الله تعالى صدوراً خارجياً بمعنى أنه ليس صفة حالة فيه و إنما شيء منفصلٌ عنه و في مرتبة دنيا بالنسبة إليه .[4]

ومجمل القول أن فلسفة فيلون قد تناقضت و اضطربت حول فكرة اللوغوس ، فتارةً هو شيء داخلي قائم بالإله وهي صفة العلم ، و تارةً هو شيء خارجي صادر عن الله و منفصلٌ عنه .

---

[1] انظر : نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ .

[2] انظر : نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ .

[3] انظر: نفس المرجع و الجزء و الصفحة .

[4] المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

وهذا الإضطراب في فلسفة فيلون حول اللوغوس أدى بأقوال شُرَّاح فلسفته لأن تضطرب هي أيضاً ، فحاول البعض منهم الربط بين اللوغوس و بين الكلام الإلهي و التوفيق بين المبدأين ، وذلك بأن قالوا بأن كلام الله عند فيلون ينقسم إلى قسمين : نفسي هو اللوغوس باعتباره العلم كصفة من صفات الله ، و إلى كلام خارجي وهو اللوغوس بوصفه الصورة المعقولة التي هي نموذج للأشياء ، و ذلك في الوقت الذي لا يرى آخرون فرقاً بينهما عنده .[1]

و هذا يحتم القول بنوعين من " اللوغوس" الفيلوني أحدهما صفة العلم ، و الآخر هو المعلومات المتعلقة بذلك العلم .

و أياً ما كان الأمر فإن ما يهمنا هنا هو أن فيلون يعتقد أن اللوغوس يمثل صفة العلم الإلهي ، و يؤيد هذا اعتقاده أن الله تعالى خلق العقل الخالص وهو يمثّل في فلسفة فيلون الإنسان الأعلى الذي هو ابن الله البكر و الذي علمه الله كل الأسماء .[2]

ومن الطبيعي أن التعليم لن يتأتى إلا من متعلم أو متصف بصفة العلم إذا تكلمنا عن الخالق تعالى ، فهذه النتيجة التي تترتب على قوله بتعليم الله تعالى كل الأسماء للعقل الخالص.

ومما سبق يمكننا القول بأن فلسفة فيلون لم تخلُ من جوانب إثباتٍ للعلم الإلهي ،كما أنها لم تخلُ أيضاً من مناقضات لذلك الإثبات و الذي شكّل جوانب النفي للعلم الإلهي فيها ، ويمكن إجمال ذلك في نقاط :

أولاً : تجلت جوانب الإثبات في عدد من المباديء أهمها :

١) قوله بمبدأ العناية الإلهية .

٢) قوله بمبدأ اللامتناهي وصفاته .

٣) قوله بأن الله تعالى إله العالم أجمع وليس إلهاً خاصاً ببني إسرائيل فحسب .

٤) تأويله لمبدأ اللوغوس على أساس أنه صفة العلم .

---

[1] المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

[2] موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص١٦٧ .

ثانياً : جوانب النفي و المناقضة للعلم الإلهي :

١) قوله بمبدأ العلية .

٢) قوله بأن الله هو الموجود بلا كيف أو صفة .

٣) قوله بمبدأ الوسائط بين الله و المادة .

٤) تأويله لمبدأ اللوغوس على أساس أنه شيء منفصل عن الله تعالى وفي مرتبة دنيا بالنسبة إليه .

٥) عدم نسبة خلق الشر إلى الله تعالى .

وهكذا نجد أن آراء فيلون الإسكندري قد تناقضت حول صفة العلم الإلهي كتناقض فلسفته ذاتها ، و كتناقض كتابه المقدس الذي جمع بين التشبيه و التنزيه ، والنفي و الإثبات ، ولاعجب في ذلك إذ كان هدفه من وراء شرحه للتوراة هو تقريب الدين اليهودي إلى العقلية اليونانية التي طغت عليها الفلسفة من الجانب العقلي ، و الوثنية من الجانب الروحي ، لذا جاءت فلسفته تعبيراً عن مزيجٍ غير متناسق من الآراء. إذ ليس من الممكن التوفيق بين عِدة رؤىً مختلفة و متغايرة في آن واحد دون وقوع ما يناقض تلك المحاولات و الآراء مهما تم صهرها لتصب في بوتقة فكرٍ جديد ، وتتواءم مع رؤية معينة .

وباختصار فإن فيلون في فلسفته ـ وكما يذكر صاحب كتاب وعد التوراة ـ قد قدم إله التوراة لأهل الثقافة اليونانية تقديماً قريباً إلى فهمهم وقبولهم [١] ، واستفاد من الصفات الإغريقية التي كانت تُطلق على الآلهة فأراد أن يبرهن أن هذا الإله الذي توجه ضده عداء فرعون ليس إلا "زوس" الهلليني ، وحينما يسمي إلهه الأعلى و الأسمى نراه يعطي لهذا الإله صفاتٍ تُرى كثيراً مطبقة على الآلهة الإغريقية [٢] الأمر الذي يجعلنا نجزم ببعد المفازة بين إثبات فيلون للعلم الإلهي ، وبين الإثبات الصحيح التنزيهي الواجب في حق الباري عزوجل .

---

[١] ص ٢٤٦ .

[٢] الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الأسكندري للدكتور إميل بريهييه ، ص ١١٠ نقلاً عن المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

المطلب الثاني

سعديا الفيومي [1]

ولد سعديا بن يوسف الفيومي في قرية من قرى الفيوم عام (٨٩٢م) في القرن الثالث الهجري، وشبَ في مصر . وتذكر مصادر أخرى أنه ولد عام (٨٨٢م) وتوفي في بغداد عام (٩٤٢م) .

وقد تقلَد الجاؤنية[2] ببغداد في عصر الخلافة العباسية وشهد إزدهار الفكر والعلوم الإسلامية ، كما شهد نشاط الفرق الإسلامية من معتزلة وسُنيَة وعاصر سقوط بغداد في أيدي البويهيين عام (٩٣٥م) .

ويُعد سعديا من أبرز الشخصيات في تاريخ اليهود الديني في العصور الوسطى ، أما ثقافته فقد تأثر فيها بفقهاء الإسلام وأهل الكلام إضافة إلى الفلسفة الإسلامية التي كانت تسعى للتوفيق بين الفلسفة والدين الإسلامي في ذلك الوقت .

كما عُدت محاولته لصياغة الدين اليهودي في جانبه العقدي أولى المحاولات و أهمها في العصر الوسيط . فيذكر الدكتور محمد خليفة أن صياغة ما يمكن تسميته بأركان الإيمان في اليهودية قد انحصر في محاولتين يهوديتين الأولى محاولة العالم اليهودي المصري سعديا بن يوسف الفيومي في القرن العاشر الميلادي والثانية وهي التي قام بها العالم اليهودي موسى بن ميمون الذي عاش في مصر في القرن الثاني عشر الميلادي معتمداً على محاولة سعديا الفيومي .[3]

وقد بلغ من تأثر سعديا الشديد بالفكر الإسلامي أن انتهج حتى في كتاباته طريقة الهجاء المتبعة في المصاحف وفق الرسم العثماني .

---

[1] انظر : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص ١٣٢ ، وَ قصة الحضارة وول ديورانت ، جـ١٤ ،ص٤٥ ، وَالأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي للدكتور عبد الرزاق قنديل ، ص١٧٧-١٩٥.

[2] الجاؤنية : هي منصب رؤساء المدارس الدينية اليهودية بالعراق منذ أواخر القرن السادس إلى نصف القرن الحادي عشر بعد الميلاد ولا تزال إلى يومنا هذا .

[3] انظر: تاريخ الديانة اليهودية ، ص٢١٧.

أما من حيث ربانيته فقد كان سعديا ربانياً غيوراً على تراثه وتقاليده يدافع عنها قدر استطاعته ويتصدى لكل من حاول التشكيك أو النيل منها ، وفي ذلك يقول إسرائيل ولفنسون: "كان أول من أتصل بالفلسفة الإسلامية من اليهود سعديا الفيومي الذي أعتنق كثيراً من أراء المتكلمين"[1]، وقال أيضاً : "وقد عُد سعديا الفيومي من أعظم العلماء الذين خدموا كتاب التلمود".[2]

وفيه أيضاً قال ابن ميمون: " لولا سعديا لضاعت التوراة ". له مؤلفات من أبرزها كتاب "الأمانات والاعتقادات" ، وكتابان في تفسير التوراة أحدهما قصير والآخر طويل [3] . وقد كُتب لأراؤه الانتشار في جميع أنحاء العالم اليهودي .

رأي سعديا الفيومي في علم الله تعالى :

لقد تأثر سعديا بالمدرسة الكلامية الإعتزالية تأثراً شديداً ، فأصبح يتجه إتجاهاً عقلياً في تفسير التوراة مستخدماً أدوات التفكير والمعرفة العقلية في ذلك الوقت وهي الفلسفة الإسلامية ، حيث أنه لا يرى تعارضاً بين الدين والعقل فعَول عليه كثيراً حتى جاء في تفسيره العربي للتوراة بعض التكلف ، ويُشبه في فلسفته فلسفة الإمام الرازي وطريقته القائمة على الحجج والبراهين العقلية .[4]

أما بالنسبة لمنهجه حيال النصوص التي تتعارض مع العقل كنصوص التشبيه والتجسيم في التوراة فقد ذهب إلى أنها لايمكن أن تكون ذات معان حقيقية ، ولذلك فقد جنح فيها إلى التأويل كثيراً

---

[1] موسى بن ميمون حياته ومصنفاته للدكتور إسرائيل ولفنسون ، ط١، ١٤٢٦هـ، مكتبة الثقافة الدينية ص٥٨.

[2] المرجع السابق ، ص ٤٧ .

[3] وهو كتاب الأزهار وقد عُرف بطوله لتضمنه شروحاً وتعليقات وردود مختلفة. انظر: الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ، ص١٩٠.

[4] انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص١٣٢.

وعَوَّل على العقل فيها بصورة كبيرة ، لاسيما فيما يتعلق بصفات الله تعالى فذهب إلى أن صفات الجسمية والتجسيد في الكتاب المقدس إنما هي محمولة على وجه المجاز لا الحقيقة .[1]

وأما بالنسبة لرأيهُ في صفة العلم الإلهي فلم يتوافر لدينا بحثٌ مستقل يحوي أراء سعديا الإعتقادية في مسألة علم الله تبارك وتعالى ، كما أنه لم يتيسر لنا الحصول على تفسيره للتوراة ، ولذلك سنكتفي بعرض مثالٍ واحد وُجد في كتاب الدكتور عبد الرزاق قنديل ، إذ سنبين منه بعض الملامح الفكرية لفلسفة سعديا فيما يتعلق بعلم الله سبحانه وتعالى .

فلقد أورد الدكتور عبد الرازق أحمد قنديل في كتابه "الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي" بعضاً من تراجم رموز الفكر اليهودي الأول ، والذين كان لهم فضل السبق لدى أبناء طائفتهم في الحفاظ على تراث الملة اليهودية أمثال سعديا الفيومي ، ومن كان قبله من مفسري اليهود الذين سعوا للحفاظ على التوراة والمشنا على حد سواء، وقد تجلى دور سعديا الفيومي في أنه يُعد أول من نهض بأول محاولة للخروج عن مأزق التجسيم والتشبيه والتجسيد الذي ضمه كتابهم المقدس ، فكان له بذلك الشرف الكبير لدى اليهود عامة حتى قال فيه كبير فلاسفتهم موسى بن ميمون ما قال مما مر معنا .

ومما ذكره عنه الدكتور عبد الرزاق فيما يتعلق بتأثره الشديد ببعض الفرق الكلامية، جنوحه وميله الشديد لتأويل نصوص التوراة التي تحوي تشبيهات للخالق بالمخلوق، أو التي فيها منافاةٌ لصفةٍ من صفات الخالق جل وعلا، كصفة العلم الإلهي .

فمن ذلك تأويله لنص الرؤية الوارد في سفر التكوين في قصة الخلق (١:١ –٣١) .
يقول النص : "في البدء خلق الله السموات والأرض...وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكانٍ واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك...ورأى الله ذلك أنه حسن .." .

---

[1] انظر: قصة الحضارة ، جـ١٤، ص٤٥.

فالمعنى الذي يفُهم من النص أن عملية الخلق لم تتم وفق علم سابق، وإنما كانت مبنية على المشاهدة و الإستنتاج ، فكلما خلق شيء من الخلق نُظر فيه إذا كان جيداً أم لا !!.فالمسألة لا تعدو كونها مجرد تجربة ، فإذا كان الخلق حسناً وجيداً بُورك وأُكثر ، وشُرع من ثم في خلقِ خلقٍ آخر!! .

غير أن سعديا الفيومي هنا رغم صراحة النص يميل إلى التأويل لينفي بذلك ماهو مفهوم من النص من معانٍ مناقضة ومنافية لسابق علم الرب جل وعلا . فيقول في تفسيره لهذه الفقرة: أي " فعلم الله أن ذلك جيد " .[1]

وتأويل سعديا لعبارة "ورأى الله" بمعنى العلم،إنما هو محصور في العبارة الواردة في الفقرة الأخيرة رقم (٣١) والتي يقول فيها النص: "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً. وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً"، بينما يجنح إلى تأويل نفس العبارة في الفقرات السابقة على هذه الفقرة الأخيرة بمعنى:"شاء الله" ، فيكون معنى العبارة الأولى :" وشاء الله النور أنه حسن " (٣) ، وفي الثانية " وشاء الله ذلك أنه حسن" (١٠) ، وكذلك ما بعدها من الفقرات (١٢، ١٨ ، ٢١ ،٢٥).

ويمكن القول أن جوانب الإثبات للعلم الإلهي في تأويل سعدي الفيومي تتجلى في أمرين :

١) في تأويله للفقرة الـ(٣١) بمعنى " فعلم الله " .
٢) في إثباته المشيئة في الفقرات السابقة للفقرة (٣١) ، ومعلومٌ أن مشيئة الله تعالى تارة تتعلق بفعله عزوجل ، وتارةً تتعلق بفعل العبد [2] وتعلقها بالفعل يدل على أن الله تعالى فاعل ، والفاعل لابد أن يكون مختاراً الأمر الذي يستلزم إثبات العلم لله تعالى لأن الاختيار مستلزمٌ للإرادة ، و الإرادة مستلزمة للعلم ، فيكون الإختيار مستلزمٌ للعلم .

---

[1] تفسير سعديا للتوراة نقلاً عن كتاب الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ، ص ٤٣٧ .

[2] التبيان في أقسام القرآن لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، د . ط ، د . ت دار الفكر ، بيروت ، جـ ١ ، ص ٨٢ .

لكن السؤال المطروح هنا هو ما المسوغ لتغاير المعنى في سياق واحد وفي نسق قصصي واحد ؟!
إنه لا معنى ولامسوغ لتأويل نفس الكلمة الواردة في نفس الموضع – أعني في قصةٍ واحدة ذات نسقٍ واحد– بمعنيين مختلفين إختلافاً كلياً عما يفيده سياق النص ، وهذا ما علق عليه الدكتور عبد الرزاق قنديل حيث قال : " وكثيراً ما كان سعديا يشرح بعض الألفاظ بغير ما يفُيد ظاهرها كما في تفسيره " . [1]

فيبدو أن تأثر سعديا الشديد بإتجاه المتكلمين العقلي ـ والذي كان هدفهم من وراءه تنزيه الخالق جل وعلا ـ هو الذي جعله ينحو منحاه التأويلي الذي عُرف به دون مراعاة ما يفيده النص وما يقتضيه السياق ، بل ودون مراعاة التماثل اللفظي في السياق الواحد .

وهذا المسلك الذي سلكه سعديا جعل تفسيره يحظى بقدرٍ من التنزيه النسبي إذا ما قورن بالمعنى الذي يفيده ظاهر النص ، وإلا فالأصل الفاسد يستلزم فساد ما بُني عليه ، وعلى هذا فليس الغرض تصحيح ما جنح إليه سعديا ، وإنما بيان موقفه من النصوص التي فيها تشبيهٌ لعلم الله تعالى بعلوم المخلوقين .

ويمكننا تلمس أثر المنهج الفيومي في فلسفة من جاء بعده من أبناء الطائفة اليهودية أمثال علي بن سليمان القرائي [2] – رغم ما بين الفريقين من العداء السافر — إذ يقول في تفسيره لنفس الفقرة : "الرؤية هنا بمعنى العلم ، ودليل ذلك تعديه إلى مفعول واحد مثل : ورأى يوسف إخوته، وهذا حكم الرؤية في لغة العرب كقولهم : رأيت زيداً فاضلاً يعنون : علمته ". [3]

وباختصار يمكن القول بأن ملامح فكر الفيومي تتوضح في ميله نحو الإثبات للعلم الإلهي على الرغم من التناقض البيِّن في كتاب العهد القديم ، ويشهد لذلك :

---

[1] المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[2] لم أعثر له على ترجمة .

[3] تفسير علي بن سليمان القرائي لسفر التكوين ، نقلاً عن كتاب الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ص ٤٣٧.

١) تأثره بالفكر الاعتزالي الذي اتفقت آراء مختلف طوائفه على أن الله تعالى عالما . وذلك بغض النظر عن الآراء الكلامية و الفلسفية التي اشتهر بها رؤوسهم والتي هي في حقيقتها نفيٌ للعلم الإلهي .

٢) تأويله للنصوص التي تنافي العلم الإلهي كسبيل لإثبات عدم التناقض بين النصوص .

المطلب الثالث

موسى بن ميمون

هو أبو عمران عبيد الله بن موسى بن ميمون القاضي بن يوسف الحكيم ، يعده اليهود من أعظم فلاسفتهم وأحبارهم وفضلائهم ، وُلد بقرطبة في عام (١١٣٥م) ، وتوفي في (١٢٠٤م)، كان عالماً بالفلسفة والعلوم الطبيعية والعلوم الدينية اليهودية ، وذُكر عنه أنه اعتنق الإسلام تُقية ثم أرتد عنه إلى اليهودية بعد أن هاجر من الأندلس إلى المغرب الأقصى .[١]

وقد شكلت فلسفته نقلةً نوعية في تاريخ الدين اليهودي، وذلك بسبب ما أضافه إليه إثر تأثره بالفلسفة والفكر الإسلاميين خصوصاً فلسفة الفارابي [٢]. كما اعتمد على سعديا الفيومي في تأويلاته ، وقال عنه : " لولا سعديا لاختفت التوراة". وكانت محاولته هي الثانية بعد محاولة سعدي الفلسفية.

---

[١] انظر: موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ص٣٩ – ٤٠ ، وَ موسى بن ميمون حياته و مصنفاته ص١ .

[٢] الفارابي: هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، من مدينة " فاراب" وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان ، شيخ الفلسفة واحد الحكماء الأذكياء ، له تصانيف مشهورة . أتقن العلوم الحكمية وبرع في العلوم الرياضية كما برع في اللغة العربية وعلم المنطق ،انظر :ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ، تحقيق الدكتور نزار رضا ، د.ط، د.ت، دار مكتبة الحياة، بيروت. جـ١ ص٦٠٣ .

له عدة مؤلفات أهمها كتاب "دلالة الحائرين" ، و كتاب "السراج" ، وكتاب "تثنية التوراة"، وله رسائل عدة منها رسالته في المنطق ورسالته في المعاد الجسماني .[1]

وبصدد أهمية فلسفة ابن ميمون في الدين اليهودي يذكر الدكتور محمد خليفة حسن أن محاولة موسى بن ميمون لصياغة الدين اليهودي تُعد ثاني المحاولات بعد محاولة الفيومي حيث بنى على محاولة سعديا ليخرج في النهاية بتحديدٍ شامل لأركان الدين اليهودي ، وقد ظهر ذلك فيما عُرف بالأصول الثلاثة عشر [2]، وهي :

١) أنا أومن إيماناً تاماً بأن الخالق تبارك اسمه موجود وخالق ومدبر كافة المخلوقات وهو وحده صنع ويصنع كل الأعمال .

٢) أنا أومن إيماناً تاماً بأن الخالق تبارك اسمه وحيد ، وليس لوحدانيته مثيل ، على أي وجه هو إلهنا ، كان كائن يكون .

٣) أنا أومن إيماناً تاماً بأن الخالق تبارك اسمه ليس جسداً ، وهو منزه عن أعراض الجسد وليس له شكل مطلقاً .

٤) أنا أومن إيماناً تاماً بأن الخالق تبارك اسمه هو الأول وهو الآخر .

٥) أنا أومن إيماناً تاماً بأن به وحده تليق الصلاة والعبادة ، ولاتليق بغيره .

٦) أنا أومن إيماناً تاماً بأن كل الأنبياء حق .

٧) أنا أومن إيماناً تاماً بأن نبوءة سيدنا موسى عليه السلام كانت حقيقية ، وبأنه كان أباً للأنبياء الذين قبله ، والذين بعده .

٨) أنا أومن إيماناً تاماً بأن الشريعة الموجودة الآن بأيدينا هي المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام .

٩) أنا أومن إيماناً تاماً بأن هذه الشريعة لا تتغير ، ولاتكون شريعة بعد موسى من لدن الخالق تبارك اسمه .

١٠) أنا أومن إيماناً تاماً بأنه عالمٌ بكل أعمال بني البشر وأفكارهم .

١١) أنا أومن إيماناً تاماً بأنه يكافئ خيراً الذين يحفظون وصاياه ، ويعاقب الذين يخالفونها .

---

[1] انظر: موسى بن ميمون لإسرائيل ولفنسون من ص١-٥٦ . وَ موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ص٣٩-٤١ .

[2] انظر: تاريخ الديانة اليهودية ، ص٢١٧ .

١٢) أنا أومن إيماناً تاما بمجيء المسيح ، ولو تأخر أني أنتظر مجيئه .

١٣) أنا أومن إيماناً تاماً بأن ستكون قيامة الأموات ، عندما تصدر إرادة من لدن الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره ، إلى أبد الآبدين .[١]

ويبرز هنا الأثر الواضح للفكر الإسلامي ، حيث يتضمن تقرير ابن ميمون للعقائد ، أمهات العقائد الكبرى والتي وردت في الكتاب المقدس بشكل يعتريه الخلل أحياناً أو بشكل إشارات لاتكفي لأن تُعد تقريراً لعقيدة هي من الأهمية بمكان كعقيدة البعث مثلاً والتي خلت منها نصوص الكتاب المقدس إلا من إشارات ضعيفة ، وكعقيدة الإلوهية التي وردت مشوهه في أغلب النصوص .

ففي ظل التسامح الديني بدأ اليهود يدرسون ويتعمقون في فهم النقد الإسلامي لليهودية خاصة النقد القرآني لها ويحاولون إصلاح اليهودية .[٢]

وليس سبيل ابن ميمون إلا شكلاً من أشكال تلك الإصلاحات ، وقد كان منتمياً لفريق الحاخاميين مستلهماً النهج الذي بدأه سعديا الفيومي .

يقول عنه صاحب موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية أنه :"أيقظ العقلية اليهودية على الفلسفة من خلال الفلسفة العربية حتى ذُكر الغزالي والفارابي وابن رشد وأرسطو وأفلاطون وجالينوس بجانب أحبار اليهود ودُرست آراؤهم الفلسفية في المعابد إلى جانب التوراة والمشنا والتلمود" . [٣]

أما اليهود فقد انقسموا حول ابن ميمون بين مؤيد له ، حتى سموه بموسى الثاني أي بعد موسى صاحب الشريعة عليه السلام ، وبين معارضٍ حتى رماه البعض بالكفر والزندقة بسبب وجهته الدينية الفلسفية وآراؤه التي جنح للقول بها . [٤]

---

[١] اليهود تاريخ وعقيدة ، ص ٢٠٢ .

[٢] تاريخ الديانة اليهودية ، ص٢١٦.

[٣] الدكتور عبد المنعم الحفني ، ص٤٤ .

[٤] المرجع السابق ، ص٤٤ .

وعموماً يُعد تنظيمه للعقائد اليهودية في بناء ديني كامل التنظيم هو السائد بين جموع اليهود إلى يومنا الحالي [١] الأمر الذي جعله يتبوأ مكانة سامية بين أبناء طائفته .

يقول إسرائيل ولفنسون: "وليس عجيباً أن تنهض الهيئات اليهودية في نواحي المعمورة للإحتفال بذكرى موسى بن ميمون فهو من الأفذاذ الفحول الذين أثروا في الحياة العقلية الإسرائيلية تأثيراً بعيد الغور لايزال باقياً قوياً إلى يومنا هذا" [٢]. ويقول في موضع آخر: " يُعد كتاب دلالة الحائرين ذروة التفكير اليهودي الفلسفي في القرون الوسطى وهو تفكير لا يزال يخصب العقلية اليهودية إلى يومنا هذا". [٣]

كما ينقل عن أحد أحبار اليهود وعلمائهم وهو العالم هارون بن مشولم[٤] قوله: "يُعد كتاب تثنية التوراة أعظم مدَون أنتجته قرائح اليهود بعد تدوين التلمود". [٥]

رأي ابن ميمون في علم الله تعالى:

لقد عرض ابن ميمون رأيه عن الذات الإلهية وصفاتها في كتابه الذي أحدث ضجةً بين أوساط اليهود ، وهو كتاب دلالة الحائرين الذي – وكما يقول عنه إسرائيل ولفنسون — لم يكن هناك كتاب عبري بعد الكتاب المقدس وصحف التلمود يضاهيه في الأثر العميق الذي أحدثه في حياة اليهود، حيث كان عماد الإسترشاد لكل من يدرس كتب الدين والفقه والشريعة ولازال أتباعه – أي موسى بن ميمون – يدرسونه في المعابد ويقرأونه في الكنائس .[٦]

---

[١] انظر: تاريخ الديانة اليهودية لمحمد خليفة حسن ، ص٢١٧.

[٢] موسى بن ميمون حياته و مصنفاته " مقدمة المؤلف" .

[٣] المرجع السابق ، ص٥٨.

[٤] لم أعثر له على ترجمة .

[٥] المرجع السابق ، ص٥٣ .

[٦] انظر: موسى بن ميمون للدكتور إسرائيل ، ص١٣٦.

وفيما يلي نعرض لذكر أراء ابن ميمون في مسألة العلم الإلهي والتي نقلها ولفنسون في كتابهِ نصاً عن كتاب "دلالة الحائرين" لإبن ميمون ، فنقول :

لقد اتجه ابن ميمون في صفة العلم الإلهي إتجاهاً يميل إلى إثبات علم الباري تعالى على غرار ما هو موجود في التصور الإسلامي ، واتضح ذلك جلياً فيما قرره من الأصول التي وضعها في اليهودية حيث جاء الأصل العاشر تقريراً لعلم الله تعالى بكل أعمال بني البشر و أفكارهم .
هذا من حيث الإجمال ، أما من حيث الإثبات المفصل فقد نهج سبيل مختلف طوائف الإسلام في إثبات خصائص العلم الإلهي ، وذلك على النحو الآتي :

اولاً : من حيث عدم تجدد العلم له سبحانه وتعالى :

يقول ابن ميمون : "إن هناك أمر مجمع عليه هو أنه تعالى لايصح أن يتجدد له علم حتى يعلم الآن ما لم يعلمه من قبل ، ولا يصح أن تكون له علومٌ كثيرة متعددة ولو على رأي من يعتقد الصفات فلما تبرهن هذا قلنا إنه بالعلم الواحد يعلم الأشياء الكثيرة المتعددة وليس باختلاف المعلومات تختلف العلوم في حقه تعالى ، والأشياء كلها متجددة علمها قبل كونها ، ولم يزل عالماً بها ، فلذلك لم يتجدد له علمٌ بوجه" . [1]

ويقول أيضاً : " وعلومنا متجددة متكثرة بحسب الأشياء التي منها نكتسب علمنا ، وهو تعالى ليس كذلك أي أنه لايعلم الأشياء من قبلها فيقع التعدد والتجدد بل تلك الأشياء تابعة لعلمه المتقدم المقرر لها بحسب ما هي عليه...فلذلك لايوجد عنده تعالى تكثر علوم ولا تجدد وتغير علم لأنه بعلمه حقيقة ذاته غير المتغيرة علم جميع ما لزم أفعاله كلها" . [2]

---

[1] دلالة الحائرين نقلاً عن المرجع السابق ، ص١٠٦.

[2] المرجع السابق ، ص١٠٧.

ثانياً: من حيث عدم تناهي علمه سبحانه وتعالى :

يقول :"وهكذا الحال في جملة الوجود ونسبته إلى علمنا وعلمه تعالى ، فنحن إنما نعلم كل ما نعلم من قِبَل تأمل الموجودات ؛ فلذلك لا يتعلق علمنا بما سيكون ولا بما سينتهي وعلومنا متجددة متكثرة بحسب الأشياء التي نكتسب منها علمنا وهو تعالى ليس كذلك" . [1]

والمعنى الذي يُفهم من قوله أن علم الله تعالى ليس تأملياً أو مكتسباً ، فلذلك هو متعلقٌ بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون . كما أن علمه تعالى ليس متجددٌ بتجدد المعلومات ، وهذا هو مذهب أهل السنة من أهل الإسلام .

ثالثاً: في حكمته تعالى من امتحان الأنبياء والخلق واختباره لهم :

فيقول بأن امتحان الله لهم " لا ليعلم ما لم يكن يعلمه من قبل كما يتخيل الجهلة والبله من الناس.... ". [2]

رابعاً: في نسبة علمه تعالى إلى علوم المخلوقات :

يقول :" وكل ما نزعمه من الصفات كمالاً هو نقص في حقه تعالى إذا كان من نوع ما عندنا[3]. ويقول أيضاً "ليس هناك شبهٌ بينه وبين مخلوقاته أصلاً في شئ من الأشياء وليس وجوده مثل وجودها ولا حياته شبه حياة الحي منها ولا علمه شبه علم من له علمٌ فيها ". [4]

ويقول أيضاً:" فمعنى العلم ومعنى القصد ومعنى العناية المنسوبة إلينا غير تلك المعاني المنسوبة إليه ، فمتى أُخذت العنايتان أو العلمان أو القصدان على أن يجمعهما معنىً واحد جاءت

---

[1] المرجع السابق ، ص١٠٧.

[2] المرجع السابق ، ص١٠٨.

[3] المرجع السابق ، ص٧٠.

[4] المرجع السابق ، ص٧١.

الإشكالات وحدثت الشكوك المذكورة ، ومتى عُلم أن كل ما يُنسب إلينا مباينٌ لكل ما يُنسب له تبينَ الحق". [1]

ويبيَن ابن ميمون اعتقاده من بين جمله اعتقادات الفلاسفة في علم الله تبارك وتعالى من خلال تصوره لمبدأ العناية الإلهية، فيقول: " يدعي الفلاسفة أن عدم انتظام أحوال الناس من كون بعضهم من الفضلاء في حياةٍ رديئة مؤلمة وغيرهم من الأشرار في حياةٍ طيبة ، يرجع إلى أن يكون الله غير عالم بشئ من الأحوال الشخصية أو غير مدرك لها أو يدركها ويعلمها ، ثم إذا كان يدركها ويعلمها فلا يخلو الأمر من الأقسام الثلاثة الآتية :

" إما أن ينظمها ويغيرها على أحسن نظام وأكمله ، أو يكون لا قدرة له عليها ، أو يكون يعلم ويقدر على النظام والتدبير الجيد غير أنه أهمل ذلك على جهة التهاون والاحتقار ولذلك قال الفلاسفة إن قسمين من هذه الأقسام الثلاثة اللازمة لكل من يعلم يمتنعان في حق الله تعالى وهما ألا يقدر أو يقدر ولا يعتني ، إذ هو خُلق شر أو عجز ، فلم يبق من التقسيم كُله إلا أن يكون لايعلم شيئاً من هذه الأحوال بوجه أو يعلمها وينظمها أحسن نظام...وقد كثرت عندهم الظنون حتى قال بعضهم إنه يعلم النوع فقط لا الأشخاص ، وقال بعضهم : لايعلم شيئاً خارجاً عن ذاته بوجه حتى لايكون ثم تكثر علوم ، ومن الفلاسفة من يعتقد كاعتقادنا ، وأنه تعالى يعلم كل شئ ولا تخفى عنه خافية بوجه". [2]

غير أنه ورغم محاولات الإثبات عند ابن ميمون نجده قد ناقض نفسه بأمور :

الأول : عندما ذهب إلى أن إدراك الإله – حسب تصوره- إنما يكون على الطريقة السلبية لا الايجابية لأنها وكما يقول :" هي الوصف الصحيح الذي لا يلحقه شئ من التسامح وليس فيه نقص في حق الله جملةً ولا على حال ، وأما وصفهُ بالإيجابيات ففيه من الشرك والنقص ". [3]

---

[1] المرجع السابق ، ص١٠٦-١٠٧.

[2] المرجع السابق ، ص١٠١-١٠٢.

[3] المرجع السابق ، ص٦٧.

ولا يخفى ما في ذلك الرأي من مجانبةٍ للصواب والحق ، لأنه ليس قولنا في حقه تعالى"ليس بجاهل" كقولنا بأنه"عالم".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :"...وينبغي أن يُعلم أن النفي ليس فيه مدح و لا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً ، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدحٌ ولا كمال لأن النفي المحض عدم محض". [1]

وعلى هذا فليس صحيحٌ ما ذهب إليه ابن ميمون من أن وصف الله بالطريقة السلبية هو الوصف الذي لا يلحقه نقصٌ بحال . لأن من أثبت العلم يكون قد نفى الجهل عنه تعالى بطريق ضروري . لأن الإثبات مستلزمٌ لنفي الجهل والنقص ، بينما يكون من وصف الله تعالى بالسوالب كوصفه بأنه " ليس بجاهل" ليس بمثبتٍ على الحقيقة ، لأن نفي الجهل لا يستلزم معه إثبات كمال العلم وتمامهُ على الوجه الذي هو قائم به تعالى ، والذي وصف به ذاته الكريمة القدسية باعتباره صفة وجودية أزلية ثابتة له تعالى على وجه الإحاطة والشمول والأسبقية على كل المخلوقات .

والثاني : نجد أنه قد ناقض نفسه كذلك عند حديثه عن مبدأ العناية الإلهية ، حيث يذكر أن الفيض الإلهي إنما هو لبني الإنسان ، أما الحيوانات والنباتات فالعناية فيها نوعية لا شخصية .

يقول ابن ميمون في الجزء الثالث فصل (١٧) :" وأما ما أعتقده أنا في العناية الإلهية فإنما هي في هذا العالم السفلي ، أعني من تحت فلك القمر بالنوع الإنساني فقط ، أما الحيوانات والنباتات ، فإن رأيي فيها رأي أرسطو لأني لا أعتقد أن ورقة الشجرة تسقط بعناية خاصة بها ، ولا أن العنكبوت الذي أفترس الذبابة فعل ذلك بقضاء الله وإرادته...بل هذا عندي كله بالإتفاق المحض، وإنما العناية الإلهية تابعة للفيض الإلهي ، ومن يتصل به ذلك الفيض العقلي ". [2]

---

[1] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٥ .

[2] موسى بن ميمون ، ص١٠٥.

ويقول أيضاً في نفس الجزء و الفصل : "على أن الله يهيئ لكل نوع من الحيوان غذاءه ومادة قوامه، ولكن هذه العناية نوعية لا شخصية" . [1]

ومعلومٌ ما في هذا القول من مناقضةٍ لما قررهُ سابقاً من علم الله تعالى ، إذ أن رأيه في كون العناية الإلهية عنايةً نوعية لا شخصية يقتضي أن يكون هناك شيءٌ من أمور الجزئيات غائبٌ عنه تعالى ، مادامت العناية به عناية كُلية إجمالية .

وكذلك ماذكره من موافقته لأرسطو في أن العناية الإلهية في العالم السفلي متعلقة بالنوع الإنساني فقط وعدم اعتقاده بأن ورقة الشجرة تسقط بعناية خاصة بها ، فإن ذلك مناقضٌ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ الأنعام (٥٩) ، ومناقض كذلك لقوله عز وجل :﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يونس (٦١) ، وغيرها من الآيات.

يقول شيخ الإسلام عند كلامه عن هذه الآية : " إن نفي العزوب مستلزمٌ لعلمه بكل ذرة في السموات و الأرض ". [2]

كما أنه من المعلوم أن العناية بالشيء تستلزم العلم بتفاصيله ودقائقه ، وهذا يتنافى مع القول بمبدأ العناية الكلية أو النوعية .

الثالث : بما ذهب إليه من اعتقاد كون الشريعة التي بين أيدينا أنها المنزلة على موسى عليه السلام على الرغم مما فيها من نسبة البداء و قصور العلم إلى الله تعالى والجمع بين مختلف المتناقضات العقدية.

---

[1] نفس المرجع السابق ،ونفس الصفحة .

[2] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٦ .

وقد ظن أن مسلكه في تأويل النصوص التي تنافي علم الله تبارك وتعالى على وجه الخصوص تصحيحٌ لها ، غير أن الحق الذي لا مرية فيه أن الأصل الفاسد و النص المتناقض لاتُجدي فيه صنوف التأويلات لتصحيحه و إن بدا التوفيق في ظاهره ، إلا أن حقيقته البطلان والفساد .

ومما سبق يمكن القول أن ابن ميمون قد وقف إزاء مختلف نصوص البداء و التي توهم قصور علم الله تعالى موقف الرفض والرد شأنه في ذلك شأن سائر أبناء طائفته الذين نشأوا في ظل الدولة والفكر الإسلاميين ، حيث توجه نحو إثبات علم الله تعالى المحيط بكل شيء ويشهد لذلك التوجه :

١) تقريره للعلم الإلهي ضمن الأركان الثلاثة عشر ، وهذا يبين إهتمامه بقضية العلم الإلهي .
٢) إثباته العلم بطريقٍ مفصل ، وذلك بما ذهب إليه من إثبات خصائص العلم الإلهي .
٣) تأويله لمختلف نصوص التشبيه و التجسيد ، وهذا ظاهر في أقواله .

المطلب الرابع

هرمن كوهن [١]

هو فيلسوف ألماني وُلد في (١٨٤٢م) وتعلم في عدد من الجامعات حتى حصل على دكتوراه في الفلسفة سنة (١٨٦٥م) ، ثم تولى بعد تقاعده تدريس الفلسفة اليهودية في "المعهد الحُر لعلم اليهودية" في برلين إلى أن توفي سنة (١٩١٨م) .

له كتاب بعنوان " إعترافٌ في مسألة اليهود" حاول فيه أن يثبت انتساب اليهود إلى الأمة الألمانية ، و تحايل لإثبات هذا الزعم . كما زعم أن الشرائع اليهودية بعد أن طهرها الأنبياء تتفق مع مذهب "كنت" [٢] ومثاليته الأخلاقية .

---

[١] انظر ترجمته في موسوعة الفلسفة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ . وَ موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص ١٨٨، ١٨٩ .

[٢] أعظم فلاسفة العصر الحديث كما يصفه الدكتور بدوي ، وُلد في عام (١٧٢٤م) و كان ذا نزعةٍ عقليةٍ=

موقفه من البداء الموجود في العهد القديم :

يبدو أن الفيلسوف اليهودي "كوهن" يمثل امتداداً لفلسفة ابن ميمون إزاء عقيدة البداء المنافية لعلم الله تعالى وذلك يُلاحظ من ميله لإثبات علم الله تعالى ، فإذا عرضنا مثلاً للجزء الذي يتحدث فيه عن الإلوهية في كتابه " التلمود" نجده قد خصص ما يزيد على الصفحتين في محاولةٍ منه هو الآخر لتقرير علم الله تعالى ، فيقول في بعض كلامه :

" مثل مقدرة الله ، كذلك معرفته ـ أي علم الله ـ فهي بلا حدود...تبارك هذا العاقل[1] الحكيم بأسراره المدبَرة ، كل وجه يختلف عن الوجوه الأخرى وكذلك كل الأرواح مختلفة لكن الله يعرفها جميعاً ".[2]

كما نجده كذلك يستشهد ببعض النصوص ويشرحها ومن ذلك النص الوارد في دانيال (٢:٢٢): " هوكاشف الأعماق والخفايا وعالم مافي الظلمة وعنده يحل النور " فيقول في شرحه:"كل شئ مكشوف معروف أمامه لايخفى شئ عن ناظريه..." [3].

ويقول في موضعٍ آخر :"الميزة الفائقة الطبيعية للعلم الإلهي يُعبر عنها بقوة في مجمل الأحكام التالية [4] : قبل أن يتكون أي كائن في أحشاء أمه فإن فكرهُ يتوضح [5] لدى الله ، وقبل أن يُخلق

=تامة ، فمن حيث الأخلاق مثلاً يرى أن قوانين الأخلاق يجب أن تُستمد من العقل ذاته مباشرة لا من الطبيعة الإنسانية و لا من عادات الناس على اعتبار أن المعرفة قَبْلِّية . انظر : موسوعة الفلسفة، جـ٢، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨١ .

[1] نرى النزعة التجسيدية والتشبيه لم يفارقا العقل اليهودي .

[2] التلمود ، عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين، آ. كوهن، ترجمة إلى العربية : د . سليم طنوس ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ، دار الخيال ، بيروت ، ص٦١ .

[3] نفس المرجع السابق ، ص٦١.

[4] نلاحظ أنه حصر علم الله تعالى التفصيلي في تلك الأحكام فقط .

[5] ومعلوم أن مفهوم الوضوح إذا قيل في حق شخص ما فإنه لابد أن يسبق بغموض يكتنفه جهل ثم يتوضح الأمر بعد ذلك ، فكيف بالخالق جل وعلا سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

الفكر في قلب الإنسان ، يكون ذلك قد توضح عند الله . وقبل أن ينطق الإنسان فالله يعرف ما في داخله (قلبه) " .[1]

ثم يسترسل ويذكر رأياً لأحد حاخاماتهم وهو الحاخام أكيبا- في مسألة علم الخالق جل وعلا فيقول: " لاينفصم عن العلم بكل شئ ، إنه المعرفة السبقية . الله يعرف إلى جانب كل ماهو موجود كل ما وُجد وكل ما سيوجد " كل شئ مقدر".[2]

وهذا يؤكد لنا ما ذهبنا إليه سابقاً من أن اليهود مهما حاولوا الوصول إلى الصورة التنزيهية فإنهم يظلون عاجزين بعض الشئ إزاء ذلك.[3] فـ" كوهين" لم يستطع التحرر من ربقة الألفاظ فيما يذكره عن الله عزوجل بشأن علمه سبحانه وتعالى إذ يذكر " المعرفة"تارةً ، وتارةً يستعمل لفظة الوضوح، كما في قوله" يتوضح" وتارة يستخدم كلمة " العاقل " وكل تلك الألفاظ لاتفيد تمام العلم .

وإذا نظرنا بالمقابل في سائر الكلام الذي يذكره في كتابه نجد أنه يناقض بعض ما ذكره حول صفة العلم الإلهي، وعلى سبيل الإيضاح نذكر بعضاً من ذلك :

فمثلاً عند قوله: " تشكل الملائكة محكمة سماوية ، لايعطي الله أي قرار في العالم دون استشارتهم،

---

[1] التلمود، ص٦٢.

[2] المرجع السابق ، ص٦٢.

[3] ولأن الشئ بالشئ يُذكر أود على سبيل التمثيل بيان ما للألفاظ من استحواذ على المعاني بحيث يتغير معنىً بكامله لمجرد لفظةٍ أو حتى حرف واحد ، وذلك كما في قصة الرجل الذي قال للنبي ﷺ : "ما شاء الله وشئت" ، فغضب ﷺ وقال : " أجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده " ولذلك بنى فقهاء الإسلام على هذا الحديث أنه يجوز بأن يؤتى بالحرف" ثم" والذي يفيد التراخي والترتيب ، لأن الإتيان بحرف العطف " الواو" يفيد المساواة بين الشيئين في لغة العرب .فهذا حرف واحد فما بالنا بالكلمات التي لايجوز إطلاقها في حال كون الكلام عن الله عز وجل .

لكن القرار الأخير لايعود إلا إليه، وهكذا جمع أرائهم حول خلق الإنسان، ورفض اعتراضاتهم"[1].

فإنه لايفهم من قوله هذا سوى أن الله تعالى – وحاشاه تعالى – يحتاج لأن يستشير الملائكة حتى يستفيد من مجموع الآراء فيتوصل إلى رأي رشيد لا تخيبه العواقب !! فهذا الذي يفُهم من قوله بأن القرار الأخير لايعود إلا إليه .

وهذا محض كذب وافتراء على الله تعالى لأنه عز وجل حين أخبر ملائكته بأنه سيخلق بشراً من طين كان إخباره لهم إخبار إعلام لا إخبار مشورة ، حيث قد قضى تعالى أزلاً أنه سيخلق بشراً ويجعله خليفةً في الأرض، ولذلك لما قال الملائكة متسائلين: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة (٣٠).

كما أن قول الملائكة ليس على سبيل الرفض والإعتراض كما زعم ، وإنما على سبيل الإستعلام والإستفهام عن الحكمة في ذلك [2] ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة الآيات من ٣٠-٣٣.

---

[1] التلمود ، ص١٠٧.

[2] انظر: مختصر تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص٤٩، عند تفسير الآية .

وفي موضع آخر نجد المؤلف يسرد قصة [1] عرض التوراة على الأمم قبل أن يقبلها بنو إسرائيل فيقول:

"كانت إسرائيل فِكر الله قبل خلق الكون...لم يكن إختيار إسرائيل اختياراً اعتباطياً...وعندما أراد الله منح التوراة لإسرائيل لم يظهر لهذا الشعب فقط بل لجميع الأمم توجه أولاً لأبناء إسرائيل وقال لهم : أتقبلون الـ" توراة"، سألوا ما فحواها ؟ قال الله لهم :لاتقتل – أجابوا سيد الكون : أصلاً كان جدنا يريق الدماء...فالتفت الله إلى أبناء عَمون وموآب وقال لهم : هل تقبلون "التوراة"؟ أجابوا : ماذا تنص؟ أجاب : لاتزن قالوا له: ياسيد الكون إن وجود هذا الكون ناتج من فعل الفجور فتركهم وذهب إلى أولاد إسماعيل ، قال لهم : هل تقبلون الـ "توراة " ، أجابوا بما كانت توصي ؟ أجابوا لاتسرق. قالوا له يا سيد الكون إن حياة جدنا متعلقة بالسرقة" [2] . إلى آخر ما هناك من كفريات وهذيانات لا تتفق مع منطق ولاعقل ولا شرع .

ولم يزل الحس مسيطر عليهم ، مُشربةٌ به قلوبهم وإلا لما صوروا معبودهم بهذه الصورة التي لا تليق ، فهم يجعلونه في مقابلة الطرف الآخر يسأل ويجيب ولا يدري ما ستنطوي عليه إجابات الأمم ، فإذا ما سمعها حصل له العلم فتحول عنها إلى أمة أخرى حتى وجد لدى بنو إسرائيل قبولاً بها ، فأصبحوا بذلك شعب الله المختار والمهيأ لقيادة الأمم وحكمها .

ومما سبق يمكن القول بأنه قد ظهرت محاولات فلسفية لإثبات العلم الإلهي ، غير أنها لم ترقى لمستوى الإثبات و التنزيه المطلقين لأن الإثبات المطلق يستلزم أن تكون مواقفهم إزاء مختلف صور البداء الموجودة في العهد القديم حاسمة في الرد عليها و الرفض لها ببيان بطلانها و فسادها ، غير أننا لا نلحظ ذلك الأمر بشكلٍ جلي و إنما اقتصرت مواقفهم على التأويل تارةً لما في العهد

---

[1] وقد علق عليها بأنها اسطورة قبل أن يسردها ، ولكنه في الحقيقة أوردها للإستشهاد بها على تفضيل بنو إسحاق على الأمم .

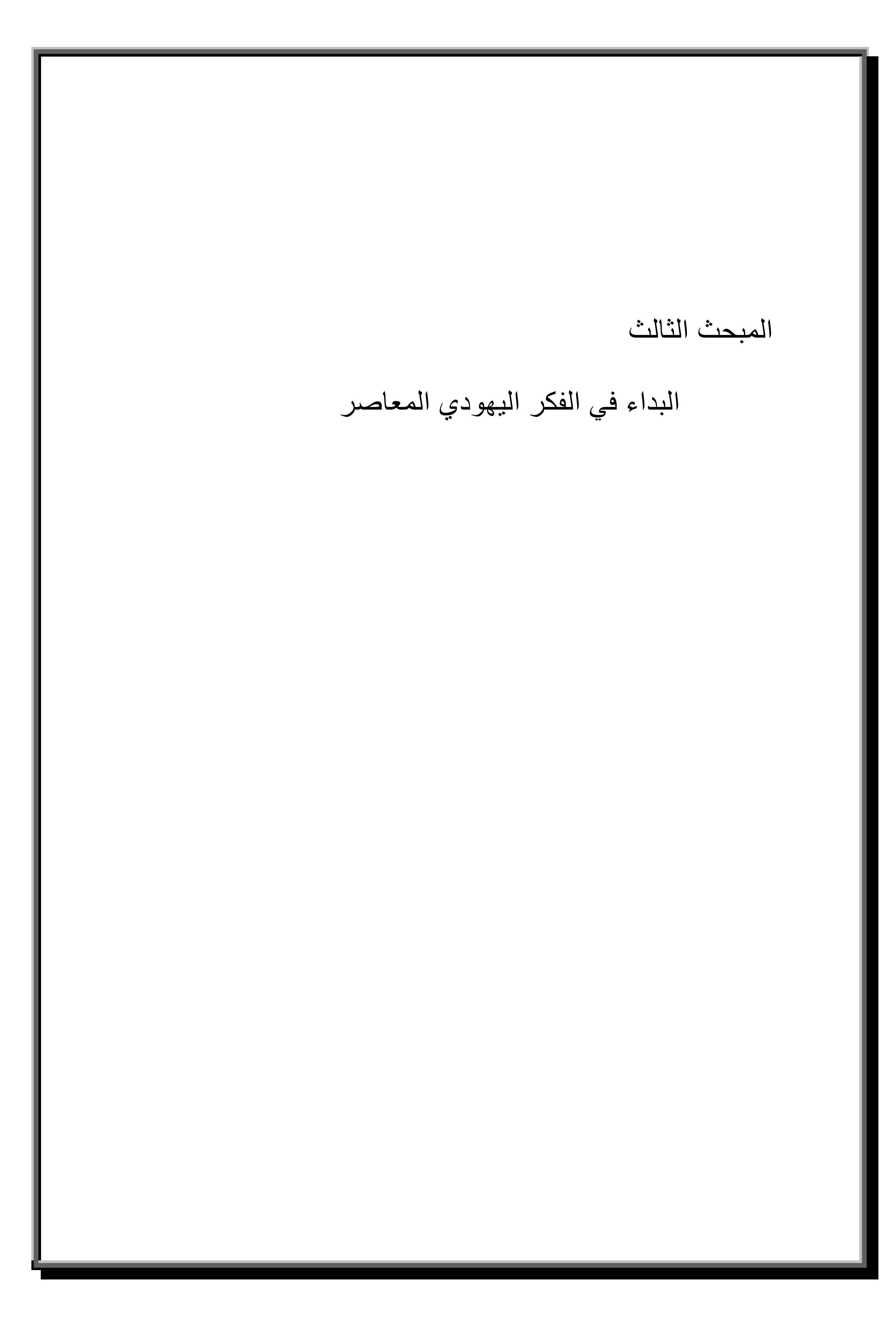
[2] انظر : التلمود ص١١٥-١١٦.

القديم من صورٍ منافية للعلم الإلهي ، و على التصريح تارة بإثبات علم الله تبارك وتعالى دون التعرض لما في كتبهم من صور منافية له .

وقد كانت مواقفهم تلك سبباً لأن تتناقض أقوالهم فيما بينها ، و تتناقض أيضاً مع نصوص العهد القديم ، كما أن وقوع التناقض بين ما هو مكتوب ومسطور وبين ما هو واجب الإعتقاد في ذاته سبحانه وتعالى من الحق يجعل محاولات التأويل للتوفيق بينهما تنتهي إلى الفشل ، ولايلبث أن يتبين عُوار من سلك مسلك التأويل بوقوعه في تناقض آخر حتى يصبح كلامه جملةً من المتناقضات ـ كما مر معنا من أقوال فلاسفة اليهود ـ .

على أن ثمة فرق بين مختلف مواقف فلاسفة اليهود ، وهذا الفرق عائدٌ إلى البيئة التي نشأ فيها كلٌ منهم ، فنلاحظ أن مواقف اليهود الذين نشأوا في ظل الدولة الإسلامية ـ كسعدي وابن ميمون ـ تقترب إلى التنزيه أكثر من غيرها ممن نشأ في غير البيئة الإسلامية وذلك واضحٌ في المثالين الآخرين.

والشاهد أن عقيدة البداء وغيرها من العقائد الضالة موجودة في الفكر والعقل اليهوديين حتى اليوم لأن ثباتها ووجودها عائدٌ في أساسه إلى ثبات النصوص المتضمنة لها والموجودة في أسفار الكتاب المقدس اليهودي !! ، فعلى الرغم من أن اليهود لا يولون كتابهم أي تعظيم إلا أنهم يلجأون إلى تلك النصوص لإثارة الشبهات و إقامة الحجة على غيرهم ، والحقيقة أنه لا سبيل إلى إنكارها– أي عقيدة البداء– إلا بإنكار تلك النصوص وردها والحكم ببطلانها وهذا مالا يمكنهم الإعتراف أو القول به .



المبحث الثالث

البداء في الفكر اليهودي المعاصر

المبحث الثالث

البداء في الفكر اليهودي المعاصر

إننا إذا أردنا أن نتحدث عن عقيدة البداء في الفكر اليهودي المعاصر، فلا بد لنا من الحديث عن موضع تلك العقيدة في الحركة الصهيونية نظراً لما لها من الثقل الكبير في الفكر اليهودي المعاصر . إذ تعد ممثلاً حديثاً لليهودية في عصرنا الحالي ـ على الرغم من تضاد حقيقتهما في واقع الأمر وحقيقته ـ .

فالناظر إلى الديانة اليهودية اليوم ، يجد أن الفكر الصهيوني قد هيمن على مفهومها وشعبها ، فلا يكاد يُطلق مسمى الصهيونية حتى يتبادر إلى الذهن يهود فلسطين والدين اليهودي ، وما أن تُطلق كلمة اليهودية حتى يتبادر إلى الذهن مسمى الصهيونية ، فبينهما من العلاقة والارتباط الوثيق ما يجعل إطلاق لفظ أحدهما على الآخر من قبيل المترادفات المؤدية إلى معنىً واحد .

غير أن ما يجدر ذكره هو أن هذا الفكر المعاصر يتجه إلى عبادة الأرض كمعبودٍ جديد لايقل أهمية عن معبودهم الخاص بهم. ولعل القصة التالية [1] تشهد لهذا المعنى:

"...عندما عاد الصبي من المعبد الذي لا يذهب إليه إلا القليلون ، ثار أبوه في وجهه بحديث له مغزى عميق . قال له : أيام زمان حين كنا يهودا في روسيا وغيرها ، كان من الضروري بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا ، فقد كان الدين اليهودي لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى ، أما الآن فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض ، أنت الآن إسرائيلي ولست مجرد يهودي ، إني قد تركت في روسيا كل شئ ملابسي ومتاعي وأقاربي وإلهي ،[2] وعثرت هنا على رب جديد . هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال...أمسك هذا التراب تحسسه هذا

---

[1] وهي جزء من رواية لابنة القائد العسكري موشي ديان ، نقلها الدكتور شلبي في كتابه اليهودية ص٢٠٤.

[2] نجد أن ذكر الإله جاء في المرتبة الأخيرة ! !

هوربك الوحيد إذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكي تسكب الفضيلة في أرواحنا ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا هذا هو المهم ، إياك أن تذهب مرةً أخرى إلى المعبد"!!

والحق أننا إزاء هذا النص وأمثاله لا ندري أنتحدث عن عقيدة البداء المنافية لعلم الله عز وجل أم نتحدث عن الإلوهية ككل !! لكن الحق الذي لايُمارى فيه أحد أن عقيدة الإيمان بالله الخالق عز وجل والإيمان بإلوهيته كما ينبغي على الوجه الذي يليق به تعالى ، لم تلق إهتماماً يُذكر لدى اليهود لا قديماً [1] ولا حديثاً وإن تفاوتت نسبة ذلك من زمن لآخر .
وصدق الله عز وجل إذ يقول : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾الزمر (٦٧).

على أنه ليس بمستغربٍ إهمال اليهود لقضية الألوهية إذا عُرف أن الهدف الأساسي من وراء تدوينهم للتوراة إنما هو لجمع شتاتهم ولتوحيد صفوفهم وليس لمجرد الإيمان فحسب ،– وأن كان قد يرد ذلك بنسبة ضعيفة – يقول الدكتور عابد الهاشمي في كتابه " فضيحة التوراة" : "إن سرقة التوراة من التابوت في القرن الثاني من وفاة موسى عليه السلام واكتشافهم هذا الضياع بعد قرن ونصف من ضياعها ثم السبي البابلي وزوال أية شبهة من وجود اثر للتوراة كل ذلك أستشعرهم بالضياع والحرمان بعد سبعة قرون من وفاة موسى عليه السلام مما حملهم على كتابتها من جديد من خلال خيالاتهم وأحلامهم لتجمع كيانهم وتكون رمز تماسكهم وأمل مستقبلهم ".[2]

وإذا أضفنا إلى ذلك ماكان متفشياً فيهم من ظلام الجهل والوثنية والهوى[3] كان ضعف العقيدة لديهم أمراً حتمياً .

فما هي الصهيونية ؟

---

[1] وأعني بها الفترة التي تم فيها تدوين التوراة وما بعدها إلى اليوم .

[2] ص٧٥.

[3] انظر: فضيحة التوراة ، ص٧٦.

الصهيونية :

تُنسب الصهيونية إلى " صهيون " وهو إسم عبري معناه على الأرجح " حصن " وهو عبارة عن الجبل أو الرابية التي توجد عليها أورشليم ، وقد ورد ذكره في العهد القديم في أكثر من موضع ، فمن ذلك : النص الذي يرويه سفر صموئيل الثاني الإصحاح الخامس ، الفقرة السابعة : " وأخذ داود حصن صهيون ، هي مدينة داود" . [١]

وهي في حقيقتها حركة سياسية تضم يهوداً وغير يهود يجمع بينهم هدف مشترك يدعون من خلاله إلى تجميع يهود العالم في فلسطين المحتلة والأراضي العربية المغتصبة المجاورة لتأسيس دولةٍ يهودية عليها [٢] بدعوى القول بأرض الميعاد أو الأرض المقدسة والشعب المختار .

وهي حركة غريبة المنشأ – كما يذكر الدكتور عبد الوهاب مسيري – حيث يقول : إننا حين نستخدم كلمة صهيونية بدون تخصيص فإننا إنما نشير إلى تلك الحركة التي نشأت في الغرب واتخذت من فلسطين مكاناً لممارساتها الإستيطانية . [٣]

على أنه ينبغي ألا يفوتنا أن نذكر أن الفكر الصهيوني فكر قنّائي الأسس [٤] – كما تذكر الموسوعة العبرية والدكتور حسن ظاظا – وقد عُرف هذا الفكر بالتعصب و التزمت الشديدين ، ورباني الأصل كما تذكر ذلك بقية المصادر ، وعلى هذا فالحاخامية التلمودية هي المرجع الديني الأول للحركة الصهيونية ، و يؤكد ذلك ما تتميز به الأرثوذكسية من النفوذ الديني في الصهيونية الإسرائيلية اليوم .

---

[١] انظر: قاموس الكتاب المقدس"صهيون".

[٢] انظر: موسوعة الأديان الميسرة "الصهيونية".

[٣] انظر المرجع السابق .

[٤] القناؤون شعبة من الفريزيين يمتازون بالتطرف الشديد والعنف بحيث يمكن وصفهم بأنهم غُلاة اليهود سياسياً ودينياً ، ومعنى الكلمة في العبرية " الغيورون أو أصحاب الحمية " . انظر : الفكر الديني ، ص ٢١٧ .

لكن وبعد أن علمنا ما تعنيه هذه المنظمة وما ترمي إليه من أهداف ذات أبعاد سياسية ، لنا أن نتساءل : ما علاقة الصهيونية كحركة سياسية بعقيدة البداء المنافية لمقتضى علم الله سبحانه وتعالى؟ وهل لذلك ارتباط بما يجري على الأراضي الإسلامية العربية من قتل وتدمير وسفك للدماء؟. فنقول :

عقيدة البداء والمنطلقات الصهيونية :

قد يزول العجب إذا عرفنا أن عقيدة البداء على الله تعالى تمثل إحدى المرتكزات الدينية التي تقوم عليها الحركة الصهيونية لتبرير جرائمها الوحشية ضد الإنسانية وهذا ما أعلنه صراحةً رئيس أحد الأحزاب اليمنية المتطرفة في إسرائيل اليوم .

فمن فكرة الأرض المقدسة إلى فكرة الشعب المختار إلى عقيدة البداء على الله تعالى ، ثم أخيرًا عقيدة المسيح المخلص الذي سيأتي إلى أرض الميعاد إذا عادت الأرض المقدسة إلى الشعب المقدس المختار!! إننا إذا تأملنا جيداً في مجمل هذه الركائز الدينية نجد أن عقيدة البداء تمثل المسوغ الشرعي – إن جاز لي التعبير – لما يحدث ويجري على الأراضي الفلسطينية من قتل جماعي وسفك للدماء ، وهذا المسوغ الشرعي يضفي على هذه العمليات الوحشية القدسية والشرعية لأنها أمام العالم ماهي إلا شكل من أشكال تحقيق الرغبات الإلهية وإنفاذ إرادتها !!

قد يصدق الآخر هذا الشكل من التبرير بصفته أمراً شرعياً غير أن واقع الأمر لدى هذه المنظمة الصهيونية يختلف تماماً. لأنها باعتبارها دولة استغلت مسمى الدين في الأصل يفترض أن لا علاقة وطيدة لها بالدين ، وبما أنها استخدمت ركائز دينية فهذا في الحقيقة ماهو إلا نوع من التغطية والتعمية لأمم الأرض بما في ذلك بعض طوائف اليهود الذين عارضوا قيامها من الأساس ليسهل قبولها والاعتراف بها بعد أن تتسربل بسربال الدين .

وهي بهذه المنهجية قد حققت الكثير مما كانت تطمح إليه لاسيما الدعم اللامحدود من العالم المسيحي بعد أن نجحت في إقناعه بأن عقيدة المسيح المخلص تمثل نقطة التقاء بين العقيدة اليهودية والمسيحية ، ولن يأتي هذا المسيح المخلص إلا عندما تكون أرض الميعاد مهيأة لمجيئه !! والذي تبنَى هذه التهيئة هي الصهيونية ! تحت قناع اليهودية وهذه الأخيرة تحت قناع الشرع

والدين فحصلت بذلك على الدعم اللامحدود من العالم المسيحي خاصة ، رغم ما تعج به أسفار التلمود من ذم وسب وشتم وترويجٍ لثقافة البغض والكراهية ضد المسيحيين خصوصاً و الأغيار عموماً والمسلمين أولاً وقبل كل شئ ، وإذا كان المسيحيون أعداءً لليهود – مع أنهم يؤمنون بكل ما جاء في العهد القديم – فالمسلمون هم الأعداء القريبين والذين يجب اجتثاثهم واستئصال شأفتهم من على وجه البسيطة .

وهذا ما يؤيده قول أحد الجنرالات المعاصرين[1] الذي صرح بأن "الحرب ضد الإرهاب هي نوع من حرب مقدسة تشنها اليهودية بالتحالف مع المسيحية ضد الشيطان" ! ![2] هكذا تُطلق الألفاظ الفضفاضة الواسعة ليسهل التأويل والتحوير و التملص عند المواجهة والإفحام ! !

غير أننا ونحن بصدد الحديث عن عقيدة البداء سنتناول ثلاثة ركائز أساسية يعتمد عليهما الفكر الصهيوني المعاصر تحت قناع الدين لتبرير جرائمه الوحشية ضد الإنسانية ، حيث سيتضح لنا من خلالها الأهداف الحقيقية للمشروع الصهيوني ، وهذه الركائز هي :

أولاً : فرية الندم من خلق إسماعيل و بنيه :

وهذه الركيزة ترجع بأصولها إلى مختلف نصوص التلمود ، إضافة إلى العديد من نصوص العهد القديم ، والتي كان لها الدور الأكبر في تغذية العنصرية اليهودية و تقويتها ضد شعوب الإنسانية جمعاء .

فهذا نصٌ في أحد أسفار التلمود [3] يقول : هُناك أربعة أشياء يندم الواحد القدوس تبارك اسمه على

---

[1] وهو الجنرال وليم جيفري بويكين نائب وزير الدفاع الأمريكي الحالي .

[2] الصهاينة الجدد للدكتور ناصر بن محمد الزامل ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ ، ص٢٨١.

[3] يدعى سفر "سوكاه".

خلقه إياها وهي :" النفي[1]، الكلدانيون[2]، الإسماعيليون [3]، ونزعة الشر".[4]

و إذا أخذنا بالنص السابق بإعتباره أحد روافد العنصرية اليهودية فإنه يمكننا القول بأن ما يجري في فلسطين يرتكز على البندين الأخيرين ، بنو إسماعيل باعتبارهم يمثلون نزعات الشر ! ! و هذا ما أعلنه رئيس حزب شاس[5] اليهودي المعاصر في الكيان الإسرائيلي حين قال – وبكل جرأةٍ على الله تعالى – :" إن الله تأسف حينما خلق إسماعيل وأبناءه وعلينا أن نزيل أسف الله"! ! [6]

يبدو أننا عرفنا الآن لماذا يتمسك اليهود بكل صفات التنقص التي يلحقونها بالله عزوجل ، فهو تأسف لما خلق بني إسماعيل وأباهم إسماعيل وتندم لذلك أشد الندم كما يزعمون ، لكن لم يسوقوا لذلك سبباً واحداً ، فماذا فعل بنو إسماعيل ؟ هل افسدوا في الأرض وخفي على الرب ذلك الإفساد

---

[1] النفي أي الشتات ، وتشكل عقيدة النفي والعودة إحدى النقاط المحورية في الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون وترتبط مثل كل العقائد الدينية اليهودية بعقائد أخرى مثل عقيدة الماشيح والشعب المختار . وحسب هذه العقيدة فإن إله اليهود قد حكم على شعبه المختار بالنفي والتشتت في بقاع الأرض لسبب يختلف الحاخامات اليهود في تحديده ، وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود المسيح المخلص . انظر: موسوعة اليهود واليهودية ، جـ ١ ، ص ٦٩ .

[2] الكلدانيون هم الآراميون الذين كانوا يقيمون في كِلدة ، وتقع في أقصى جنوب دلتا وادي دجلة والفرات. ويشير الإسم إلى الشعب الذي أخذ في الهيمنة على المنطقة بدءاً من القرن الـ١١ قبل الميلاد ، وقد قام هذا الشعب في القرن السابع قبل الميلاد بإسقاط حكم الآشوريين وتأسيس الإمبراطورية الكلدانية . انظر: مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٣٩٣ .

[3] نسبة إلى إسماعيل عليه السلام ويُقصد بهم المسلمون كما هو واضح .

[4] التلمود أسرار...حقائق ، ص٣٤٥.

[5] أحد معسكرات الأحزاب الدينية اليمينية المتطرفة في الكيان الإسرائيلي الصهيوني والتي تنتمي إلى التيار الأرثوذكسي في اليهودية المعاصرة و يُعد مجلس كبار علماء التوراة هو المرجعية الدينية لهذا الحزب. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للمسيري ، جـ٢ ، ص٤٦ .

[6] التلمود أسرار ..حقائق ص٥٣٧ ، وَ الله أم يهوه أيهما إله اليهود ، للدكتور عبد المجيد همو، ص٧٠ .

حين خلقهم ثم لما أفسدوا ورأى إفسادهم تندم لخلقه إياهم ، أم أنه مجرد تبريرٍ فحسب لما يقومون به من جرائم على أرض فلسطين وما حولها ؟!

إن الصهاينة يدَعون أنهم هم المخَولون بإزالة أسف الله ومن ثم إرضاءه بإذهاب الندم عنه بقتل بني إسماعيل !! لكن ما هو الهدف الصهيوني الحقيقي من وراء ذلك ؟ إنه التوسع في بلاد بني إسماعيل شرقاً وغرباً في سبيل تحقيق النبؤات التوراتية المزعومة بشأن أرض الميعاد .

إن اليهود الصهاينة لقصر عقولهم يقرنون بين إسماعيل ﷺ وبين الإسلام وذلك لأن النبي محمد ﷺ من نسل إسماعيل ﷺ ، تماماً كما يدَعون أن اليهودية إنما هي شعبٌ وقوميةٌ وليست ديانة فاليهود وفق هذا التصور المتحدرون من نسل إسحاق وهم أبناء إسرائيل (يعقوب) ، وليس من أعتنق دين اليهودية ولذلك هم شعبٌ مقدس مختار لإختيار الله لإبراهيم وإسحاق – دون إسماعيل – من قبل و وعده لإبراهيم بالأرض المباركة !! ونظراً لأنهم الشعب المختار فلذلك لابد من أن تتحقق فيهم فكرة الأرض الموعودة التي أقسم الله لأبيهم إبراهيم قائلاً " لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " . سفر التكوين (١٨ : ١٥) .

كما أنه ونظراً لأطماعهم التوسعية فإنه لاسبيل لتبرير جرائمهم ومجازرهم سوى القول بعقيدة البداء و أن الله تأسف على خلق بني إسماعيل وبذلك يضفون الشرعية الدينية على تلك الجرائم ويُلبسون الحرب ثوب القداسة لتكون بذلك الصهيونية على رأس الأمم المتدينة وفي مقدمتها مادامت تسعى لإزالة الأسف والندم عن الرب وتنفذ إرادته في باقي الأمم والشعوب !!

وهُنا يتبادر سؤال آخر مفاده : ماذا سيكون الحال لو لم يقل اليهود بعقيدة البداء على الله تعالى ؟ وبأن الله ندم وتأسف على خلق إسماعيل وبنيه؟

نقول:

لو أثبت اليهود صفة العلم لله تعالى بكمالها وتمامها من أزلية وإحاطة وشمول بكل ما كان وما يكون للزمهم أن يسلموا بوجود غيرهم من الأمم التي خلقها الله عز وجل لأن خلقه تعالى لهم

سيكون ولابد مبنيٌ على حكمةٍ لا يعلمها إلا هو سبحانه – وإن خفيت على اليهود هذا لو سلمنا جدلاً باختيارهم وقدسية شعبهم – ومن ثَمّ سيكون وجود تلك الأمم خيرٌ أراده الله عز وجل وفق قدره المبني على علمه أزلاً ووفق حكمته المبنية على ذلك العلم أيضاً، وسيكون تبعاً لذلك خلق إسماعيل وأبناءه من قبيل ذلك الخير وتلك الحكمة المقدرة أزلاً وفق علمه سبحانه – وهو كذلك – لأنه لابد أن تكون له بركة كما لأبيه إبراهيم ولابد أن يكون له نصيبٌ من ذلك الوعد الإلهي لإبراهيم ومن ثم فإن كل ما يفعله اليهود ضد أمم الأرض وخاصة بني إسماعيل سيكون من قبيل الإعتراض على قدر الله وإرادته ، إذن فكيف الخروج ؟ .

بالقول بعقيدة البداء على الله تعالى وتوجيهها ضد إسماعيل وبنيه ثم القول بقدسية الشعب اليهودي واختياره من قبل الله تعالى ! !

فهم لما كرهوا ذلك التسليم للقدر والقضاء الإلهي المبني على علمه تعالى ، والذي يقضي بوجود أمم غير اليهود على هذه الأرض ، أرادوا التنصل والهرب من التسليم والإذعان للتقدير الإلهي وأنى لهم ذلك بحيث لايلحقهم لومٌ من غيرهم من الأمم حتى لايظهروا بمظهر المجرمين وسفكة الدماء ؟ فابتدعوا فرية أسف الله وندمه على خلق إسماعيل وبنيه وسطروا ذلك في كتبهم وهرطق به حكماؤهم وحاخاماتهم لينفوا أن يكون إسماعيل هو الذبيح ولينفوا أن تكون له بركة أو إكثار في الأرض ولينسفوا النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وليسوغوا ويبرروا قتل الأبرياء وسفك دمائهم بالأمس واليوم وغداً ، وكل ذلك سيكون له من الشرعية ماله ما دام في حدود إطار خدمة الرب بإزالة أسفه وندمه ! ! وكأن الذي استطاع أن يمحو الناس بالطوفان لأنه ندم على خلقهم – على زعمهم – في لحظاتٍ عن بكرة أبيهم ليس بقادر على أن يمحو بني إسماعيل ويستأصل شأفتهم عن آخرهم لوكان فَعلاً قد ندم على خلقهم كما يزعمون ! !

فلا ضير في إلحاق النقص بالله عز وجل مادام يخدم مصلحة الحاخامات واضعي التلمود ومحرفي التوراة والصهاينة والشعب المختار في ماضيهم وحاضرهم ولتتبارك الصهيونية المتفانية في خدمة الرب وتنفيذ رغباته وإزالة أسفه وندمه ! !

لقد ظن أولئك المهرطقون أن إعمال القتل والتدمير والإبادة في بني إسماعيل ستمحو معالم دين الإسلام بخروج آخر نفس من آخر جسدٍ إسماعيلي – على حد زعمهم – ولم يعلم أولئك أن دين الإسلام باق إلى قيام الساعة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم قد فات على مستشرقيهم الذين قبروا أرواحهم وهم يجادلون بالباطل ضد الحق أن يذكروا لهم أن كتاب الله العزيز قد تكفل رب العزة بحفظه ، وأنه يزخر بالعديد من الآيات والنصوص الصريحة التي تؤكد بقاء الحق وزوال الباطل وإن طال مكثه في الأرض .

وفات عليهم وغاب عن أذهانهم أن يذكروا لأممهم أن محمداً ﷺ ـ وهو من نسل إسماعيل عليه السلام ـ قد اصطفاه ربه سبحانه وتعالى ليكون خاتم الرسل وتكون شريعته خاتمة الشرائع وناسخة لها ، فصرَّح باختياره للرسالة الخاتمة باعتباره الرحمة المهداة للبشرية كما في قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء (١٠٧) ، وصرح باصطفاء أمته وتفضيلها كما في قوله تعالى :﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ آل عمران (١١٠) ، وامتدحه تارةً كما في قوله تعالى :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ القلم (٤) والمدح منه تعالى لا يكون إلا لمن حصلت له الكمالات البشرية والفضل ورفعة المقام التي صرح بها عزوجل بل و أضافها إلى ذاته العلية كما في قوله تعالى :﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ الشرح (٤) كما امتدحه تعالى بأن وصفه بالرأفة والرحمة وذلك في قوله تعالى :﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ التوبة (١٢٨) وأمر بامتثال أمره واتباع شرعه في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ الحشر(٧) ، وحذر من مخالفته وجعله شاهداً على من خالفه فقال عز من قائل سميع عليم :﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور (٦٣)، وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ الأحزاب (٤٥) . وليس هذا فحسب بل تولى الرد على من تطاول عليه كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ الكوثر

(٣) وقولـه : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد (١) ، وقولـه :﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة (٦١)، وبين مكانته بما اختصه به من الفضل العظيم كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ الكـوثر (١) ، وقولـــه :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب (٥٦) ويستحيل أن تكون الصلوات والرحمات المتتابعة عليه ﷺ من ربه تعالى ثم يُقال بأن الله ندم من خلق إسماعيل وبنيه ، وهو ﷺ أفضل بني إسماعيل بإطلاق بل سيد البشرية جمعاء! ! وقد نعت الله إسماعيل عليه السلام بمحمود الصفات كما في قوله تعالى :﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ الصافات (١٠١) فوصفه بالحلم ،وقوله تعالى أيضاً :﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ مـــريم (٥٤ ـ ٥٥) ، وقولـــه :﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الأنبياء (٨٥ ـ ٨٦) ، كما بين تعالى أنه ﷺ أولى الناس بإبراهيم من سائر من يدعي الفضل بنسبته إليه كاليهود ، وذلك في قولـه تعـالى :﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران (٦٨) . وقد أخبر ﷺ في غير موضع عن اصطفاءه واختياره كما في هذا الحديث الذي يرويه مسلم وهو قولـه ﷺ : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ".[١]

وكما رأينا فكل تلك الآيات والإخبارات تدحض فِرية التأسف و الندم من خلق بني إسماعيل ، وكذلك ما عندهم مما حاولوا إخفاءه من الحق أدل شاهد على كذب تلك النصوص التلمودية العنصرية .

تقول إحدى المنظمات المسيحية الصهيونية على الإطلاق [٢] في تصريح لها نادت به أولى نشراتها الإخبارية لقنصليتها في القدس :" ليكن دعاؤكم ضد روح الإسلام"، وَ"إن الأرواح الشريرة في الإسلام

---

[١] كتاب الفضائل ، باب "فضل نسب النبي ﷺ " برقم : "٢٢٧٦" ، "١٥٦٧".

[٢] وهي منظمة السفارة المسيحية العالمية في القدس والتي تأسست في صيف عام ١٩٨٠م .

مسئولة عن العبودية الروحية في العالم العربي وعن موقف العداء الشديد لإسرائيل في جميع أمم الشرق الأوسط وأمم أخرى في العالم أغلبيتها من المسلمين"!![1]

وتستطرد هذه المنظمة الأصولية المتعصبة في حديثها عن مسؤولية الأرواح الشريرة في الإسلام فتذكر أن من بين تلك المسؤوليات مسؤوليتها أيضاً عن السخرية الكبيرة من الله !! لماذا وكيف؟ فتأتي الإجابة: لأن هناك مسجدٌ إسلامي في أقدس بقعة وهي جبل موريا، وهذا وصمةٌ للموقع المقدس للهيكل!![2]

إذن كيف ستُزال هذه السخرية التي كان المسلمون ورائها ببنائهم للمساجد !!
فتأتي الإجابة بشكل عملي نشاهده كل يوم على شاشات االتلفزة وصفحات الصحف بإعتباره واقعاً معاشاً لكننا لم ندرك البعد الديني من وراءه والذي يتلخص في إزالة السخرية من الله تعالى!!﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴾النساء(٥٠) .صدق الله العظيم .

ومجدداً من المخول بإزالة تلك السخرية؟ إنها الصهيونية راعية حمى الرب ومزيلة أسفه وندمه !! ليتحقق بذلك الحلم الصهيوني اليهودي الكبير والذي لخصه أحد كبار التوراة في ثلاثة بنود فقال: "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب توراة إسرائيل" [3]، توراة إسرائيل لا توراة موسى !! لأن توراة موسى تحرم كل تلك الإنحرافات العقدية والكفر والإلحاد و الظلم الذين ترعاهم الصهيونية اليوم وتتوكأ عليهم.

ثانياً : البداء و فكرة الأرض الموعودة :

إننا إذا تأملنا فكرة الأرض الموعودة نجد أن كتاب اليهود المقدس يذكر أن الله أقسم لإبراهيم عليه السلام أن يعطيها لنسله ، ومع شدة جرأتهم على الله تعالى يذكرون أن ذلك الإقسام إنما هو

---

[1] الصهاينة الجدد مهمة لم تنته ، ص٢٦٥.

[2] انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[3] نفس المرجع السابق ، ص٩٣.

عهدٌ أزلي لازم على الله تعالى وليس عقد لازم من الطرفين [1] . وبالتالي يلزمه تعالى الإيفاء بوعده وعهده مع إبراهيم بإعطائهم الأرض التي أقسم لهم دون أن يلزمهم ذلك اتباع طرقه والسير على دينه ، فمهما أشركوا وكفروا فلابد لله تعالى من أن ينفذ عهده إليهم ! !

أما عقيدة البداء في فكرة الوعد الإلهي بالأرض فتتجلى في مسألة الإقسام ! !

فهل كان الله تعالى محتاجاً لأن يقسم بإعطائهم الأرض ؟! ثم مالغرض من الإقسام مادام الأمر عهداً من طرفٍ واحدٍ دون قيد أو شرط – كما يزعمون – فلا داعي لأن يُقسم هُنا لأن الإقسام يُفهم منه أن الرب أراد إلزام نفسه بالوفاء بذلك العهد .

والسؤال هُنا : أكان الرب خَلاّف وعود – استغفر الله العظيم – حتى يقَيد نفسه بذلك العهد لاسيما أن ذلك العهد غير مشروطٍ كما يزعمون .

إن الذي يُفهم من النص الذي أفتروه على الله تعالى أن الإقسام من الرب تعالى بأن يعطيهم الأرض – ولزوم ذلك من طرف واحد بإعتباره عهداً لازماً عليه سبحانه — مهما بدا له بعد ذلك من سوء طرقهم معه ومن كفرهم به ومن تركهم لوصاياه ! !

وكأنه سبحانه وتعالى جهل ما سيكون منهم من الكفر والعناد والسوء ، فأقسم إبتداءً ليُلزم نفسه الوفاء بالعهد مهما حدث منهم مما قد خفي عليه وظهر له بعد ذلك – حاشاه سبحانه وتعالى ولاحول ولا قوة إلابه –

ويؤيد هذا المعنى ما ورد في سفر الخروج (٣٢ / ٩) حيث يذكر النص قول الرب لموسى : "رأيت هذا الشعب وإذا هو صلب الرقبة أتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم..." . فالنص على مافيه من معنى ظاهر يفيد إعتقاد جهله تعالى بما سيؤول إليه هذا الشعب من الكفر والعناد ، جاءت فيه"إذا"الفجائية التي يُستفاد من ورودها في النص أن الرب فوجئ بما كان من اليهود مما لم يكن في الحسبان حين خلقهم – عياذاً بالله – فقرر إفنائهم حين حمى غضبه عليهم بسبب

---

[1] انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود " الصهيونية" ، ص ١٤٣ .

اكتشافه صلابة رقبتهم ! ! وحينها تدخَل موسى عليه السلام ليهدئ من غضب الرب مذكراً إياه بالعهد الذي قطعه على نفسه و بما قد يحصل من شماتة المصريين منهم في حال قيامه بإفنائهم وإبادتهم! ! مما جعل الرب يتذكر عهوده ومواثيقه و يُفكر في ذلك ملياً ومن ثمَّ يتراجع عن قرار إهلاكهم وإفنائهم لابسبب أنهم وحدوه أو أحسنوا في عبادتهم وإنما إيفاء بما وعد به الآباء و خوف شماته الأعداء! ! ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

يقول النص الوارد في سفر الخروج (٣٢ /١١) :"فتضرع موسى أمام الرب إلهه ، و قال : لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر...ارجع عن حمو غضبك ، و اندم على الشر بشعبك . أُذكر إبراهيم و إسحاق و إسرائيل عبيدك الذين حَلفت لهم بنفسك و قلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء ، و أُعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمتُ عنها فيملكونها إلى الأبد".

غير أن الحقيقة التي أرادوا جحدها وردت في القرآن العظيم ، كما وردت في كتاب عهدهم القديم نفسه في أكثر من موضع للتأكيد على أن الوعد الإلهي بتمليكهم الأرض المقدسة ، إنما هو مشروطٌ بإيمانهم بالرب وعبادتهم له ، و حفظهم لوصاياه التي أمرهم و شرعهم بها ، و بذلك يكون لزوم الوفاء بالعهد متوقفاً على التقيد بالشرط ، فإذا لم يكن هناك تقيد ببنود العهد من الطرف الموعود فلا يلزم حينئذ الطرف الآخر التقيد بما وعد به . وما الشتات الذي انتهى إليه أمر بني إسرائيل إلا نتيجة طبيعية لإخلالهم ببنود العهد . يقول أصدق القائلين:﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ البقرة(٤٠-٤١) ، ويقول أيضاً :﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة (١٢) .

أما ما ورد في كتابهم ، فيقول النص الوارد في سفر التثنية (٦ / ١٧– ١٩) :"احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته و فرائضه التي أوصاكم بها . و اعمل الصالح والحسن في عيني الرب، لكي يكون لك خير وتدخل و تمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لآبائك أن يفني جميع أعدائك من أمامك . كما تكلم الرب ".

و يقول أيضاً النص الوارد في نفس السفر (٧/ ١١–١٢) :" فاحفظ الوصايا و الفرائض و الأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها. و من أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام و تحفظون و تعملونها ، يحفظ لك الرب إلهك العهد و الإحسان اللذَيْن أقسم لآبائك " .

فالنصوص قد دلت على وجوب تقيد اليهود بأوامر الله حتى ينجز لهم وعده ، لكنهم لما لم يتقيدوا بذلك بل زاغوا عن الدين القويم وحرفوا منه مالم يوافق أهوائهم ، و تشوفت نفوسهم مع ذلك إلى الأرض الموعودة لجأوا إلى القول بأن العهد إنما هو وعدٌ من طرف واحد وهو الله تبارك و تعالى ، و ليس عهد لازم بالنسبة إليهم ، لأنهم علموا أنه ليس لهم ذلك مع ما هم عليه من الوثنية و الشرك.

وقد سلكوا وسائل عدة لتحقيق مآربهم بامتلاك الأراضي الإسلامية شرقاً و غرباً علاوة على مبدأ القوة الذي نهجوه ، كما بسطوا هيمنتهم على كل ما من شأنه أن يؤدي بهم إلى تحقيق مآربهم دون التفات أو مراعاة لعقيدة الألوهية و ما تستوجبه من التنزيه و التقديس .

فهذه محاورة تمثلها إحدى صحفهم الآثمة ، بين الله ـ تعالى علواً كبيراـ وبين اليهود الصهاينة في فلسطين ، وهي تبين لنا بجلاء ما للمادة من أهمية بالغة في نفوسهم ، لا تصل إلى مستوياتها عقيدة الإيمان بالله الواحد .

يقول نص الحوار الذي أوردته مجلة" هاعولام هازي " الإسرائيلية : [١]

اليهود : جئنا لكي نأخذ ما وعدتنا به.

---

[١] انظر: نهاية اليهود لأبي الفداء محمد عزت عارف ، د. ط ، د . ت ، نسخة محفوظة بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، ص٨١ .

الله : وعدت بما ذا ووعدتُ من؟

اليهود: وعدتنا نحن بهذه الأرض.

الله: ولكن من أنتم ؟

اليهود: نحن الشعب المختار.

الله : ومن الذي أختاركم.

اليهود: أنت.

الله: لاأذكر أنني فعلت ذلك وماذا تريدون اليوم بحق الجحيم؟

اليهود: نريد الأرض الموعودة.

الله : من يعيش في تلك الأرض.

اليهود : أعراب منحطون.

الله : ولماذا تجيئون إلي إذن وماذا تريدون الآن؟.

اليهود: لقد أخذنا الأرض ونريد تأييدك.

الله : أنا لستُ مديراً لمؤسسة إعلام!!.

اليهود: لقد قررنا إسناد تلك المهمة إليك وهي ليست مهمة صعبة وكل ما عليك أن تجلس بهدوء ولا تتدخل في شؤوننا .

وبعد هذا لا يعتقد معتقدٌ أن بين شعوب العالمين قوماً وصلوا إلى درك الإنحطاط والإلحاد الفِكري مثل ما وصل إليه هؤلاء السفهاء في حق رب العالمين سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، فقد جعلوه في صورة المستغرق في نسيانه ، و في صورة المستعلم بأسئلته التي وجهها إليهم ليحصل له العلم بذلك ـ و حاشاه عزوجل ـ ، و في صورة المخلف لوعوده بنسيانه لها، ليؤكدوا لشعبهم أن القوة و الهيمنة الإعلامية هي أحد الوسائل التي يحتاجون إليها لتحقيق مآربهم و أطماعهم في امتلاك الأرض الموعودة ، بعد أن يتم إقصاء الدين و إبعاده عن القلوب والنفوس . وهذا في الحقيقة إنما هو تجسيدٌ لبروتوكولاتهم التي وضعوها تمهيداً لنشر الشر والفساد بين شعوب الأرض . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ

وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلاً مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ المائدة (١٣).

ثالثاً : البداء وفكرة الاختيار :

تتجلى عقيدة البداء في فكرة الإختيار في أن إختيار الله للشعب اليهودي ـ كما هو مفهومٌ من نصوصهم ـ لم يكن عن سابق علمٍ بما سيكون عليه حالهم في المستقبل وإنما كان لمجرد الاختيار، و دليل ذلك أن الرب لما رأى سوء طرقهم وعصيانهم له أراد إفناءهم ، لكن تدخل موسى عليه السلام وتذكيره للإله بوعده و إقسامه حال دون ذلك الإهلاك!.

يقول النص الوارد في سفر الخروج (٣٢ / ٩ ـ ١٤) : " وقال الله لموسى : رأيتُ هذا الشعب و إذا هو شعبٌ صلب الرقبة . فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم و أفنيهم ، فأصيرك شعباً عظيماً . فتضرع موسى أمام الرب إلهه ، وقال : لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويدٍ شديدة ؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ، ويفنيهم عن وجه الأرض ؟ إرجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك . اذكر إبراهيم و إسحاق و إسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أُكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمتُ عنها فيملكونها إلى الأبد . فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " .

على أن هذا المفهوم الوثني القاصر لعلم الله تبارك وتعالى لم يكن حكراً على الفكر الصهيوني وحده بطبيعة الحال ، وإنما شمل أدواته التي مهدت لقيامه و الترويج له – ولا تزال تعمل لتحقيق بقية أهداف هذا الكيان – ومن بين تلك الأدوات :

منظمة شهود يهوه :

إن تخصيص الحديث عن هذه المنظمة لايعني أنها الوحيدة من بين المنظمات الصهيونية المختلفة والمتعددة ، وإنما يرجع لعاملين أساسين :

الأول : أن البعض اعتبرها فرقة من الفرق اليهودية الصهيونية وليست تنظيماً أو جمعية فحسب.[1]
الثاني: لتوافر بعضٍ من آرائها لدينا.

إذن **فشهود يهوه** عبارة عن حركة يعود أصل تسميتها إلى كلمة "يهوه"العبرية التي أُستخدمت في مواضع متعددة من الكتاب المقدس كإسم علم يطلقونه على الله تباك وتعالى ، و"شهود يهوه" اسم وصفي يدل على أنهم يشهدون عن يهوه في ألوهيته ومقاصده. ومن أقوالهم عن أنفسهم: "شهود يهوه ؟ نعم ، هكذا يشيرون إلى أنفسهم . إنه إسم وصفي يدل على أنهم يشهدون عن يهوه ، ألوهيته ومقاصده. فالإله، الرب ، الخالق كالرئيس ، الملك ، القائد إنما هي ألقاب ويمكن تطبيقها على شخصيات مختلفة عديدة. أما يهوه فهو إسم شخصي و يشير إلى الإله القادر على كل شئ وخالق الكون".[2]

وهي فرقة أو منظمة ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي سنة(١٨٧٤م) كما يذكر البعض بينما يذهب البعض الآخر إلى أن ظهورها كان في عام(١٨٨١م) ، وأياً ما كان الأمر فلا يهمنا تاريخ نشوء هذه الفرقة في ذاته على وجه التحديد بالقدر الذي تهمنا أسبقيتها للحركة الصهيونية إذ تفسر لنا تلك النشأة السابقة للحركة الصهيونية أن تلك المنظمة إنما كانت ممهدة لقيام الحركة الصهيونية كما تدل على ذلك منشوراتهم والتي تفصح عن أهدافهم البعيدة . فهي منظمة يهودية خالصة وإن أتخذت من المسيحية [3] ستراً وغطاءً لها ولأهدافها.

وأما بالنسبة لأهداف هذه المنظمة فيمكن تلخيصهما في هدفين أساسيين ترجع إليهما جملة تلك الأهداف ، وهذين الهدفين :

---

[1] انظر: شهود يهوه ، للدكتور أسعد السحمراني ، ط ٣ ، ١٤٢٢ هـ ، دار النفائس ، بيروت ، ص١٣.

[2] شهود يهوه في القرن العشرين، كرَاس من منشوراتهم عام ١٩٨٦م ، ص٤، نقلاً عن شهود يهوه للدكتور أسعد ، ص١٣.

[3] مع أنهم يطعنون في المسيحية أشد الطعن ، و يوجهون إلى المسيح و أمه عليهما السلام عبارات الطعن و السباب على الشكل الذي تمليه العنصرية التلمودية .

أحدهما ديني ويرمي إلى هدم الأديان كلها عدا اليهودية ، **وثانيهما** سياسي ويرمي إلى خدمة الصهيونية والسعي إلى إسكان اليهود في فلسطين .[١]

ولها في ذلك وسائل مختلفة فمن ذلك الدعوة إلى المحبة والسلام ونبذ الحروب والتدرج في تلك المبادئ والصورة المثالية حتى تصل إلى مراحل متقدمة تدعو إلى إنكار مبادئ مهمة في العقائد كإنكار روحية النفس وخلودها ، وإنكار البعث والحساب والعقاب ثم ترسيخ فكرة أن **الصهيونية** هي وحدها القادرة على تحقيق هذه الأهداف التي تحمل الخير للمجتمع وتحمل الأمن والسلام .[٢] ولترويج ذلك فإنهم لايتورعون عن استخدام نصوص من القرآن الكريم أو الإنجيل [٣] وتوجيهها توجيهاً خاطئاً بشرحها شرحاً يخدم أهدافهم ومبادئهم الشيطانية .[٤]

أما بالنسبة لإعتقادهم البداء على الله تعالى والذي ينافي كمال علمه عز وجل وتمامه فيتضح ذلك جلياً من خلال أقوال جماعة هذه الفرقة أو المنظمة ، والتي لاتخلو هي الأخرى من جرأةٍ عليه سبحانه وتعالى شأن سائر اليهود الذين لم يعيروا مسألة الألوهية وموضوعها أهمية تُذكر خلا من كان منهم متديناً بحق أو يبحث عن الحق بصدق ومعظم هؤلاء إذا تأملنا شخصياتهم جيداً نجدهم قد سلكوا سبيل الحق بدخولهم الإسلام.

ومن أقوالهم:

١] قولهم عن الكتب المقدسة :" وسواء أجاء الكتاب المقدس من الشرق أم من الغرب ، فذلك أمر قليل الأهمية في ذاته لأن الأهمية في الدرجة الأولى في هوية المؤلف ، المؤلف هو يهوه الله "!![٥]

---

(١) انظر: الفرق و المذاهب اليهودية منذ البدايات ، ص ١٨٥ ، وَ اليهودية ، ص ٣٥١ .

(٢) انظر: المرجع السابق ، ص٣٥١. وشهود يهوه للسحمراني والفِرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات للدكتور عبد المجيد هَمو ، ص١٨١-١٨٥ .

(٣) زيادة في التعمية و التمويه حتى لا ينكشف الستر عن يهوديتها و صهيونيتها .

(٤) انظر: اليهودية ، ص٣٥١.

(٥) شهود يهوه ، ص١١٥.

والذي ينبني على هذا القول أنهم لايعتبرون أن الكتاب المقدس كتاب حق وصدق بإطلاق لإعتبار كونه من عند الله تعالى ، وأنه عز وجل لايقول غير الحق- وهذا بصرف النظر عن كونه محرفاً أم لا وإنما بالنظر إلى كونه تنزيلٌ إلهي وإلا فالكتاب المقدس كتابٌ لاريب في تحريفه وتبديله- كما أخبر عزوجل بذلك حيث قال:﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ الأنعام (٧٣) ، وحيث قال :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ المائدة (٤٤) .

فهم ينظرون إليه على أنه مجرد تأليف ، الأمر الذي يتطلب بالضرورة إعتقاد كونه مزيجٌ من حق وباطل- وهو كذلك حقيقة- ولكن نتيجة تحريفهم هم ، لا كما ذهبوا إليه من أنه تأليف تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – .

فقولهم أنه تأليف يستلزم إحتماليته للخطأ والصواب وفي هذا القول الشنيع مافيه من نسبة الخطأ والزلل إلى الله تعالى بإعتباره مؤلِّفاً وليس إلهاً يفصل ويقضي ويحكم وفق علمه الإلهي الأزلي .

وقد علق الدكتور أسعد السحمراني[١] على هذه الرؤية المنحرفة بقوله: "..لكن شهود يهوه الذين فتحوا باب تأويل نصوص الكتاب المقدس بما يتوافق مع أهوائهم تحكمهم خلفية يهودية مفادها أن الله – تعالى عما يزعمون- يندم ويتراجع ، ولذلك استخدموا لله تعالى أنه مؤلف الكتاب المقدس ، والتأليف يكون من مكونات موجودات وبعد إطلاع على معلومات أو تجميع لها" [٢] . تعالى الله عن إفكهم وبهتانهم علوا كبيرا.

ولا يذكرنا هذا الإجتراء على الله تعالى إلا بما كان من أسلافهم أولئك الذين افتروا على الله تعالى حين قالوا﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ الأنعام(٩٠) وذلك كما يخبرنا القران الكريم فرد

---

[١] الأستاذ الدكتور أسعد السحمراني أحد أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ، و أستاذ العقائد و الأديان بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بلبنان ، له مؤلفات عدة في الفكر اليهودي مثل: "الماسونية" ، و هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

[٢] المرجع السابق ، ص١١٤-١١٥.

الله عز وجل عليهم بما أفحمهم: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ الأنعام (٩١) .

وفي هذا الكلام من الخبث والدهاء والمكر ما فيه لخدمة الأهداف البعيدة وإن كان الكلام هنا عن الكتاب المقدس المكون من العهدين القديم والجديد ، لأن القران الكريم تنزيل من الله عز وجل وهو الكتاب المقدس لدى المسلمين فإذا كان الأمر لايعدو كونه تأليفاً فلا فرق بينه وبين ماسبقه من الكتب التي طالها التحريف لأن الأمر في النهاية مجرد تأليف وبالتالي فما في الكتب السابقة من خطأ إنما هو من المؤلف أو المصدر الذي اُستقيت منه المعلومة ، ويبنى على هذا القول أيضاً أن القرآن كذلك مادام منزله هو الله تعالى لا يخلو من خطأ كنتيجة طبيعية لإتحاد المصدر الذي يرونه مؤلفاً فحسب لجميع الكتب المقدسة ! ! .

وأيضاً كأنهم يريدون أن يقولوا ما دام المؤلف واحدا فلا بد أن تكون أقواله واحدة أو متقاربة على أقل تقدير وذلك في محاولة منهم لتصحيح النظرة إلى العهد القديم في مقابل الطعن في القرآن الكريم، لأنه ما دام المؤلف واحداً فلا داعي للأخذ باللاحق ما دامت أقواله تتوفر في كتبه السابقة فالأمر سيان ! سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومن أقوالهم كذالك :

٢] ما جاء بين ثنايا كلامهم عن عمر وجود الإنسان على هذه الأرض : " إن فترة نحو ستة الآف سنة من أيام آدم إلى وقتنا الحاضر قد تظهر طويلة من وجهة نظر البشر الذين يعيشون نحو سبعين سنة، ولكن بما أن الله هو الذي حدد الوقت يحسن بنا أن ندرك وجهة نظره في القضية".[١]

فيُفهم من هذا السخف أن الأحكام الإلهية والتقديرات الكونية الأزلية ليست سوى مجرد وجهات نظر! تعالى الله عز وجل عن كفرهم علواً كبيراً.

---

[١] المرجع السابق ، ص١٠٠.

ومعلوم أن وجهة النظر إنما هي أمرٌ يعبر عن رأي صاحبه ومن ثم فلا يكون ملزماً للآخر هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن وجهة النظر لاتكون حقيقة مُطلقة ومن ثم فهي معرضة لأن تكون صواباً أو خطأً – نستغفر الله العظيم – وهذا منافٍ تماماً لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين العبد وربه من انقياد لخالقه وخضوع لأوامر ربه حيث أن الكل تحت مشيئة وقهره وسلطانه عزوجل ، كما أن ذلك مناف لكمال علمه وتمامه لأن تقديراته الأزلية وأحكامه الإلهية وفق علمه سبحانه هي الحق المطلق الصادر عن الحقيقة المطلقة وهي الله تبارك وتعالى .

– أما من حيث عدم إلزامية وجهة النظر للآخر فإنهم لما رأوا أن الأمر مُلزمٌ لهم بكونهم يجهلون الغيب ذهبوا إلى أنهم لابد من أن يتفهموا ويُدركوا وجهة نظر الرب كخيار مفروضٍ أمامهم! ، والحق أنهم منقادون خاضعون لسلطانه تعالى شاؤا أم أبوا ، شعروا أم الم يشعروا.

قال تعالى :﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ مريم (٩٣-٩٥) .

يقول الدكتور أسعد السحمراني تعليقاً على ذلك :" ومن المغالطات قولهم عن الله تعالى : يحسن بنا أن ندرك وجهة نظره من القضية ، لأن الله تعالى يقرر الأمور ويقول لها كن فتكون، ولا يعطي وجهة نظر قابلة للأخذ والرد. وهذا التعبير يحمل إساءة تدلل على ارتباط شهود يهوه باليهود لأن اليهود يقولون في أدبياتهم التي وضعوها أن الرب قد يلتقي أحبارهم ويأخذ ويعطي معهم ، وقد يندم أمامهم على فعلٍ أو يتراجع عن مسألة".[1]

ومن أقوالهم أيضاً:

٣] ماورد في ثنايا كلامهم عن الإسلام بأنه دين للعرب فقط، فيقولون: " أعتبر محمد ﷺ القرآن العربي كتاباً مُعداً للعرب فقط ، وكان ذلك رغم الواقع بأن الشخص الجاري تمثيلهُ كمتكلم هو على وجه الحصر تقريباً الله نفسه ، خالق كل الشعوب ".[2]

---

[1] المرجع السابق ، ص١٠١.

[2] المرجع السابق ، ص ١١٧ .

ففي النص عدة مهاترات يمكن إجمالها في نقاط بعد أن نذكر الفكرة الإجمالية التي يهدفون إليها حيث أرادوا التركيز على أن القرآن الكريم لايخلو من أن يكون به شئ من التلفيق والتحريف زيادةً على العبارة التي صَدروها رأيهم ذلك"اعتبر محمد القرآن العربي..." فأرادوا إفهام الناس بأن هذا الكتاب العظيم إنما جاء به الرسول ﷺ من عنده واعتبره كتاباً مقدساً وأقنع بذلك المسلمين الذين اعتبروه وحياً كذلك من عند الله تعالى!!

ولم يريدوا من هذا القول الذي ينضح بالسم الزعاف سوى هدم الإسلام من أساسه كُلياً وهذا أحدا أهدافهم البعيدة في الحقيقة . يقول الدكتور أسعد:"لم يستطع شهود يهوه إنطلاقاً من منشئهم اليهودي إلا أن يُظهروا حقدهم على الإسلام وهذا يتضح من طرحهم الآنف الذكر المنافي للحقيقة وللواقع ، فالنصوص القرآنية على أن محمداً ﷺ رسول الله إلى الناس جميعاً عديدة، وواقع حال انتشار المسلمين وانتمائهم لأكثر من بلد وقومية يدحض هرطقة شهود يهوه وزعمهم " .[1]

أما بالنسبة للنقاط التي يمكن استخلاصها من ذلك النص السابق والتي تنافي علم الله عز وجل فهي على النحو التالي:

أ) عبارة"الشخص الجاري تمثيله" ولست أدري بمن سيمثلونه وهو الذي أخبر عن نفسه القدسية بأنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، ولكن ضعفت العقول ففاهت الأفواه بما لايليق!! وماداموا قد مثلوه بغيره فقد شبهوه بغيره.

لأن التشبيه وكما هو معلوم يعني الإعتقاد بأن بين الله تعالى والإنسان وجوه شِبه في الذات أو في الصفات أو في كليهما معاً ، وما داموا قد شبهوه بالخلق فقد ألحقوا به النقص – سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً – في صفة علمه الإلهي .

ب) عبارة "كمتكلم هو" ومعلوم أن المتكلم يحتمل كلامه الصواب والحق والباطل ، وهم بهذه المقولة ينسبون إلى الله تعالى – وحاشاه سبحانه– الباطل والخطأ كما ينسبون إليه الحق والصواب ، ولذلك نجد أن شيخ الإسلام رحمه الله حين رد على بعض الفرق

---

[1] المرجع السابق ، ص١١٧ – ١١٨ .

الإسلامية التي أطلقت على الله اسم "المتكلم والمريد " ذكر بأنه لاينبغي اشتقاق إسم يطلق عليه تعالى بالإستناد إلى وصف يتصف به تعالى مالم يكن ذلك الإطلاق أو ذلك الإسم متضمناً معاني الخيرية والحسن المحض ، ومن ثم فعلينا أن نثبت لله تعالى صفة الكلام دون أن نشتق له اسماً بأنه "متكلم" لأن جنس الكلام محتملٌ للحق والباطل ، والخطأ والصواب والله تعالى منزهٌ من أن ينسب إلى كلامه الخطأ والزلل أو السهو والباطل ، فلذلك لايحق لنا أن نسميه إلا بما سمى به نفسه مما أنزله في كتابه أو ورد على لسان نبي من أنبيائه لأن أسماءه تعالى توقيفية وليست إصطلاحية . [1]

ج) قولهم"اعتبر محمد" فيه مخالفة صريحة لما هو واقع فعلاً ، وقبل ذلك مخالفة لشهادة القرآن نفسه– وهم يعلمون ذلك– لأنهم يستشهدون كثيراً بآيات من القرآن يحرفونها عن معانيها الصحيحة لتخدم أغراضهم وأهدافهم [2] ، حيث نسبوا إليه الباطل بمخالفته الصريحة التي أخبرنا بها الحق تبارك وتعالى في مواطن كثيرة كقوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾الزمر(٢٣) ، وقوله عزوجل:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء (٨٢) ، وقوله:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان (١) . فخالفوا صريح الآيات ونسبوا إلى الله تعالى الخطأ وقول غير الحق لأنهم ناقضوا ما أخبر عنه بنفسه سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

---

[1] انظر: شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية عند الكلام على صفتي الكلام والإرادة .

[2] ومن أمثلة ذلك استشهادهم بالقرآن الكريم على صحة كتبهم كقولهم " الخلاصة هي أن القرآن الكريم يعلم أن هذه الكتابات الثلاث ، التوراة ، الزبور(المزامير) والإنجيل هي من الله ويجب أن تُعرف وتُطاع على السواء" ! ! فنقول لهم فما شأن القرآن ، والذي استشهدتم به ؟! ألم يخبر العالم أجمع بأنه"أحسن الحديث" وبأنه مهيمنٌ على الكتب من قبله وبأنه الكتاب الحق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! ! أم أنكم تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .

وفيما أوردناه أدل شاهد وأظهر دليل على انحراف عقلية أولئك القوم في تصورهم لقضية الإيمان بالله عزوجل ومسألة الإيمان بسابق علمه المحيط بكل المخلوقات ، والتي تستلزم معها الإيمان بتقديره عز وجل وبقضائه وقدره وفق ذلك العلم .

ومما سبق نخلص إلى أن:

١] الصهيونية ارتكزت على عقيدة البداء المنافية لمقتضى علم الله المحيط بكل شئ لتبرير وتسويغ أعمالها وجرائهما الوحشية وبهذا المعنى تبرز أهمية عقيدة البداء في الجانب السياسي للفكر الصهيوني ، إذ استخدمت كمظلة شرعية لخدمة أغراضها السياسية .

٢] الصهيونية اعتمدت على عقيدة البداء لتأكيد أحقية اليهود في الوعد الإلهي .

٣] الصهيونية وأدواتها بما فيها فرقة أو منظمة "شهود يهوه" يعتقدون قصور علم الله عزوجل وهذا واضح من خلال أقوال أعضائهما وزعمائهما.

الفصل الثالث

الديانات التي أثرت في مفهوم العلم الإلهي عند اليهود

ويتألف من مبحثين :
المبحث الأول : تأثر مفهوم العلم الإلهي عند اليهود بالديانات القديمة السابقة .
المبحث الثاني: تأثر مفهوم العلم الإلهي عند اليهود بالفكـــر الإســـــــلامي .

المبحث الأول

تأثر مفهوم العلم الإلهي عند اليهود بالديانات القديمة السابقة

وفيه تمهيد و ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : تأثـر اليهـود بالتصـورات الوثنيـة عنـد الأديـان السابقـة .
المطلب الثاني : أهم الديانات التي تأثر بها التصـور اليهودي في العلم الإلهـي .
المطلب الثالث : نماذج مقتبسة من بعض أساطير تلك الديانات والتي تنسب قصور العلم للآلهة .
المطلب الرابع :بعض أسبـاب إنحـراف تصـور اليهـود للعلـم الإلهـي .

تمهيد

لقد مرت العقيدة الإلهية في التصور اليهودي بمؤثرات وعوامل عِدة عبر تاريخ الديانة اليهودية المتطاول والذي كان الحس والمادية لاسيما فيما يتعلق بجوانب التصور لله تعالى – هما العاملان المسيطران على الذهنية اليهودية التي ما استفاقت من سبات وثنيتها وانحرافها العقدي إلا على صوت القران الكريم وتصريحاته المتكررة بشأن ما داخلها من الانحراف والوثنية مما لا يمكن معه اعتقاد إلهاميتها كوحي من عند الله تعالى استمر على نقاءه وصفاء عقيدته كما أُنزلت .

وقد كان لهذه التصريحات القرآنية والنبوية أثراً بالغاً في استنهاض همم العلماء والمفكرين قديماً وحديثاً لكشف عُوار تلك الأسفار وما انطوت عليه من زيغ وضلال .

وآتت تلك الجهود ثمارها في الكشف عن مصادر تلك الانحرافات العقدية التي ضمها الكتاب المقدس بين جنبيه حيث أثبتت وقوع التأثر اليهودي بالوثنيات المختلفة من مختلف الأمم والشعوب على مر التاريخ اليهودي .

وقد كان من نتائج ذلك التأثر بالوثنيات الأخرى الوقوع في هوةٍ سحيقة من الانحرافات العقدية التي لا يمكن ردها أو محاربتها إلا بمحاربة النصوص التي حوتها، وهذا مالا يكون من قومٍ يرون في تقديس أمثال تلك النصوص حفاظاً على كيان الجماعة ووحدتها.

وجدير بالذكر أن القران الكريم قد ساق عدداً من تلك الصور الوثنية التي نضح بها الفكر اليهودي وردّ عليها ردوداً قوية مفحمة، فمن ذلك:

١- قوله تعالى حكاية عن اليهود والنصارى :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة (٣٠-٣١)

٢- قوله تعالى إخباراً عن عبادة بني إسرائيل للعجل من دون الله تعالى :﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ طه (٨٣-٨٩) .

٣- وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة (١١٦-١١٧) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى ومن أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله ، فأكذب الله جميع دعواهم .[1]

٤- وقوله تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ المائدة (٦٤) .

---

[1] انظر: مختصر تفسير ابن كثير في تفسير الآتيين (١١٦-١١٧) من سورة البقرة .

هـ- وقوله تعالى حكاية عن سوء أدبهم مع الله تعالى حين وصفوه بما لا يليق: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ آل عمران (١٨١) .

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) قالت اليهود: يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله: (لقد سمع الله قول الذين قالوا... الخ الآيات) .[١]

وقال محمد بن إسحاق عن عباس أنه قال: دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجلٍ منهم يُقال له (فنحاص) وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع، فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل . فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا!!! وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا) .[٢]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على السطحية العقلية فِكراً وفهماً ومعتقداً، فكيف إذا صادفت كفراً صراحاً ووثنية عمياء؟!

غير أن ما يهمنا هنا بشأن تلك الوثنيات التي امتلأت بها العقائد اليهودية المحرفة، ما يتعلق منها بصفة العلم الإلهي على وجه الخصوص ، فنقول :

إن اليهود وكما اعتقدوا أن الإله تبارك وتعالى يتصف بصفات الحوادث المستغرقة في وثنيتها، فكذلك اعتقدوا أن علمهُ سبحانه و تعالى يعرِض له ما يعرض لعِلم المخلوقين من نسيانٍ

---

[١] انظر: مختصر تفسير ابن كثير عن تفسير الآية (١٨١) من سورة آل عمران .

[٢] انظر: نفس المرجع السابق عند تفسير الآية.

وجهل وسهوٍ وغفلةٍ وندم وتأسف وغير ذلك مما يوهم اعتقاد الجهل عليه سبحانه وتعالى في وقتٍ من الأوقات، وهذا مالا يليق به عزوجل لما فيه من منافاةٍ لعلمهِ الأزلي على الوجه الذي يليق به سبحانه، إذ أن التذكر لأمر كان قد نُسي من قبل يُوهم اعتقاد جهله به سبحانه وتعالى قبل تذكره كما يزعمون -تعالى عما يقولون علواً كبيراً-

وكذلك اعتقاد الغفلة عليه عز وجل يوهم اعتقاد الجهل الناجم عن سهوٍ ونقص إدراك للأمر -وحاشاه سبحانه- كما أن كلاً من الندم والتأسف يوهمان اعتقاد جهله تعالى بمستقبلات الأمور مما يوهم كذلك اعتقاد البداء عليه تعالى، وهو ظهور أمرٍ لم يكن يعلمه من قبل في سابق عِلمِه عز وجل، وكل ذلك منافٍ لما يجب اعتقاده في حقه تعالى من أزلية عِلمه وأسبقيته بما كان وما سيكون، وشمولية ذلك العلم وإحاطته بكل شيء .

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يونس(٦١) .

ونظراً لما كانت عليه معبودات الأمم من تجسيد للشكل البشري الإنساني ، إضافةً إلى أشكال أخرى اتخذت صور الجمادات وبعض الحيوانات كعبادتهم للشمس [1] على سبيل المثال، وعبادتهم للعجل الذهبي[2] والأفعى النحاسية[3] فإنهم بالتالي اعتقدوا في هذه الآلهة اتصافها بجميع ما يتصف به البشر.

---

[1] يقول النص الوارد في سفر حزقيال (٨/ ١٦): (...وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق).

[2] يقول النص الوارد في سفر الخروج (٣٢/ ٧-٨): (فقال الرب لموسى: اذهب انزل. لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به . صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له .

[3] الله أم يهوه أيهما إله اليهود ؟ ، ص ٣٩ .

ونتيجة لهذا التصور المادي الذي أُشربته قلوبهم قبل عقولهم، اعتقدوا أن الله عز وجل الذي دعاهم إليه موسى عليه السلام لا يختلف كثيراً عن تلك المعبودات –سبحانه وتعالى علواً كبيراً– فبالتالي لم يُفرقوا بين ما يمكن أن يكون عليه عِلمه سبحانه وتعالى من الإحاطة والشمول والأزلية وعلم ما سيكون، وبين تصورهم عن صفة العلم التي اتصفت بها تلك الآلهة ذات الهيئة البشرية و الصفة البشرية والتي لا تخلو بحالٍ من أن يعتريها الجهل والقصور والنقص. ونتيجة لذلك نسبوا إليه تعالى صفات النقص والقصور في علمه عزوجل حتى أصبحت عقيدةً راسخة لديهم ومصدّقة تصديقاً مطلقاً على أساس أنها وحيٌ إلهي منزل غير قابل للنقد أو النقض!!

ويمكن القول بأن تلك النسبة قد مرت بمرحلتين جوهريتين حتى تبلورت بأن صارت عقيدة راسخة ليست قابلة للشك أو المراء، وهاتين المرحلتين :

أولاً/ مرحلة التصورات العقلية : ويمكن القول بأنها المرحلة التي كان فيها احتكاكهم بالأمم والشعوب الأخرى حيث كانوا يرون ما كان من تلك الأمم والشعوب من طقوس ومعبودات وثنية، فتكونت لديهم نتيجة لذلك صورة وثنية عن الإله الذي دعاهم إليه موسى عليه السلام ، واعتقدوا أنه يجهل ويندم وينسى ويعتريه الطيش والتهور الذي يَعقُبُ ندماً بعد ذلك نتيجة الجهل بما سيكون، وأنه يعنّ له الأمر ثم يظهر له خلافه فتحصل عليه البداوات!!.

ثانياً/ مرحلة الرسوخ العقدي: وهذه المرحلة يمكن القول بأنها بدأت حين تمت ترجمة تلك التصورات إلى وقائع وأساطير وتشريعات، حيث لازمت العقل اليهودي حين كتابة الأسفار المقدسة في فترة السبي البابلي وما بعدها لزوماً لم يتمكن معه من الفصل بين ما يجب في حق الله تعالى من اعتقاد كمال عِلمه وشموله وأزليته على الوجه اللائق به، وبين ما تشرَّبه العقل اليهودي من اعتقاد قصور عِلمه سبحانه وتعالى ومشابهتهُ لعلوم البشر ، فتم الخلط بين الأمرين وصهرهِ في بوتقةٍ من الشرك والوثنية .

وحتى لا يكون قولنا محض دعاوى فإنه يجدر بنا أن نسوق الأدلة على ذلك التأثر الوثني بالإستناد إلى شهادة التوراة نفسها عليهم بوقوعهم في الشرك والوثنية وفي هذا أبلغ ردٍ على دعاوى كون يهوديةِ اليوم يهودية توحيد وتنزيه!

إذ على فرض كونها موحاةٌ إلى موسى عليه السلام يكون النظر إلى جميع ما ورد فيها على أنه كلام الله تعالى، هذا بالطبع مع جزمنا بوقوع التبديل والتحريف فيها .

وسنتناول الحديث حول تأثر اليهودية بالأديان السابقة في هذا المبحث من خلال أربعة مطالب .

المطلب الأول

تأثر اليهود بالتصورات الوثنية عند الأديان السابقة

لقد تحولت فرضية تأثر الدين اليهودي بما سبقهُ من الأديان والوثنيات السابقة على وجوده من طور النظرية إلى طور الحقيقة العلمية والتي استمر الجدل حولها على مدى سنواتٍ طويلة إلى يومنا هذا، حيث هيمنت تلك الأبحاث والكشوف العلمية على ساحة أبحاث اللاهوت المعاصرة، لتقرر في النهاية أن العهد القديم أو (التوراة) الموجودة اليوم ليست سوى مزيج متناسق شكّل في مجملهِ خُلاصة مفرزات الأمم الغابرة في العقائد والشرائع على حد سواء .

ولا أدل على ذلك من شهادة التوراة نفسها والتي نطقت بتحريفها وتبديلها، واقتباسها لكثيرٍ من لوثات تلك الأمم في العقائد، لاسيما ما يتعلق بالذات الإلهية وصفة العِلم الإلهي.

وقبل أن نعرِض لما أثبتته تلك الدراسات يجدر بنا أن نسوق بعض الشهادات التوراتية على ذلك على سبيل الاستشهاد والتدليل لا الحصر :

١- يقول النص الوارد في سفر الخروج (٣٢/ ٧-١٠): (...فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرضِ مصر. وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب وإذا هو صلب الرقبة فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم) .

٢- يقول النص الوارد في سفر العدد (٢٥/ ١-٣): (وأقام إسرائيل في شِطِّيم[1]...فَدَعَوْن الشعب إلى

---

[1] شِطِّيم: اسم عبري معناه "شجر السنط" وهو مخيَّمٌ هام لبني إسرائيل في سهول موآب في شرق الأردن مقابل أريحا. انظر: قاموس الكتاب المقدس .

ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببَعْلِ فَغُوَر [1] ، فحمي غضب الرب على إسرائيل).

٣- يقول النص الوارد في سفر الملوك الأول (١١/ ١-١١): (وأحب الملك سليمان نِساءً غريبة كثيرة مع بنت فِرعون: مُؤابيَّاتٍ وعَمُّونيَّات وأَدُومِيَّاتٍ وصِيدُونِّياتٍ وحِثِّياتٍ [2] من الأمم الذين قال

---

[1] بعل فغور: اسم مُؤابي لإله كان يُعبد في جبل فغور. انظر قاموس الكتاب المقدس .

[2] المؤابيين: هم شعب يسكنون أرض مُوآب ويقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لملكة الأردن اليوم. وينسبهم التصور اليهودي إلى مؤاب المزعوم من ابنة لوط البكر عليهما السلام ، حيث نسبوا إليه فِعل السوء مع ابنته وهو في حالة من السكر! ! وحاشا أنبياء الله ورسله من أن يرتكبوا أمثال هذه المساوئ عليهم صلوات الله وسلامه. وقد اختلقوا -أي اليهود- هذه الفرية ليطعنوا في الأمة المؤآبية لما كان بينهما من العداوة .

-العمونيين: نسبة إلى عَمُّون، وهم الشعب الذي سكن أرض عَمُّون وهي عبارة عن منطقة جبلية تقع شرقي نهر الأردن، وهي في أواسط المملكة الأردنية حالياً. ويعود أصلهم إلى نسل (بن عميّ) المزعوم من ابنة لوط الصغرى . ويذكر الكتاب المقدس أن العمونيين نالوا غضب الله لأنهم تحالفوا مع المؤآبيين جند بني إسرائيل. واسم إلههم "مَوْلَك" وهو آلهة كنعانية الأصل .

-الأدوميين: نسبة إلى أدوم وهو لقب لُقب به عيسو بن اسحاق لأنه كان أحمر عند ولادته ولأنه باع بكوريته لأجل طعامٍ أحمر اللون، فالأدوميين بذلك من نسل عيسو أو آدوم وقد سكنوا إقليم أو أرض سعير وهي المنطقة الغربية من المملكة الأردنية اليوم .

-الصيدونيين: هم سكان صيدا، وهي مدينة فينقية قديمة تعني "مكان صيد السمك" وتقع بين جبال لبنان والبحر المتوسط شمالي صور، ويذكر الكتاب المقدس أن صيدون مُرادف لفينيقية والصيدونيون مُرادف للفينقيين، وهي من أقدم مُدن العالم، وأسمها مأخوذ من بِكر كنعان حام بن نوح .

-الحِثِّيون: من أقوى الشعوب الهندأوروبية القديمة وأكثرها حضارة، ومصطلح الحثيين ينطبق تاريخياً بحسب علم الحفريات على بقايا ثقافة فريدة موجودة في آسيا الصغرى، شمال سوريا وشمال العراق .

-"عِشْتَوْرَت": هي الآلهة الرئيسية في كل من دولتي بابل وأشور الذين سموها عشتار، وكذلك في مدن الفينقيين على سواحل فلسطين وسوريا ولبنان، وهي آلهة واحدة في كل هذه المناطق إلا أن اسمها والقليل من طقوسها تختلف بين مكان وآخر اختلافاً سطحياً، وهي ربة الأمومة وأم الربّات، وهي نفسها الإلهة "إينانة" عند السومريين "الإلهة الأم العذراء" وقد كانت هي والبعل -إله الخصوبة- يرمزان إلى الشمس=

عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم...وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نســــاءه أَمَلن قلبه وراء آلهةٍ أخرى ولم يكن قلبُه كاملاً مع الرب إلههُ كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عَشْتُورَت إلهة الصِيدوْنيّين ومَلْكومَ رجس العَمُّونيين...حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة الكَمُوشَ رجس المؤآبيّين...ولمولك رجس بني عَمُّونَ...).[1]

٤- يقول النص الوارد في سفر القضاة (٢/ ١١-١٣):(وفعل بنو إسرائيل الشر في عين الرب وعبدوا البَعْلِيم[2] وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من ارض مصر وساروا وراء آلهةٍ أُخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب، وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت).

٥- يقول النص الوارد في سفر القُضاة (٣/ ١٢-١٤):(وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب . فشدد الرب عِجلون [3] ملك مؤاب على إسرائيل لأنهم عملوا الشر في عيني الرب. فجمع

=والقمر، وانتقلت عبادتها إلى بني إسرائيل كما يزعمون ويفترون –أيام الملك سليمان الذي أدخل عبادتها متأثراً بطقوسها في صيدون .

– "كموش" إله المؤابيين، وقد سُمّوا بالكموشيين نسبة إلى عبادتهم له. انظر: قاموس الكتاب المقدس،ص٧٨٧ وقصة الحضارة لوول ديورانت ، ك٢ مجلد١ ، ص ٣٠١ .

[1] ونحن إذ نسوق تلك النصوص للاستشهاد. لا يعني ذلك التخلي عن الفوارق العقدية بين الإسلام واليهودية، فنحن نؤمن بنبوة سليمان عليه السلام وأنه كان نبياً ملكاً أوتي ما لم يؤت أحد قبله ولا بعده من الملك، كما نؤمن بأن الأنبياء معصومون عن ارتكاب كبائر الإثم ومعصومون في تبليغ رسالات ربهم، وقد امتدحه الله تعالى بقوله:(ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً)، فهو نبيّ جاء ليقرر رسالة التوحيد ويحكم بشرائح التوراة فكيف يُصدق أنه أدخل عبادة الأوثان إلى الشريعة؟!.

[2] البعليم: جمع بعل وهو اسم سامي معناه "رب" أو "سيد" أو"زوج" وهو إله كنعاني وكان ابن الإله ايل وزوج الإلهة "بعلة" أو "عشيرة" وقد صار البعل بعد ذلك من معبوادت الإسرائيليين الذين ادخلوا عبادته إلى بلادهم . انظر: قاموس الكتاب المقدس .

[3] عِجلون: مؤابي معناه "مثل العجل" وهو ملك مؤاب احتل أريحا مدة ثمانية عشر عاماً واستعبد بني إسرائيل متحالفاً مع العَمُّونيين والعمالقة. انظر: قاموس الكتاب المقدس .

إليه بني عمّون وعماليق [1] وسار وضرب إسرائيل وامتلكوا مدينة النخل فعبد بنو إسرائيل عِجلون ملك مؤاب ثماني عشرة سنة)!!

٦- يقول النص الوارد في سفر القُضاة (١٠/ ٦-٧): (وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البعلِمَ والعَشتاروتَ وآلهةَ أرامَ [2] وآلهةَ صِيدونَ وآلهةَ مؤابَ وآلهةَ بني عمّونَ وآلهةَ الفِلِسطينين وتركوا الرب ولم يعبدوه، فحمي غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينين وبيد بني عمّون) . **وغيرها من النصوص التي ناء العهد القديم بحملها والتي لا حصر لها.**

والمستفاد من هذه النصوص وغيرها هو بيان ما كان لتلك التصورات الوثنية الطاغية جرّاء الانقياد وراء عبادةِ تلك الآلهة الوثنية من تأثير على صفة العلم الإلهي عند اليهود .

فكما رأينا أنهم وضعوا جميع ما يمكن أن يُطلق عليه أنه إله في نسقٍ واحد، واعتقدوا إشراكها جميعاً في نفس الصفات، فلذلك جاء تصورهم عن علم الله تبارك وتعالى تصوراً بشرياً قاصراً لاسيما أن تلك الآلهة معظمها صِيغ في هيئة وشكل بشريين "كبعل" على سبيل المثال [3]، وبالتالي ظُن في تلك الآلهة أنها كالبشر تماماً في جميع صفاتها -رغم أنها في الحقيقة لا تضر ولا تنفع- فخلعوا عليها جميع صفات البشر، بل أبعد من ذلك أنهم اعتقدوا علمها للغيبيات، فلذلك أخلصوا في عبادتها وأصبحوا يقرّبون لها القرابين وفق طقوس اخترعوها .

---

[1] العماليق: شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية ومن ذرية عيسو بن إسحاق. انظر: قاموس الكتاب المقدس.

[2] آلهة أرام: أي معبودات الأراميين الذين سكنوا أرض أرام، وهي الأرض الممتدة من جبال لبنان غرباً إلى ما وراء الفرات شرقاً ومن جبال طوروس شمالاً إلى دمشق وما ورائها جنوباً، وقد أُطلق على هذا الإقليم اسم "سوريا" في الترجمة اليونانية للكتاب المقدس (السبعينية). ولفظ أرام في الأأصل يعني "الأرض المرتفعة" .

[3] انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٨١ .

وذلك بخلاف تصورهم عن علم الله تبارك وتعالى، إذ كانوا على النقيض تماماً حيال ذلك مما اعتقدوا في معبوداتهم تلك، فتصوروا أن الله تعالى يجهل شيئاً من أمرهم ويغفل عنهم أحياناً، ومن ذلك مناجاتهم التي أوردها الإمام السموأل [1] في كتاب "إفحام اليهود"، فيذكر عنهم قولهم: "انتبه لم تنام يا رب، استيقظ من رقدتك" [2] !!

ومقصودهم من هذه المناجاة كما يذكر الإمام السموأل أنهم أرادوا أن يثيروا في الله تعالى -وحاشاه سبحانه وتعالى- النخوة والحمية حتى ينتصر لشعبه [3] !! فكأنه قد غفل عن ذلك حتى نبّهوه بمناجاتهم تلك!! ولاشك أن ذلك منافٍ لكمال علم الله سبحانه وتعالى، الذي ينبغي اعتقاده في حقه جل وعلا.

ويمكن القول أن تلك التصورات التي انطبعت عليها أذهانهم مما جربوه من واقع أنفسهم ومما عهدوه من علوم البشر التي ينتابها النسيان والندم والجهل وخفاء بعض الأمور والحوادث عليهم مما لم يشاهدوه بأنفسهم ولم يقفوا عليه، هو الذي أدّى بهم إلى أن يعتقدوا في علم الله عز وجل ذلك الاعتقاد، وينسبوا إليه القصور والنقص تعالى علواً كبيراً.

أضف إلى ذلك ما أُشربوه في قلوبهم وعقولهم من مختلف الوثنيات والمعبودات التي رأوها وعايشوها حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من فِكرهم ووجدانهم، فتبلّد إحساسهم وشعورهم الديني وعبدوها، وليس هذا فحسب بل أنهم عبدوا بعض البشر -كما رأينا من قبل عبادتهم لعِجلون ملك مؤاب حين انتصر عليهم، ثماني عشر سنة.

ونتيجة لهذا الفساد الذي ترسخ في عقليتهم وفِكرهم لم يستطيعوا أبداً التصور بأن ثمة ذاتٍ إلهية لا يشابهها في صفاتها ولا في علمها شيء من المخلوقات البشرية أو الوثنية. ولم يستطيعوا كذلك فهم معنى الإحاطة والشمول والأزلية الذين يتصف بهم علم الله تبارك وتعالى.

---

[1] تقدمت ترجمته ، ص٩٥ .

[2] انظر: إفحام اليهود ، ص١٣١ .

[3] انظر: إفحام اليهود ، ص ١٣١ .

ولأنهم لم يفهموا ولم تستوعب عقولهم تنزيهاً كهذا ، نتيجة إغراقهم في انحرافهم العقدي تصرفوا تجاهه عز وجل بما استطاعت عقولهم استيعابه فتدخلت في موروثهم الديني إعمالاً للهوى الذي غلب عليها في ظل غيابٍ للوازع الديني حيث قست قلوبهم نتيجة طول الأمد بينهم وبين عهد النبوة والرسالة ، ويبين هذا المعنى أبلغ بيان قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد(١٦) . فالانحراف العقدي نتيجة حتمية لقسوة القلب وضعف الوازع والحس الديني ، وقسوة القلب نتيجة طبيعية أيضاً تترتب على عوامل عديدة منها طول الأمد وبعده عن عصر صدر النبوة ومعينها الصافي كما مر معنا .

أما بالنسبة لما ذكره مؤرخو اليهودية فنذكر منه :

– ما ذكره الدكتور فؤاد حسنين في كتابه "التوراة عرض ونقد" والذي علّق على نصوص العهد القديم فقال: "وهو ككتاب أو جزء من كتاب عبارة عن حلقة من سلسلة الكُتب الدينية التي عرفتها الجزيرة العربية في عصورها المختلفة، سواء ظهرت تلك الديانات بين أرجائها كالبابلية والآشورية أو اليمنية الكنعانية مثلاً أو نشأت خارجها كالمصرية القديمة ، والعهد القديم أيضاً إلى جانب ذلك ظل للحياة العقلية الروحية في تلك العصور، تلك العقلية التي ما استطاعت يوماً أن تخلص من ماضيها السحيق وتقاليدها المختلفة وطريقة نظرها إلى الحياة". [1]

فالعهد القديم عند الدكتور حسنين ليس إلا انعكاساً لأساطير ووثنيات تلك الديانات التي عاشت في تلك العصور .

– وأما الأستاذ العقّاد فيذكر أن العقيدة الإسرائيلية كانت موضع مقابلةٍ مستفيضة بينها وبين عقائد البابليين والمصريين والفرس والهنود الأقدمين، وأن لها صِلة قريبة بعقائد اليونان قبل عصر الفلسفة وبعدها إلى عصر المسيح . [2]

---

[1] انظر: التوراة عرض وتحليل ، للدكتور فؤاد حسنين ، د.ط ، ١٩٤٦ ، ألف باء ، مصر ، ص١٠.

[2] انظر: الله العقاد ، ص٧٦.

وهذا يؤكد أن التصور اليهودي لم يتأثر بتلك التشوهات والوثنيات السابقة فحسب بل إنه كان ناقلاً ومحرراً لكثير من أساطير وخرافات تلك الوثنيات، والتي لم تخلُ من تصورات وثنية في صفة العلم الإلهي .

ولعل ما ذكره الأستاذ سهيل قاشا بهذا الصدد يؤيد هذا الرأي . يقول سهيل قاشا: "والواقع أن الهيكل العام للرواية التوراتية ينطبق بكل خطوطه العريضة وبكثيرٍ من تفاصيله على النص البابلي، حتى أن بعض التعابير تكاد تنطبق بحرفية مُطلقة" . [1]

وقد مثّل لذلك بوجود تشابه بين قصة الخليقة "الإينوماإليش" البابلية وبين قصة خلق العالم كما وردت في سفر التكوين، وتلتقي في أكثر من حدث . [2]

ونفس التشابه نلاحظه في قصة خلق الإنسان السومرية "آدابا" وتطابقها مع الأحداث التي ترويها التوراة عن أصل الخليقة . [3]

على أن ما يعنينا في ذلك التطابق بين الثقافتين المقتبسة والمقتبس منها هو ما تعلق بصفة العلم الإلهي، وتأثره عند اليهود بما كان في موروثات الأمم التي سبقت الوجود اليهودي . وسيتضح ذلك من خلال ما سنورده إن شاء الله تعالى .

أما عن كيفية انعكاس ذلك التصور الوثني في تصورهم لعلم الله تعالى –فكما أسلفنا– يتلخص في إلحاق ما هو متصور في الذهن اليهودي –مما اكتسبه من ثقافات الديانات الأخرى من حولهم– بالله عز وجل ظناً منهم أن الذات العلية –طالما أنهم لم يشاهدوها بأعينهم– لا تختلف عن تلك الآلهة المشاهدة كثيراً، بل أن نفوسهم لم تطمئن إلا لما هو مشاهدٌ أمامهم، فلذلك لم يهتموا بما وراء

---

[1] انظر: أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية ، ص١٩٣.

[2] انظر: المرجع السابق ، ص١٩٥.

[3] انظر: نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

الغيب، وهذا واضحٌ تماماً من خلال الآيات التي قصت واقعة طلب بني إسرائيل للرؤية: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة (٥٥) .

فلما تيقنوا امتناع الرؤية انساقوا خلف ما هو مرئيٌ محسوس وتمسكوا به أشد التمسك حتى لكأنه من أصيل عقائدهم المنزلة، وأهملوا الألوهية الحقة ولم يراعوا لها تنزيهاً ولا إجلالاً.

على أنه علينا الأخذ بالاعتبار ما لسُنة تقليد المغلوب للغالب من أثرٍ كذلك . يقول الأستاذ داود سنقرط: " لقد جارى كُتاب التوراة السومريين والبابليين والكنعانيين في وصف خوارق آلهتهم الوثنية لئلا يظهروا بمظهر الضعف أمامهم ، وعلى البشرية أن تصدّق كل هذا الهذر ما دام الكتاب هو التوراة ، وما دام الكتبة من الأحبار الربيين " .[١]

---

[١] جذور الفكر اليهودي. للدكتور داود عبد العفو سنقرط ،ط٢،د.ت، دار الفرقان، عمّان، ص١١٩.

المطلب الثاني

أهم الديانات الوثنية التي تأثر بها التصور اليهودي

لاشك أن الكتاب المقدس أو العهد القديم قد احتل مكان الصدارة لدى الأمم الغابرة وفيما مضى من الأزمان، وذلك بسبب ما وُصف به من القداسة التي لم تكن موطن نزاع في يوم من الأيام. أما الآن فلقد اختلف الأمر كثيراً عما كان عليه وذلك بفضل الاكتشافات الأثرية الحديثة والتي أماطت اللثام عن الأصول التاريخية التي ترجع إليها مختلف تصوراته الدينية والعقائدية والأسطورية على السواء .

يقول الدكتور حسن ظاظا –رحمه الله–: "لقد توفرت مصادر تاريخية جديدة بفضل النجاح في قراءة كتابات قديمة كانت طلاسم وألغاز حتى هذا الوقت [1] كالهيروغليفية في الكتابات المصرية الفرعونية والكتابات المسمارية في العراق وما جاورها: السومرية والبابلية والآشورية والفارسية والحِثية والكنعانية . [2]

وتمتاز هذه الكتابات في كونها عاصرت الأزمنة التي تعود إليها بخلاف العهد القديم الذي ينقل أحداثاً ترجع إلى عهودٍ بعيدة وأزمنة سبقته بعشرات القرون ."[3]

لقد أثبت علماء العهد القديم أنه تُوجد بالفعل أدلة لأقوال التوراة في الكتابات المسمارية الآشورية والبابلية التي تم العثور عليها في الحفريات في مصر مما رسّخ الحقيقة في بحث التاريخ العِبري القديم، حيث تم الكشف في تل العمارنة عن أرشيف امينوفيس الثالث والرابع والذي يعود

---

[1] القرن التاسع عشر الميلادي .

[2] انظر: الفكر الديني الإسرائيلي ، ص ٩. نقلاً عن كتاب تأثر اليهودية بالأديان القديمة. للدكتور فتحي الزغبي ، ص٤٥٣ .

[3] انظر: المرجع السابق .

إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد [1] ، وفي هذا الأرشيف وُجدت ألواح صلصال عديدة مكتوبة بالآشورية ومن بينها رسائل متبادلة بين ملوك بابل وآشور وبين ملوك مصر [2] . وفي عام ١٨٩٦م حدث اكتشافٌ آخر بنفس التل لرسائل أخرى على ألواح حجرية تحكي انتصارات أحد ملوك مصر التي حققها في بلدانٍ مختلفة .[3]

والذي يهمنا هنا ليس تلك الكتابات المسمارية في ذاتها، وإنما العلاقة الوطيدة والقديمة التي بينها وبين العهد القديم الذي جعل منها مادة أصيلة في تشكيل تراثه وعقائده!!

يقول العالِم الأكادي فريدريس ديليتش [4]: "إن كثرة أوجه التشابه بين الكتابات المسمارية والعهد القديم ـ باستخدام الاتجاه البابلي الشمولي في نقد العهد القديم ـ إلى حد التطابق الكامل أدى إلى فقدان الإحساس بقوة الكتابات المقدسة" [5]. وقد عزا ديليتش معظم العهد القديم إلى موروثات بابل، حتى اسم يهوه لدى اليهود ذهب إلى أنه يعود إلى الموروثات البابلية . [6]

أما عالم الآثار "جونكل": فقد اتضح له بعد أن فحص كل عصور اتصال هاتين الثقافتين أن

---

[1] انظر: تاريخ نقد العهد القديم ، ص١٥٥.

[2] انظر: نفس المرجع السابق .

[3] انظر: نفس المرجع السابق .

[4] عالم من علماء الآثار ونقد العهد القديم، أصدر سلسلة من مؤلفا حول بابل والكتاب المقدس، كما ألقى في جامعة برلين وغيرها سلسلة من المحاضرات العامة التي أثبت فيها اعتماد العهد القديم والدين اليهودي على العقائد العربية البابلية. انظر: التوراة الهيروغليفية للدكتور فؤاد حسنين على ، ص٥٥ نقلاً عن كتاب تأثر اليهودية بالأديان القديمة ، ص٤٢٣ .

[5] تاريخ نقد العهد القديم ، ص١٦٥.

[6] انظر: المرجع السابق ، ص١٦٦.

عمر هذه العلاقة قدِيمٌ جداً. والأسطورة القديمة عن مردوك [1] الإله الذي حطم الغَمْر [2] وسيطر على المحيط البدائي وعمل من نصفه سماء ونصفه مياه انتقلت إلى أرض كنعان قبل أن يظهر بنو إسرائيل ! ! [3]

ومن خلال هذا المصدر الكنعاني وبواسطة الشعب المستقر في فلسطين استحدثت إسرائيل فيما بعد هذه الميثولوجيا القديمة أيضاً، وبقدر ما استمدت هذه الجماعة من تلك الوسائل الكنعانية، قامت بتحرير ثقافة بابلية أخرى عديدة وصاغتها طبقاً لهدفها، واستمدت منها تشبيهاتها ومؤلفاتها وتأثرت بها وتصارعت وتكيفت معها . ولم يحتل يهوه فيها فقط مكان مردوك، بل خلصها من كل الميثولوجيا القديمة وسلسلة الأحداث الغريبة عن دين الأنبياء، وامتلأت روحاً ومضموناً جديداً لولا أصداء قليلة وقديمة مطبوعة بالطابع البابلي الذي لا يزال مخيماً عليها مثل: الظلمة القديمة، خربة وخالية، الغمر بمثابة اسم، انقسام المياه، تنين المياه، جند السماء، نصنع الإنسان، ورأى أنه حسن. ولم يكن مصدرها البابلي ملموساً لأن روحاً أخرى وازنتها، تلك هي روح الإله الواحد خالق السماء والأرض والمسيطر على الكل .[4]

وبينما يذهب علماء الآثار إلى ثبوت محاكاة الآداب العِبرية للموروثات البابلية والسومرية نجد "ينسن" [5] يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرى أن كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحمة البابلية وأن كل أبطال التاريخ العِبري القديم لم يوجدوا ولم يُخلقوا . [6]

---

[1] اسم لأحد آلهة بابل ، وتُنسب إليه عملية الخلق .

[2] الغمر عبارة عن مياه كثيرة .

[3] انظر: تاريخ نقد العهد القديم ، ص١٦٧ .

[4] انظر: المرجع السابق ، ص١٥٧.

[5] أحد علماء الآثار ونقد العهد القديم من مؤلفاته : " أسطورة جلجاميش في الأدب العالمي" .

[6] انظر المرجع السابق ، ص١٦٥.

لكن ما هو جدير بالذكر أن التصور اليهودي لعلم الله عزوجل قد تأثر حقيقةً بما تصوره أرباب تلك الوثنيات عن آلهتهم المختلفة حول صفة العلم، حيث نجدهم –وكما سيأتي معنا– قد نسبوا لتلك الآلهة كل ما من شأنه أن يُعد قصوراً في صفة العلم، فنسبوا إليها الحزن والندم والنسيان والغفلة، وسائر ما هنالك من صفاتٍ تنافي تمام العِلم وكماله .

وبما أن اليهود كانوا نقلةً في أغلب أحوالهم فإنهم تصوروا في الله تعالى –باعتباره إلهاً خاصاً بشعبهم– كل ما تصوره أرباب تلك الآلهات القومية من وثنية وقصور في صفةِ العلم، لذا جاء كتابهم مزيجاً من باطلٍ يطغى وبقية حقٍ ليس من مؤمن به إلا أقل القليل .

وقبل أن نخوض في الحديث عن تلك الأساطير القديمة التي حشا بها اليهود توراتهم نود أن نلمح إلى نبذٍ قصيرة لأهم الديانات التي تأثر بها التصور اليهودي بشأن ما يتعلق بعلم الله تعالى، وسنبدأ الحديث بالكلام عن الديانة السومرية باعتبارها الأصل لما جاء بعدها من الديانات الوثنية ثم البابلية والآشورية وغيرها من الديانات والحضارات التي استقرت في تلك المنطقة.

أولاً: السومريون:

يُعد السومريون أحد شعوب الشرق الأدنى القديم التي ازدهرت ثقافتها في القسم الجنوبي من العراق في منطقة بلاد الرافدين، وقد تم اكتشافهم في منتصف القرن التاسع عشر ١٨٥٠م، غير أنه ورغم ما عُرف عنهم من حضارتهم وديانتهم، بقي هناك علم لم يُتوصل إلى معرفته كمعرفة جنسهم ولغتهم وموطنهم الأصلي الذي نزحوا منه إلى بلاد الرافدين . أما الآلهة السومرية فقد عُبدت من قبل السومريين والساميين لأكثر من ثلاثة آلاف عام . [1]

ثانياً: الأكاديون:

ويمثلون أشهر هجرات الساميين من الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين، فهم الساميون الأول الذين استوطنوا العراق القديم، ويذهب الدكتور حسن ظاظا إلى أنهم أول شُعبة سامية تظهر على

---

[1] انظر: تأثر اليهودية بالأديان القديمة ، ص١٧٨ .

مسرح التاريخ، وقد عاشوا جنباً إلى جنب مع السومريين وكان تأسيس إمبراطوريتهم في الألف الثالثة قبل الميلاد .[١]

ثالثاً: البابليون :[٢]

البابليون هم مواطنو بابل، وبابل باللغة الآشورية البابلية معناها "باب إيلي" و"باب إيلاني" بمعنى" باب الله" أو "باب الآلهة". وبابل هي أرض شنعار المذكورة في سفر التكوين (١٠:١٠ ، ١٤، ١) وهي تقع على شطي الفرات، وقد اتسعت الإمبراطورية البابلية وشملت أراضي بلاد ما بين النهرين وما حولها .

ويقسم الباحثون تاريخ ديانة بابل إلى ثلاث فترات أساسية :

١- **الفترة الأولى**: وتمتد من العصور الأولى منذ ٣٥٠٠ ق.م تقريباً وحتى توحيد الولايات البابلية بقيادة حمورابي [٣] في ٢٠٠٠ ق.م .

٢- **الفترة الثانية**: وتمتد حتى قيام الإمبراطورية الكلدانية أو البابلية الحديثة بقيادة نبوبولاسار[٤] في عام ٦٢٥ ق.م .

٣- أما **الفترة الثالثة**: فتشمل هذه الفترة تاريخ الإمبراطورية الكلدانية أو البابلية الحديثة، بقيادة كورش في عام ٥٣٨ ق.م .

ولعل أهم ما يميز الفترة الثانية هو قيام الدولة البابلية بقيادة ملك الكلدانيين الذي قضى على الحكم الآشوري، وقد بلغت الدولة البابلية أوجهها في هذه الفترة في عهد ابنه "نبوخذ نصر" الذي دام حكمه إلى ٥٦٢ ق.م، ولعل أهم حدث تميز به حكمه هو حادثة السبي البابلي لليهود بعد تدمير أورشليم .

---

[١] انظر: نفس المرجع ، ص١٨٠ .

[٢] انظر: دائرة المعارف الكتابية، جـ٢ ص ٦ ، ٣٣ ، ٣٤ .

[٣] اسم حمورابي مركب من كلمتين : "حمو" وهو اسم إله سامي غربي من الآلهة الشمسية ويعني الحرارة، وكلمة "رابي" ومعناها عظيم أو كبير .

[٤] هو والد الملك البابلي الجبار بختنصر .

رابعاً : الآشوريون: [1]

وهم أحد الشعوب السامية التي استقرت في منطقة الهلال الخصيب ، في القسم الشمالي من العراق منذ مطلع الألف الثالثة ق.م .

ونظراً لطول تاريخهم فقد اعتاد المؤرخون وعلماء الآثار على تقسيمه إلى ثلاثة عصور تاريخية ، هي:

١- العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م) .
٢- العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠-٩١١ ق.م) .
٣- العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) .

وفي العصر الحديث قامت إمبراطوريتين هما الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١-٧٤٤ ق.م)، والإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٤-٦١٢ ق.م) .

وتبرز أهمية الإمبراطورية الثانية في اتصالاتها باليهود اتصالاً مباشراً، حيث تم القضاء على مملكة إسرائيل بعد احتلال عاصمتها السامرة وسبي أهلها إلى بابل، وهذا ما عُرف تاريخياً بالسبي الآشوري . [2]

وقد تميزت جميع ديانات بلاد الرافدين بمجموعة مميزات لا شك أن من أبرزها :

١- **التشبيه:** يقول موسكاتي: لقد نقل السومريون ومعهم الساميون إلى آلهتهم جميع الأفعال التي يمارسها البشر في حياتهم الخاصة والعامة . [3]

---

[1] نسبةً إلى آشور، وقد اشترك في هذا الاسم كلٌ من الأرض والعاصمة والإله أو المعبود الأكبر للآشوريين . انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٨ ـ ٨٠ ، وَ تأثر اليهودية بالأديان القديمة الصفحات ١٨٢-١٨٣-١٨٤.

[2] انظر: تأثر اليهود بالأديان القديمة ، ص ١٨٢-١٨٣-١٨٤.

[3] انظر: المرجع السابق ، ص١٨٧

كما تقع من هذه الآلهة كل أخطاء البشر ونزواتهم، فأفكارها قابلة للنضوب رغم علمها وثقافتها الواسعة، وهي معرضة للطيش والظلم، وباختصار لقد كانت آلهة بلاد الرافدين تمثل أفضل جوانب الطبيعة البشرية وأسوأها .[١]

٢- **التعدد**: لقد كثرت الآلهة في بلاد الرافدين وتعددت تعدداً ملحوظاً، شأنها في ذلك شأن الديانات الوضعية القديمة، ويرجع السبب وراء تلك الكثرة التي بلغت الآلاف إلى تمثيل تلك الآلهة للظواهر الطبيعية المختلفة .[٢]

أشهر معبودات بلاد الرافدين :

على الرغم من تقديس شعوب بلاد الرافدين لجميع تلك الآلهة المتكاثرة إلا أن هناك من تلك الآلهة ما اشتُهر كإله قومي لكل شعب ، فأصبح يُعامل ككبير للآلهة . وقد عُبد واشتُهر "أنليل" ككبير للآلهة السومرية، بينما اشتَهر البابليون "بمردوخ" والآشوريون "بآشور"[٣] هذا إلى جانب " إشتار" أو "عشتار"، و"بَعْل" البابليين وغيرها .

خامساً: الكنعانيون:

وهم قبائل سامية قدمت إلى بلاد سورية[٤]، ويرجح أن هجرتهم تمت في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد[٥]، وقد أُطلق على من سكن الساحل منهم مُسمى الفينيقيين على رأي بعض المؤرخين الذين يرون أن الكنعانيين والفينيقيين شعبٌ واحد، أما من حيث الديانة فقد ارتكزت على مظاهر الخصب والإخصاب المتعلقة بمظاهر الطبيعة .

---

[١] المرجع السابق نفس الصفحة .

[٢] نفس المرجع السابق .

[٣] انظر: المرجع السابق ، ص١٩٤.

[٤] بلاد سوريا القديمة، وهي تشمل جميع بلاد الشام .

[٥] انظر: تأثر اليهود بالأديان القديمة ، ص٢٠٠.

ويذكر موسكاتي أن الآلهة الكنعانية كانت ذات طابع غير محدود أو ثابت، فكثيراً ما تتبادل صفاتها ووظائفها وصلابتها، بل وجنسها أيضاً حتى ليصعب أحياناً أن نعرف حقيقة صنفها وصلاتها بعضها ببعض .[1]

وقد كان هناك مجمعٌ لهذه الآلهة الكنعانية وعلى رأسه "إلّ" الذي هو بمعنى "إله"، ويعتبر هذا "الإلّ" الإله الأكبر والأب لجميع الآلهة الأخرى، وكذلك "بعل" وزوجته "عشيرة" كانا ضمن معبودات كنعان .[2]

سادساً: ديانة المصريين القدماء :

اصطلح المؤرخون على تقسيم مراحل التاريخ المصري إلى إحدى وثلاثين أُسرة، ويحتوي على عِدة عصور تبدأ بعصر ما قبل التاريخ وتنتهي بعصر الفتح الإسلامي الذي كان آخر هذه المراحل .

وبالنسبة للمعبودات فتأتي مصر في المرتبة الثالثة بعد الرومان والهند في كثرة الآلهة وشيوعها واختلاف أشكالها، ولعل أهم ما يميزها هو تقديس المصريين للحيوانات على اختلافها .[3]

تلك هي أبرز الديانات السابقة التي كان لليهود احتكاكٌ مباشرٌ بها، والذي انعكس على تصورهم للذات الإلهية ولصفة العلم الإلهي على وجه الخصوص .

---

[1] نفس المرجع السابق .

[2] انظر: المرجع السابق ، ص ٢٠١.

[3] انظر: ص٢٠١ .

المطلب الثالث

نماذج مقتبسة من بعض أساطير تلك الديانات و التي تنسب قصور العلم للآلهة

لقد نضحت ثقافات الأمم السابقة بكثير من الخرافات والأساطير التي نسبتها لمختلف الآلهة الوثنية التي عبدتها وخضعت لسلطانها، معتقدة تأثيرها على العوالم السفلية والعلوية على السواء، غير أن تلك الأساطير ورغم ما نسبته إلى مختلف الآلهة التي عبدتها من خوارق الأمور لم تكن في ذات الوقت قد جردتها من مختلف الصفات التي يتصف بها البشر ، الحسنة والقبيحة، فكما أن هناك إلهاً للخير فهناك إلهٌ للشر وهو شرٌ محض، وكما أن هناك آلهةً للنور فهناك آلهةٌ للظلام، وكما أن هناك آلهة للمُثل العليا فهناك آلهةٌ للحسد والغيرة والحقد والحرب والدمار.

وإذا كانت الآلهة تعلم وتدرك الأمور وتعلم مختلف أحوال عابديها سراً وعلناً فإنها كذلك ـحسبما تصورها تلك الأساطيرـ يحصل لها ما ينافي ذلك العلم الذي اتصفت به، فهي تنسى أحياناً وتحزن أحياناً أخرى، وتصيبها الغفلة ويتطرق إليها الندم والبكاء في أوقاتٍ كثيرة ، كما أنها لا تخلو من تهورٍ وطيشٍ يعتريها في كثيرٍ من الأحيان .

ولتسليط الضوء على تلك الجوانب يجدر بنا أن نسوق جملةً من تلك النصوص التي يمكننا خلالها تصور صفة العلم التي اتصفت بها تلك الآلهة الوثنية لدى الأمم السابقة والتي تسربت فيما بعد إلى التصور اليهودي، ولن أتعرض لتلك النصوص بالنقد، وإنما سأشير إلى وجه منافاتها لصفة العلم فحسب .

بعض النصوص المقتبسة من الأساطير القديمة والتي تنافي صفة العلم الإلهي :

١/ في ملحمة جلجامش البابلية تطالعنا إحدى روايات قصة الطوفان التي يتكون أشخاصها أو أبطال القصة من: ١- مجمع للآلهة يرأسه الإله "آنو" أبو الآلهة.

٢- شخصية "أوتنابشتيم" وتقابلها شخصية نوح عليه السلام .

وملخص القصة أن الآلهة، وهي هنا ملكة الآلهة "عشتروت" أمرت مجمع الآلهة أن يحل الشر بالبشر وأن يُدمَّروا، فتولى "أنليل" إله الحرب ومستشار الآلهة الحربي إنفاذ الطوفان لإهلاك البشر بمعونة عدد من الآلهة، وقبل نزول الطوفان أمر الإله "إيا" "أوتنابشتيم" أن يبتني سفينة ينجو بها من الطوفان، وبعد أن نزل الطوفان وهلك جميع البشر ندمت "عشتروت" على قرارها الذي اتخذته لإهلاك البشر، وذلك حينما رأتهم قتلى على صفحة الماء .

يقول أوتنابشتيم في حكايته لقصة الطوفان التي طلب منه حفيده جلجامش إخباره بها :

وارتفعت المياه حتى وصلت إلى قمم الجبال، ولم يعد الرجل يبصر أخاه ولم يعد الرجال يعرف بعضهم بعضاً، وانتاب الفزع الآلهة وهي قابعة في سمائها فتراجعت وصعدت إلى سماء "آنو"...وصرخت "عشتروت" وأخذت تعول وتقول: "اللعنة على ذلك اليوم الذي أمرت بدمارهم، أردت أن يتم هذا عن طريق القتال . فأين هذا الذي قد أمرت به؟ إنهم يملأون البحر كبيض السمك" وبكى الإله "أنوناكي" معها .

ولما انحسرت المياه قُرِّبت القرابين في اليوم السابع فاشتمت الآلهة الرائحة الطيبة فسكن غضبها!! ولما أبصر "إنليل" السفينة تملّكه الغضب وأبدى غضبه من الآلهة وقال: "من ذا الذي نجا بحياته؟ إنني لن أسمح لإنسان أن يعيش بعد هذا الدمار. عند ذلك قال "نينيب" رسول الآلهة للإله "إنليل": ومن ذا الذي يمكنه أن يفعل هذا خلاف الإله "أيا"؟ إن أيا هو الذي له علم بكل الأمور. ففتح أيا فمه وقال للمحارب "إنليل" إنك أيها المحارب رئيس الآلهة، ولكنك لم تستشر الآلهة في موضوع الطوفان ، وأرسلته إلى الأرض من تلقاء نفسك، وكان ينبغي أن يلقى الآثم جزاء إثمه والمذنب جزاء ذنبه، فلتعمل الآن ما يحول دون القضاء على الجنس البشري بأجمعه، لتكف عن إحلال اللعنة بكل شيء، لقد كان في وسعك أن ترسل إلى الأرض أسداً بدلاً من الطوفان فيلتهم الناس، وكان من الممكن أن ترسل إليهم نمراً أرقط فيفترسهم جميعاً...على أنني بعد كل هذا لم أكتشف بنفسي ما تنوي فعله .

فصعد "أنليل" إلى السفينة وأخذ بيد "أوتنابشتيم" وزوجته ليسكن عند منبع الأنهار لأنهما أصبحا شبيهين بالإله[1] ، ويعلق ديورانت على ذلك فيقول: "...ثم بكت الآلهة على حين غفلةٍ وعضت بنان الندم على غفلتها وسوء تدبيرها وتساءلت عمن سيقرّب لها القربان المعتاد " ؟ . [2]

مواضع فيها منافاة للعلم :

إننا إذا تأملنا في النص السابق نجد أنه قد نسب إلى الآلهة قصور العلم في أكثر من موضع ، فهي:

- لم تكن تعلم حين اتخذت قرارها وأمرت الآلهة الأخرى بإهلاك البشر ، لم تكن تعلم ما سيؤول إليه الأمر ، فلذلك لما رأت جثثهم طافية فوق سطح الماء أخذت تولول وتبكي ندماً على إحلالها الدمار بالبشر.

- كما أنها فزعت حين ارتفعت المياه وتراجعت إلى سماء الإله "آنو" ، ظناً منها أن المياه ستجتاح سمائها ، ولو توافر لها العلم التام بعواقب الأمور لما فزعت .

- وكذلك وجود الإله"أنليل" كمستشار للحرب ينبئ عن عجز تلك الآلهة وقصور علمها في كثير من الأحيان إذ لا بد لها لأن تستفتي وتستشير غيرها في كل إجراء تتخذه .

- وكذلك رضا الآلهة بعد أن أشتمت رائحة القرابين المحترقة ، وقد كانت قبل ذلك تتساءل عمن سيقدم لها تلك القرابين بعد أن اقترفت خطأً بإفناء البشر ! !

- ثم قول أحد تلك الآلهة للآخر بأن إله الحكمة"إيا" هو الذي له علم بكل الأمور ، الأمر الذي يحتم جهل بقية الآلهة بتلك الأمور التي يعلمها "إيا" .

---

[1] انظر: الفولكلور في العهد القديم لجيمس فريزر ، ص٩٨-٩٩-١٠٠-١٠١.

[2] قصة الحضارة ، الكتاب الأول من المجلد الأول ، ص٢١٨.

– وكذلك قول أحد تلك الآلهة للأخرى :"على أنني بعد كل هذا لم أكتشف بنفسي ما تنوي فعله" الأمر الذي يؤكد جهله بما ينوي الآخر فعله ! !

فالآلهة الواردة في النص إنما هي تجسيد لصورة بشرية محضة لا تختلف في صفاتها عن صفات البشر .

٢/ دخلت الآلهة "ننكر ساج" ضمن مجمع الآلهة السومرية، وكانت عبادتها منتشرة في أرض سومر، ومن ضمن الأساطير التي نُسجت حولها أنها أصيبت بالحزن الدائم بسبب حال البشر .

يقول وول ديورانت: وعبدت مدينتنا لشى ولكشى أمّا لهما حزينة هي الآلهة "ننكر ساج" التي أحزنها شقاء البشر فأخذت تشفع لهم عند الآلهة الذين كانوا أشد منها قسوة . (١)

٣/ جاء في الديانة المصرية القديمة في مناجاة روح الميت للقاضي الأكبر، والمقصود به هنا –الرب أو الإله–...وقلبك مُفعم بالحزن والخجل، لأني ارتكبت في العالم من الذنوب ما يفعم القلب حُزناً.(٢)

٤/ ورد في أسطورة "أشتار وتموز" البابلية أن أشتار حزنت واستبد بها الحزن عندما هوى " تموز" إلى الجحيم المظلمة تحت الأرض، وقررت أشتار أن تنقذ تموز فهبطت إلى تلك الأرض لإنقاذه، فلما نزلت إشتار إلى الأرض التي لا يعود منها من يدخلها أبصرتها إرشكجال وأغضبها مجيئها وألقت إشتار بنفسها عليها من غير تفكير . و إرشكجال هذه هي الآلهة التي كانت تحكم ذلك الجحيم المظلم . (٣)

---

(١) انظر: قصة الحضارة ،الكتاب الثاني من المجلد الأول ، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق ، ص١٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٢٠ .

– هذا النص يحكي عملية تفكير أشتار بعد أن أستبد بها الحزن حتى توصلت إلى رأي أو قرار بإنقاذ تموز ، بعد أن هوى في لجات الجحيم ! !

– كذلك حينما رأت الآلهة الأخرى التي كانت تحرس الجحيم ألقت بنفسها عليها دون تفكير ، الأمر الذي يُفهم منه أن تلك الآلهة الوثنية لا تخلو من عمليات تفكير قبل أن تتخذ قراراتها في أمر ما ! ! ثم أن تلك القرارات قد يبين قصورها فيما بعد فتتندم الآلهة على ما كان منها من طيش وتهور وسوء تدبير للأمور ! !

٥/ ما ورد من قول "زراد شت" وهو يناجي الإله الفارسي "أهورا مزدا":...هذا ما أسألك عنه فأصدقني الخبر يا أهورا مزدا . [1]

– وهذا النص يفيدنا معنى أن تلك الآلهة قد تكذب في أخبارها وتغير أقوالها من وقت لآخر ، ولذلك طلب زرادشت أولاً وقبل كل شيء من " أهورا مزدا" أن يكون صادقاً معه في كلامه .

٦/ من أساطير الإله "ساتيرن" إله الزرع ذو الأصل اللاتيني الروماني أنه كان يلتهم صغاره خوفاً من تولي أحدهم الحكم من بعده ، وقد تزوج "ساتيرن" من "أوبسس" وعندما أنجبا ابنهما "جوبيتر" همَّ "ساتيرن" بالتهام ابنه "جوبيتر" لولا أن الآلهة "أوبسس" استغفلته بأن لفّت حجراً بقماشه وأعطته له على أنه "جوبيتر"، وكان ذلك سبباً في نجاته ! ! ولم يعلم بذلك حتى كبر "جوبيتر" وتخلص من "ساتيرن" وانفرد بحكم العالم . [2]

– النص السابق يحكي استغفال أحد الآلهة – وهي هنا الأم – للآلهة الأخرى ،فهي حين أعطته الحجر على أنه ابنه لم يتبين الأمر ولم يعلم به من قبل وإنما التقم حجره ظناً منه أنه ابنه.

---

[1] المرجع السابق ص ٤٢٨

[2] انظر: المعتقدات الرومانية ، ص٢٢٢.

– ثم استمر على جهله وغفلته ولم يعلم بما يجري حوله ، حتى كبر ابنه وقضى على ملكه !! وهذا يفيدنا أن تلك الآلهة كان يعتريها من الجهل والغفلة والسذاجة ما يستمر معها لأوقات طويلة دون أن تعي لما حولها.

٧/ يقول أحد الرواقيّين الرومانيين مترنماً يخاطب الآلهة: "...لا شيء يحدث على الأرض إلا بعلمك، ولا في السماء ولا في البحر إلا ما يفعله الأشرار مدفوعين إليه بحمقهم.." .[١]

– ويُفهم من هذا النص أن ما يفعله الأشرار من الشر يخرج عن نطاق علم الآلهة ، وبالتالي فهي من القصور في العلم بحيث لا يمكنها تقصي أولئك الأشرار ومحاسبتهم على أفعالهم من ثَمَّ . وقد تأثر فيلون بهذه النزعة في فلسفته ، فذهب إلى أن الله خير محض فلذلك لا يمكن أن يكون خالقاً للشر .

٨/ تقول "ترنيمة الخلق" الواردة في سفر "رج" من أسفار العقيدة الهندية الجزء العاشر:
إن من صدر منه هذا الخلق العظيم سواء خلقه بإرادته ، أو صدر عنه وهو ساكن إنه هو ربنا الأعلى في السماوات العُلا، إنه هو يعلم السر –بل لعله لا يعلم .[٢]

– فالآلهة في تصور عابديها قد تعلم وقد تجهل فلا تعلم شيئاً ، وليس هناك غضاضة في نسبتهم الجهل إليها ما دامت في آخر الأمر تسمى آلهة !

٩/ تروي إحدى الأساطير الرومانية ذات الأصل السومري نسيان أحد الآلهة ويُدعى " فولكان" لفتحة الأسرار في صدر الإنسان عند خلقه للإنسان!! [٣]

---

[١] قصة الحضارة ، الكتاب الثامن المجلد الرابع ، ص١٨٢.

[٢] انظر: المرجع السابق ، الكتاب الثالث من المجلد الثاني ، ص٤٢ .

[٣] انظر: المعتقدات الرومانية ، ص٢٩٢ .

١٠/ تروي أسطورة الطوفان الرومانية أن الإله "جوبتر" غضب لما أحدثه البشر من دمار على الأرض فدعا الآلهة إلى مجلسه وبلّغهم خشيته من أن يقوم البشر بما قام به العمالقة فيتجاسرون على الآلهة وعلى السماء...ثم قرر "جوبتر" أن يفني البشر من على وجه الأرض . [١]

غير أنه لا يرد ذكر الندم في رواية الطوفان الرومانية، وإنما الخشية من أن يتجاسر البشر عليهم وأن يقوموا بما قام به العماليق ! وهنا تصوير لجهل تلك الآلهة التي قصر علمها عن أن تعلم ما سيحدثه البشر على الأرض أو السماء وهل سيتجاسرون أم لا ؟ وماذا سيحصل إن تجاسروا وقدروا على الوصول إليها ؟!.
– أنه نتيجة لتلك الخشية اتخذت الآلهة قراراً بإفناء البشر ، فهو قرار لم يُعلم سلفاً وإنما كان مبنيا على تخوف وتوقع.

والمقصود مما أوردناه أن نبين أن تلك التصورات الوثنية في علم الباري تعالى ، والموجودة في العقيدة اليهودية ترتد في أصولها المحرفة إلى تلك الوثنيات الموجودة في الأساطير القديمة،وهذا يتضح جلياً عند مقابلة بعض النصوص ببعضها كما سنرى :

النص الوثني	النص العبري
١/ ورد في بعض ألواح "سيبارة" الأثرية هذا النص الآشوري الوارد في قصة الطوفان: " رأى الإله شر الإنسان فحزن أنه خلق إنساناً " .[٢]	" ورأى الرب أن شر الإنسان قدكثر...فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض " . تك (٦/٥-٦)
٢/ في ملحمة جلجامش البابلية :بعد حادثة الطوفان ندمت الآلهة على إهلاك البشر فقال	بعد حادثة الطوفان ندم الرب وقال في قلبه: "لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان ". تك (٢١/٨)

[١] انظر: المرجع السابق ، ص٣١٨.

[٢] الدين في مصر والعصور القديمة وعند العبريين لأبكار السقاف ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ،مؤسسة الإنشار العربي، بيروت ، ص ١١٨ .

بعضها لبعض: "لتكف عن إحلال اللعنة بكل شيء".

٣/ ورد في نشيد أخناتون: "ما أعظم أعمالك يارب إنها خفية على الناس خلقت الأرض كما تشاء ".[1]

" ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت ملآنة الأرض من غناك " . مزمور (١٠٤/٢٤) .

٤/ مقتطفات من الشعر القصصي الفينيقي: " كلامك حق ـ حكمتك إلى الدهر " . [2]

" رأس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدلك ". مزمور (١١٩/١٦٠) .

٥/ يقول أحد الرواقيين الرومانيين مترنماً يخاطب الآلهة : " لاشيء يحدث على الأرض إلا بعلمك...إلا ما يفعله الأشرار مدفوعين إليه بحمقهم " . [3]

" لأن الرب يعلم طريق الأبرار ، أما طريق الأشرار فتهلك " . مزمور (١/٦) .

٦/ جاء في الدين المصري القديم من وصايا "ختي" لـ "مري كارع" من الأسرة العاشرة : " إن الإنسان صورة الله وشبهه ". [4]

" وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " . تك (١/٢٦) .

وغير تلك النصوص . والمقصود مما ذكرناه أن اليهود قد تأثروا بما سبقهم من وثنيات في عقيدتهم القاصرة في العلم الإلهي ، سيما أنه قد ثبت إتصالهم بكثيرٍ من الأمم الوثنية القديمة ، والتي تنسب إلى آلهتها تلك كثيراً مما فيه منافاة لتمام علمها ـ الذي من المفترض أن يؤمن به أولئك الأتباع ما داموا قد خلعوا عليها وصف الألوهية ـ . فمن المفترض أن يؤمنوا بأن تلك الآلهة

---

[1] تأثر اليهودية بالأديان القديمة ، ص ٢٧٦ .

[2] المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

[3] قصة الحضارة ، الكتاب الثامن ، المجلد الرابع ، ص ١٨٢ .

[4] الدين في مصر والعصور القديمة ، ص ٨١ .

التي خضعوا لسلطانها ، أنها تتصف بعلم ماوراء الغيب ، وأنها تعلم كل شيء فلا يخرج أمر عن نطاق سلطانها .

لكن الذي حدث أنهم تعاملوا معها في بعض الأحيان على خلاف ما يمكن إعتقاده فيها كآلهة مقدسة لدى شعوبها ، فاعتقدوا أنها تخاف وتفزع لحدوث أمر ، وأنها تخشى شيئاً متوقع الحدوث ، وأنها تندم وتلطم و تبكي ، كما أنها والغفلة قرينان في كثير من الأحوال ولفترات طويلة ! !

وهي علاوة على ذلك تُعمل فكرها طويلاً لتتخذ قرارات مناسبة ، غير أنها في كثير من الأحيان تكتشف عدم سداد رأيها في تلك القرارات التي اتخذتها رغم إعمالها الفكر في ذلك طويلاً .

كما أن الخلاف بينها يُعد سِمة من السمات التي تميز مجمعها الإلهي ، ولذا فلا بد من مستشارٍ لها ترجع إليه إذا حزبها أمر ما . وقد يدب الخلاف مجدداً إذا تبين فساد مشورة ذلك المستشار بعد ذلك ! ! وما إلى ذلك من أوصافٍ تنافي العلم تماماً .

ونتيجة لتسرب تلك التصورات الفكرية المنافية لكمال صفة العلم الإلهي ، من موروثات تلك الشعوب وأساطيرها إلى العقل والفكر اليهوديين ، بسبب مجاورة اليهود لتلك الشعوب ونزولها بينها ـ كما أشرنا ـ ، كل ذلك أدى بالعقل اليهودي إلى الانحراف من التصور الصحيح للألوهية إلى تلك التصورات الوثنية فيما يتعلق بعلم الله تبارك وتعالى .

وبعد سنوات طويلة من فقدان التوراة بعد هدم الهيكل الأول ، ونتيجة لشعور اليهود بذل الأسر والشتات والعبودية وضياع الهوية الدينية لفقدان توراتهم ، شعر اليهود بحاجتهم الماسة لأن يكون هناك دستور يلتفون حوله ، يلملم شتاتهم و يوحد صفوفهم ، فعزموا على كتابة التوراة من جديد .

ونظراً للطموح الذي كان يصبو إليه عزرا في أن يحتل مكانة دينية بين بني جلدته ، فقد ادعى إلهامية التوراة الجديدة ، ثم قام بعد ذلك بكتابتها مع المجلس الذي قام بتأسيسه لهذا الغرض، وهو " مجلس الكنيس الأعظم" الذي كان يتولى رئاسته .

غير أن الدستور الجديد الذي تم تحريره لم يكن صورةً طبق الأصل من الدستور السابق !! وإنما داخله من خبرات الكتبة ووثنيات عقولهم التي تشربوها من الأمم المجاورة الشيء الكثير ، والذي أضحى يهدد قدسية ذلك الدستور ويشكك في أصوله تشكيكاً بدا واضحاً اليوم أكثر من ذي قبل .

وإذا أخذنا في الإعتبار ما مر معنا في السطور السابقة من بعض تلك الأساطير التي أوردنا طرفاً منها ، إضافة إلى ما أكده علماء الآثار ،لاسيما إذا ما قارنا بين تلك الأساطير القديمة السابقة على الوجود اليهودي – كالتي مرت معنا – وبين القصص التوراتي الموجود بين أيدينا، أمكننا أن نخلص إلى نتيجة مفادها :

أن جميع نصوص العهد القديم التي تنافي علم الباري تعالى ، وتنسب إليه القصور في علمه الإلهي والتي تستلزم يقيناً إضافة الجهل والندم والنسيان والحزن والبداء إليه تعالى ـ وحاشاه عزوجل ـ ، ماهي إلا انعكاس لتلك الأساطير التي تم اقتباسها وقولبتها لتتفق مع الرؤية اليهودية ، ويمكننا تصنيفها على ضربين :

١/ الإقتباس الحرفي وذلك يتجلى عند مطابقة النصوص بعضها ببعض كما مرَّ معنا .
٢/ التشابه في التصور القاصر للعلم الإلهي ، وهذا هو ما ذكرناه سابقاً [1] من تأثر اليهود عند كتابتهم للتوراة بما في النصوص الوثنية من تشوه لصفة العلم الإلهي ، الأمر الذي اتضح بجلاء بعد كتابة الأسفار اليهودية .

وليس ثَمّ من فرقٍ بين تلك النصوص التوراتية المنافية لكمال علم الحق تبارك وتعالى ، وبين تلك الأساطير سوى الاختلاف في مسمى الآلهة فحسب .

---

[1] انظر ص ٢٥٣ من هذا البحث .

على أن هناك ماتجدر الإشارة إليه ، ويتلخص في :

أننا كمسلمين نؤمن بما أخبرنا به المولى عزوجل من أمر خلق النوع البشري وقصة الطوفان، وقصة خروج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من أرض مصر وغير ذلك مما ورد في كتابنا العظيم وأتفق وروده في التوراة (العهد القديم) ، نؤمن بجميع ذلك وفق إخبار الله الإجمالي لنا دون البحث وراء تفاصيل ذلك مما لا طائل ديني يُستفاد من وراءه .

فنؤمن مثلاً بأن آدم عليه السلام قد عصى ربه بأكله من الشجرة التي نُهي عنها ، وأنه استحق بذلك لأن يهبط إلى الأرض وفق تقدير الله السابق الذي اقتضته حكمته تعالى من خلق النوع البشري ليكون خليفة في الأرض ، دون الخوض في البحث عن تفاصيلَ أعرض القرآن عنها فحري أن نعرض عنها .

ونؤمن أيضاً بأن طوفاناً عظيماً قد حدث في غابر الأيام في زمن نبي الله نوح عليه السلام ، وأن الله تعالى نجّى نوحاً ومن معه في السفينة من ذلك الطوفان . ولا ننساق وراء ما يذكره بعض علماء الآثار التاريخية من أن قصة الطوفان مثلاً ماهي إلا قصة فلكلورية أسطورية محضة أنتجتها خيالات الشعوب المختلفة !! بل هي حقيقة لا أسطورة أو فلكلور ، ولدينا أعظم شاهد على ذلك وهو هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وكذلك نؤمن بأن الأنبياء حق وأن موسى عليه السلام نبي من أنبياء الله تعالى أرسله إلى بني إسرائيل ، وليس كما يزعم " ينسن" من أن جميع شخصيات العهد القديم محض أوهامٍ غير حقيقية ، وأنهم لاوجود لهم ولم يخلقوا أصلاً .

ونحن إذ نقول ذلك لانسلم ببقية شخوص العهد القديم حتى الأنبياء الذين ورد ذكرهم فيه ، كما أننا لا نكذب بذلك كليةً وإنما نقف عند ما ورد في القرآن الكريم والسنة الثابتة الصحيحة بإعتبار صحته المطلقة ونعرض عما سواه .

المطلب الرابع

بعض أسباب انحراف تصور اليهود للعلم الإلهي

١/ الجهل بالله تعالى :

إن الجهل بالله تعالى وبمقام الألوهية الجليل هو منشأ كل انحراف ومبتدأ كل خلل سواء كان عقدياً أم في مسألة الأحكام والشرائع ، إذ لو قدّر المرء ذلك المقام واستشعر عظمة الخالق جل وعلا لما أقدم على الجرأة عليه تعالى. ولو عرف الإنسان خالقه معرفةً حقة لعظَّمهُ تمام التعظيم وأفرد له العبادة، ومن هذا السبب تتفرع بقية الأسباب الأخرى .

فالجهل بالله عزوجل هو سبب الاستهانة بألوهيته تعالى ، ومن ثَمَّ يكون هو السبب أيضاً لما قد تنحدر إليه الشعوب من وثنيةٍ وشرك كما هو الحال مع المثال الذي بين أيدينا .

٢/ فترات السبي والاضطهاد والاختلاط في حياة اليهود:

لقد كانت فترة السبي والاضطهاد فرصة مواتية لإختلاط اليهود بغيرهم من الأمم والشعوب التي نزلوا بها ومن ثم تقليدهم لتلك الأمم في معبوداتهم ووثنياتهم ، فنتيجة للإنبهار بما لدى الأمم والشعوب القوية من الحضارة نشأ التقليد اليهودي لها ، غير أن هذا التقليد كان على حساب الدين و العقيدة . يقول غوستاف لوبون : " لم يجاوز قدماء اليهود أطوار الحضارة السفلى التي لا تكاد تُمَيَّز من طور الوحشية ، وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل...فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس مافي حضارتها ، أي لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية وخرافاتها فقربوا لجميع آلهة آسية قربوا لعشتروت و لبعل ولمولك من القرابين ما هو أكثر جداً مما قربوه لإله قبيلتهم يهوه " . [1]

---

[1] اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، د . ط ، د . ت ، عيسى البابي الحلبي وشركاه . ص ٢٠ .

ولعل أبرز ما تمخضت عنه هذه الفترة هو الخروج بالتوراة الجديدة التي كتبها عـزرا ليقـوي انتمـاء اليهود بدينهم وعقيدتهم .

٣/ فقدان وتحريف اليهود للتوراة :

من العوامل التي ساعدت على تأثر اليهودية بالديانات القديمة فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، وتحريفهم لها، وانتفاء قدسية بقية أسفار العهد القديم .

ونتيجةً لذلك لم يكن لديهم وحيٌ صحيح يحفظ عليهم دينهم ويصون شرائعهم ويضـمن لهـم بقائهـا واستمرارها، ويقيهم شر الوثنيات التي تسربت إليهم . [١]

٤/ الاتجاه الوثني لدى بني إسرائيل :

إن الوثنية التي انتشرت في الدين اليهودي لم تكن لتجد منفذاً من خلاله إلى الدين والعقلية اليهوديين لو لم تصادف هوىً في نفوس اليهود .

والحقيقة أنه لو لم يكن لدى اليهود استعدادٌ كامل لتقبل الوثنية وتهيؤ تام للاستغراق في عبادتهـا والانسياق وراء أفكارها لكان من الممكن أن يتغلبوا على ما قاسوه من اضطهاد وسبي ، وأن يقـاوموا ما فرضه عليهم أسيادهم وغالبوهم، وأن يرفضوا كل ما أُكرهوا عليه وما يتعارض مع تعـاليم ديـنهم السماوي .[٢]

لقد جارى كُتّاب التوراة السومريين والبابليين والكنعانيين في وصف خوارق آلهتهم الوثنيـة لئلا يظهروا بمظهر الضعف أمامهم وعلى البشرية أن تصدق كل هذا الهذر ما دام الكتاب هو التوراة وما دام الكتبة من الأحبار الربيين . [٣]

---

[١] انظر: تأثر اليهودية بالأديان القديمة ، ص٣٤٨ .

[٢] انظر: المرجع السابق ، ص٤١٣ .

[٣] انظر: جذور الفكر اليهودي ، ص ١٣٤.

٥/ تلبيس الشيطان :

فإن القلب إذا صادف غفلةً من صاحبه استهواه الشيطان وخامرهُ كما حدث مع اليهود الذين غفلت قلوبهم فأُشربوا حب عبادة العجل، وقد سجل عليهم القرآن الكريم ما شهدوا به على أنفسهم، حيث قالوا قلوبنا غلف ، قال تعالى حكايةً عنهم: (وقالوا قلوبنا غلفٌ بل لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) .

يقول الإمام ابن الجوزي: قد لبّس الشيطان على اليهود في أشياء كثيرة، ومن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ، ولو كان تشبيههم حقاً لجاز عليه ما يجوز عليهم . [1]

٦/ نقض المواثيق :

وقد كانت هذه الصفة التي اتصف بها اليهود سبباً في فساد عقيدتهم وتردي أحوالهم، قال تعالى: (فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) المائدة(١٣).

ويقول الأستاذ داود سنقرط:" لقد كان اليهود منذ ظهور موسى حتى ظهور المسيح يتذبذبون بين التوحيد والوثنية...فما كانوا يستمعون لأحد الأنبياء فترةً حتى يعودوا لعبادة البعليم وعشتاروت وغيرهما من أصنام الشعوب الذين كانوا يحكمونهم أو يعيشون في كنفهم، وهذا يدل على أن اليهود كانوا أقلية مستضعفة في بحرٍ وثني تأثروا به أكثر مما تأثر بهم ، وإلا كانوا قد نشروا دينهم في العالم انتشار المسيحية والإسلام . [2]

٧/ السخط على الله تعالى:

وذلك كما يذكر الإمام ابن حزم –رحمهُ الله– حيث يقول: " وأما اليهود فغير منكر من شدة جهلهم وضعف عقولهم وعظيم بهتهم وكذبهم وتناقض أقوالهم وصلابة وجوههم ورخاوة قلوبهم وفرط غيظهم على ربهم عز وجل إذ أحل بهم من البلاء والذلة والمهانة والخِسّة ما أحل أن يدّعوا أن لهم على ربهم شروطاً أكثر من هذا، فهم يدعون لأحد أحبارهم أن الله –تعالى عما يقولون علواً

---

[1] انظر: تلبيس إبليس ، للإمام الجوزي ، ص٦٨.

[2] انظر: جذور الفكر اليهودي ، ص١٣٤.

كبيراً– تعلق في خراب بيت المقدس بثياب شمويل [1] وهو يبكي ويئن كما تئن الحمامة، وأنهم يعنون أن ربهم رغب إلى شمويل هذا أن يبارك عليه " . [2]

٨/ إهمال مسألة الألوهية :

وذلك تجلى عند كتابة الأسفار حيث كان الاهتمام منصبٌ حول إيجاد دستور لتوحيد صف الجماعة اليهودية وتوحيد كلمتها ومواساتها وتعزيتها من ذل الأسر وهوانه، وقد كانت فكرة إيجاد كيانٍ لهذه الفئة طاغياً على كل معنىً آخر بما في ذلك مسالة الألوهية والاهتمام بالصفاء العقدي الديني .

فنظراً لأن كتابة الأسفار زمن "عزرا" كان لأبعاد سياسية دنيوية أكثر منه لأبعادٍ دينية، جاءت قضية الألوهية بهذا القدر من التشويه والإنحراف والإهمال .

يقول الدكتور أحمد شلبي :"إن اليهود كتبوا التوراة انعكاساً لأخلاقهم ولآمالهم وبنوها هدفاً يحققون به مقاصدهم، ومن هنا ازدحمت الأخطاء في العهد القديم وتوالت " . [3]

---

[1] اسم عبري معناه: "اسمهُ الله" وفي الترجمات العربية مكتوب باسم "صموئيل" وهو أحد قضاة بني إسرائيل ومصلحيهم ، حكم أيام داود عليه السلام وقبله، وهي فترة عهد القضاة . انظر: قاموس الكتاب المقدس "شموئيل"و"صموئيل" . لكن من المعلوم أن خراب الهيكل كان بعد موت سليمان عليه السلام ، ولهذا نستبعد أن يكون شموئيل المذكور في ترجمة قاموس الكتاب المقدس هو نفسه شموئيل الذي عناه الإمام ابن حزم في قوله ذلك .

[2] الإحكام لابن حزم ، جـ ٤ ، ص ٤٧٣ .

[3] انظر: اليهودية ، ص٢٦٦.

المبحث الثاني

التأثر اليهودي بالإسلام

لم يقتصر التأثر اليهودي في صفة العلم الإلهي على الديانات السابقة فحسب ـ و التي شكلت عصور انحطاط عقدي في تاريخ الديانة اليهودية بكاملها ـ و إنما امتد ذلك التأثر ليشكل نقلة نوعية في تاريخ الديانة اليهودية عموماً ، و عقيدة الألوهية على وجه الخصوص .

و يمكن القول بأن مرحلة التأثر اليهودي بالإسلام قد مثلت عصراً ذهبياً في تاريخ العقيدة اليهودية ، لما كان فيها من إرتقاء بمستوى الدين و الفكر اليهوديين مقارنةً بما كانا عليه من و ثنيةٍ و انحطاط في العصور التي سبقت مجيء الإسلام .

أما بالنسبة لما يتعلق بصفة العلم الإلهي ، فلقد تأثر جملةٌ من رموز الفكر اليهودي الذين عاشوا في ظل الدولة الإسلامية آنذاك ببعض طوائف الفكر الإسلامي ، و خصوصاً بالفكر الإعتزالي الذي كان منتشراً في معظم أقطار المعمورة .

ومن هؤلاء على سبيل المثال الرابي سعدي الفيومي وموسى بن ميمون اللذين تقدم الحديث عنهما ، وابن شيريرا ، و ابن يعقوب ، و الحاخام رشي ، و أبي البركات البغدادي ، و ابن كمونه ، و ابن إلياس ، و غيرهم . وسنتناول آراء كلٍ من هؤلاء في صفة العلم الإلهي و فق تسلسلهم الزمني حسبما هو متاح و متوافر لدينا .

أولاً : حيّ بن شيريرا :

هو حي بن شيريرا جاعون ، عراقي من المتكلمين على مذهب المعتزلة ، عاش في القرنين العاشر و الحادي عشر الميلادي ، و كان زعيم المدرسة اليهودية في بابل و مفتيها .[1]

---

(1) انظر : موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص ١١١ .

أما بالنسبة لرأيه في صفة العلم الإلهي ، فيذهب إلى أن علم الله تعالى سابق و متعلق بمستقبلات الأمور ، فهو تعالى لايعلم ما سوف يحدث فحسب ، بل ما كان يمكن أن يحدث إذا اختار الإنسان المريد احتمالا آخر غير الذي عرض لاختياره .[١]

وفي رأي بن شيريرا نتلمس سبيل الإثبات عموماً لصفة العلم الإلهي ، وإن كان منهج الإثبات عند المعتزلة لا يقارن بمنهج السلف التنزيهي المطلق كما هو معلوم .

ثانياً : ابن يعقوب :

هو نسيم بن يعقوب القيرواني ، عاش في القرنين العاشر والحادي عشر في عهد الخلافة العباسية ، كان متكلماً معتزلياً ، و جاء تفسيره للدين تفسيراً عقلياً على غرار ما عند المعتزلة نظراً لما كان منه من استخدام صيغهم وأساليبهم الكلامية ، له كتاب " مفتاح مغاليق التلمود " ألفه باللغة العربية .[٢]

أما بالنسبة لرأيه في علم الله تعالى فنلاحظ فيه التأثر الشديد بآراء المعتزلة ، حيث يذهب إلى أن علم الله هو ذاته [٣] و ذلك في محاولةٍ منه لإثبات صفة العلم الإلهي في مقابل العديد من النصوص التوراتية المنافية لصفة العلم الإلهي .

و معلوم أن المعتزلة متفقون على أن الله تعالى عالم ، و إن كان حقيقة مذهبهم يدل على خلاف ذلك كما هو معروف .

غير أننا لا يمكننا الجزم بأن ابن يعقوب لم يناقض نفسه كما ناقض كثير من أحبار اليهود و فلاسفتهم أنفسهم بما ذهبوا إليه من آراء لا تتفق مع ما أثبتوه من صفة العلم ، ولعل ما ذكره

---

[١] انظر : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[٢] انظر: موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص ٤٦ .

[٣] انظر: المرجع السابق ، ص ٤٦ .

صاحب موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية يؤيد هذا الإتجاه ، حيث ينقل عن ابن يعقوب رأياً فيقول بأنه يرى أن المعرفة التي يعطيها التنزيل هي المعرفة الحقة لأنها الأثبت و الأرسخ .[١]

والذي يعتقد اليهود تنزيله ، يذكر أن الله جل شأنه و تعالى علواً كبيراً قد نسي نوحاً و من معه في الفلك ثم لما ذكرهم أجاز ريحاً فهدأت المياه [٢]، و يذكر أيضاً أن الله تعالى علواً كبيراً قد نسي ميثاقه و عهده إلى آباء بني إسرائيل و لذلك أراد إفناءهم عن بكرة أبيهم لما اكتشف صلابة رقابهم و عصيانهم له ، ثم لما ذكَّره موسى بذلك الميثاق الذي قطعه على نفسه و بما قد يحدث من شماتة المصريين بهم إن هو أقدم على ما أراد بهم من الإفناء ، تراجع عن ذلك [٣]، و غير ذلك من النصوص التي فيها منافاة لصفة العلم الإلهي ، و التي يعتقد اليهود تنزيلها و عصمتها .

ثالثاً : الحاخام رشي :

هو الحاخام شلومو يصحق ، وُلد في نهاية النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي (القرن الخامس الهجري) بمدينة " ترويز "[٤] ، يُعد من مفكري اليهود في البلاد المسيحية ، وله مدرسة دينية إلتف حولها جمعٌ من التلاميذ الذين تلقوا على يديه دراسة الكتب الدينية و شرحها، و أصبحوا امتداد له فيما بعد .[٥]

و أما رأيهُ في صفة العلم الإلهي فقد بدا واضحاً فيه تأثره بالفكر الإسلامي في الأندلس ، و ذلك عن طريق الفكر اليهودي العربي في أسبانيا ، إذ لم يكن يهود فرنسا بمعزل عن الدراسات اليهودية، و إنما وصل إليهم الفكر و الإنتاج اليهودي من كل مكان ، و على هذا فالذين وضعوا أسس الفكرين

---

[١] ص ٤٦ .

[٢] سفر التكوين (٨ / ١) .

[٣] سفر الخروج (٣٢ / ٩ ـ ١٤) .

[٤] مدينة تقع في شمال فرنسا على الحدود مع ألمانيا ، كانت تشتهر بالفنون و المهارات المحلية ، و قد شارك اليهود في تلك الفنون و امتلكوا هناك مزارع للكروم ، كما عملوا في دبغ الجلود و صناعتها .

[٥] انظر : الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ، ص ٢٦٧ ، ٢٧٨ .

الديني و اللغوي في الأندلس ـ كما يذكر الدكتور عبد الرزاق قنديل ـ ليسوا سوى تلاميذ أساتذة الشرق من اليهود أو من تأثروا بهم و بالفكر الإسلامي بصفة عامة .[1]

ومن آرائه التي نتلمس فيها ملامح فكره و مذهبه في صفة العلم الإلهي ، ما يذكره الدكتور عبد الرزاق من محاولات رشي في الربط بين أسماء أشخاص العهد القديم و بين الأعمال التي يقومون بها ، حيث يرى أنهم قد خُلقوا للقيام بها ، و أن ذلك سابق في علم الله سبحانه و تعالى قبل خلقهم .[2]

وإذا تأملنا رأي رشي فيما ذهب إليه فإننا لا نجده يثبت صفة العلم الإلهي فحسب ، و إنما يعتقد أزليتها وسبقها على الخلق ، وهذه خاصية يتميز بها العلم الإلهي عن علم البشر كما هو معلوم، و إذا تقرر ذلك لم يكن هناك مجالٌ لإعتقاد الندم أو التأسف في حقه تعالى .

و من آرائه كذلك ما ورد في تفسيره للفقرة التي تروي امتحان الله تعالى لإبراهيم حين أمره بذبح ابنه [3] فيقول بأنه على الرغم من قسوة الأمر إلا أن الله تعالى ألقاه إلى إبراهيم بصورة مخففة تدريجياً ، لعلمه بالطبيعة البشرية حتى و لو كانت طبيعة الأنبياء ، فلم يفاجئه بالأمر من البداية.[4]

---

[1] انظر : المرجع السابق ، الصفحات ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، ٤٣٨ .

[2] انظر : المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

[3] تفسير سفر التكوين (٢٢ / ٢) من "مقرأوت جدولوت" التلمودي ، و الذي يقول نصه : "..ابنك ، فقال إبراهيم عندي ابنان ، فقال له الرب : وحيدك ، فأجاب إبراهيم إن كلاهما الابن الوحيد لأمه ، فقال له : الذي أحببته ، فرد إبراهيم إني أحب الاثنين ، فقال له : إسحاق . و لكن لماذا لم يعين الله إسحاق من البداية ؟ لكي لا يفجعه ، ولا يهز إيمانه به أو يزعزعه ، و ليكافئه على كل كلمة يقولها ". انظر: الأثر الإسلامي ، ص ٤٥٩ ، هامش رقم «١» .

[4] المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

فعلى الرغم من التزام رشي في تفسيره ، بتفسير النصوص بعضها ببعض [1] ، إلا أننا نجده يتجاوز هذا المبدأ في محاولةٍ منه لإثبات صفة العلم لله تبارك و تعالى ، رغم ما ورد في ذات الإصحاح من معنى يفيد استجداد علم الرب تعالى ، الأمر الذي ينافي صفة العلم الإلهي .

تقول الفقرة الـ(١٢) : " فقال ـ أي ملاك الرب [2] ـ لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً ، لأني الآن علمتُ أنك خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني ".

رابعاً : أبو البركات البغدادي :

هو هبة الله بن ملكا أبو البركات البغدادي ، عاش في القرنين الحادي و الثاني عشر ، و يُعد فيلسوف العراقيين ، لذا لقب بـ"أوحد الزمان" . قيل أنه كان يهودياً فأسلم ، و من كتبه الفلسفية كتاب " المعتبر" [3] . و قد ذكره القنوجي في كتابه أبجد العلوم ، فقال : " و من الكتب المبسوطة في المنطق...والمعتبر لأبي البركات البغدادي اليهودي أولاً في أكثر عمره ، و المهتدِ إلى الإسلام في آخر عمره ".[4]

وأما رأيه في صفة العلم الإلهي فيمكن القول بأن سبيله كان أقرب إلى سبيل أهل السنة و الحديث، وقد امتدحه شيخ الإسلام بقوله : " وأما مقتصدة الفلاسفة كأبي البركات صاحب المعتبر..ففي قولهم من الإثبات ما هو خيرٌ من قول جهم" [5] ، و بقوله في موضع آخر :" و لأبي البركات

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

[2] يرد في كثير من النصوص ذكر ملاك الرب للدلالة على الله عزوجل ، و البعض يرى أن ملاك الرب غير الله تعالى ، و إنما هو منفذ أحكامه ـ كالدكتور أحمد حجازي السقا ـ ، لكن عند التأمل نجد أن النص الذي بين أيدينا و أضرابه يجعل الكلام من فعل الله تعالى علواً كبيرا .

[3] انظر : موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص ٤٦ .

[4] انظر : أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، لصديق بن حسن القنوجي ، جـ ٢ ، ص ٥٢٩ .

[5] كتب و رسائل و فتاوى ابن تيمية في التفسير ، جـ ١٢ ، ص ٢٠٦ .

صاحب المعتبر مقالة في العلم ردَّ فيها على أرسطو ، و نصر فيها أنه يعلم الكليات و الجزئيات".[1]
و مما مر معنا من كلام شيخ الإسلام يمكننا القول بأن مذهب أبي البركات يقوم على إثبات صفة العلم الإلهي على طريق أهل السنة و الحديث ، و ليس هذا فحسب و إنما ينهج منهج الرد على المخالفين لذلك الإثبات أمثال أرسطو و من نحا نحوه من الفلاسفة الإسلاميين .

خامساً : ابن كمونه :

هو سعد بن منصور بن كمونه ، وُلد في بداية النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، وتوفي في (٦٨٣هـ - ١٢٨٥م) ، وهو بغدادي من المدافعين عن اليهودية ، عُرف بتعصبه الشديد لليهودية والمجادلة بالباطل ، له كتاب " تنقيح الأبحاث للملل الثلاث " الذي حاول فيه التصدي لشرح أُسس الديانات الثلاث متهماً الإسلام بالنقل عن اليهودية ، كما حاول إبطال نبوة النبي محمد ﷺ [2] و له أيضاً كتاب " الجديد في الحكمة " و هو كتاب فلسفي حاول فيه إثبات العقائد اليهودية بطريق فلسفي يقرب إلى مناهج أهل الإعتزال .[3]

رأيه في صفة العلم الإلهي :

لم يقتصر تأثر ابن كمونه بأهل الإعتزال على إثباته لصفة العلم الإلهي فحسب ، و إنما شمل ذلك تأثره بطرقهم الكلامية في محاولاته تلك ، و هذا المسلك نتلمسه بوضوح في كتابه "الجديد في الحكمة " الذي يقيمه على أساس فلسفي . أما ميله لإثبات صفة العلم الإلهي فيتضح من خلال ما ورد في ثنايا كلامه في كتاب التنقيح . و سنعرض لآراء ابن كمونه في صفة العلم الإلهي من خلال استعراضهما ، فنقول :

آراء ابن كمونه الواردة في كتابه " تنقيح الأبحاث " :

إننا إذا استعرضنا كتاب التنقيح لابن كمونه نجد أنه يميل لإثبات صفة العلم الإلهي على غرار ما هو موجود في العقيدة الإسلامية .

---

[1] درء تعارض العقل و النقل ، جـ ٩ ، ص ٤٠٠ .

[2] انظر: موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

[3] راجع كتاب الجديد في الحكمة لإبن كمونه ، تحقيق : حميد بن مرعيد الكبيسي ، د . ط ، ١٤٠٣ هـ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد .

وعلى الرغم من عدم تصريحه بذلك الإثبات كما فعل ابن ميمون من خلال عبارته التي صدر بها عقائده الثلاثة عشر" أنا أؤمن " ، إلا أننا نستفيد مسلكه في الإثبات من خلال ما سرده من جملة العقائد التي ذكر أنها مما جاء به موسى عليه السلام من عند الله تعالى و شرعهم بها ، فيقول : " إن مما وصى الله به بني إسرائيل على لسان نبيهم موسى عليه السلام أن يعتقدوا أنه العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء " .[1]

و هذا حق ، بل هو الحق الذي يجب اعتقاده لأنه من معلومات الدين الضرورية و ليست هذه العقيدة مما أوصى الله به موسى عليه السلام فحسب و إنما مما وصى به جميع الأنبياء أن يعتقدوها و يبلغوها لأقوامهم ، غير أن اليهود و كما رأينا لم يثبتوا على ذلك الإعتقاد و إنما اعتقدوا البداء عليه تعالى ، و هو نقيض علمه الإلهي ، وجاءت توراتهم محشوة بمالا حصر له من النصوص و المعاني المنافية للعلم الإلهي .

ويمكن القول بأن ابن كمونه بما استفاده من تنزيه المسلمين ممن يقر بعلم الله تعالى ، وذلك لسببين :

الأول : سعيه لتأويل النصوص التي تصف الله تعالى بالجهل و الندم .

الثاني : أنه قد جاء في ثنايا كلامه ما يدل على اعتقاده بكمال علم الله تعالى .

فأما بالنسبة للأمر الأول و هو محاولته تأويل نصوص البداء التي تصف الله تعالى بالجهل فسنذكر لذلك مثالين الأول ساقه و قام بتأويله ، ولم يتعداه إلى غيره مما يماثله و يشترك معه في نفس المعاني المناقضة لعلم الله تعالى . و الثاني ذكره للتدليل على الأول زيادة منه في الإيضاح .

فيقول : " و من يفعل ما يفعله النادم منا يسمى نادماً بالمجاز ، و قد نطقت التوراة و كتب النبوات بأن الله تعالى لا يصح عليه الندم ، فلا بد من حمل الندم المنسوب إليه على التأويل بما قلناه ، و ذلك أنه لما أهلك الله تعالى الخلائق بالطوفان ، أخبر قبل ذلك أنه يهلكهم ، و عبر عن

---

[1] ص ٢٦ .

ذلك بأنه ندم على خلقهم تمثيلاً بمن يندم على شيء فعله يستدرك ذلك بترك فعله ، و نسبه الغضب إليه لمثل ذلك فإن الغضبان من شأنه أن ينتقم ممن غضب عليه فلهذا عبر عن انتقامه عزوجل بالغضب ". [1]

وتأويله هذا باطل من و جوه :

أولها : أن ما ذهب إليه من أن الندم يكون بالمجاز بمعنى الإستدراك بترك الفعل لا يصح و لا يسلم له ، لأن اللغة لا تحتمله ، و لأن الندم يأتي بمعنى الأسف على فعلً ما [2] بينما الترك يأتي بمعنى الطرح ، فيقال : ترك الشيء أي خلاه و طرحه [3] ، وتَرَكَ الفعل خلاه فكيف يجمع بين الأمرين بحيث يصيران من قبيل المترادفات المعنوية . و عليه فليس الترك ـ أي ترك الفعل ـ من معاني الندم في اللغة و إنما قد يأتي الترك كنتيجة للندم .

ثم أنه معلوم ما بين الندم ذاته و بين ترك الفعل من الفرق إذ ليس كل نادم تاركٍ للفعل ، و لا كل تارك للفعل يمكن أن نقول عنه بأنه نادم ، نعم الندم قد يحمل على الترك و قد لا يحمل، فالترك هنا أثر إيجابي للندم في حال اقتراف الفعل السيئ . فالقول بأن الله عبر عن تركه للفعل بعد إخباره بأنه يفعله ملزم للقول بأن أحد الفعلين سيء ، و هو الفعل المتروك وهذا منافٍ لسابق علمه تعالى ، و منافٍ لحكمته الإلهية المبنية على ذلك العلم .

وثانيها : أن استشهاده بهذه القصة في تأويله لمعنى الندم غير صحيح لأن سياق القصة يدل على أن المقام مقام تعليل لا تركٍ للفعل كما ذهب إليه . و هذا واضح من النص المنسوب إلى الله تعالى زوراً :"..لأني حزنت أني عملتهم " ، فالمقام مقام تعليل و ليس مقام تعبير كما ذهب ، ثم إن النص ليس فيه مستندٌ لما ذهب إليه أصلاً لأنه لم يشتمل على ذكرٍ للندم ، و إنما ذُكر التأسف و الحزن صراحةً .

---

[1] ص ٣٤ .

[2] قاموس الكتاب المقدس مادة " ندامة ".

[3] انظر : المعجم الوسيط ، مادة "ترك " .

وثالثها : أن الندم على الفعل إنما يأتي بعد فعله فكيف يكون بمعنى الترك و هو قد فُعل ، فلا بد من قرينة تدل على المعنى الذي ذهب إليه .

ورابعها : أنه بتأويله للندم أراد الفرار من التشبيه الموجود في النص ففر منه إليه ، و ذلك يتضح جلياً في قوله " النادم منا " فحتى تأويله لم يخل من قياسٍ مستند على مفهوم البشر .

و أما قوله بأن التوراة و كتب النبوات قد نطقت بأن الله تعالى لا يصح عليه الندم ، فنقول : أما قوله بأن الله تعالى لا يصح عليه الندم فهذا حق لا مرية فيه لأن الندم محال ممتنعٌ في حقه تعالى ، لما فيه من منافاة لعلمه الإلهي المحيط بكل ما كان و ما هو كائن من أمر الخلق .

و أما مسألة أن التوراة و كتب النبوات قد نطقت بذلك فغير مسلم أن الجميع قد نطق به دون وجود ما يناقضه أو ما يُشكل عليه من النصوص ، وما دام كذلك فلا عبرة بمنطوقها في معرض الإستشهاد ، و لسنا نسلم إلا بتوراة موسى عليه السلام و التي أثنى عليها الباري عزوجل في محكم تنزيله حيث قال :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾ المائدة (٤٤) ، و أما التوراة الموجودة بين أيدينا اليوم فلا نسلم بما نطقت به بإطلاق .

وسادسها : نقول ما مراده بالفعل ؟ . لأن قوله " تمثيلاً بمن يندم على شيء فعله يستدرك ذلك بترك فعله " يستلزم أن يكون الفعل من جنسٍ واحد ، و لا يمكن إيراد فعلين لأن الفعل الذي سيُفعل هو الذي سيستدرك بالترك ، و لا يمكن لعاقل أن يقول بأنه ندم على قراءة كتابٍ ما فترك شراء الكتب ! ! و إنما الصحيح أن يقول أنه ندم على قراءة كتاب بعينه فترك قراءته ـ و هذا تنزلاً و مجاراةً لأصله الفاسد ، و إلا فلا يمكن أن يرد الندم على الفعل إلا بعد إتيانه لا قبله ـ وهنا يلزمه أن يوضح مالذي ندم عليه الرب ـ و حاشاه جل و علا ـ ندماً مجازياً ؟ هل ندم على الفعل، أي ندم على أنه فعل البشر ؟ وهذا يستلزم استخدام تعبيرٍ آخر و هو الخلق . فيكون المراد على أصله أن الله تعالى وحاشاه سبحانه ندم على خلق البشر فاستدرك بترك الخلق ، و لو كان ذلك صحيحاً لما كان على البسيطة أحد منذ ساعة الطوفان . أم أنه أراد بالفعل معنى " الإهلاك " ،

فيكون المعنى على أصله الفاسد : أنه ندم على على أنه أهلكهم أي استدرك بترك إهلاكهم (بمعنى أنه أبقاهم و لم يهلكهم) ، و الواقع يشهد بخلاف ذلك، لأنه أهلكهم بالطوفان حقيقة .

وعلى هذا فما ذهب إليه ابن كمونه من أنه ندم على خلقهم فأهلكهم فهذه مقدمة و نتيجة وموقف تعليلي فحسب و ليس مما ذهب إليه في شيء . و قوله في هذا النص من المعنى الذي ذهب إليه حجةٌ عليه لا له ، و لو أنه استشهد بالنص الذي يذكر تراجع الرب ـ تعالى علواً كبيرا ـ عما أراده من إفناء الشعب بعد إخباره بأنه سيفنيهم ، بسبب مراجعة موسى لربه لثنيه عن تلك الإرادة لساغ ذلك المعنى على أصله الذي ذهب إليه على بطلانه ، و لكنه التعصب اليهودي .

الوجه السابع : أن هناك نصوصاً لا يفهم منها سوى المعنى الحقيقي للندم ، كالنص الذي يرويه سفر صموئيل الأول (١٥ / ٣٥) :"...و الرب ندم لأنه ملَّك شاول على إسرائيل " . فلا يمكن أن يُقال أن معنى النص أنه ترك تمليك شاول على إسرائيل ، فكيف و قد ملك و استمر على ملكه حتى بعد تصريح الرب بندمه .

الوجه الثامن : أنه على فرض تسليمنا بما ذهب إليه من تأويلٍ مجازي لمعنى الندم ، فإن ما ذهب إليه يُعد مناقضاً لعلم الله تعالى و أزليته ، لأن نية فعل الشيء ثم الإستدراك بالترك ، أو الندم على فعل شيء بمعنى استدراك تركه كلا الأمرين يدلان على تبدل الرأي و تغيره ، و هذا هو البداء المناقض لعلم الله تعالى بعينه . و قد أخبر الحق تبارك و تعالى وهو أصدق القائلين عن أحكامه و أفعاله الإلهيه بقوله :﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ق (٢٩) .

الوجه التاسع : نقول أنه لو صحت هذه المعاني و التأويلات التي ذهب إليها ابن كمونه لوُجدت من قبلهم على ألسنة من سبقهم من الأحبار و العلماء و لتواترت و اشتهرت ، أما و أن تستحدث على يدي متأخريهم كابن كمونه ثم يزعم أن هذا المعنى الذي ذهب إليه هو المعنى الذي أراده الله تعالى فهذا مالا يمكن القول به .

الوجه العاشر : نقول لو صح ما ذهب إليه ابن كمونه من أن الله تعالى يعبر عن تركه لبعض أفعاله التي أراد فعلها بالندم ، لكان قد ورد شيء من ذلك في القرآن العظيم لكونه الكتاب الصحيح و التنزيهي بإطلاق ، سيما و أن الكتب الإلهية مشتركة الأصول ، فبالضرورة لا بد أن يرد ما أراد الله تعالى تقريره من قضايا الألوهية في جميع الكتب السماوية ، كيف لا و قد اشتركت في وحدة الهدف وهو التعريف بالخالق جل و علا و الدعوة إليه و إلى عبادته و توحيده .

و أما المثال الثاني و الذي ساقه لإيضاح الأول ، فيقول : " ونسبة الغضب إليه لمثل ذلك ، فإن الغضبان شأنه أن ينتقم ممن غضب عليه فلهذا عبر عن انتقامه عزوجل بالغضب ".[1]

و نحن إنما نتناوله بالنقد لأن نقضه يمثل نقضاً للمثال الأول الذي أراد تدعيم تأويله فيه بهذا المثال الذي ساقه .

و الرد عليه أيضاً من و جوه :

الأول : أنه لا مستند له فيما ذهب إليه لأن الله تعالى قد فرق بينهما في محكم تنزيله كما في قوله عزوجل : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾الزخرف (٥٥) ، و معلومٌ أن قوله تعالى " آسفونا " غير قوله " انتقمنا " ، إذ الأولى تعني الغضب فيكون المعنى أي فلما اسخطونا أو أغضبونا [2] انتقمنا منهم بالإهلاك ، و هو هنا الإغراق .

ومن ثم فلا يمكن الجمع بينهما بحيث يكونا من قبيل المترادفات المعنوية لأن للغضب معنىً ، و للإنتقام معنىً آخر مغاير له ، فالغضب قد يدفع للإنتقام و قد لا يدفع كما هو الحال مع

---

[1] تنقيح الأبحاث ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .

[2] انظر : مختصر تفسير ابن كثير عند تفسيره للآية .

المستضعفين من الناس [1] يغضبون مما يقع لهم من الظلم و الإضطهاد و لكنهم لا يملكون انتقاماً لأنفسهم ممن اعتدى عليهم بظلمه ، و لا يمكننا أن نقول بأنهم لم يغضبوا لأنهم لم ينتقموا لأنفسهم. فهذا تأويل فاسد لا تحتمله اللغة لأن معنى الإنتقام أخذ الثأر[2] و ليس الغضب ، و إنما هو أثرٌ من آثار الغضب و نتيجة قد تترتب عليه أحياناً عند توافر القدرة و الإرادة ، و قد لا تترتب عند إنعدام أحدهما أو كليهما .

الثاني : أن ابن كمونه في تأويله لمعنى الغضب أراد أن ينفي عن الله تعالى صفة الغضب على النحو الذي نفى به الندم ، مع أن النصوص قد وردت ببيان إتصاف الرب تعالى بصفة الغضب دون الندم، كما في الآية السالفة الذكر و كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء (٩٣) .

الثالث : أن هناك من الأمم من غضب الله عليهم حتى حضرهم العذاب و أريدت بهم النقمة ثم كشف الله عنهم ذلك بسبب توبتهم الصادقة و ندمهم على ما كان منهم ، و ذلك كحال قوم يونس الذين قال الله عزوجل في شأنهم :

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ يونس (٩٨) ، فتوبتهم الصادقة منهم كانت سبباً في دفع النقمة التي كانت ستحل بهم ، و التي هي أثر من آثار الغضب و نتيجة من نتائجه .

على أنه ليس لمتوهمٍ أن يعتقد بأن في هذا نوع من البداء على الله تعالى ، لأنه قد سبق في علمه أنه علق كشف العذاب عنهم على و قوع التوبة الصادقة من جميعهم ، فلما و قع منهم ذلك كان سبباً

---

[1] إننا نورد هاهنا تمثيلاً بالناس مجاراةً لمذهب ابن كمونه حيث قاس مسألة الندم في مبتدأ حديثه على المفهوم البشرى ، و ذلك في قوله : " و ما يفعله النادم منا " . و إلا فلسنا نعتقد ذلك في حق الله تعالى لأنه تعالى كما أخبر عن نفسه الكريمة (ليس كمثله شيء و هو السميع البصير) ، و من ثم فلا يمكن قياس مسائل الألوهية على تصورات البشر القاصرة البتة .

[2] انظر : قاموس الكتاب المقدس ، مادة " نقمة ، انتقام " .

في كشف العذاب عنهم ، فالكل بتقديرٍ و علم أزليين من غير بداء ، و إنما البداء في حقنا نحن بما استجد لدينا من علم .

و ما سبق فهو ما يتعلق بتأويلات ابن كمونة في محاولته لإثبات صفة العلم الإلهي ، و أما بالنسبة لما ورد في ثنايا كلامه ، و الذي يدل على إثباته لصفة العلم الإلهي ، فمن ذلك :

١) قوله في معرض حديثه عن الحكمة من ذكر منازل و مراحل حياة بني إسرائيل في التيه : " و هذه معجزات بينة مرئية ، **فلما علم الله** أنه سيتطرق لهذه المعجزات في المستقبل ما يتطرق للأخبار...رفعت هذه الأوهام كلها بذكر تلك المراحل " [١] ، و مقصوده أن المعجزات عُرضةٌ للجحود و التكذيب ، و مقام الأمة اليهودية في أرض التيه أربعين سنة من أعظم المعجزات فحتى لا تُجحد و تُكذب عني النص التوراتي بسرد أحداثها و قصصها و وقائعها .

٢) قوله عند كلامه عن التشريعات التي لم تعلم حكمتها : " فلا يلزم من كوننا لا نعقل فائدتها أن لا تكون مفيدة في نفس الأمر إذ لا اطلاع لنا على **حكم الله الخفية** كلها " [٢] ، و معلومٌ أن الحِكم الإلهية إنما هي مبنيةٌ على سابق علم الله تعالى ، أما قوله " الخفية " فإقرارٌ منه بأن من العلوم ما اختص الله بعلمه فلا يعلمه أحد إلا الله تعالى .

٣) قوله عند حديثه عن العناية الإلهية : " فإن **علم الباري عزوجل محيطٌ بكل شيء** ، و إذا علم ما هو ضروري الحصول لتمهيد حصول الخير فلابد و أن يوجد " .[٣]

٤) قوله عند الحديث عما يجب على النبي بيانه لقومه : " و يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنُّه النبي الحقيقي أن يُعرِّف الناس أن لهم صانعاً واحداً...ولا شبيه و لا نظير له ، **عالماً بالسر**

---

[١] تنقيح الأبحاث ، ص ٣٦ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٣٧ .

[٣] المرجع السابق ، ص ١٤ .

و العلانية ، **لا يعزب عن علمه شيء في السموات و لا في الأرض** ". [1]

و هذه النصوص التي سبقت معنا تدلنا دلالة واضحة على مذهب ابن كمونه في إثبات صفة العلم الإلهي على غرار ما هو موجود في الملة الإسلامية ، كما أن سعيه لتأويل النصوص المنافية لعلم الله تعالى يدلنا على ذات النتيجة ، وهي محاولة إثبات صفة العلم الإلهي على وجهٍ تنزيهي في مقابل الصور التوراتية الوثنية الواردة في علم الله تعالى .

و أما بالنسبة لكتابه الآخر " الجديد في الحكمة " ، فنستفيد منه في معرفة طريقة ابن كمونه الإعتزالية في إثباته للعلم الإلهي ، و هنا يظهر لنا الأثر الواضح للمنهج الإعتزالي في كلام ابن كمونه ، فمن كلامه :

١) قوله بأن " **العلم التام بالعلة التامة يقتضي العلم بالمعلول** "[2] ، و مقصوده أنه ما دام الله تعالى هو علة وجود الكائنات و المخلوقات ، فعلمه التام بنفسه و ذاته مستلزمٌ بوجه ضروري للعلم بما صدر عنه و هو معلوله. و هذا مبناه على أن واجب الوجود لابد أن يعقل ذاته . و قد أراد بقوله هذا إثبات صفة العلم الإلهي بجميع الخلق على وجهٍ من الشمول و كمال الإحاطة .

٢) و قوله أيضاً في معرض شرحه لعبارته الآنفة : " ..ولما كانت ذاته عِلة تامة لمعلوله الأول ، وهو يعلم ذاته علماً تاماً و جب أن يكون علمه التام بذاته علة تامة للعلم التام بمعلوله القريب ، لأنك قد علمت أن علم كل ما يعلم ذاته هو نفس ذاته فيكون علماً تاماً بالذات .

والعلم بالعلة التامة لا يتم من غير العلم بوجه استلزامها لجميع ما يلزمها لذاتها ، و هذا يستدعي العلم بلوازمها القريبة بالضرورة فهو إذن يعلم جميع ما بعد المعلول الأول من حيث و جوبه به و

---

[1] المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[2] جـ ١، ص ٥٤٩ .

انتهاؤه إليه في سلسلة المعلولات المترتبة و يدخل في ذلك سلسلة الحوادث التي لا أول لها من جهة كونها جميعاً ممكنة و محتاجة إليه احتياجاً تتساوى إليه في جميع آحادها " . [1]

وفحوى كلامه أنه أراد إثبات علم الله تعالى بالجزئيات ، و ذلك بخلاف مذهب الفلاسفة ومن سلك مسلكهم من أن الله تعالى إنما يعلم الكليات و لا يعلم الجزئيات .

و يؤكد ابن كمونه ما ذهبنا إليه بقوله : "...فلا يعزب عنه شيء من صور الموجودات الكلية و الجزئية من غير حصول صورةٍ فيه و لا اتصافه بصفة حقيقية ، و يكون علمه بجميع ذلك على الوجه الذي لا يتغير " .[2]

و هنا يفهم من قول ابن كمونه إرادته نفي الحدوث و التغير عن علم الله تعالى ، غير أنه قد ناقض نفسه في محاولته لإثبات العلم الإلهي بحصره معنى العلم بالموجودات بمعنى صدورها عنه ، فيقول: " و أنت تعلم أن علمه بهذه المعقولات هو بعينه صدورها عنه ، كما أن علمه بذاته هو نفس و جوده " .[3]

فقوله بأن صدورها عنه هو علمه بها لا يفيد إثباتاً على الحقيقة ، كما أن القول بمبدأ العلية ينافي القول بالعلم ، لأن العلية تفتقر إلى الفاعلية و الاختيار المستلزمان للعلم و الإرادة .

و الأمر الآخر أن قوله بأن " علمه بذاته هو نفس و جوده " [4] لا يتضمن إثباتاً للعلم الإلهي ، لأن حقيقة مذهبه هو جعل علم الله تعالى بذاته هو نفس وجوده ، بمعنى أن علمه هو ذاته كما ذهب المعتزله إلى ذلك ، و هذا القول في حقيقته ينطوي على نفي صفة العلم الإلهي لا إثباتها .

---

[1] جـ ١ ، ص ٥٥٠ .

[2] جـ ١ ، ص ٥٥٠ ــ ٥٥١ .

[3] جـ١ ، ص ٥٥١ .

[4] جـ ١ ، ص ٥٥١ .

سادساً : إبن إلياس : [1]

لقد تأثرت آراء هارون بن إلياس في صفة العلم الإلهي بالثقافة و الفكر الإسلاميين ، و ذلك نتيجة نشأته في البلاد الإسلامية ، شأنه في ذلك شأن العديد من مفكري اليهود و فلاسفتهم الذين عاشوا في ظل دولة الخلافة الإسلامية و تأثرت آراؤهم نتيجة امتزاج ثقافتهم بالثقافة الإسلامية .

أما بالنسبة لرأيه في صفة العلم الإلهي ، فقد كان مذهبه يقوم على الإثبات من حيث الجملة ، و ذلك بالإعتماد على ما ساقه صاحب موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية من معلومات حول ذلك ، لأنه و نظراً لعدم توفر شيء من كتبه لدينا فإنه لا يمكننا الوقوف على آرائه في صفة العلم الإلهي عن كثب و على وجهٍ تفصيلي ، غير أن ما لدينا يكفي للتدليل على مدى تأثر مختلف طوائف اليهود بمبحث الصفات الموجود في العقيدة الإسلامية عموماً ، و بصفة العلم الإلهي على وجه الخصوص.

يقول صاحب الموسوعة : " و ينكر ابن إلياس التجسيم ، و يبيح تأويل النصوص التي تصف الله بتجسيمه أو تشبيهه...و يرفض السلوب المحض الذي قال به ابن ميمون ". [2]

و يبنى على قوله ذلك فيما يتعلق بصفة العلم الإلهي أمران :

الأول : عدم تشبيه علم الباري تعالى بعلم المخلوقين ، و يقتضي ذلك بالضرورة إنكار أو تأويل المعاني الوثنية الواردة في العهد القديم و المتعلقة بعلم الباري عزوجل .

و الثاني : و صف الله تعالى بصفات الإيجاب لا السلوب المحض كما ذهب إلى ذلك ابن ميمون ، و هذا يقتضي إثباتاً صريحاً للعلم الإلهي بقولنا بأن الله تعالى عالم علماً لا يشابهه في خصائصه أحد من المخلوقين .

---

[1] تقدمت ترجمته ص٩٩ .

[2] ص ٢٧ .

و هذا ما يدلنا عليه قول صاحب الموسوعة في معرض حديثه عن آراء ابن إلياس : "..و علم الله محيط بكل شيء " . [1]

ومما سبق يمكننا القول بأن التأثر اليهودي في صفة العلم الإلهي ، لم يكن مقتصراً على ما سبقه من ديانات و ثنية ، و إنما حدث التأثر أيضاً في العصور الوسطى ببعض طوائف الفكر الإسلامي ـ و هو فكر لاحق ـ لا سيما الإعتزالي منه ، و قد لمسنا ذلك بوضوح . و هو في الجملة و إن كان تأثراً بما يُعد انحرافاً عقيدياً إذا ما قورن بمذهب السلف من أهل السنة و الجماعة ، إلا أنه يظل أرقى مستوىً و فكراً في حال مقارنته ببعض ما في العهد القديم من تصوراتٍ وثنية .

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وهي أن اليهود لم يعتقدوا اتصاف الباري عزوجل بالعلم على الوجه الذي يليق به سبحانه .

و لا أبلغ من رده أيضاً على مزاعمهم الباطلة حيث ظنوا أن الله تعالى لا يعلم كثيراً مما يعملون ، فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : " كانوا ـ أي اليهود ـ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا أن صاحبكم رسول الله ، و لكنه إليكم خاصة ، و إذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : أيحدث العرب بهذا ؟ ، فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم " [2]، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ البقرة (٧٦) .

فاليهود يعلمون أن محمداً ﷺ هو النبي الذي بشرت به التوراة ، لكنهم كفروا به بغياً و حسدا ثم نهوا قومهم أن يحدثوا المسلمين بهذا الأمر لئلا تقوم عليهم الحجة أمام الله تعالى يوم القيامة ـ إن استفاض الأمر و اشتهر و أُذيع بين الناس ـ ، و كأن الله تعالى قد خفي عليه من أمرهم و حسدهم بإخفاء نعت النبي ﷺ الذي جحدوه فليست تقوم عليهم الحجة عنده تعالى ما دام الأمر

---

[1] ص ٢٨ .

[2] لباب النقول في أسباب النزول ، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، د . ط ، د. ت ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ص ٢٠ .

في طي كتمانهم ، و هذا يفيدنا توهمهم و اعتقادهم أن علم الباري تعالى مستفادٌ من المخلوقين ـ تعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ الأمر الذي يصور لنا بجلاء خلفيتهم التي ما برحت تتشرب تلك المعاني الوثنية في صفة العلم الإلهي و تنضح بها .

و هم إنما اعتقدوا ذلك ظناً منهم أن الله تعالى ليس بعالمٍ بما يسرون و يخفونه عن المؤمنين في خلائهم من كفرهم و تلاومهم لبعضهم فيما بينهم على إظهارهم ما أظهروا لرسول الله و للمؤمنين به من الإقرار بمحمدٍ ﷺ [1] ، و لذلك ردَّ الله تعالى على زعمهم الباطل الذي أخبر به في الآية السابقة بقوله : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ البقرة (٧٧) . فعلاَّم الغيوب لا تخفى عليه خافية في السموات و لا في الأرض ، و لا أكبر من ذلك و لا أصغر إلا في كتابٍ مبين ، يعلم السر كعلمه بالشهادة ، بل و ما هو أخفى منه مما لم يُعمل بعد فسبحانه و تعالى عما يشركون .

---

[1] انظر : جامع البيان ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، د . ط ، ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر ، بيروت ، جـ١ ، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

خلاصة الباب الأول

مما سبق نخلص إلى أن :

١. نصوص الصفات الإلهية عند اليهود قد ترددت بين النفي والإثبات والتشبيه و التنزيه .

٢. ما وُجد من الخطأ والضلال في الأسفار اليهودية المقدسة عائد إلى تحريف اليهود وجهلهم بخلاف ما وُجد فيها من الصواب الذي لايخرج عن كونه بقايا حقٍ سلمت من مختلف عمليات التحريف .

٣. التجسيم والتجسيد للإله من أبرز سمات الصفات الإلهية في العقيدة اليهودية المحرفة .

٤. التعدد في الآلهة من سمات العقيدة اليهودية المحرفة كذلك .

٥. وجود التناقض بين نصوص العهد القديم فيما يتعلق بالصفات الإلهية لايدع مجالاً لاعتقاد تنزيهٍ مطلق بوجهٍ غير منازعٍ عليه بإطلاق .

٦. السامريين فرقة مستقلة عن سائر الفرق اليهودية ، فلها توراة تُعرف بالتوراة السامرية وقِبلة تختلف عن قِبلة سائر اليهود وهي جبل جرزيم .

٧. عقيدة السامريين في العلم الإلهي قد تأرجحت بين الإثبات و النفي .

٨. بعض نصوص الإثبات السامرية للعلم الإلهي لا يُفهم منها إثباتٌ بإطلاق وإنما في مواقف وحوادث معينة .

٩. النصوص السامرية المتناقضة مع نصوص الإثبات تتضمن معانٍ منافية لكمال العلم الإلهي .

١٠. فرقة الربانيين تعتد بالتلمود أكثر من اعتدادها بالتوراة المكتوبة إذ يرفعونه فوق منزلة التوراة .

١١. فرقة الربانيين قد تناقضت نصوصها حول صفة العلم الإلهي نفياً و إثباتاً كما هو الحال لدى السامريين ، وإن كان الأمر يفوق ما عند السامريين من التناقض والتضارب .

١٢. القداسة المطلقة والمزعومة لأقوال الربانيين وحكماء اليهود تنافى كمال علم الخالق عزوجل.

١٣. يهود القرائين يميلون لإثبات صفة العلم الإلهي على نحو إثبات أهل الإسلام له .

١٤. إثبات يهود القرائين للعلم الإلهي كان نتيجة تأثرهم بالوسط الإسلامي في العصور الوسطى .

١٥. إثبات يهود القرائين للعلم الإلهي لا يُعد إثباتاً مطلقاً لوجود ما يناقضه في كتاب اليهود المقدس .

١٦. اليهود الحسيديم لم ترتق عقيدتهم في علم الله تبارك وتعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه .

١٧. أقوال الصديقين تتنافى تماماً مع العلم الإلهي حيث لايمكن بحال اعتقاد إثبات مطلق لعلم الخالق عزوجل في ظل تلك الأفهام السقيمة للصديقين والتي تنافي كمال علم الباري تعالى .

١٨. اليهود الحسيديم قد خلعوا على صديقيهم كثيراً من الصفات التي لا تختص إلا بالخالق عزوجل كعلم المستقبلات من الحوادث والأمور وذلك عن طريق إيمانهم بتنبؤات مرشديهم والتي يدَّعون فيها علمهم للغيب .

١٩. معاني البداء الواردة في القرآن الكريم غالبها قد ورد في حق أهل الضلال والزيغ من الكفار والمعاندين ، ولم يرد شيء منها في حق الله تعالى .

٢٠. مفهوم البداء الذي يتنافى مع كمال علم الباري تعالى يتطابق تماماً مع الصور الواردة في كتاب العهد القديم والتي تنافي كمال علمه سبحانه .

٢١. للبداء معانٍ عِدة جميعها تنافي كمال علم الله تعالى خلا البداء في الأمر والذي يُعرف بالنسخ.

٢٢. القول بالنسخ لايتنافى مع كمال علم الله تعالى بينما يتنافى معه القول بالبداء ، وعلى هذا فالفرق بين المعنيين جلي ظاهر .

٢٣. عقيدة البداء كانت مما تذرَّع به اليهود لإنكار النسخ كسبيلٍ لإنكار الشرائع عموماً وشريعة محمد على وجه الخصوص .

٢٤. بطلان دعاوى اليهود بأن القول بإمكان النسخ موجبٌ لاعتقاد البداء على الله تعالى .

٢٥. أن ما ورد في السنة المطهرة من لفظة البدو في حديث النفر الثلاثة من بني إسرائيل لايفيد معنى البداء الذي ينافي علم الله تعالى و إنما هو بمعنى القضاء ، مع التنبيه على أن مختلف الروايات وردت بلفظ الإرادة لا البدو .

٢٦. إتفاق العلل التي أوردها القرآن الكريم بين اليهود ومن سبقهم من أهل الزيغ والضلال كانت سبباً لاعتقاد وجود البداء في التصور اليهودي منذ وقتٍ مبكر .

٢٧. عند الأخذ بالعامل الزمني مضافاً إليه الدور الكبير لأوائل من كان لهم الفضل في جمع شتات الشعب اليهودي يمكننا القول بأن عزرا يُعد من أوائل من قال بالبداء على الله تعالى في الفكر اليهودي لأن ما نُسب إلى عزرا من الأسفار قد أثبت لله تعالى البداء الذي ينافي كمال علمه الإلهي .

٢٨. بالإستناد إلى العامل التاريخي يمكننا القول بأن وجود البداء في الأسفار الخمسة قد تفاوت بحسب تدوين كل سفر ، حيث يُعد كل من سفري التكوين والخروج هما الأقدم من بين سائر الأسفار اليهودية في وجود تلك العقيدة المنافية لكمال علم الله تعالى .

٢٩. بالإستناد إلى نظرية المصادر يمكن القول بأن المصدر اليهوي هو المصدر الأقدم من بين سائر المصادر اليهودية في احتوائه على البداء الذي يتنافى مع العلم الإلهي .

٣٠. بالإستناد إلى قِدم المصدر اليهوي عن زمن عزرا فيمكن نسبة البداء الوارد فيه إلى رُواة مملكة يهوذا الجنوبية وليس إلى عزرا ، وهذا يؤيد وجود البداء في التصور اليهودي في عهدٍ سابق على عهد عزرا أي منذ وقتٍ مبكر ، وهو وإن لم يظهر بشكلٍ جلي على ماهو عليه اليوم إلا بعد عهد عزرا إلا أن ذلك لا ينافي وجوده قبل ذلك .

٣١. رغم وجود عقيدة البداء في الأسفار اليهودية منذ وقتٍ مبكر إلا أن الضرورة الدينية تفرض اعتقاد عدميتها قبل ذلك ، ويمكن تحديد ذلك على وجه التقريب من عصر نبي الله موسى عليه السلام وما بعده إلى حادثة الدمار الأورشليمي الأول أو إلى عهد ضياع التوراة ، وهذا هو الدور الأول من بين ثلاثة أدوار مرت بها عقيدة البداء في كتاب اليهود المقدس .

٣٢. وجود البداء في الأسفار المقدسة اليهودية كتدوين احتل مكانه ضمن مختلف القصص والسرد الديني يُعد دوراً ثانياً من الأدوار التي مرت بها عقيدة البداء في التصور اليهودي .

٣٣. وجود البداء في الأسفار اليهودية كعقيدة احتدم الجدل حولها يُعد دوراً ثالثاً من أدوار وجود البداء في الأسفار اليهودية حيث لفتت الانتباه إلى مافي كُتب القوم من تحريفٍ يتنافى مع زعم قداستها و إلهاميتها .

٣٤. مواقف فلاسفة اليهود حِيال العلم الإلهي كانت متناقضة ومضطربة بين التنزيه والتشبيه بعلوم المخلوقين .

٣٥. سعي بعض فلاسفة اليهود لتأويل صور البداء الموجودة في العهد القديم لا يرقى إلى مستوى الإنكار الحاسم لتلك الصور .

٣٦. مواقف التنزيه للعلم الإلهي لدى فلاسفة اليهود قد تفاوتت بحسب البيئات التي وُجدوا و نشأوا بها .

٣٧. عقيدة البداء تمثل إحدى المرتكزات الدينية التي تقوم عليها الحركة الصهيونية في العصر الحديث ، وقد بدا ذلك جلياً في المنطلقات التالية : ١) فرية الندم من خلق إسماعيل وبنيه .

٢) فكرة الأرض الموعودة .

٣) فكرة الإختيار .

٣٨. الصهيونية و أدواتها تستند إلى عقيدة البداء المنافية لكمال علم الله تعالى لتحقيق إغراض سياسية بالمقام الأول .

٣٩. التأثر اليهودي بما سبقه من وثنيات الأمم والشعوب القديمة فيما يتعلق بالعلم الإلهي قد مرَّ بمرحلتين رئيسيتين : ١) مرحلة التصورات العقلية وهي المرحلة التي كان فيها احتكاكهم بتلك الأمم والشعوب الوثنية .

٢) مرحلة الرسوخ العقدي ، وهي المرحلة التي تم فيها ترجمة تلك التصورات العقلية القاصرة إلى وقائع وأساطير مدونة في الأسفار اليهودية المقدسة .

٤٠. الأسفار اليهودية المقدسة قد شهدت ونطقت بتحريفها وتبديلها واقتباسها لكثيرٍ من لوثات تلك الأمم في العقائد عموماً وما يتعلق بالعلم الإلهي على وجه الخصوص .

٤١. تأكيد مؤرخو اليهودية وعلماء العهد القديم على حدوث عملية التأثر اليهودي بما سبقه من ديانات ووثنيات قديمة يرجح التأثر اليهودي في مفهوم العلم الإلهي بتلك الوثنيات .

٤٢. من أبرز الديانات التي تأثر بها التصور اليهودي في العلم الإلهي ديانات بلاد الرافدين وديانة مصر القديمة إضافة إلى ديانات بعض القبائل السامية كالكنعانيين و الفينيقيين وغيرهم .

٤٣. هناك تشابهاً في المعاني القاصرة للعلم الإلهي بين بعض نصوص العهد القديم وبين الأساطير القديمة .

٤٤. انحراف تصور اليهود للعلم الإلهي قد حدث نتيجة توافر أسباب وعوامل كان لها الأثر البالغ في ذلك .

٤٥. فترة العصور الوسطى قد شكلت مرحلة حاسمة في تاريخ الدين اليهودي حيث تم فيها التأثر اليهودي بالدين الإسلامي في كثيرٍ من أمور العقائد سيما ما يتعلق منه بالصفات الإلهية عموماً وصفة العلم الإلهي على وجه الخصوص .

الباب الثاني

موقف الإسلام من مفهوم العلم الإلهي عند اليهود

وفيه فصول :
الفصـــل الأول : العلم الإلهي في الإسلام .
الفصـــل الثاني : خصائص العلم الإلهي .
الفصـــل الثالث : موقف علماء المسلمين إزاء البداء الموجود في كتب اليهود المقدسة .
الفصـــل الرابع : موقف السلف من صفة العلم الإلهي
الفصل الخامس : ذكر بعض أسمائه سبحانه وتعالى الدالة على صفة العِلم الإلهي

الفصل الأول

العلم الإلهي في الإسلام

يتجلى موقف الإسلام من صفة العلم الإلهي بوضوح من خلال مختلف نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة التي تواطأت جميعها واتفقت على إثبات العلم الإلهي لله عزوجل على وجهٍ تنزيهي مطلق يليق بجلاله وكماله وألوهيته سبحانه وتعالى ولا يتطرق إليه شيء من النقص أو التشبيه بعلوم المخلوقين ، فكما أن ذاته تعالى لايشابهها شيء من الذوات ـ كما أخبر بذلك عن نفسه القدسية حيث قال عز من قائلٍ سميع عليم : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ـ فكذلك عِلمه سبحانه وتعالى لايشابهه شيء من علوم المخلوقين . فعلمه عزوجل ذو خصائص تتجلى فيها معاني ألوهيته من الأزلية و الإحاطة والشمول والكمال والعظمة والجلال والوحدانية التي لايشاركه فيها أحد سواه سبحانه وتعالى .

والأدلة النقلية الدالة على ثبوت علم الله تعالى كثيرة ، فقد حفل القرآن الكريم والسنة المطهرة بالعديد من النصوص التي تثبت علم الله تعالى المحيط والشمولي بكل الخلق ، وفيما يلي نورد بعضاً منها :

أولاً: الأدلة النقلية من الكتاب :

إن الآيات العظيمة الواردة في إثبات علم الحق تبارك وتعالى من الكثرة بحيث لا يكاد المرء يحصيها وسنكتفي ببعضها في هذا الموضع للإستشهاد لا للحصر، والمتأمل فيها يجد أنها لا تثبت فقط علم الله تعالى وإنما تذكر وصف هذا العلم وما يُميزُه كعلم إلهي من أزليةٍ وقدمٍ وشمول وإحاطة ومعرفةٍ بالسر والعلانية والغيب والشهادة ، يقول تعالى :

﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ۖ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ النساء(١٦٦) ، ويقول أيضا : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الملك (٢٦) ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ الحشر(٢٢) وقوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة(٢٩) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾المائدة (١١٦) وقوله : ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ

أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة(١٨٧) وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ ﴾ البقرة (٢٥٥) وقوله: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ المائدة (١١٦) .

وآياتٌ أخرى تدل على علمه بنشأة الإنسان وما يُخفيه وما يعلنه ، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ النجم(٣٢)، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ آل عمران(١١٩) وقال: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾آل عمران(١٦٧)، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾الرعد(٨) ، وقال: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ) التوبة (٧٨) ، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾القصص (٦٩) ، ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ غافر(١٩)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ق (١٦) وقال أيضاً: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الملك(١٣-١٤) .

وكذلك هناك آيات تدل على إثبات عِلمِه بالعالم الفلكي والسماوات والأرضين فقال عزّ من قائلٍ عليم: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ سبأ (٢) ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾آل عمران(٢٩) ، وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ آل عمران (٥) ، ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ (٣) وقال أيضاً : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الفرقان(٦)، وقال تعالى في إحاطة علمهِ بكل شيء: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾الأنعام (٨٠) ، وقال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ

كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ غافر(٧) وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ الطلاق (١٢) ، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة (٢٣١) ، وقال أيضاً في علمه بالغيب:

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾الأنعام (٥٩) ، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الأنعام(٧٣) ، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة(٩٤) ، ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ النمل (٦٥) ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾لقمان(٣٤) ، وقال عز من قائل عليم في علمه بأحوال عباده: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾الأنعام (٥٣) ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾البقرة (١٩٧) وقال تعالى في علمه بوقوع الساعة : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾الأعراف (١٨٧) .

ثانياً: الأدلة النقلية من السنة :

أما السنة النبوية المطهرة فقد حفلت أيضاً بالكثير من الأحاديث الشريفة الصحيحة المثبتة لعلم الله تعالى في أحاديثٍ كثيرة، ومن ذلك:

- قوله ﷺ : (اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علاّم الغيوب...) .[1]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الكسوف ، "باب ما جاء في التطوع" ، برقم " ١١٠٩ " .

- وقوله ﷺ : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) .[1]

- وقوله ﷺ : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ قالوا: أتيناهم يُصلون وتركناهم وهم يصلون).[2]

- عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان ، فقال: (يا أبا ذر هل تدري فيمَ تنتطحان ؟ قال لا، قال: لكن الله يدري وسيقضي بينهما).[3]

كما دلت الأدلة العقلية كذلك على ثبوت علم الباري عزوجل ، ومن ذلك ما أورده شيخ الإسلام – رحمه الله – في عدد من مؤلفاته ، فمنها :

أولاً : دليل الإيجاد :

يقول شيخ الإسلام : فهذا الدليل مشهورٌ عند نظار المسلمين أولهم و آخرهم ، و القرآن قد دل عليه كما في قوله تعالى :﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الملك (١٤) . [4]

و بيان ذلك من و جوه منها :

١) أن الإيجاد مستلزم للإرادة ، و الإرادة مستلزمة لتصور المراد قطعاً ، و تصور المراد هو العلم . و على

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : "الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام" ، حديث رقم"٤٤٢٠ " .

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، في "كتاب الصلاة" ، "باب فضل صلاة العصر" ، حديث رقم " ٥٣٠ "

[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، جـ٥ ، ص١٦٢ ، برقم "٢١٤٧٦" ولم يعلق عليه ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديثٌ حسن .

[4] شرح العقيدة الأصفهانية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : سعيد بن نصر بن محمد ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ص ٥٥ .

هذا يكون الإيجاد مستلزمٌ للعلم .[1]

٢) أن نظام الإتقان و الإحكام الموجود في المخلوقات مستلزمٌ لعلم الخالق أو الفاعل لها ، لأن المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم .[2]

٣) أن كل علوم المخلوقات أو الممكنات إنما هو مستفادٌ منه تعالى ، وهو خالقها و مبدعها وواهبها تلك العلوم ، و يستحيل أن يكون فاعل الكمال و مبدعه وواهب العلم غير عالم .[3]

ثانياً : قياس الأولى :

يذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ أن من صفات الله تعالى ما يُعلم إثباته بالعقل ، و ذلك كقياس الأولى ، و فحواه أن كل صفة كمال يتصف بها المخلوق ، فالخالق أولى بالاتصاف بها ، و كل صفة نقص يتنزه عنها المخلوق ، فالخالق أولى بالتنزيه منه .[4]

وتطبيق ذلك على صفة العلم أن يقال : أن من المخلوقين من يتصف بالعلم ، وهم يمدحون على قدر أخذهم به ، فالعالم المعلم يكون علمه سبباً في مدحه و كماله ، و بالمقابل فإن جهل الجاهل يكون سبباً في ذم الناس له نتيجة نقصه ، و على هذا فالعلم يعد صفة كمال يتصف بها المخلوق فيكون اتصاف الخالق بها أولى و أكمل على الوجه الذي يليق به تعالى ، و الجهل صفة يتنزه عنها المخلوق فيكون تنزيه الله تعالى عنها أولى و أوجب .

ثالثاً : الإثبات بمبدأ التقابل :

ومؤدى القول بالتقابل إذا طبقناه على صفة العلم ، هو قولنا بأنه تعالى لو لم يوصف بالعلم للزم اتصافه بالجهل ـ تعالى علواً كبيرا ـ ، و هذا المسلك أحد الطرق العقلية التي أوردها شيخ الإسلام في إثبات

---

[1] انظر : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[2] انظر : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[3] انظر : نفس المرجع و الصفحة .

[4] انظر : التدمرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد بن عوده السعوي ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ص ١٥١ .

الصفات عموماً ، فيقول: "...و المقصود هنا أن من الطرق التي يسلكها الأئمة و من اتبعهم من نظار السنة في هذا الباب أنه لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى " . [1]

---

[1] التدمرية ، ص ١٥١ .

الفصل الثاني

خصائص العلم الإلهي

للعلم الإلهي خصائص يفارق بها علم المخلوق ، فعلمه تبارك وتعالى علم انكشافي على وجه من الإحاطة والشمول . كما يختص علمه تعالى بالأزلية و القدم المستلزمان لنفي حدوث علمه تعالى؛ والوحدة المستلزمة لعدم تعدد معلوماته بتعدد المحدثات و المخلوقات ، فليس علمه عزوجل مستفاد منها بل الأشياء و المحدثات مستفادة منه وهذا مما هو معلوم من ضرورات الدين .

١- قِدم علم الله تعالى وأزليته :

إن من خصائص علم الله تعالى أنه علم قديم أزلي سابق على كل شيء ومتعلق بكل شيء . يقول الإمام الغزالي :"إن علمه قديم فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ، ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي".[1]

٢ - وحدة العلم الإلهي :

يرى السلف رضوان الله عليهم أن علم الله تعالى واحد قديم كقدم الذات ، وذلك لأنهم يعدونه من صفات الذات ، والصفات الذاتية قديمة قدم الذات لا تجدد فيها ولا تعدد ، وبناء على ذلك فهم ينفون العلوم المتجددة المتعددة بتجدد المعلومات وتعددها ، ولذلك لا نجد في حديث علماء السلف الحديث عن صفة العلم بصيغة الجمع وإنما يُعبَّر عن هذه الصفة بالاسم المفرد – العلم الإلهي– وإن تعددت علومه أي معلوماته .[2]

---

[1] قواعد العقائد لأبي حامد الغزالي ، تحقيق : موسى محمد علي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، عالم الكتب ، لبنان . ص١٨٧ .

[2] انظر: العلم الإلهي في الفكر الإسلامي للأستاذ حسن حسين تونجبيلك ، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة "الماجستير" ، ١٤٠٣ هـ ، قسم العقيدة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة . ص١١٥ .

يقول الإمام المواهبي الحنبلي: "أنه سبحانه عالمٌ بعلمٍ واحدٍ قديم باقٍ ذاتي محيط بكل معلوم كُلّي أو جزئي على ما هو عليه فلا يتجدد عِلمه بتجدد المعلومات ولا يتعدد بتعددها"[1]، فعلم الله تعالى واحد قديم أزلي بجميع المعلومات قديمها وحادثها وإن تعددت وتجددت .

٣- عموم العِلم الإلهي :

لقد أوردنا فيما سبق آيات كثيرة تدل على شمول علم الله سبحانه و تعالى وإحاطته بكل شيء، كقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾الأنعام(٨٠) ، وقوله أيضاً: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَاۢ ﴾الطلاق(١٢) ، وغيرها من الآيات الكريمة الدالة على عموم علمه تعالى.

والسلف رضوان الله عليهم يثبتون لله تعالى العلم المحيط الشامل، فهم يقولون بعموم العلم الإلهي ويثبتونه تبعاً لإثبات القرآن الكريم لهذا العموم والشمول، ولأن هذا العموم في العلم الإلهي هو مقتضى كمال الله تعالى في ذاته وصفاته، فعدم الإحاطة بشيء من المعلومات نقصٌ يتنزه عنه الله سبحانه وتعالى تنزهه عن كل ما لا يليق به سبحانه .

يقول شيخ الإسلام: " كل ما أخبر الله به قبل كونه فقد علمه قبل كونه، وهو سبحانه يعلم ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون " .[2]

---

[1] العين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي المواهبي الحنبلي ، ص ٣٠ .

[2] جامع رسائل ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، د . ط ، د . ت ، مصر. ص١٨٣ .

الفصل الثالث

موقف علماء المسلمين إزاء البداء الموجود في كتب اليهود المقدسة

لم يقف علماء الإسلام إزاء عقيدة البداء وسائر النصوص المنافية لعلم الله تبارك و تعالى و الموجودة في كتب اليهود المقدسة موقفاً سلبياً و إنما اجتهدوا في بيان عوارها و خطرها من حيث منافاتها للعلم الإلهي الأمر الذي يستلزم اعتقاد النقص في أخص صفات الألوهية و هي صفة العلم الإلهي . كما بيّنوا خطر اعتقاد مثل تلك العقيدة على التوحيد و الإيمان ككل .

فمن ذلك ما ذكره الإمام ابن حزم في معرض رده على بعض النصوص التوراتية المنافية للعلم الإلهي فيقول : "...وحاشا لله أن يريد إخلاف وعده فيريد الكذب " [١]، ويقول في موضعٍ آخر: "...والله تعالى لا يكذب ولا يُخلف وعده " . [٢]

ويقول أيضاً منكراً على مافي توراة اليهود من أمورٍ منافية لعلم الله تعالى : " وفي توراتهم البداء وهو أشنع من النسخ ـ ثم ساق نصاً تناوله بالنقد وعقَّب على ذلك بقوله ـ وهذا هو البداء بعينه والكذب المنفيان عن الله تعالى " . [٣]

ويقول صاحب الأنساب على سبيل الإنكار أيضاً : "...وفي إجازة البداء على الله تعالى إجازة الندم عليه وهذا كفر " [٤] . وكذلك الإمام القرطبي فيقول : " وإنما كان يلزم البداء لولم يكن عالماً بمآل الأمور". [٥]

---

[١] انظر : الفصل في الملل ، جـ ١ ، ص ١٩٠ .

[٢] نفس المرجع والجزء والصفحة .

[٣] الأصول والفروع ، ص ١٦٢ .

[٤] الإمام أبي سعيد عبد الكريم السمعاني ، تحقيق : عبد الله بن عمر البارودي ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت . جـ ١ ، ص ٢٩٥ .

[٥] تفسير القرطبي ، جـ ٢ ، ص ٦٤ .

أما الإمام الباجي فيقول في معرض رده على نصٍ من النصوص التوراتية المنافية للعلم الإلهي بأن النسيان لا يتوهم أحد من العقلاء جواز تطرقه إلى الخالق سبحانه وتعالى . [1]

ويقول في معرض الرد على نصٍ آخر أيضاً : "...فإنه منزهٌ عن أن يستعلم عن شيء بل هو عالمٌ بكل شيء من الأزل قبل وجوده " [2] . وغير ذلك من أقوال أئمة الإسلام وجهابذتهم رحمهم الله أجمعين .

وقد كان مذهب السلف رضوان الله عليهم يقوم على إثبات صفة علم الله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة دون إعمالٍ لرأي أو عقل فيها ، حيث زخر القرآن الكريم بكثير من الآيات الكريمات وكذلك السنة المطهرة حفلت بالعديد من الأحاديث التي تثبت علمه سبحانه وتعالى على وجه الكمال و الشمول كما يليق بذاته المقدسة .

كما كان منهج السلف من أهل السنة والجماعة يقوم على إثبات صفة العلم له تبارك وتعالى باعتبارها صفة وجودية قائمة بذاته المقدسة أزلاً ، وباعتبار ما لها من خصائص تختص بها عن تلك الصفات التي للمخلوقين . فعلمه جل شأنه علمٌ محيط شامل كامل تام ، لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ، وإنما كل الخلق داخل في علمه سبحانه وتعالى لايخرج شئ منهم عنه.

---

[1] انظر : على التوراة ، ص ٥٦ .

[2] على التوراة ، ص ٧٣ .

الفصل الرابع

موقف السلف من صفة العلم الإلهي

العلم الإلهي كما يعرفه أحد السلف هو : " إنكشاف المعلوم على ما هو عليه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً". [1]

يقول الأمام أحمد بن حنبل- رحمه الله- : " إن لله تعالى علماً وهو عالم بعلم لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾البقرة(٢٩) وبقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ البقرة(٢٥٥) وذلك في القرآن كثير، وقد بينه الله عز وجل بياناً شافياً بقوله عز وجل :﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ النساء(١٦٦) وقال: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ هود(١٤)، وقال :﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ الأعراف(٧) ، وهذا يدل على أنه عالم بعلم وأن علمه بخلاف العلوم المحدثة التي يشوبها الجهل ويدخلها التغيير ويلحقها النسيان ومسكنها القلوب وتحفظها الضمائر ويقومها الفكر وتقويها المذاكرة " . [2]

و يستطرد – رحمه الله – بقوله :" وعلم الله تعالى بخلاف ذلك كله ، صفة له لا تلحقها آفة و لا فساد ولا إبطال و ليس بقلب و لا ضمير و اعتقاد و مسكن ، و لا علمه متغاير ، ولا هو غير العالم بل هو صفة من صفاته ، ومن خالف ذلك جعل العلم لقباً لله عزوجل ليس تحته معنى محقق " . [3]

---

[1] فهم القرآن لأبي عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ، تحقيق: حسن القوتلي ، ط ٢،١٣٩٨هـ ، دار الكندي- دار الفكر، بيروت، ص٢٤٩.

[2] العقيدة للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، ط ١،١٤٠٨هـ ، دار قتيبة ، دمشق ، ص١٠٥.

[3] المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ويقول الإمام الطحاوي – رحمه الله – مبيناً ما يجب على العبد من الإيمان بعلم الله تعالى ، و بما بني على ذلك العلم من التقدير الإلهي :"...وعلى العبد أن يعلم أن الله سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقض ولا معقب ، ولا مزيل ولا مغير ، ولا ناقض ولا زائد من خلقه في سمواته و أرضه ، وذلك من عقد الإيمان و أصول المعرفة و الإعتراف بتوحيد الله تعالى " .[1]

ويقول الإمام ابن حزم – رحمه الله- : " وعلم الله تعالى حق لم يزل عز وجل عليماً بكل شئ مما دق أو جل لايخفى عليه شئ ، قال عز وجل: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، وهذا عمومٌ لايجوز أن يخص منه بشئ ". [2]

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ طه (٧) ، والأخفى من السر هو مما لم يكن بعد .[3]

وأورد الإمام ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ قولاً لإبن عباس قال: "السر ما أسره ابن آدم في نفسه ، (وَأَخْفَى) ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله. فالله يعلم ذلك كله، فعلمه فيما مضى من ذلك، وما بقي علمٌ واحد وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة ".[4]

فالله تعالى قد وسع علمه عز وجل جميع الخلق على وجه من الشمول والإحاطة . وهو العليم والعالم وعلام الغيوب لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولافي الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

---

[1] العقيدة الطحاوية ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، ط ١ ، ١٩٧٨م ، المكتب الإسلامي، بيروت، ص ٣٥.

[2] المحلى للإمام أبو محمد على بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (جزء العقيدة) ، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي ، د.ط ، د.ت ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، جـ١، ص٣٢.

[3] انظر: المرجع السابق ، جـ ١ ، ص٣٢.

[4] مختصر تفسير ابن كثير، عند تفسيره للآية السابعة من سورة طه .

يقول صاحب كتاب الإعتقاد : " العليم هو العالم على المبالغة ، فالعلم صفةٌ له قائمة بذاته".[1] وأما الإمام الغزالي فينحو منحى تفصيلياً في شرحه لمعنى " العليم" ، فيقول: " والعليم معناه ظاهر وكماله أن يحيط بكل شئ علماً ظاهره وباطنه ودقيقه وجليلة أوله وآخره ، عاقبته وفاتحته. وهذا من حيث كثرة المعلومات وهي لانهاية لها ، ثم يكون العلم في ذاته من حيث الوضوح والكشف على أتم ما يمكن بحيث لايتصور مشاهدة وكشف أظهر منه ". [2]

وكل ذلك يفيد معنى أن صفة علمه تعالى صفة ثبوتية واجبة في حقه تعالى ، وأنه عز وجل يعلم جميع الأمور بعلم واحد أزلي لايتجدد بتجدد المعلومات وتعددها .

يقول صاحب كتاب قواعد العقائد: "...وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء...ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والإنتقال ". [3]

ويقول أيضاً في سياق آخر: " وعلمه سبحانه قديم ، فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته مهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي".[4]

---

[1] الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب ، ط١,١٤٠١هـ ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ص٥٧.

[2] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، دار الجفان و الجابي ، قبرص ، جـ١، ص٨٦ .

[3] الإمام أبي حامد الغزالي ، تحقيق موسى محمد علي ، ط٢، ١٤٠٥هـ ، عالم الكتب، لبنان . ص٥٥-٥٦ .

[4] نفس المرجع السابق ، ص١٨٧.

ولما سُئل نعيم بن حماد عن معنى هذه الآية: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ الحديد(٤) قال : " معناها أنه لا يخفى عليه خافيه بعلمه، وليس معناها أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لاتوجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ".[1]

أما شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فيذكر أن من صفات الفرقة الناجية الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، وعالمٌ جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ، ثم الإيمان بأن الله كتب جميع مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ ، وأن هذا التقدير تابع لعلمه سبحانه وتعالى .[2]

ويقول في موضعٍ آخر: "..فإنه سبحانه أعلم بنفسه و بغيره و أصدق قيلاً و أحسن حديثا "[3] ، وفي هذا القول إثبات لكمال علم الله تعالى وتمامه ، لأن علمه عزوجل بنفسه مستلزم لتمام علمه بغيره و بما سواه من خلقه .

كما يقرر ذلك أيضاً الإمام المواهبي الحنبلي ، فيقول : "...و يجب الجزم بأنه سبحانه عالم بعلم واحد قديم باق ذاتي محيط بكل معلوم كُلي أو جزئي على ماهو عليه فلا يتجدد علمه بتجدد المعلومات ولا يتعدد بتعددها ، وأن علمه ضروري ليس بكسبي و لا استدلالي ".[4]

أما صاحب كتاب التحفة المدنية في العقيدة السلفية فيبين مذهب السلف في آيات الصفات عموماً و في صفة علم الله تعالى بقوله: " قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله، وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء

---

[1] قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، جـ١ ، ص٥٠.

[2] انظر: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق محمد بن عبد العزيز مانع ، ط٢، ١٤١٢هـ ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء ، الرياض ، ص٣٥-٣٦.

[3] المرجع السابق ، ص ٧ .

[4] العين والأثر في عقائد أهل الأثر ، لعبد الباقي المواهبي الحنبلي تحقيق : عصام رواس قلعجي ، ط١، ١٤٠٧ هـ ، دار المأمون للتراث ، لبنان ، ص٣٠.

المسلمين، فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه...فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات وليس بين صفاته وصفات خلقه إلا موافقة اللفظ ..." فليس علمه كعلم أحد...".[1]

ويقول الشيخ الإمام الشنقيطي موضحاً مذهب السلف في ذلك: " الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لايصف الله أعلم بالله من الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ البقرة (١٤٠)

ولاشك أن للخالق جل وعلا علماً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله محيطاً بكل شئ كما أن للمخلوقين علماً مناسباً لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم . وبين علم الخالق وعلم المخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق وذات المخلوق".[2]

إذن فمذهب السلف رضوان الله عليهم هو الإثبات لعلم الله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه كما أثبته تعالى لنفسه، وكما أثبته له نبيه ﷺ .

فعلمه تعالى – وكما يقرر السلف ذلك- علم كامل محيط ، شامل لجميع الخلق ، على وجه إنكشافي بحيث لا يخفى عليه شئ من أمر الخلق ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

كما أن علمه تعالى أزلي قديم متعلق بكل الموجودات قبل وجودها ، فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

---

[1] الشيخ العلامة حمد بن ناصر آل معمر، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر، ط١، ١٤١٣هـ، دار العاصمة الرياض. ص٢٧،٢٣.

[2] آيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي، ط٤، ١٤٠٤هـ ، الدار السلفية، الكويت، ص١٤-١٦.

الفصل الخامس

ذكر بعض أسمائه سبحانه وتعالى الدالة على صفة العلم الإلهي

يقول الإمام البيهقي: "ومن أسامي صفات الذات ما هو للعلم ومعناه، فمنها **العليم** ومعناه تعميم المعلومات ، ومنها **الخبير** ويختص بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون، ومنها **الحكيم** ويختص بأن يعلم دقائق الأوصاف، ومنها **الشهيد** ويختص بأن يعلم الغائب والحاضر، ومعناه أنه لا يغيب عنه شيء ، ومنها **الحافظ** ويختص بأنه لا ينسى ما علم، ومنها **المحصي** ويختص بأنه لا يشغله الكثرة عن العلم وذلك مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الأوراق فيعلم عند ذلك عدد أجزاء الحركات في كل ورقة، وكيف لا يعلم وهو الذي خلقها وقد قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. الملك(١٤) .[١]

ويقول الإمام ابن القيم : "قوله تعالى :﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الذاريات(٣٠) ، متضمن لإثبات صفة **الحكمة والعلم**، اللذين هما مصدر الخلق و الأمر...والعلم و الحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال ، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من: القيوميّة والقدرة والبقاء والسمع والبصر ، وسائر الصفات التي يستلزمها العلمُ التام ". [٢]

كما يذكر الإمام الغزالي معنى اسم الله "**الخبير**" فيقول : "هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك و الملكوت شيء و لا تتحرك ذرة و لا تسكن و لا تضطرب نفس و لا تطمئن إلا و

---

[١] شعب الإيمان للإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد السيد بسيوني زغلول ، د.ط، ١٤١٠هـ ، جـ١ ، ص١٢١.

[٢] أسماء الله الحسنى للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية ، تحقيق : يوسف علي بدوي ، ط٢ ،١٤١٩ هـ ، دار ابن كثير ، بيروت ـــ دمشق . ص١٢٧ .

يكون عنده خبرها ، وهو بمعنى العليم ولكن العليم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سُمي خبرة ، ويسمى صاحبها خبيرا" .[1]

وعليه فصفة العلم تدل عليها العديد من أسماء الباري سبحانه و تعالى ومنها : اسم "العليم" وهو الإسم الدال بوجه صريح على اتصافه عزوجل بصفة العلم ، و من الأسماء التي تماثله في الدلالة الصريحة على اتصافه عزوجل بصفة العلم " **العلَّام** " ، و كذلك بعض الأسماء المضافة كـ"**علَّام الغُيوب**" وَ " **عَالِم الغيب و الشهادة**"، وقد دلت على ذلك الكثير من الآيات كما مر معنا.

وكذلك اسم "الحكيم" الذي يدل على علمه تعالى بدقائق الأمور ، وقد دلت الكثير من الآيات على هذا الإسم و المعنى ، كقوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الأنعام (٧٣) .

وكذلك اسم " **الخبير**" الذي يدل على علمه عزوجل ببواطن الأمور و مكنوناتها و خفاياها و ما لم يكن منها قبل كينونته ، وقد دلت العديد من الآيات على ذلك أيضاً كقوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الملك (١٤) .

و اسمي " **الحافظ** " وَ " **الحفيظ** " اللذَيْن يدلان على استحالة النسيان عليه سبحانه وتعالى ، فهو لا ينسى ما علم و قد دل على ذلك الكثير من النصوص كقوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ هود (٥٧) .

واسم " **المحصي** " الذي يفيد معنى شمول علمه تعالى و إحاطته ، فلا تشغله الكثرة عن ذلك الإحصاء ، ومن الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى :﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾الجن (٢٨) ، و قوله :﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾المجادلة (٦) .

---

[1] المقصد الأسنى ، ص ١٠٣ .

و اسم " **الشهيد** " الذي يفيد معنى علمه تعالى للغيب كعلمه للشهادة على السواء ، فلا يغيب عنه شيء في الأرض و لا في السماء ، كقوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ ﴾المجادلة (٦) .

خلاصة الباب الثاني

مما سبق نخلص إلى أن :

١. موقف الإسلام من العلم الإلهي قد تجلى من مختلف نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المثبتة لعلم الله تبارك وتعالى .

٢. إثبات القرآن الكريم والسنة المطهرة لعلم الله تعالى لم يكن إثباتاً منعزلاً عن خصائص العلم الإلهي التي يفارق بها ما سواه من علوم المخلوقين ، وإنما جاءت النصوص متضمنة إثبات العلم الإلهي وخصائصه بوضوح تام يتجلى من خلال العرض الموجز لتلك النصوص المثبتة .

٣. الأدلة العقلية قد دلت على إثبات العلم الإلهي وجاءت متوافقة مع الأدلة النقلية في منهج الإثبات للعلم الإلهي وخصائصه .

٤. للعلم الإلهي خصائص قد فارق بها علم المخلوق ، وهذه الخصائص هي : الإحاطة والشمول والأزلية والقدم والوحدة وكون استفادة الأشياء والمحدثات منه لا العكس .

٥. مواقف علماء الإسلام إزاء البداء الموجود في الأسفار اليهودية المقدسة قد جاءت على نسقٍ واحد من الإنكار المتضمن بيان وكشف فساد تلك النصوص وما انطوت عليه من معانٍ تتنافى وكمال العلم الإلهي .

٦. أقوال السلف وتعريفاتهم للعلم الإلهي قد تواطأت على تقرير و إثبات العلم الإلهي وخصائصه في آنٍ معاً .

٧. العديد من أسماء الله الحسنى تدل على صفة العلم الإلهي وخصائصها .

الباب الثالث

أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على الفرق الإسلامية

ويتألف من فصلين :
الفصل الأول : أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على التصور الشيعي .
الفصل الثاني : أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على الفرق الإسلامية .

الفصل الأول

أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على التصور الشيعي

وفيه تمهيد و مباحث :
المبحث الأول : أهم قضايا التأثر ذات العـــلاقة بصفة العـــلم الإلهي .
المبحث الثاني : أهم شخصيات التأثر التي أثرت في الفكـــــر الكلامي .
المبحث الثالث : أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على التصور الشيعي .

الفصل الأول

تمهيد

إن مما لاشك فيه أن الفكر الإسلامي قد تأثر بمختلف العقائد التي تسللت إلى ساحته ووجدت لها مكاناً بين سائر العقائد الإسلامية الأخرى ، فقد شهدت عهود ما بعد فتنة مقتل الخليفة الراشد عثمان ﷺ أحداثاً عديدة ، و تعرضت لتياراتٍ دينية من مختلف الأهواء والديانات الأخرى .

و لاشك أن اليهودية المحرفة قد لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الفكر الإسلامي بما نفثت به من مختلف الأفكار و العقائد الضالة التي شكلت غيمةً سوداء في سماء الفكر الإسلامي النقي ، و كان لها أبعد الأثر في مختلف عصور الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا .

وبما أننا بصدد الحديث عن صفة العلم الإلهي فإننا سنحاول في هذا الباب أن نتلمس أثر عقيدة اليهود المحرفة في تصورهم للعلم الإلهي على أرباب الفرق و أهل الكلام من المسلمين .

فمن المعلوم أن تشوش الفكر الإسلامي باعتقاد بعض طوائف الشيعة للبداء في حق الله تعالى قد بدأ بما أحدثته السبئية التي قاد لواءها اليهودي ابن سبأ ، و هذه المرحلة في تاريخ الفكر الإسلامي قد شكلت بداية حاسمة إذ مثلت البدايات الأولى للإنحراف بمفهوم العلم الإلهي .

وقد كان الكثير ممن تأثر بالسبئية متأثراً بشكلٍ أو بآخر بما في العهد القديم و ما في تصورات اليهود المنحرفة من صور و ثنية في صفة العلم الإلهي .

و منذ البواكير الأولى احتضن التشيع الغالي أمشاجاً من الأفكار و الآراء اليهودية نظراً لتأثره برموز يهودية منحرفة أمثال ابن سبأ و بيان بن سمعان و غيرهما ، الأمر الذي أدى لسريان بعض تلك

الأفكار و رسوخها في الفكر الشيعي ككل . و كما ينقل الدكتور فتحي الزغبي فإن من المعروف في تاريخ الإسلام الفكري أن أكثر الروافض كانوا في الأصل من اليهود أو ممن تأثروا بالتوراة إلى حدٍ كبير . [1]

وما فتئت جذوة الفتنة تخبو حتى برزت شخصية أخرى كان لها الأثر العميق في تأريخ الفكر الإسلامي ، تلك هي شخصية الجعد بن درهم الذي لا يكاد يخلو مؤلف في العقائد الإسلامية إلا و يذكره بسوء أحدوثته التي أحدثها في الإسلام ، فقد مهَّد لآرائه لأن تنتشر بين الناس ما كان يحظى به من منزلةٍ في البلاط الأموي حيث كان مؤدباً لآخر أمراء بني أمية .

وقد شكل الجعد بن درهم همزة وصلٍ بين فكرين متغايرين أشد المغايرة ، إذ مثَّل أحدهما جانباً سوداوياً منحرفاً في حين مثَّل الآخر جانباً صافياً رغم ما شابهُ من أكدارٍ عكرت صفاء عقيدته حيناً من الدهر .

فمن المؤكد أن فكر الجعد بن درهم كان قد تأثر بالفكر اليهودي المنحرف ، و تشهد لذلك سلسلة الإسناد التي حفظتها لنا كتب التاريخ و استفاضت بذكرها كتب الفرق و المقالات و العقائد على السواء ، والتي ـ أعني سلسلة الإسناد ـ شكلت رافداً من روافد التأثر الكلامي بالفكر اليهودي لايمكن إغفاله .

كما يشهد لذلك أيضاً تلك الأفكار المنحرفة ذاتها و التي أشارت بأصابع الإتهام إلى أصولها التي تنتمي إليها ، و التي احتضنتها طويلاً لترمي بها في نهاية المطاف إلى معتركٍ فكري آخر لا يزال يعيش فترة نقاهته مما ألم به من سموم السبئية و انحرافاتها .

فقد دلت تلك النصوص أوضح دلالة على جذورها الأصلية التي انبثقت منها نتيجة لما ظهر بينهما من التطابق والتوافق التام تصوراً و مضموناً .

---

[1] غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام للدكتور فتحي الزغبي ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، مطابع غباشي، طنطا ، ص ٤١٨ .

وما يهمنا في هذا الباب هو أن نسلط الضوء على أبرز نقاط التأثر الكلامي بالفكر اليهـودي في صـفة العلم الإلهي ، و قبل أن نشرع ببيان ذلك يجدر بنا حتى تتضح الصورة أن نبين أمرين هامين :

الأول : بيان أهم قضايا التأثر ذات العلاقة بصفة العلم الإلهي .

الثاني: بيان أهم شخصيات التأثر التي أثرت في الفكر الكلامي .

وسنعرج في البداية لبيان ما يتعلق بالأمر الأول ، فنقول :

المبحث الأول

أهم قضايا التأثر ذات العلاقة بصفة العلم الإلهي

لقد تعددت القضايا ذات العلاقة الوطيدة بصفة العلم الإلهي ، و لا شك أن مبحث الصفات الإلهية عُموماً يُشكل جزءاً من منظومة تلك القضايا ، بل أنها تأتي في مقدمتها بما تشكله من أهميةٍ بالغةٍ بالنسبة للعلم الإلهي ، فمن نفى الصفات الإلهية أو حاد بها عن معانيها المقصودة من مختلف نصوص الكتاب والسنة فقد تعرض بلا شك لصفة العلم الإلهي وخصائصها بما ينافي كمالها، وذلك لما لسائر الصفات الإلهية من ارتباطٍ وثيق بصفة العلم الإلهي .

وبما أن نفي الصفات ومنها صفة العلم الإلهي يُعد من القضايا ذات الأصول اليهودية ، فإننا سنتناوله ضمن قضايا التأثر الكلامي بالفكر اليهودي باعتباره رافداً من روافد ذلك التأثر ـ بالنفي ـ وليس جميعها .

١) قضية نفي الصفات و منها العلم الإلهي :

إن من المسلم به أن نفي صفات الباري تعالى كان من أول ما اقتبسه الجعد بن درهم من الفكر اليهودي نتيجة اتصاله ببيان بن سمعان ، و اتصال بيانٍ بطالوت و اتصال هذا الأخير بلبيد بن أعصم الساحر اليهودي الذي سحر النبي ﷺ . [1]

وقد كان محور دعوة الجعد بن درهم أن الله لم يكلم موسى تكليماً و لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، فنفى كلام الله تعالى لموسى والذي أثبته تعالى في كتابه الكريم ، كما نفى المخالة التي أثبتها الله تعالى

---

[1] انظر : البداية و النهاية لإبن كثير ، جـ ١٠ ، ص ١٩ . وَ الكامل في التاريخ لإبن الأثير ، جـ ٦ ، ص ١٢١.

لإبراهيم عليه السلام و التي هي أثرٌ من آثار المحبة ، فيلزم من نفيها نفي المحبة التي هي صفة من الصفات الإلهية . [1]

ويمكن القول أن دعوة الجعد قد قامت على أساس معارضة القرآن و مناقضة نصوص الإثبات فيه بتأثرٍ من اليهودية المنحرفة التي سبقت إلى معارضة التوراة و مناقضتها بل و تحريفها بإدخال ماليس من كلام الله تعالى فيها وهو من أشد المناقضة و الدس على الملة اليهودية .

على أن نفي الصفات و منها صفة العلم الإلهي ليس بمستغربٍ في الفكر اليهودي الذي نضحت أسفاره بكثيرٍ من تلك المعاني ، و ليست نصوص البداء و الحزن و التأسف و الندم و النسيان إلا شكلاً من أشكال تلك العقيدة المشوهة المنحرفة الموجودة في كتاب العهد القديم .

والمقصود أن مبدأ النفي للصفات و التشبيه للخالق بالمخلوق إنما هو من العقائد الأصيلة في الملة اليهودية المحرفة والتي تتعارض مع مبدأ التنزيه للخالق عزوجل الذي قررته جميع الأديان السماوية على اختلافها .

٢) قضية خلق القرآن :

لقد كانت قضية خلق القرآن من أكبر القضايا التي لاقت اهتماماً منقطع النظير ، حيث كثر الجدل و النقاش حولها و امتحن كثيرٌ من العلماء الإجلاء كالإمام أحمد بن حنبل ـ رحمهُ الله ـ الذي تصدى لتلك الموجة الفكرية المنحرفة بكل قوة و صبر .

و لم يأتِ موقفه الحاسم ـ رحمهُ الله ـ في معارضة القول بخلق القرآن إلا لما أدركه من النتائج الخطيرة التي ستُبنى و تترتب على القول بخلق القرآن ، و منها حدوث العلم الإلهي الأمر الذي يستلزم معه القول بخلق ذلك العلم ، و هذا يتناقض تماماً مع صفة العلم الإلهي و أزليتها و كمالها.

---

[1] انظر : كتب و رسائل و فتاوى ابن تيمية في التفسير ، جـ ١٢ ، ص ٢٦ .

ومن المؤكد أن مسألة خلق القرآن لم تنشأ من داخل البيئة الإسلامية و إنما انبثقت من رحم اليهودية المحرفة ، فهي بناء على ذلك فكرةٌ يهودية الأصل في المقام الأول ، ثم نبتت هذه الفكرة في الوسط الإسلامي و ترددت حولها الآراء بين القبول و الرفض الأمر الذي أدى بعلماء الإسلام و ومتكلميهم لأن يبحثوا بين نصوص الكريم ذاته عن أدلةٍ تحسم ذلك الخلاف المستشري .

غير أنه ونتيجةً لاختلاف العلماء وأهل الكلام في فهم النصوص الواردة حول ذلك ، و اختلاف طرقهم في النظر و الإستدلال أدى ذلك إلى تفاقم المشكلة وانقسام الناس إلى طوائف متباينة ، حيث تبنى فريق منهم تلك الفكرة و نادوا بها و ساقوا في سبيل إثباتها مختلف الأدلة العقلية و النقلية التي توهموا أن فيها مستنداً لما ذهبوا إليه ، و تفرعت تبعاً لذلك مسائل مختلفة تتعلق بقضية القول بخلق القرآن و اختص كل مذهب بحظٍ منها . فالفكرة في أصلها يهودية ثم بُني عليها بعد ذلك مختلف الآراء الفلسفية و الكلامية .

و يمكن القول أن فكرة القول بخلق القرآن تعود إلى أصلين يهوديين :

الأول : وهو القول بخلق التوراة . [1]

الثاني : وهو القول بنفي الصفات الإلهية ، و الذي يستلزم القول بنفي العلم و الكلام الإلهيين و من ثمّ القول بخلق الكتب السماوية و منها التوراة .

فمقدمةٌ يهودية الأصل و هي القول بنفي الصفات أدت بالضرورة إلى معانٍ منافية للعلم الإلهي منها القول بخلق التوراة ، و إثبات العلم الحادث وهذه الأخيرة نتيجةٌ يهودية لها نظائر عدة مختلفة الصور في كتاب العهد القديم كما أسلفنا وكما مرّ معنا في التصور اليهودي .

٣) قضية القدر :

تتجلى أهمية الحديث عن قضية القدر في هذا الباب في كونها تُعد من أهم القضايا ذات العلاقة بالعلم الإلهي السابق ، إذ يستلزم إثباتها والتسليم و الإيمان بها الإيمان بما قدره الله تعالى أزلاً وفق علمه السابق ، كما يلزم منه أيضاً الإيمان بالحِكم الإلهية التي هي مقتضى ذلك العلم .

---

[1] سيأتي بيان ذلك عند الكلام عن شخصيات التأثير .

و يصور لنا الأثر الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما ذلك المعنى بشكلٍ جلي واضح ، فيقول : كنت رديف رسول الله ﷺ فقال لي : ياغلام إني محدثك حديثاً إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله و إذا استعنت فاستعن بالله ، فقد رُفعت الأقلام وجفت الكتب، فلو جاءت الأمة ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عزوجل لما استطاعت ولو أرادت أن تضرك بشيء لم يكتبه الله لك مااستطاعت .[1]

فالعلاقة بين العلم السابق و القدر علاقة تلازمية إذ أن التقدير المسبق للأمور مستلزمٌ للعلم السابق ، و العلم السابق مبنى و أساس عملية التقدير ، فمن نفى العلم السابق استلزم منه ذلك نفي التقدير ، و من نفى التقدير استلزم منه ذلك اعتقاد حدوث العلم لأنه سيثبت حينئذٍ تقديراً حادثاً فالعلم المتعلق به يصبح علماً حادثاً تبعاً لذلك ، و هذا يتنافى كليةً مع ما قرره القرآن و ما أثبته من التقدير الأزلي المسبق ، قال تعالى :﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ فصلت (١٠ -١١) . وقال تعالى :﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الفرقان (٢) .

وما نود بيانه هنا هو أن قضية نفي التقدير لم تكن من القضايا الأصيلة في البيئة الإسلامية ، و هذا لا يتنافى مع ما حدث من الجدل والنقاش في القدر على نطاقٍ فردي لأن تلك الخصومات كانت غالباً ما تُحسم بشكل نهائي و قاطع فيحصل بذلك التسليم التام عن رضى و قناعة ، و من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ذات يوم و الناس يتكلمون في القدر قال ، و كأنما تفقأ في و جهه حب الرمان من الغضب قال: فقال لهم : "مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ، بهذا هلك من كان قبلكم" ، قال ـ أي ابن

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده " مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما " و اللفظ له ، حديث رقم "٢٧٦٣" ولم يعلق عليه ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح . و رواه البيهقي أيضاً في شعب الإيمان ، جـ ٧ ، ص ٢٠٣ .

عمرو ـ فما غبطت نفسي بمجلسٍ فيه رسول الله لم أشهده بما غبطتُ نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده .[1]

فالمجتمع الإسلامي في ذلك الوقت كان يتخذ موقفاً إيجابياً حيال قضية القدر و هو موقف الإثبات و الإيمان و الرضى و التسليم ، غير أن صفو ذلك الإثبات لم يلبث أن تعكر بما أحدثه نفاةُ القدر من شرخٍ آخر في جسم العقيدة الإسلامية .

و على الرغم من أن كتب العقائد تكاد تتواطأ على كون معبد الجهني هو أول من تكلم في القدر نفياً ، إلا أن كتب التواريخ و التراجم تذكر شخصية أخرى إلى جانب شخصية الجعد بن درهم و هذه الشخصية ـ كما تذكر تلك المصادر ـ كان لها قصب السبق في الكلام بنفي القدر ، و عنها أخذ معبد الجهني . و هي شخصية أكتنفها الغموض واختلفت كتب التراجم و العقائد في تحديد هويتها تحديداً دقيقاً إذ يذكرها البعض تحت مسمى "سيسويه" [2] والبعض الآخر يذكر أنه "سستويه" [3] كما سنرى ذلك لاحقاً عند الكلام عن شخصيات التأثير إن شاء الله تعالى .

وبناءً على ما سبق يمكننا القول بأن قضية نفي القدر أيضاً تعود بالمقام الأول إلى أصولٍ يهودية، وذلك لاعتباراتٍ منها :

١) الفكر الجعدي بما ضمه من عقائد و أفكار أصلها اليهودية المنحرفة و المحرفة معاً .

٢) شخصية " سيسويه " في حال ما إذا ثبتت يهوديته ، و هذا الإعتبار يبقى موضع الإفتراض مالم توجد قرينة تؤيده .

٣) الآثار الواردة و التي تؤكد نشوء عقيدة النفي للقدر في الوسط اليهودي .

فأما بالنسبة للأول و الثاني فقد أشرنا إليهما و سنتبين الكثير من ملامحهما عند الكلام عن الشخصيات . و أما بالنسبة للآثار الواردة و التي تؤكد وجود عقيدة النفي للقدر في الوسط

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند عبدالله بن عمرو رضي الله عنه ، حديث رقم " ٦٦٦٨ " . ولم يعلق عليه.

[2] اعتقاد أهل السنة ، جـ ٣ ، ص ٥٣٦ .

[3] تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٥٩ ، ٣١٨ .

اليهودي و رسوخها فيه ، فمن ذلك الأثر الذي يرويه ابن عمر ﷺ : " لُعنت القدرية على لسان سبعين نبياً منهم محمد ﷺ " [1] . و من المعلوم أن معظم الأنبياء كانوا من بني إسرائيل ، و هذا يؤكد رسوخ تلك العقيدة في مختلف مراحل تاريخهم الطويل .

وكذلك الأثر الذي يرويه رافع بن خديج [2] ﷺ من أنه سمع النبي ﷺ يقول ـ بعد أن ساق حديثاً ـ : " إن عامة من هلك من بني إسرائيل لبالتكذيب بالقدر " [3] . و التكذيب هو النفي وما في معناه ، و قد دل الأثر على أن ذلك كان منتشراً في أوساط بني إسرائيل و أنه كان سبب هلكتهم .

هذا بالإضافة إلى ما ذكره بعض كتاب الفرق أمثال الإمام الإسفراييني ، و الذي يوضح العلاقة الوطيدة بين نفاة القدر في كلا الفريقين ، فيقول : " و القدرية الذين ظهروا في دولة الإسلام أخذوا طريقتهم من قدرية اليهود ، و قد كان في عصرنا جماعة ممن ينتسب إلى أصحاب الرأي و يتستر بمذهبهم وهو يضمر الإلحاد و القول بالقدر ، و كان يراجع اليهود و يتعلم منهم الشُبه التي يُغرون بها العوام " . [4]

---

[1] المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق عوض الله ، د . ط ، ١٤١٥ هـ ، دار الحرمين ، القاهرة ، جـ ٧ ، ص ١٦٢ .

[2] رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي أبو عبدالله ، عُرض على النبي ﷺ يوم بدر فاستصغره وأجازه يوم أحد فخرج بها وشهد مابعدها . روى عن النبي ﷺ وعن صحابة آخرون ، ومات سنة ٧٤ هـ . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي محمد البجاوي، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، دار الجيل ، بيروت ، جـ ٢ ، ٤٣٦ .

[3] القدر لأبي بكر جعفر بن الحسن الفريابي ، تحقيق : عمرو عبد المنعم سليم ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ص ١٨١ . وَ القضاء و القدر لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد عبد الله آل عامر ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ،مكتبة العبيكان ، الرياض ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

[4] التبصير في الدين ، ص ١٥١ .

وجملة القول مما سبق أن نفي القدر عقيدة يهودية ، و أصل القدرية ـ كما يذكر شيخ الإسلام ـ أن الله لا يعلم المحدثات إلا بعد حدوثها ، و أنه تعالى لم يعلم أفعال العباد إلا بعد حدوثها ، و أن الأمر أُنف [1] . وهذا هو المعنى المفهوم من مختلف التصورات المنافية للعلم الإلهي الموجودة في كتاب العهد القديم .

أما السؤال المطروح هنا فهو كيف تسللت تلك القضايا المنافية لعلم الله تعالى إلى الوسط الإسلامي ، وما هي أهم الشخصيات التي أثرت في الفكر الكلامي وشكلت قناطر اتصال بين الفكرين الإسلامي و اليهودي .

---

[1] جامع الرسائل ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، د . ط ، د ، ت ، مصر ، ص ١٧٧ .

المبحث الثاني

أهم شخصيات التأثر التي أثرت في الفكر الكلامي

لقد ظهرت في ساحة الفكر الإسلامي عِدة شخصيات كان لها الأثر العميق في التأثير على أراء مختلف الطوائف والفرق الكلامية ، متأثرة في ذلك بموروثات الفكر اليهودي المنحرفة ، الأمر الذي أدى بدوره لانتقال كثيرٍ من العقائد المنافية للعلم الإلهي إلى العقيدة و الفكر الإسلاميين ، ومن بين تلك الشخصيات :

أولاً : الجعد بن درهم :

هو الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة ، مؤدب مروان آخر خلفاء بني أمية الملقب بمروان الجعدي نسبة إليه.[1]

يقول الإمام ابن كثير عن الجعد بن درهم :" ..ذكره ابن عساكر في تاريخه ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه وأنه كلما راح إلى وهبٍ يغتسل ويقول أجمع للعقل ، وكان يسأل وهباً عن صفات الله عزوجل فقال له وهب يوماً ، ويلك يا جعداً أقصر المسألة عن ذلك إني لأظنك من الهالكين ، لولم يخبرنا الله في كتابه...وأن له علماً ما قلنا ذلك . وذكر الصفات ، ثم لم يلبث الجعد أن صُلب ثم قُتل ، قتله خالد القسري يوم النحر فقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيرا ، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر وقد ذكر هذا غير واحدٍ من الحفاظ ." [2]

بدعته في صفة العلم الإلهي :

يتجلي موقف الجعد بن درهم فيما يتعلق بعلم الله تعالى في ثلاثة أمور أساسية :

---

[1] انظر: الأنساب للسمعاني ، جـ ٢ ، ص ٦٦ .

[2] البداية والنهاية .جـ ٩ ، ص ٣٥٠ .

الأول: في قوله بنفي الصفات ومنها صفة علم الله تبارك وتعالى : يقول شيخ الإسلام : " وأول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة – أي مقالة التعطيل – في الإسلام ..هو الجعد بن درهم ".[١]

الثاني: في قوله بخلق القرآن : يقول شيخ الإسلام : " إن أول من قال القرآن مخلوق جعد بن درهم في سِني نيف وعشرين ومائة "[٢]. ويقول في موضعٍ آخر: " ولا خلاف بين الأمة في أن أول من قال القرآن مخلوق الجعد بن درهم "[٣]. ويقول ابن خلدون في تاريخه : " الجعد بن درهم كان يقول بخلق القرآن و يتزندق ". [٤]

الثالث : في قوله بنفي القدر ، ومعلوم أن القدر مستلزمٌ للعلم الإلهي الأزلي السابق . يقول القلقشندي : " أخذ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عن الجعد بن درهم مذهبهُ في القول بالقدر وخلق القرآن " . [٥]

لكن السؤال المتبادر هنا هو : بما أن تلك الأفكار دخيلةٌ على الفكر الإسلامي فمن أين استقى جعدٌ فِكره وآراؤه التي جنح إليها ؟ .

أصول فكر الجعد :

يكاد يتواطأ علماء الإسلام الذين ترجموا للجعد بن درهم على تأثره بالفكر اليهودي فيما نزع إليه من أراء وأفكار تناقض أصل العقيدة الإسلامية وذلك بما ذكروه من صلته ببعض اليهود ، وبناءً على هذا فيمكننا أن نعزو تأثر الجعد بن درهم باليهودية إلى عاملين أساسيين :

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى . جـ ٥ ، ص ٢٠ .

[٢] انظر: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام في التفسير . جـ١٢ ، ص ٥٠٤ .

[٣] انظر: المرجع السابق . جـ١٢ ، ص ٤٢٠ .

[٤] انظر: تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، ط ٥ ، ١٩٨٤م ، دار القلم ، بيروت . جـ٣ ، ص ١٦٥ .

[٥] صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : عبد القادر زكار ، وزارة الثقافة ، دمشق ، د . ط ، ١٩٨١م، جـ ١٣ ، ص ٢٥٥ .

الأول/ بسبب إتصاله وأخذه عن بيان بن سمعان ومن ثم عمن أخذ عنه من اليهود.

الثاني/ بسبب العامل البيئي الذي عاش فيه.

وسنتناول كلاً منهما بشئ من التفصيل.

أولاً: بسبب إتصاله وأخذه عن بيان بن سمعان :

يعزو كثيرٌ من مؤرخي الإسلام سبب خروج الجعد بن درهم عن مذهب أهل السنةُ إلى تأثره الشديد باليهودية التي استترت خلف الفكر البياني ، وضربت بجذورها في ذلك الفكر المنحرف ردحاً طويلاً يقارب القرن من الزمان .

فكيف تأثر الجعد ببيان ؟

يذكر الإمام ابن كثير أن الجعد قد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ وأخذ الساحر الذي سحر الرسول ﷺ عن يهودي باليمن . [1]

فالسلسلة كما رأينا قد جمعت جملة من اليهود ابتداءً من يهودي اليمن وانتهاءً بطالوت على رأي ، وعلى رأي آخر انتهاء ببيان بن سمعان في حال ما إذا أثبتت يهوديته . فمن هو بيان ؟.

هو بيان بن سمعان النهدي بن بني تميم ظهر بالعراق بعد المائة ، قال بإلهية علي وأن فيه جزءاً متحداً بناسوته[2]، ثم أدعى لنفسه الربوبية، وزعم أنه البيان المذكور في قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ آل عمران (١٣٨)، فقال: أنا البيان وأنا الهدى والموعظة [3] . وإليه تنسب البيانية من الغلاة، والتي تدعي له الألوهية .[4]

---

[1] انظر: النهاية والبداية لابن كثير جـ١٠، ص١٩، وَ جـ ٩ ، ص ٣٥٠ .

[2] انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، جـ٢ ، ص٧٥.

[3] انظر: الفرق بين الفرق ، ص٢٢٧.

[4] انظر: التبصير في الدين وبيان الفرقة الناجية ، ص٣٢.

ويدلنا على مذهب بيان في القول بخلق القرآن أن البيانية هم أول من قال بخلق القرآن وهي تُنسب إليه [1] ، وبيان ذو أصلٍ يهودي ، يقول الدكتور فتحي الزغبي : " ولو تتبعنا أول من قال بالتشبيه من غُلاة الشيعة سنجد أنه بيان ـ كما قال الرازي ـ وبيان بن سمعان ذو أصلٍ يهودي" . [2]

من مذهبه أنه كان يقول أن الله– تعالى علواً كبيراً– على صورة إنسان [3] وأنه – تعالى عن إفكه وبهتانه– يفنى كله حاشا وجهه فقط [4]. وقد قتله خالد بن عبد الله القسري [5] بالكوفة وأحرقه. [6]

يقول الإمام الرازي : " اعلم أن اليهود أكثرهم مشبهه وكان بدو ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل بنان بن سمعان الذي كان يثبت لله تعالى الأعضاء والجوارح ". [7]

ملامح فكر بيان :

ربما يمكننا تلمس الأصول اليهودية في الفكر البياني، والذي غلب عليه طابع التشبيه لله عز وجل ، من خلال ما وُجد في العهد القديم من نصوص التشبيه لله تعالى، فمن ذلك ما ورد في

---

[1] تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمد زهري النجار ، د. ط، ١٣٩٣هـ ، دار الجيل ، بيروت ، ص ٧٢ .

[2] غُلاة الشيعة و تأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ، ص ٤١٧ .

[3] انظر: المواقف لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ، دار الجيل ، بيروت، جـ٣ ، ص٦٧١– ٦٧٩، مقالات الإسلاميين ، جـ١، ص ٥.

[4] انظر: الفصل ، جـ ٣ ، ص ١٢١.

[5] هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري أبو الهيثم والي الوليد بن عبد الملك على مكة والحجاز وهشام بن عبد الملك على الكوفة ، قتل بيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد في يوم واحد ، وقتل الجعد بن درهم في ١٢٣هـ ، وقيل قُتل عام ١٢٦هـ ، انظر : الوافي بالوفيات ، جـ ١٠، ص٢٠٦.

[6] انظر: الملل والنحل ، جـ ١ ، ص١٧٧.

[7] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص٦٤ . اللباب في تهذيب الأسماء ، جـ ١، ص١٧٨.

سفر التكوين: " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" وَ " فخلق الله الإنسان على صورته".

ثم إذا اعتبرنا ما للعلاقة التي ربطت بينه وبين طالوت اليهودي من أثر استطعنا أن نقترب إلى العلم الذي هو أقرب إلى اليقين في ذلك.

ونظراً لعدم توافر شئ من مصنفاتهما لدينا فإننا لا نستطيع البت في ذلك على وجه تفصيلي بذكر تفاصيل ذلك التأثر وجزئياته . لأن كل ما تواطأت عليه المصادر واستفاضت به قد انحصر في ذكر الخطوط العريضة لذلك التأثر والمتمثلة في ثبوت الأخذ والتلقي والتأثر من اللاحق منهما بالسابق .

أما بالنسبة لطالوت ، فلم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن اسمه ونسبه ونسبته سوى أنه كان ابناً لأخت لبيد وختناً له.[1]

وكذلك لبيداً فقد أُهمل ذكره على وجه التفصيل ، ولم يتوافر لدينا شئ عن نسبه ونسبته سوى ما عُرف عنه من اسمه " لبيد بن أعصم" ، وفعله حيث سحر رسول الله ﷺ .

فكر طالوت ولبيد فيما يتعلق بصفة العلم الإلهي :

ربما يمكننا تلمس رأي هذين اليهوديين في صفة العلم الإلهي من خلال ما عُرف من مذهبهما في القول بخلق التوراة ، ونفي الصفات .

يقول ابن الأثير : " وكان لبيد يقول بخلق التوراة، وأول من صنف في ذلك طالوت ، وكان زنديقاً فأفشى الزندقة" [2]، ويقول صاحب السيرة الحلبية : " ..ولبيد هذا قيل أنه أول من قال بنفي صفات الباري.." .[3]

---

[1] انظر: مثلاً البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص١٩ . مجموع الفتاوى جـ٥ ، ص٢٠.

[2] الكامل في التاريخ ، جـ٦، ص١٢١.

[3] علي بن برهان الدين الحلبي ، د. ط ، ١٤٠٠ هـ ، دار المعرفة ، بيروت . جـ٢ ، ص ٣١٧ .

أما وجه الربط بين الفكر الجعدي الذي تبلور في القول بخلق القرآن وبين الفكرين الطالوتي واللبيدي المتمثل في القول بخلق التوراة ، يكمن في وحدة القول بخلق الكتب المنزلة من عند الله تعالى وهما هنا " التوراة والقرآن" .

وهذا القول يترتب عليه أمران :

١) القول بحدوث كلام الله تعالى، ولذلك نجد أن من وقعت له شبهة التنزيه بعدم تشبيه الخالق بالخلق قد عمد إلى نفيها كسبيل لنفي الحدوث .

٢) القول بحدوث العلم- كنتيجة طبيعية للقول بخلق القرآن - وهذا هو ما يعنينا في هذا المبحث فنقول :

العلاقة بين القول بخلق القرآن وصفة العلم الإلهي :

إن القول بخلق القرآن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بصفة العلم الإلهي وذلك لأن القرآن الكريم - وكما يقرر ذلك السلف رضوان الله عليهم ومنهم الإمام إبن حنبل رحمهم الله تعالى أجمعين - جزءٌ من العلم الإلهي .

فعن المروزي يقول سمعت أبا عبد الله يقول : " القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله واليوم الآخر والحجة، وقد قال الله :﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾ الرعد(٣٧). وقال: ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ ﴾ آل عمران (٦١). وقال:﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة (١٤٥) . وقال: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة (١٢٠) .

والذي جاء به النبي هو القرآن، وهو العلم الذي جاءه، والعلم غير مخلوق والقرآن من العلم وهو كلام الله ".[1]

---

[1] الفتاوى الكبرى ، جـ٥، ص١٦٣- ١٦٤.

ويقول الإمام اللالكائي: "...فالقرآن علم الله فمن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر "[1]. وكذلك التوراة لها نفس الحكم ، يقول الإمام أحمد: " من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر".[2]

وتحريراً للمسألة يمكننا القول بأن القول بخلق القرآن مفضٍ بالضرورة إلى القول بأن علم الله تبارك تعالى مخلوق، وكذلك من قال بأن علم الله محدث مخلوق لزمهُ بوجه ضروري القول بخلق كتبه السماوية ومنها القرآن والتوراة ، لأنهما جزء من العلم . فبين القولين من التلازم ما يجعل القول بأحدهما ملزمٌ للقول بالآخر .

ويبين ذلك بصورة أوضح ما ورد عن شيخ الإسلام حيث قال: " ومعلوم أن المراد بالذي جاءك من العلم في هذه الآيات إنما هو ماجاء من القرآن كما يدل عليه سياق الآيات ، فدل ذلك على أن مجئ القرآن إليه مجئ ما جاء من علم الله إليه وذلك دليل على أن من علم الله مافي القرآن "[3]، ويلفت النظر- رحمه الله- بذكر تصوير واقعي تتضح به الصورة فيقول :

" ثم قد يُقال هذا الكلام فيه علم عظيم ، وقد يقال هذا الكلام علم عظيم ، فأطلق أحمد على القرآن أنه من علم الله لأن الكلام الذي فيه علم هو نفسه يسمى علماً، وذلك هو من علم الله ، كما قال تعالى :﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ . ففيه من علم الله تعالى ما شاء سبحانه لاجميع علمه، ومثل هذا كثير في كلام الإمام أحمد " . [4]

وإذا تقرر ذلك استطعنا القول بأن فكرة حدوث العلم وخلق القرآن التي نادى بها من نادى من مختلف طوائف الفكر الإسلامي ، إنما هي يهودية الأصل والمنشأ ، أخذت بها بعض الطوائف الإسلامية التي نادت بها من بعد ذلك بعد أن قامت بإسباغ الثوب الإسلامي عليها .

---

[1] اعتقاد أهل السنة ، جـ٢ ، ص٢٦٣.

[2] الفتاوى الكبرى ، جـ٥، ص١٦٤.

[3] الفتاوى الكبرى ، جـ٥ ، ص١٦٢.

[4] المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

وقد سارت سيراً وئيداً حتى وصلت إلى جهم ، واستمرت على انتشارها البطئ حتى جاء بشر المريسي وأذاع بها ، وسيمر معنا ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثانياً : العامل البيئي الذي عاش به الجعد :

إنه لا يخفى ما للعامل البيئي من تأثيرٍ على قلب الإنسان و عقله وبالتالي فيما ينزع إليه من أفكار وأراء ، وبالنسبة للجعد بن درهم فيمكن القول بأن البيئة التي عاش فيها قد ساهمت بشكلٍ كبير وفعال في توجيه عقله وقلبه لقبول تلك الأفكار التي نفث بها الفكر اليهودي في ساحة فكره ، عن طريق اتصاله ببعض أرباب ذلك الفكر اليهودي .

فالجعد كان قد عاش بأرضٍ ماجت بها التيارات الفكرية والدينية من كل حدبٍ وصوب ، وعلى هذا فليس من عجبٍ أن ينادي بتلك الأفكار الدخيلة بعد أن أخصبت تلك البيئة تربته وجعلتها صالحة لأن تنمو فيها بعض بذور الفكر اليهودي .

يقول شيخ الإسلام :"وأول من أظهر ذلك في الإسلام وإن كان ذلك موجوداً قبل الإسلام في أممٍ أخرى الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان وكان على ما قيل من أرض حران ، وكان فيهم أئمة الفلاسفة ، ومنهم تعلم الفارابي".[1]

وقال في موضعٍ آخر :"...وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أرض حران ، وكان فيهم خلقٌ كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين...ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب أنه ليس له إلاصفات سلبية أو إضافية مركبة...فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة".[2]

وعلى هذا فيكون أصل مقالة الجعد ما ذهب إليه شيخ الإسلام ، والذي يلخص مجموع العوامل التي تأثر بها الجعد بقوله:" ثم أصل هذه المقالة مقالة التعطيل للصفات إنما هو مأخوذ عن تلامذة

---

[1] كتب ورسائل شيخ الإسلام في التفسير ، جـ ١٢ ، ص ٣٥٠ .

[2] مجموع الفتاوى ، "الفتوى الحموية الكبرى" ، جـ ٥ ، ص ٢٢ .

اليهود والمشركين وضلّال الصابئين...".[1]

على أنه ورغم سبق الجعد بالقول بتلك الأفكار المناقضة لأساس العقيدة إلا أنه لم يكتب لها الذيوع والإنتشار الواسع حتى جاء الجهم بن صفوان فجهر بها وأذاعها ، فكان بذلك الراعي الأول لها . **فمن هو الجهم بن صفوان ؟**

ثانياً : الجهم بن صفوان :

يقول الإمام الذهبي في ترجمته : " هو الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي ، المتكلم الضال رأس الجهمية وأساس البدعة..." .[2]

ويقول في موضعٍ آخر مبيناً ما كان للجهم من الدور الكبير في إذاعة بدعة الجعد وبلبلة الفكر الإسلامي :"...قلت كان الناس في عافية وسلامة فِطرة حتى نبغ جهم فتكلم في الباري تعالى وفي صفاته بخلاف ما أتت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ". [3]

ويقول صاحب إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل :" جهم بن صفوان رجلٌ مبتدع نشأ في ترمذ في أواخر عهد التابعين، قال أبو معاذ البلخي كان جهم على معبر ترمذ وكان كوفي الأصل فصيحاً ، ولم يكن له علمٌ ولا مجالسة أهل العلم ".[4]

---

[1] مجموع الفتاوى ، جـ٥ ، ص ٢٠ .

[2] تاريخ الإسلام للذهبي ، جـ ٨ ، ص ٦٥ — ٦٦ .

[3] المرجع السابق ، جـ ٨ ، ص ٦٨ .

[4] محمد بن إبراهيم بن جماعة ،تحقيق : وهبي سليمان الألباني ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، دار السلام ، مصر ، ص ٣٤ .

مذهبه وفكره :

لقد كان من مذهب الجهم – وكما أسلفنا – إنكاره لصفات الباري تعالى والقول بخلق القرآن . يقول شيخ الإسلام :" كان جهم ينفي الصفات .."[1] ، ويقول في موضعٍ آخر :" ..وكان جهم ينفي الصفات والأسماء " .[2]

وأما الإمام ابن حجر فيقول :" ..وأما الجهمية فلا يختلف أحدٌ ممن صنف في المقالات أنهم ينفون الصفات حتى نسبوا إلى التعطيل ، قال : والجهمية أتباع جهم بن صفوان ..".[3]

هذا بالنسبة لمذهبه في الصفات عموماً ، أما بالنسبة لمذهبه في صفة العلم الإلهي فلم يختلف كثيراً عن مذهبه العام في سائر الصفات .

مذهب الجهم بن صفوان في صفة العلم الإلهي :

يقوم مذهب الجهم على إنكار علم الله تعالى ، وذلك بما ذهب إليه من إثبات علومٍ حادثة لله تعالى ، الأمر الذي أفضى به إلى القول بأن علم الله تبارك وتعالى محدث مخلوق ، فمذهبه عند التحقيق يقوم على نفي العلم الإلهي ، وإن كان قد أثبت علماً حادثاً لأن صفة العلم الواجب إثباتها في حقه تعالى تختص بكونها صفة أزلية قديمة وجودية قائمة بالذات القدسية الكريمة ، الأمر الذي يتناقض كليةً بما ذهب إليه جهم من القول بحدوث علم الباري تعالى ، فعند التحقيق لا يُعد قول جهمٍ إثباتاً أبداً لأن فيه من إلحاق النقص بذات الباري تعالى مالا يخفى .

وفيه أيضاً تشبيه علم الباري تعالى علواً كبيراً بعلوم الخلق لأن علوم الخلق حادثة مخلوقة ، وقوله أن علم الله تعالى محدث مخلوق يقتضي التشبيه الذي أراد تنزيه الله عنه .

---

[1] توحيد الألوهية . جـ٣ ، ص ١٠٢ .

[2] منهاج السنة . جـ ٥ ، ص ٣٩٢ .

[3] إيضاح الدليل ، ص ٣٥ .

يقول الإمام ابن حجر: "...والجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار... وزعم أن علم الله حادث ، وامتنع عن وصف الله بأنه شيء أو عالم أو مريد ".[1]

ويقول الإمام الأشعري في مقالاته : "..وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف...وكان يقول أن علم الله سبحانه محدث ، وأنه لا يقال بأن الله لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون ".[2]

ويقول الإمام الإسفراييني :"...ومن ضلالات جهم قوله أن علم الله حادث وأنه لا يعلم مايكون حتى يكون ".[3]

أما صاحب البدء والتاريخ فيقول :" وكان جهم بن صفوان ينفي الصفات كلها عن الله سبحانه ويقول علم الله محدث ".[4]

إذن فقد كان مذهب جهم يقوم على نفي قدم علم الرب تبارك وتعالى ونفي أزليته ، وذلك بما ذهب إليه من إثبات الحدوث ، وهذا هو مذهب الجهمية أتباع جهم ومن تأثر بهم بعد ذلك في هذه المسألة .

وينبني على قول جهمٍ هذا نتيجةٌ خطيرة وهي أن الله تعالى علواً كبيرا لم يكن له علمٌ حتى أحدثه لنفسه ، وهذه النتيجة أيضاً هي التي يتوصل إليها من وراء القول بخلق القرآن . وهنا تكمن المشابهة بين فكر جهم ذو الأصول اليهودية وبين الفكر اليهودي الذي ينسب إلى الباري تعالى قصور العلم ، والقرينة الجامعة بينهما هي تجويز ورود الجهل عليه سبحانه وتعالى في وقتٍ من الأوقات ، لأن جهماً لما أثبت لله تعالى علماً محدثاً لزمه القول بأن الله تعالى – وحاشاه سبحانه –

---

[1] المرجع السابق ، ص ٣٥ .

[2] جـ١ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

[3] التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية ، ص ١٠٨ .

[4] الإمام المطهر بن طاهر المقدسي ، د . ط ، د . ت ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، جـ١ ، ص ١٠٥ .

لم يكن له علمٌ حتى أحدثه لنفسه ، وبالتالي فالجهل وارد عليه – تعالى علواً كبيرا قبل إحداثه ذلك العلم إلى حين حدوثه .

وكذلك من زعم بأن القرآن مخلوق – وهو بعض علم الباري تعالى – لزمه القول بنقص علم الباري تعالى وحدوثه وبأن الله تعالى لم يكن له هذا العلم (القرآن) حتى أحدثه وخلقه ، وهذا مناقض لصفة علمه تعالى كُلِّيَةً لأن نقض الجزء يقتضي بالضرورة نقض الكل ، الأمر الذي يفضي إلى نفي صفة العلم الإلهي وتعطيلها عن أن يتصف بها الخالق عزوجل .

يقول الإمام الدارمي :"ويزعمون أن علم الله بمنزلة النظر والمشاهدة لايعلم بالشيء حتى يكون فإذا كان الشيء علم به علمٌ بعد كينونته لابعلمٍ لم يزل في نفسه قبل كينونته " [1] . ويقول في موضعٍ آخر:" فتأويل قولهم ومذهبهم أنه كلما حدث لله خلق حدث له علمٌ بكينونته ، علم مالم يكن علمه ففي تأويلهم هذا كان الله ولا علم له بزعمهم حتى جاء الخلق فأفادوه عِلما ، فكلما حدث خلقٌ حدث لله علمٌ بزعمهم ، فهو بما كان بزعمهم عالم وبما لم يكن غير عالم حتى يكون فتعالى الله عما يصفون".[2]

وهذا المذهب فضلاً عن أصوله اليهودية فإنه يشابه بل ويتفق تماماً مع التصور اليهودي حيال علم الله تعالى مما مر معنا .

شُبه الجهم :

للجهم شبهٌ يوردها لإثبات مقالاته وتسويغها ، ومن بين تلك الشبه التي عرضها والتي أنكر مستنداً إليها جميع صفات الباري تعالى ، أن الله لا يمكن أن يسمى شيئاً ، وبالتالي فلايوصف بما توصف به الأشياء .

---

[1] الرد على الجهمية ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ ، دار ابن الأثير ، الكويت ، ص ١٣١ .

[2] المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام :".. وكان جهم ينكر أن يسمى الله شيئاً ، وربما قالت الجهمية هو شيء لا كالأشياء ..".[1]

ويقول الإمام الإسفراييني :" ..ومن ضلالات جهم قوله أن علم الله حادث وأنه لايعلم ما يكون حتى يكون ، وكان يقول إن الله لايوصف بشيء مما يوصف به العباد فلا يجوز أن يقال في حقهِ أنه...أو عالم ، لأن هذه صفاتٌ تطلق على العبيد ".[2]

وقد ردَّ شيخ الإسلام على هذه الشبهه بقوله :" وكان جهم ينكر أن يسمى الله شيئاً ...فإذا نفي القدر المشترك مطلقاً لزم التعطيل العام ، والمعاني التي يوصف بها الرب تعالى كالحياة والعلم ونحو ذلك تجب لوازمها فإن ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم ".[3]

فمفاد قول شيخ الإسلام أن نفي جهم للشيئية في حق الله تعالى – وهي هنا قدر مشترك – تستلزم التعطيل العام ، بمعنى نفي جميع الصفات بما في ذلك الصفات التي أثبتها جهم وهي هنا العلم الحادث ، فيلزمه نفي العلم جملةً إذ العلم الحادث أيضاً قدر مشترك ، فإما أن يثبت إثباتاً تاماً على وجهٍ لا يتطرق إليه نقص ، وإما أن ينفي نفياً تاماً لوجود القدر المشترك ، وهذا مبطلٌ للحجة التي أوردها .

وسنعرض لذكر شبهات الجهم التي بنى عليها القول بحدوث العلم عند الكلام عن الجهمية إن شاء الله تعالى .

والمقصود أن الجهم قد شابه بمقولته تلك ـ فضلاً عن أصولها اليهودية ـ المعاني الواردة في التصور اليهودي حيال علم الله تعالى ، فالتصور اليهودي ينسب إلى الله تعالى حدوث علمه عزوجل وذلك من خلال مختلف القصص التي تضمنها كتاب العهد القديم والجهم يذهب إلى أن الله تعالى

---

[1] توحيد الألوهية . جـ٣ ،ص ٧٥ .

[2] التبصير في الدين ، ص ١٠٨ .

[3] توحيد الإلوهية . جـ ٣ ، ص ٧٥ .

لايعلم بالشيء حتى يكون وأن علمه تعالى مستفادٌ من خلقه وهذا المعنى موجودٌ بكثرة في كتاب العهد القديم .

وعلى هذا فليس في قول الجهم أي تنزيهٍ – كما يزعم – لأن كلا القولين فيهما تجويز الجهل عليه تعالى فضلاً عن نسبة قيام الحوادث به تعالى ، وفي ذلك تشبيهٌ للخالق وحاشاه عزوجل بالمخلوق الذي يرد عليه الجهل والنقص لامحالة بحكم حدوثه وبشريته .

وقد وقع كلاً من جهم وكُتَّاب العهد القديم فيما وقعوا فيه بسبب تصورهم لصفة العلم الإلهي من منظور بشري ، وقياسها على خصائص البشر وإن اختلفت أسبابهم التي دفعتهم إلى ذلك التصور .

يقول صاحب كتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام :"..فمن نفى علم الرب وحياته لما يعرض فيهما للمخلوق فقد أبطل ، وهو نظير توهم المتوهم أنه لا يعقل علمٌ إلا مع خصائص المخلوق ، وهذا الغلط منشؤه إنما هو توهم صفة المخلوق المقيدة به أولاً ، وتوهم أن إثباتها لله هو مع هذا القيد وهذان وهمان باطلان، فإن الصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها . وكل من نفى عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله لأنه لا يعقل من الذوات المخلوقة ".[1]

وفي هذا القول تفصيلٌ للمسألة إذ لايمكن إثبات شيءٍ من صفات الخالق تعالى قياساً على شيء من صفات المخلوقين ، لأن توهم إثباتها بهذا القيد هو في حقيقة الأمر إلحاقٌ للنقص بالخالق جل وعلا و هذا هو منشؤ الخطأ الذي وقع فيه أهل الكلام .

أصول مذهبه :

يمكن القول بأن أصول مذهب الجهم اليهودية ترجع إلى ثلاثة عوامل أساسية :

الأول : البلبلة الفكرية التي كان يتسم بها .

---

[1] الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي إبن القيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، دار العروبة ، الكويت ، ص ١٧٠ .

الثاني : البيئة التي عاش فيها .

الثالث : أخذه عمن أخذ عن اليهود .

أولاً : البلبلة الفكرية التي كان يتسم بها :

يمكن القول بأن الجهم قد عاش نوعاً من التضارب الفكري قبل أن يجهر بآرائه التي نادى إليها ، وهذا التضارب الفكري هو الذي هيأه لأن يكون محلاً لقبول مختلف الآراء و الأفكار مهما بلغت من النكارة بمخالفتها لأساس العقيدة ، لاسيما وأنه لم يوصف بعلم ولم يعرف بمجالسة أهله.

يقول صاحب البدء والتاريخ :" وهكذا وصف العلماء حال جهم...وصارت طائفة جهمية لم تكن على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد الصحابة ، وإنما هو رأي محدث ويرون أن أول من تكلم جهم بن صفوان ، وكان جهم فيما بلغنا لا يُعرف بفقه ولا ورع ولا صلاح ..".[١]

أما اضطرابه الفكري فيتضح من خلال موقفه حين ناظر السمنية ، فيذكر شيخ الإسلام أن جهماً مكث أربعين ليلة لا يعرف ربه ، وترك الصلاة أربعين يوماً على وجه الشك فخاصمهُ بعض السمنية فشك فأقام أربعين يوماً لا يصلي .[٢]

ويذكر الإمام اللالكائي أن السمنية كلموا الجهم فقالوا صف لنا ربك الذي تعبده فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا قال ثم خرج عليهم بعد أيام فقال هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء .[٣]

فحال الجهم هنا يصور لنا البلبلة الفكرية التي استحوذت عليه نتيجة مناظرته للسمنية حتى وصل به الأمر إلى ترك الصلاة أربعين يوما على سبيل الشك في الخالق ، وليس هذا فحسب وإنما يمكن

---

[١] المطهر المقدسي ، جـ ٥ ، ص ٤٠ .

[٢] انظر: الفتاوى الكبرى ، جـ ٥ ، ٤٢ .

[٣] انظر: اعتقاد أهل السنة ، جـ ٣ ، ص ٣٨١ .

القول بأنه قد وصل إلى مرحلةٍ من الزندقة التي أدت به لأن يقف موقفاً معادياً للدين و كل ما يمت إليه بصلة ، وهذا يتضح جلياً في موقفه المعادي تجاه بعض آيات القرآن الكريم .

فقد روى يحيى بن أيوب قال سمعتُ أبا نعيم شجاعاً البلخي يقول : كان رجل من أهل مرو صديقاً لجهم ثم قطعه وجفاه فقيل له لم جفوته ؟ قال : جاء منه مالا يحتمل . قرأتُ يوماً آية كذا وكذا ـ نسيها يحيى ـ فقال ـ أي جهم ـ : ما كان أظرف محمداً حين قالها ، واحتملتها ، ثم قرأ سورة طه فلما بلغ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ قال أما والله لو وجدتُ سبيلاً إلى حكها لحككتها من المصحف ، فاحتملتها ، ثم قرأ قرأ سورة القصص فلما انتهى إلى ذكر موسى قال : ماهذا ؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها ثم ذكرها هنا فلم يتمها ثم رمى المصحف من حجره برجليه ، فوثبتُ عليه . [1]

وقد علق صاحب معارج القبول على هذه القصة بقوله :" وله ـ أي جهماً ـ في ذلك سلف اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه " . [2]

فهذه الخلفية التي اتسم بها جهمٌ شكلت أحد العوامل القوية التي هيأته لقبول فكر الجعد بن درهم والقول به بعد ذلك .

ثانياً : البيئة التي عاش فيها :

يمكننا القول بأن البيئات التي عاش بها الجهم كان لها أبلغ الأثر في توجيه فكره الذي جنح إليه فيما بعد ، فقد عاش بخراسان وتأثر بمناظراته للسمنية فيها الأمر الذي أحدث له خللاً

---

[1] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق : دكتور علي بن محمد الدخيل الله ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ ، دار العاصمة ، الرياض ، جـ٤، ص١٤٠٩ ، وَ خلق أفعال العباد للإمام البخاري ، تحقيق : د . عبد الرحمن بن عميرة ، د . ط ، ١٣٩٨ هـ، دار المعارف ، السعودية ، ص ٣٨ .

[2] حافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق : عمرو بن محمود أبو عمر ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، دار ابن القيم ، الدمام ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .

فكرياً جعله قابلاً لأن يتبنى آراء الجعد بن درهم بعد ذلك . كما عاش في الكوفة التي كانت تضم عدداً كبيراً من أبناء الطائفة اليهودية وفيها حدث التقاؤه بالجعد كما سنرى بعد قليل .

يقول الملطي : "...الجهم بن صفوان كان أول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية صنف من العجم بناحية خراسان " .[1]

ثالثاً : أخذه عمن أخذ عن اليهود ، وهو هنا الجعد بن درهم الذي تأثر في آرائه التي نادى إليها ببيان بن سمعان عن طالوت ولبيد بن الأعصم ، فهل التقى جهماً الجعد ؟

ما تذكره المصادر المختلفة يؤكد التقاء الجهم بالجعد وأخذه عنه ، فمن ذلك ما يذكره الإمام أحمد بن حنبل حيث يقول قال قتيبة :" بلغني أن جهماً كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم".[2]

وكذلك ما يذكره الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ، فيقول : "...وأما الجعد فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن فطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة فلقيه فيها الجهم فتقلد هذا القول عنه ".[3]

و كذلك قول صاحب شرح العقيدة الطحاوية :" واتصل – أي جهم – بالجعد وقد قيل إن جعداً كان قد اتصل بالصابئة الفلاسفة من أهل حران وأنه أيضاً أخذ شيئا عن بعض اليهود المحرفين لدينهم ".[4]

---

[1] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص٩٩ .

[2] خلق أفعال العباد ، ص ٣٠ .

[3] جـ ١٠ ، ص ١٩ .

[4] جـ١ ، ص ٥٩١ .

وعن أسانيد جهم عموماً يقول شيخ الإسلام: "...فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين..".[1]

وبهذا يمكننا القول أن التأثر باليهودية فيما يتعلق بعلم الله تعالى قد استمر على يد الجهم بن صفوان الذي أخذ تلك المقولات المنافية لعلمه تعالى عن الجعد بن درهم ، والذي تأثر بدوره بفكر طالوت ولبيد اليهوديين اللذين كانا ينفيان صفات الله تعالى .

وقد كان لآرائه أثرٌ بالغ في الفكر الإسلامي ، فيذكر الدكتور النشار أن آراء جهم قد توزعت بين مختلف الفرق ، فالمعتزلة قد أخذت بنفي الصفات الذي نادى إليه الجهم من قبل . [2]

ثالثاً : بشر المريسي :

يمكننا القول بأن دور بشر المريسي في خدمة آراء الجعد وأفكاره — ذات الأصول اليهودية – لم يكن يقل عن دور الجهم بن صفوان الذي عُد الراعي الأول لها ، فإذا كان الجهم بن صفوان هو الراعي الأول لتلك الأفكار فإن بشرا المريسي هو الراعي الثاني والمروج الأمين الذي ساعد على انتشارها على أوسع نطاق ، فمن هو بشر وما هو مذهبه في الصفات عموما وصفة العلم الإلهي على وجه الخصوص ؟ وهل تأثرت بآرائه الفرق الكلامية ؟

بشر المريسي :

هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي من أصحاب الرأي ، اشتغل بالكلام وجرد القول بالقرآن ، وحُكي عنه أقوالٌ شنيعة ومذاهب مستنكرة أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها وأكفره أكثرهم لأجلها . مات في ٢١٨ وقيل ٢١٩ هـ . [3]

---

[1] مجموع الفتاوى (الفتوى الحموية الكبرى) ، جـ ٥ ، ص ٢٢ .

[2] انظر : نشأة الفكر ، جـ ١ ، ص ٥١٨ .

[3] انظر: الأنساب ، جـ ٥ ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

مذهبه و فكره :

لقد سار بشر المريسي على نهج الجهم بن صفوان وتقلد فكره في نفي الصفات وتعطيلها ، يقول شيخ الإسلام في هذا الصدد :"...فإن بشرا من أئمة الجهمية نفاة الصفات ، وعنده لم يقم بذات الله تعالى صفة ولا فعل ...بل ماثمَ عنده إلا الذات المجردة عن الصفات و المخلوقات المنفصلة عنها ". [1]

مذهبه في علم الله تبارك وتعالى :

لم يختلف بشر مع جهم في بدعته التي أذاعها وأشاعها ، وإنما سار في كلامه عن علم الله تبارك وتعالى على ذات الخطى التي سار عليها الجهم من قبل مع شيء من التفصيل في ذلك .

ويمكن تلمس مذهبه في صفة العلم الإلهي من خلال ثلاث قضايا :

١) قوله بنفي العلم .
٢) قوله بخلق القرآن .
٣) تأويله للكلام .

فأما ما يتعلق بالأول وهو نفي العلم فبينما يذهب الجهم إلى أن علم الله تعالى محدث مخلوق نجد أن بشراً قد زاد على ذلك آراء أخرى حول معنى العلم وعلاقته بالذات ، غير أنه في كل ذلك لا يثبت العلم كصفة يتصف بها الخالق جل وعلا .

وتعني صفة العلم عند بشر نفي الجهل عنه تعالى ، وذلك واضح من خلال المناظرة التي جرت بينه وبين عبد العزيز الكناني حين سأله عن معنى " علم الله " فقال معناه أنه لا يجهل ، وهو — أي العلم – محدث مخلوق [2] . وكذلك قوله : "معنى علمه أنه لا يجهل " . [3]

---

[1] انظر: درء تعارض العقل والنقل . جـ٢ ، ص ٢٥٦ .

[2] انظر: بشر المريسي و آراؤه الإعتقادية ، ص ٧٥٢ .

[3] انظر: الحيدة والإعتذار ص ٤٤ ، نقلا عن الرسالة العلمية بشر المريسي وآراؤه الإعتقادية ، ص ٣٥٦ .

ومعلومٌ أن ذلك لا يفيد إثباتاً إذ ليس قولنا لايجهل كقولنا عالم ، وعلى هذا فمذهب بشر على الحقيقة ليس بمذهب إثبات للعلم الإلهي ، و ما ذهب إليه من إثبات العلم الحادث يوضح مسلكه أتم إيضاح .

أما بالنسبة لعلاقة العلم بالذات عند بشر فقد أثبتت الدكتورة أحلام باحمدان في رسالتها العلمية التي تناولت فيها آراء بشرٍ الإعتقادية تأثراً و تأثيراً ، بأنه قد تضارب رأي بشرٍ في ذلك حتى انتهى إلى رأيين متناقضين ، فتارة يذهب إلى أن علم الله هو الله ، وتارة يذهب إلى أن علم الله غير الله . [1]

فأما بالنسبة للرأي الأول فقد ذهب إليه استناداً إلى أن كونه عالما لا يقتضي صفة أو حال توجب كونه عالما ، وإنما علمه هو عين ذاته .

وأما بالنسبة للرأي الآخر فقد ذهب إليه استنادا إلى إثباته صفة حادثة لله تعالى ، وما دام علمه تعالى محدث مخلوق فحتى لا يكون الله تعالى محلا للحوادث فلذلك قال بأنه غيره ، أي أن علم الله تعالى هو غيـــر الله . [2]

وهذا المسلك يتضح من خلال ما قرره الإمام الدارمي في كتابه الذي رد فيه على بشر المريسي وآراؤه في العقائد حيث قال : " والعجب من المريسي صاحب هذا المذهب إذ يدعي توحيد الله بمثل هذا المذهب...فادعى في قياس مذهبه أن واحده الذي يوحده...لا يستغني عن مخلوق : من الكلام والعلم والاسم " . [3]

---

[1] انظر: بشر المريسي وآراؤه الإعتقادية ، ص ٣٥٦ .

[2] انظر: المرجع السابق ، ص ٧٥٢ .

[3] انظر: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد ، ص ٤٧٢ .

وقال في موضع آخر مخاطبا له :"وادعيت أن علمه وكلامه مخلوقان...وأن معبودك ..جاهل لا يعلم" .[1]

إذن فالعلاقة بين صفة العلم الإلهي و الذات الإلهية عند بشر تقوم – كما أسلفنا – على رأيين متناقضين .

وعلى هذا فصفة العلم الإلهي عند بشر ليست صفة قديمة وجودية لله عزوجل وإنما هي صفة حادثة أو أنها عين ذات الباري تعالى وكلا الرأيان لا يفيدان إثبات العلم حقيقة .

و أما ما يتعلق بقضية خلق القرآن فقد كان بشر ممن دعا إلى القول بخلق القرآن ، يقول الإمام الذهبي في سياق ترجمته لبشر : "...وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه "[2] ، ويقول صاحب اللباب : " ..اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن "[3] ، أما صاحب تاريخ الفرق فيقول:"وأما مشكلة القرآن فقد رأينا أنها ظهرت عند الجعد وجهم ثم ضعف أمرها وقويت ثانية على يد بشر المريسي "[4]. ومعلومٌ أن القول بخلق القرآن مفضٍ إلى القول بحدوث العلم ضرورةً .

وقد نحا بشرٌ في نفيه لصفة الكلام منحاً يقوم على تأويل الكلام بأنه حادثٌ في محل وليس قائماً بالله تعالى لأن الكلام بزعمه لايكون إلا بجارحة والجوارح منفية عنه تعالى وبالتالي لايكون الله متكلماً حقيقة ولا يمكن أن يسمى متكلماً .[5]

---

[1] انظر: المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .

[2] سير أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ .

[3] أبو علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري ، د . ط ، ١٤٠٠ هـ ، دار صادر ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ٢٠٠ .

[4] انظر : الغرابي ، ص ٨٨ نقلاً عن الرسالة العلمية ، ص ٤٥٦ .

[5] انظر : بشر المريسي وآراؤه الإعتقادية ، ص ٤٥٦ .

والذي ينبني على هذا القول إثبات الكلام الحادث و من ثم إثبات العلم الحادث . وما يهمنا هنا هو التأويل الذي نظَّر له المريسي في قوله بخلق الكلام في محل وصلة ذلك باليهودية كما سنحاول بيانه .

التأثر الإعتزالي به :

لقد تابع بشرا على آرائه تلك بعض رجال المعتزلة خاصة ما يتعلق منها بصفة علم الله تبارك وتعالى ، ويرصد لنا قول شيخ الإسلام ذلك التأثر بقوله : " وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك [١] في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد الرازي [٢] في كتابه الذي سماه " تأسيس التقديس" ، ويوجد كثير منها في كلام خلقٍ كثير

---

[١] هو الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني ، توفي سنة ٤٠٦ هـ وكان أشعري المذهب . انظر : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، د . ط ، د . ت ، دار الثقافة، لبنان ، جـ ٤ ، ص ٢٧٢ .

[٢] الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الإمام العلامة أبو عبد الله القرشي التيمي البكري ابن خطيب الري الشافعي الأشعري ، ولد سنة ٥٤٤ هـ . كان ذا قوة جدلية و نظر دقيق ، وكان شديد الحرص على العلوم الشرعية و الحكمة . له تصانيف كثيرة كتب لها الانتشار ، توفي سنة ٦٠٦ هـ. انظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، د . ط ، ١٤٢٠ هـ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، جـ ٤ ، ص ١٧٥ ـ ١٧٧ .

غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي [1] وعبد الجبار بن أحمد الهمداني [2] وأبي الحسين البصري [3] و أبي الوفاء بن عقيل [4] و أبي حامد الغزالي [5] وغيرهم هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه " .[6]

وقوله أيضاً في موضعٍ آخر : " ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته " . [7]

---

[1] أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي البصري شيخ المعتزلة ، كان رأساً في الفلسفة و الكلام . أخذ عن يعقوب بن عبد الله الشحام البصري ، وله مقالات مشهورة وتصانيف . أخذ عنه ابنه أبو هاشم و الشيخ أبو الحسن الأشعري ثم أعرض الأشعري عن مذهب الإعتزال . توفي سنة ٣٠٣ هـ وعاش ثمانٍ و ستين سنة . انظر : تاريخ الإسلام ، جـ ٢٣ ، ص ١٢٧ . وَ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ، د . ط ، د . ت ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، مصر، جـ ٣ ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ .

[2] عبد الجبار بن أحمد الهمداني القاضي المتكلم ، كان من غلاة المعتزلة بعد الأربع مائة ، وله تصانيف. قال الذهبي : صنف في مذهبه وذب عنه ودعا إليه . انظر : لسان الميزان ، جـ ٣ ، ص ٣٨٦ .

[3] محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين ، شيخ المعتزلة و صاحب التصانيف ، كان فصيحاً بليغاً، توفي ببغداد سنة ٤٣٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٧ ، ٥٨٧ .

[4] الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي المتكلم صاحب التصانيف، أخذ علم العقليات عن شيخي الإعتزال أبو علي بن الوليد و أبو القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري ، توفي سنة ٥١٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٩ ، ص٤٤٤ ، ٤٤٧ .

[5] محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي ، حجة الإسلام والمسلمين إمام أئمة الدين ، تتلمذ على إمام الحرمين وغيره من الأئمة حتى صار أنظر أهل زمانه وواحد أقرانه ، له مصنفات مشهورة مثل كتاب إحياء علوم الدين والأربعين ، واشتغل في آخر عمره بكتب الحديث الصحاح . توفي سنة ٥٠٥ هـ في طوس . انظر: تاريخ مدينة دمشق ، ج ٥٥ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ .

[6] مجموع الفتاوى (الفتوى الحموية الكبرى) ، جـ ٥ ، ص ٣٢ .

[7] مجموع الفتاوى ، جـ ٥ ، ص ٢٢ .

وهذا دليل حاسم على أن بشراً كان له الأثر البالغ في ترويج مقالة الجهم ، الأمر الذي يؤكد حدوث التأثر العريض به .

الأصول اليهودية في فكر بشر المريسي :

يمكننا إرجاع الأصول اليهودية في الفكر المريسي إلى عاملين أساسيين :

الأول : تأثره بأصوله اليهودية .

الثاني: تأثره بأفكار جهم وآراءه ذات الأصول اليهودية .

أولاً: تأثره بأصوله اليهودية :

لقد شكلت الأصول اليهودية التي انتمى إليها بشر عاملاً مهما فيما نزع إليه من أفكار وآراء تأثر بها كثيرٌ ممن جاء بعده من المتكلمين ، بل وفيما صار إليه من الزندقة بعد ذلك .

وقد تمثل ذلك الأصل في والده الذي كان يهودياً ، ليس هذا فحسب بل كان مفسداً لكتاب اليهود، وهذا ما أشار إليه الإمام الدارمي حين قال مخاطباً بشراً: "...فقد سمعت أبا هشام الرفاعي يذكر أنه سمع أبا نعيم يقول : إنه رأى أباك يهودياً صباغاً بالحيرة " [١]، وقال في موضع آخر :" ونشأ نشئ من أبناء اليهود والنصارى مثل بشر بن غياث المريسي ونظرائه...". [٢]

وأما عن إفساد والده لكتاب اليهود فقد أشار أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم إلى ذلك حين قال: "مررت في الطريق فإذا بشر المريسي والناس عليه مجتمعون ، فمر يهودي ، فأنا سمعته يقول: لا يفسد عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة، يعني أن أباه كان يهوديا ". [٣]

---

[١] انظر: نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي العنيد ، تحقيق : رشيد حسن الألمعي ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ، مكتبة الرشد ، السعودية . جـ ١ ، ص ٣١٢ .

[٢] انظر: المرجع السابق . جـ ١ ، ص ٥٣٢ .

[٣] انظر: تاريخ بغداد ، جـ ٧ ، ص ٦١ .

أما مذهبه الذي يكشف عن طويته فقد قيل أنه كان يقرأ في اليهودية من التوراة ما يلبس بـه علـى المسلمين القرآن . [1]

واستناداً على ما كان من بشر من القـراءة في كتـاب اليهـود للتلبـيس علـى المسـلمين يمكـن القول بأن بشراً ربما استعان ببعض النصوص التوراتية أمثال هذا الـنص القائـل : " نـاداه الله مـن وسط العليقة " [2]، خروج (٣ / ٤) ،والنص القائل : " فلما دخل موسى إلى خيمة الإجتمـاع ليـتكلم معـه كان يسمع الصوت يكلمه من على الغطـاء الـذي علـى تـابوت الشـهادة " ، عـدد (٧ / ٩) ، وذلـك حتـى يؤسس للقول بخلق الكلام في محل ، والمحلان هنا هما العليقة و غطاء التابوت لأن النصان يفيـدان هذا المعنى ، حيث سمع موسى النداء من وسط العليقـة في الـنص الأول وهـذا مسـوِّغ للقـول بخلـق الكلام في العليقة .

وفي النص الآخر سمع الكلام من على غطاء تابوت الشهادة حين دخل مسكن الـرب ليـتكلم معـه ، وهذا مسوِّغ لأن يُفهم أن كلاً من الصوت والسماع أنما كان مختصاً بمحل وهو غطاء التابوت .

وهذا الفهم والتأويل تبعاً لذلك هو مما اشتهر عن رؤوس الإعتـزال ومتكلمـيهم ، فمـن ذلـك مثلاً قول الزمخشري: "ومعنى تسبيح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحاً كمـا خلـق الكلام في الشجرة " . [3]

ويقول صاحب تفسير البحر المحيط مبيناً مسلك جملة من رؤوس الإعتزال في ذلك عند تفسيره لذات الآية : " ..وقال الزمخشري كما خلقه يعني الكلام في الشجرة حين كلَّم موسى ، وهو قول المعتزله

---

[1] انظر: بشر المريسي و آراؤه الإعتقادية ، ص ٢٣٦ .

[2] العليقة شجرة شوكية تنبت في الصحراء .

[3] الكشاف لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق عبد الرزاق المهـدي ، د. ط ، د . ت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ٥٨١ . عند تفسير الآية العاشرة من سـورة سـبأ وهي قوله تعالى : (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير) .

ينفون صفة الكلام حقيقةً عن الله تعالى " . [1]

ويقول في موضعٍ آخر : " وقوله كما خلق الكلام في الشجرة يعني أن الذي يسمع موسى هو مما خلقه الله في الشجرة من الكلام لا أنه كلام الله حقيقةً " . [2]

وهذا التأويل يتلاءم مع المعنى المفهوم من النص التوراتي و ينسجم معه تمام الإنسجام ، فبشرٌ اخترع القول بخلق الكلام في محل ودعا إليه لأنه لاسبيل له للقول بحلول الله ـ تعالى علواً كبيراً ـ في ذلك المحل كسبيلٍ لتفسير السماع منه ، إذ سيُفصح ذلك عن أصول فكره اليهودية بشكلٍ لا يُمارى فيه ، ولكن بصنوف التأويلات ذات المفاهيم اليهودية .

غير أننا لا يمكننا الجزم بتأثره بتلك النصوص بعينها مادام لم يتوافر معنا شيء من كتبه أو كلامه التفصيلي الذي احتج به في هذا الشأن ، لكن يبقى الأمر قيد الإحتمال القوي مادامت القرينة ـ وهي قراءته من التوراة للتلبيس على المسلمين ـ قد دلت على ذلك .

وقد ردَّ شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ على هذا التأويل بردودٍ منها : أنه لو كان خلقه في غيره لو كان الكلام صفةً لذلك المحل لا صفةً لله رب العالمين [3]، وكون الكلام صفة للمحل مستلزم للقول بعدم تكلم الله تعالى حقيقة الأمر الذي لايمكن أن يُفهم معه أي إثبات حقيقي للكلام .

ثانياً : تأثره بأفكار جهم وآراءه ذات الأصول اليهودية :

على الرغم من عدم إلتقاء بشر بالجهم إلا أنه تقلد أفكاره وآرائه في نفي الصفات وتعطيلها، وفي القول بحدوث العلم وخلق القرآن .

---

[1] أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٦ ، ص ٣٠٧ .

[2] المرجع السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٢ .

[3] انظر : مجموع الفتاوى ، جـ ١٢ ، ص ٥٠٢ .

يقول هشام بن عبيد الله :" المريسي عندنا خليفة جهم ابن صفوان الضال وهو ولي عــهده..".[1]
ويقول شيخ الإسلام :"...فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركون . ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته ..". [2]

ويقول الإمام الذهبي عند ترجمته لبشر المريسي :"..ولم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالاته من أتباعه". [3]

وعلى هذا فيمكن القول بأن بشر المريسي و إن كان لم يلتقِ جهماً التقاءً مادياً إلا أنه التقى معه التقاءً معنوياً فكرياً كان له أبعاده على مستوى الساحة الفكرية الإسلامية بعد ذلك .

رابعاً : ابن الراوندي :

لم يتوقف التأثر الطائفي المتمثل في الفرق الكلامية باليهودية عند حدود بشر المريسي ، وإنما امتد ليشمل شخصيةً أخرى جاءت بعد بشر المريسي ، فعلى الرغم من عدم حصول الإلتقاء بين الشخصيتين بإعتبار المعاصرة على الأرجح إلا أن ذلك الإلتقاء قد تجسد في مجمل الأفكار و الآراء التي نشأت عن كل منهما ، وعلى هذا فباعتبار الالتقاء الفكري فقد ألتقيتا في أكثر من فكرة واتفقتا في أكثر من موضع .

ولعل الخلفية اليهودية التي نشأ كل منهما في نطاقها ، قد كان لها أكبر الأثر فيما خلفاه من أفكار لم تكن لتعرف طريقاً إلى العقائد الإسلامية لولا ما شاب المجتمعات الإسلامية آنذاك من شوائب فكرية نتيجة الاتصال والاختلاط بأرباب الملل الأخرى لاسيما اليهودية .

---

[1] اعتقاد أهل السنة للالكائي ، جـ ٣ ، ص ٣٨٤ .

[2] مجموع الفتاوى (الفتوى الحموية الكبرى) ، جـ٥ ، ص ٢٢ .

[3] انظر: سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٠ .

فمن هو ابن الراوندي؟

هو ـ وكما يعرفه أصحاب التراجم ـ أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الريوندي صاحب التصانيف في الحط على الملة ، كان يلازم الرافضة والملاحدة فإذا عوتب قال: إنما أريد أن اعرف أقوالهم ، ثم إنه كاشف وناظر وأبرز الشبه والشكوك . [١]

قال عنه ابن النجار :" أبو الحسن الراوندي المتكلم من أهل مرو الروذ سكن بغداد وكان معتزلياً ثم تزندق ، وقيل كان أبوه يهودياً فأسلم هو فكان بعض اليهود يقول للمسلمين: لايفسد هذا عليكم كتابكم كما افسد أبوه علينا التوراة . [٢]

وقال ابن الجوزي :" زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندي وأبو حيان التوحيدي [٣] وأبو العلا المعري" [٤] . وقال ابن كثير:" أحد مشاهير الزندقة كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام، ويُقال إنه حرف التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه..." [٥] ، وقال الذهبي : " الملحد عدو

---

[١] انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان ، جـ١ ، ص٩٤، سير أعلام النبلاء الذهبي ، جـ١٤، ص٥٩، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة جـ٣ ، ص١٧٥ ، الوافي بالوفيات للصفدي ، جـ٨، ص١٥١، ١٥٢.

[٢] انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ، جـ١٤، ص٦١.

[٣] أبو حيان التوحيدي صاحب التصانيف قيل اسمه علي بن محمد بن العباس ، نفاه الوزير المهبلي لسوء عقيدته ، وكان يتفلسف ، قال ابن مالي في كتاب " الفريدة" كان أبو حيان كذاب قليل الورع ، قليل الدين مجاهراً بالبهت تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل ، وقال ابن الجوزي كان زنديقاً ، قال ابن حجر قلت : بقي إلى حدود الأربعمائة ببلادنا فارس ، وكان صاحب زندقة و إنحلال، انظر: لسان الميزان جـ٧، ص٤٨ . أبو العلا المعري : هو أبو العلا أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، الشاعر كان متضلعاً من فنون الأدب . انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان.جـ١ ،ص١١٣.

[٤] انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام للذهبي ، جـ٢٧، ص ٤٠١.

[٥] انظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ١١ ،ص١١٢.

الدين". [1]

أما ابن خلكان فيقول: "..العالم المشهور له مقالة في علم الكلام، وكان من الفضلاء في عصره". [2]
توفي في ٢٩٨هـ ، وقيل سنة ٢٤٥ وقيل ٢٥٠، وقيل ٢٩٣، والمحقق عند الأكثرين أنه مات في ٢٩٨هـ، وعاش نيفاً وثمانين سنة وقيل ستاً وثلاثين سنة، وكان السلطان قد طلبه فهرب إلى ابن لاوي اليهودي الهروي ومات عنده . [3]

تصانيفه :

لابن الراوندي من تصانيف الزندقة والإلحاد ، ما جعل ابن الجوزي يقول : " كنت اسمع عنه بالعظائم حتى رأيت مالم يخطر على قلب ". [4]

فمن تصانيفه : كتاب " نعت الحكمة" يسفه الله تعالى فيه ، في تكليف خلقه مالا يطيقون من أمره ونهيه، وكتاب " الدامغ" ألفه لابن لاوي اليهودي قبل موته ، وقد حاول فيه أن ينقض القرآن الكريم ببعضه البعض ، وله كتاب في الرد على الشريعة والإعتراض عليها سماه " الزمردة " ، وله كتاب " التاج" في معنى ذلك أيضاً . [5]

---

[1] انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ،جـ١٤، ص٥٩.

[2] انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لابن خلكان ، جـ١ ، ص٩٤.

[3] انظر: المرجع السابق جـ١، ص٩٤ ، وفيات الأعيان جـ١، ص٩٤ ، تاريخ ابن الوردي ، جـ١، ص٢٣٩ سير أعلام النبلاء ، جـ١٤، ص٦٠.

[4] انظر: سير أعلام النبلاء ، جـ١٤، ص٦٠.

[5] انظر: البداية والنهاية جـ١١، ص١١٢ ، سير أعلام النبلاء جـ١٤، ص٥٩ ، الوافي بالوفيات،جـ٨،ص١٥٢.

قال ابن عقيل [1] : " عجبي كيف لم يقتل وقد صنف الدامغ يدمغ به القرآن ، والزمردة يزري فيه على النبوات " [2] ، وقال ابن الجوزي: " فيه هذيان بارد لايتعلق بشبهة ، يقول فيه إن كلام أكثم بن صيفي [3] فيه ماهو أحسن من" أنا أعطيناك الكوثر" ، ويقول في قول النبي ﷺ لعمار بن ياسر رضي الله عنه " تقتلك الفئة الباغية" [4] ، المنجمون يقولون مثل هذا . [5]

وله كذلك كتاب " قضيب الذهب " ، وكتاب " فضيحة المعتزلة" ، وغير ذلك من التصانيف [6]، يقول الإمام الذهبي : " و أكثر كتبه ألفها أبو عيسى اليهودي ، وفي منزل أبي عيسى مات " . [7]

---

(1) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي محمد عقيل الهاشمي الآمدي المصري قاضي القضاة بالديار المصرية، بهاء الدين شيخ الشافعية، المعروف بابن عقيل ، كان بارعاً في الفقه والتفسير والعربية ، له مصنفات كثيرة ، توفي في ٧٦٩ وقيل ٦٦٩هـ. انظر: ذيل التقييد لمحمد بن أحمد الفاسي المكي ، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط١، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت، جـ٢، ٣٦ ، طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الداودي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، جـ١ ، ص٢٤٥.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء ، جـ١٤، ص٦٠.

(3) أكثم بن صيقي بن رياح الحارث ينتهي إلى عمروبن تميم ، عمر دهراً طويلاً ، فقيل عاش مائة وتسعين عاماً ، أدرك الإسلام ، قال ابن عبد البر : لايصح اسلام أكثم بن صيفي ، وقد ذكره أبو علي بن السكن في كتاب الصحابة وقد ساق ابن عبد البر سبب عدم صحة إسلامه، قال صاحب الأنساب ومن المتقدمين أكثم بن صيفي الاسيدي حكيم العرب. انظر: الأنساب ،جـ١، ص١٥٩، الوافي بالوفيات ، جـ ٩، ص١٩٩.

(4) أخرجه مسلم في كتاب "الفتن و أشراط الساعة" باب "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء" ، ورواه البخاري بلفظ "تقتله الفئة الباغية" في كتاب الصلاة باب"التعاون في بناء المسجد".

(5) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(6) انظر: وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٩٤، الوافي بالوفيات ، جـ٩، ص١٩٩.

(7) تاريخ الإسلام ، جـ ٢٢ ، ص ٨٧ .

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أمرٍ خطير لا يمكن معه اعتقاد ولائه للملة الإسلامية ، أو يُشك حتى في انتمائه إليها .

مذهبه :

قال أبو العباس القاص الفقيه [1] : كان ابن الراوندي لايستقر على مذهب ولا نحلة، حتى صنف لليهود كتاب " النصرة " أو "البصيرة " على المسلمين لدراهم أعطيها من اليهود فلما أخذ المال رام نقضها فأعطوه مئتي درهم حتى سكت . [2]

ومما يدل على عدم ثباته على مذهبٍ بعينه أنه قد ألف هو وأبو عيسى اليهودي كُتباً للشيعة في الإمامة [3]، وهذا ربما يدلنا على جانب تخريبي أراده ابن الراوندي من وراء عدم استقراره على مذهب معين مع عدم حصول الميل إلى جانب أهل السنة ، وليس هذا فحسب بل أن سعيهُ لمناصرة اليهود وتقوية حججهم ضد المسلمين يكشف عن سوء طويته وفساد خبيئته التي ظهرت بجلاء من خلال مصنفاته وآرائه الإلحادية ، والتي كانت فيها الأصول اليهودية ولا شك تلعب دوراً هاماً وحساساً في آن معاً .

كما أن ملازمته لأبي عيسى اليهودي واشتراكه معه في إثارة الشُبه والتشكيك في الدين الإسلامي وموته عنده أخيراً كل ذلك مما يعزز الشكوك حوله ويدعم الظن حول يهوديته .

---

[1] أحمد بن أبي أحمد الطبري أبو العباس القاص ، أحد أئمة المذهب الشافعي ، كان ذا علمٍ وزهد . أخذ الفقه عن ابن سريج وتفه عليه أهل طبرستان ، صنف تصانيف كثيرة وكان إمام طبرستان في وقته ، توفي بطرسوس سنة ٣٣٥ . انظر : طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن شهبة ، تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ عالم الكتب ، بيروت ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

[2] سير أعلام النبلاء، جـ ١٤، ص٦١.

[3] انظر : مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ١٣٥ .

يقول الإمام ابن كثير بعد أن استعرض جملة من مصنفات ابن الراوندي : " إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام " . [1]

أما بالنسبة لبداية أمره فقد كان إعتزالياً ثم فارق المعتزلة، وألف كتاباً يفتضح فيه مسالكهم ومناهجهم الكلامية : وقد رد عليه أكثر رؤوس المعتزلة، أمثال أبو علي الجبائي وأبو القاسم الوراق البغدادي [2] ، وأبو عبد الله بن عمر الصيمري [3] والجعل أبو عبد الله البصري [4] ، وغيرهم فردوا عليه فيما تكلم به عنهم وعن مذهبهم ، كما ردوا عليه في بعض ما جنح إليه من آراء إلحادية ورد عليه الإمام الأشعري في رأيه في الصفات . [5]

قال البلخي [6] : " لم يكن في نظراء ابن الراوندي مثله في المعقول وكان أول أمره حسن السيرة كثير

---

[1] انظر: البداية والنهاية، جـ١١، ص١١٣.

[2] الحارث بن علي أبو القاسم الوراق البغدادي ، كان من رؤساء المعتزلة في زمانه ، له مناظرات مع أبو علي الجبائي ، وله مصنفات جيدة وردود على ابن الراوندي . انظر : الوافي بالوفيات ، جـ ١١ ، ص ٢٠٠ .

[3] أبو عبد الله محمد بن عمر الصيمري ، شيخ المعتزلة صاحب المصنفات ، عداده في معتزلة البصريين ، أخذ عن أبي علي الجبائي وانتهت إليه رئاسة الكلام بعد الجبائي ، له كتاب كبير في الرد على ابن الراوندي ، توفي سنة ٣١٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٤ ، ص ٤٨٠ .

[4] الجعل أبو عبد الله الحسين بن علي البصري الفقيه المتكلم صاحب التصانيف من بحور العلم ، لكنه معتزلي داعية ، وكان من أئمة الحنفية . انتهت إليه رئاسة أصحابه في عصره وكان مقدماً في الفقه والكلام، مات سنة ٣٦٩ هـ . سير أعلام النبلاء ، جـ ١٦ ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

[5] انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري ، لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، ط٣، ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ١، ص١٣١.

[6] أحمد بن خضرويه أبو حامد البلخي ، الزاهد الكبير الرباني الشهير من جُلَّة مشايخ خراسان ، قال عنه النيسابوري : ما رأيت أكبر همة و لا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه له قدم في التوكل ، قيل أنه توفي سنة ٢٤٠ . انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١١ ، ص ٤٨٧ ـ ٤٨٩ .

الحياء ثم انسلخ بعد ذلك لأسباب ، وكان علمه فوق عقله . [1]

ومن جُملة ما يُروى مما يبين تعمده في الغمز والطعن في شريعة الإسلام ، ما حدث ذات مرة من اجتماع ابن الراوندي وأبو علي الجبائي على جسر بغداد ، فقال له : يا أبا علي أما تسمع مني معارضتي للقرآن ونقضي له ؟ فقال له أبو علي : أنا اعرف بمجاري علومك وعلوم أهل دهرك ولكن أحاكمك إلى نفسك فهل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة ، وتشاكلاً وتلازماً ونظماً كنظمه وحلاوةً كحلاوته ؟! قال: لا والله. قال : قد كفيتني ، فانصرف حيث شئت . [2]

إن الحوار السابق الذي جرى بين ابن الراوندي ، وأبو علي الجبائي يعكس لنا خلفية ابن الراوندي التي يتوارى تحتها ، وسنتبين ذلك بوضوح عندما نعرض لبعض أقواله الكفرية التي جنح إليها فيما يتعلق بصفة العلم الإلهي .

بين ابن الراوندي وبشر المريسي :

لا يمكننا أن نتوهم بحال أن تكون هناك رؤية مشتركة بين الفكر المريسي والفكر الراوندي ، وأن يحصل اتفاق ووئام بين تلك الرؤيتين دون الأخذ بأسباب تلك المودة الفكرية بعين الإعتبار.

ولا نحتاج لكثير تأمل لمعرفة تلك القواسم المشتركة بين الفكرين ، اذ كثيراً ما تلعب المعاصرة والإلتقاء بين شخصيتين محددتين دوراً كبيراً في قضية التأثر والتأثير ، غير أن ماحدث بين الفكر المريسي والراوندي يختلف تماماً لاسيما إذا عددنا المعاصرة بينهما عاملاً ساقطاً لا أثر له .

فبشر قد توفي في ٢١٨هـ ، بينما توفي ابن الراوندي في ٢٩٨هـ ، وعلى قول الأكثرين أن ابن الراوندي قد عاش نيفاً وثمانين سنة ، فبالتالي – وكما أسلفنا – لم يكن هناك إلتقاء أو معاصرة بينهما ، أما إذا أخذنا بقول من قال بأنه قد عاش ستاً وثلاثين سنه – مع اعتبار تاريخ وفاته – فإننا سنزيد فوق اعتبار عدم المعاصرة ، فترة زمنية تزيد على تسعةٍ وثلاثين عاماً أو تقاربها .

---

[1] انظر: سير أعلام النبلاء ،جـ١٤، ص٦١.

[2] انظر: الوافي بالوفيات ، جـ٨، ص١٥٤ – ١٥٥ .

على أن ما يجدر ذكره هاهنا هو ماللإلتقاء المعنوي من أثرٍ قد يفوق على الإلتقاء المادي بمراحل أحياناً . فالعلائق المعنوية بين ابن الراوندي وبشر المريسي والمتمثلة في وحدة الأصول اليهودية بينهما ، كانت كفيلة لأن تُوحد الرؤى والأفكار بينهما تبعاً لإتحاد الأهداف!

إننا أمام فكرين شكل كلاً منهما جانباً تخريبياً استهدف العقيدة والشريعة الإسلامية. وليس هذا بمستغرب إذا اعتبرنا ما بينهما من قواسم مشتركة شكلت مجموعة عوامل مساعدة لخدمة تلك الأهداف ، بل تعدى الأمر الخطوط العريضة لكل منهما لتشمل بعضاً من الدقائق التفصيلية المشتركة بينهما ، ولعلنا نتلمس بعضاً منهـا :

١) أن بشر كان والده يهودياً ، وكذلك ابن الراوندي كان والده يهودياً .
٢) أن عدداً من المسلمين تلقوا تحذيراً من اليهود الذين رأوهم قد ألتفوا حول بشر ، فقالوا لهم: لا يفسد عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة ، وكذلك نفس العبارة قيلت لاتباع ابن الراوندي : لايفسد عليكم دينكم كما افسد أبوه علينا التوراة !! فزيادة على الأصول اليهودية جمعوا إليها الزندقة والإفساد .
٣) أن موقف كلاً منهما من القرآن الكريم كان موقف الرافض له ولأحكامه ، فبينما رام بشر رده بالأخذ والاعتماد على أنواع التأويلات الفاسدة ، نجد أن ابن الراوندي قد سلك مسلكاً يتفق وخلفيته اليهودية ، فرام رد القرآن الكريم بنقضه وضربه بعضه ببعض للتلبيس على أهل الإسلام.

٤) أن كلاً منهما قد بيّن خطأ ما كان عليه قبل موته ، فبشر يقول : أن الحق قول من قال بأن القرآن غير مخلوق ، فلما قيل له إذن ارجع عما أنت عليه ، قال : كيف وقد وضعنا فيه الحجج والبراهين وألفنا فيه الكتب أربعين سنه ؟! ، وكذلك ابن الراوندي حاول أن ينقض بعض ما وضعه من كتبه فجاء نقضه متهافتاً ولم يصح ، وقيل أنه ندم وتاب في آخر عمره [1] والعلم عند خالقه .
٥) أن كلاً منهما قد رؤيت له منامات سوء بعد موته ، نسأل الله العافية .

---

[1] انظر : سير أعلام النبلاء، جـ١٤، ص٦١.

أما بالنسبة لمعطيات ذلك التأثر الراوندي بالفكر المريسي فربما يبين لنا طرفاً من ذلك ما ساقه صاحب الأنساب ، حيث قال في سياق ترجمته للمريسي : "...وكان يزعم أن الإيمان هو التصديق لأن معناه في اللغة التصديق ، وماليس بتصديق فليس بإيمان...وإلى هذا القول ذهب ابن الراوندي وزعم أن الكفر هو الجحد والإنكار ". [١]

وكثيراً ما تقرن كتب التراجم والرواة وكتب الفرق بين ابن الراوندي والمريسي عند سياق الحديث عن مسألة التأثر بينهما ، أو الكلام حول رؤية معينة اشتركا في الأخذ والقول بها . [٢]

عقيدته حول صفة العلم الإلهي :

إننا إذا نظرنا إلى أقوال ابن الراوندي في صفة علم الله تبارك تعالى تبين لنا أننا أمام شخصية قد بلغت غاية في الزندقة والإلحاد ، وذلك وفق المنظور الإسلامي الذي أبتلى بدخائل حاولت تشويهه بما أبتدعته فيه من الرؤى والأفكار .

غير أننا إذا نظرنا إليها من خلال المنظور اليهودي المحرف فإننا نجد فيها وفي فكرها توافقاً و توائماً مع ماهو مسطور في كتاب العهد القديم ، كما نجد فيها انعكاساً للعقل اليهودي الذي لم يستطع يوماً أن يتخيل وجود صفة يتصف بها الرب تعالى ويعلم بها جميع ما كان وما سيكون قبل كونه ، كما نتلمس أثر ضعف تلك العقلية اليهودية الذي بدا واضحاً فيما أنتجته من أساطير أخضعت لها العقائد والدين وجعلتها تابعة لها ، ثم خلعت عليها صفة القداسة .

وفوق ذلك كله نلمح حقداً مستتراً تميزت به زندقة ابن الراوندي عن سائر الزندقات الأخرى التي استعبدت أصحابها ، ويؤيد هذا قول ابن الجوزي بعدم تعلق آراء ابن الراوندي بشبهة [٣] ، الأمر الذي يفصح عن الهدف من وراء فكر ابن الراوندي وأنه كان لمجرد الإفساد لالشيء غيره .

---

[١] الأنساب ، جـ٥، ص٢٦٨.

[٢] انظر ترجمة كل منهما .

[٣] انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٤ ، ص ٦٠ .

ونظراً لعدم وصول شئ من كتبه إلينا – هذا إن وجدت – فإننا سنذكر عقيدته في صفه العلم الإلهي من خلال ما أورده الإمام الجبائي في نقضه عليه ، مما توافر معنا في كتاب الصفدي – رحمه الله – ثم من خلال ماذكره الإمام الأشعري في مقالاته :

أولاً : ما أورده الصفدي في الوافي بالوفيات :

١) قال الجبائي :" وذكر في الدامغ أن الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من الدواء إلا القتل...قال ويزعم أنه يعلم الغيب فيقول: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ الأنعام (٥٩) ، ثم يقول : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ البقرة (١٤٣) . [١]

ونظراً لسعة علم ابن الراوندي فإنه لايمكننا أن نتوهم أن قوله هذا ناشئ عن جهل ، وإنما كان منه عن علمٍ ومعرفة لخدمة أهدافٍ أرادها . وأبرز شاهد على ذلك الحوار الذي جرى بينه وبين أبي علي الجبائي حين اجتمعا على جسر بغداد . ولذلك علق الذهبي في نهاية ترجمته لابن الراوندي بقوله :" لعن الله الذكاء بلا إيمان ". [٢]

٢) ومن أقواله كذلك والتي ينسب فيها إلى الله عزوجل النسخ في الإخبار على غرار ما هو موجود في توراة اليهود المحرفة ، فمن ذلك قوله : "...وقوله: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ طه (١١٨)، قال: وقد جاع وعري . [٣]

٣) وقوله – عليه من الله ما يستحق – : " ومن الكذب قوله:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ ﴾ الأعراف (١١) ، وهذا قبل تصوير آدم..." . [٤]

---

[١] جـ٨، ص١٥٣.

[٢] انظر: سير أعلام النبلاء ،جـ١٤،ص٦٢.

[٣] جـ ٨ ، ص ١٥٣ .

[٤] انظر:الوافي ، نفس الجزء و الصفحة .

٤) وقوله ﴿ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ المائدة (١٠١) ، قال : وإنما يكره السؤال رديء السلعة، قلت — والكلام للجبائي– " لايشك العاقل وذو اللب أن الله سكت عن أشياء في كتمها مصالح للعباد ".[١]

ومن أقواله كذلك قوله الذي يسفه به الله تعالى ، ومعلومٌ ما في ذلك من مناقضةٍ ومنافاة لمقتضى العلم والحكمة الإلهيين ، فيقول :" واهلك ثموداً لأجل ناقة ". [٢]

كما أن من مذهبه القول بأن علم الله محدث والترويج لذلك عن طريق ما بثه في كتبه الإلحادية ، يقول الصفدي :" ومما ألفه من الكتب الملعونة...كتاب"القضيب" الذي يثبت فيه أن علم الله تعالى بالأشياء محدث وأنه كان غير عالم حتى خلق خلقه وأحدث لنفسه علماً ، ولأبي الجبائي نقض على كتابه هذا . [٣]

يقول الشيخ أبو علي الجبائي : " قرأتُ كتاب هذا الملحد الجاهل السفيه ابن الراوندي فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والإفتراء ، قال : وقد وضع كتاباً في قِدم العالم ونفي الصانع ، وتصحيح مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد ". [٤]

أفبعد هذا يُشك في إخلاص ابن الراوندي لدين آبائه ؟! لاسيما وأن آراؤه أتسمت بالعنصرية والمادية والمغالطة والإلحاد ، وهذه سمات يتسم ويتميز بها العقل اليهودي بجدارة .

ثانياً : ما أورده الإمام الأشعري :

---

[١] انظر: المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

[٢] انظر: المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

[٣] انظر: المرجع السابق جـ ٨، ص١٥٢.

[٤] انظر: البداية والنهاية لإبن كثير، جـ١١، ص١١٣.

لقد أورد الإمام الأشعري بعض أقوال ابن الراوندي المتعلقة بالعلم في كتابه الشهير " مقالات الإسلاميين " ، فكان مما حكاه عن ابن الراوندي قوله : إن الله سبحانه لم يزل عالماً بالأشياء على معنى أنه لم يزل عالماً أن ستكون أشياء [1] ، و قوله يُفهم منه أي أنه لا يعلم حقيقتها و تفصيلاتها و ماهيتها إلا بعد كونها ، و أما قبل ذلك فعلمٌ إجمالي بأن ستكون أشياء .

وكذلك قوله : " لا شيء إلا موجود " [2] ، ومقصوده بهذا أي أن الأشياء لا توصف بأنها أشياء إلا إذا وُجدت، وقد سلك هذا المسلك بعدم تسميته الأشياء أشياء إلا بعد وجودها ليثبت حدوث العلم ويمنع تعلق علم الله تعالى بما لم يكن بعد من المعدومات .

أما مذهبه في القرآن فقد بنى قوله على أن القرآن معنىً من المعاني وعين من الأعيان خلقه الله تعالى [3]، ففارق جهماً في قوله بأنه ـ أي القرآن ـ ليس بجسم واتفق معه في القضية الأساسية وهي القول بخلق القرآن.

فهذه جملة أقواله المتعلقة بصفة العلم الإلهي ، والتي يُستفاد من جميعها مذهب ابن الراوندي في القول بحدوث العلم الإلهي والذي دافع عنه في كتبه المختلفة .

والخلاصة إننا من خلال استعراض أقوال هذا الزنديق في صفة العلم الإلهي نتبين مذهبه فيها فهو يذهب إلى القول بأنَّ:

١) علم الله محدث مخلوق .
٢) الله كان غير عالم حتى خلق خلقه وأحدث لنفسه علماً ، وتأكيده على هذا الإتجاه .
٣) أحكامه تعالى وأوامره ونواهيه خالية من الحكمة ، ويعتريها السفه تعالى علواً كبيرا .
٤) النسخ يقع في إخباره تعالى علواً كبيراً.

---

[1] جـ ١ ، ص ٢٤١ .

[2] جـ ٢ ، ص ١٩٠ .

[3] جـ ٢ ، ص ٢٦١ .

وإذا أردنا مقارنة تلك الأقوال بما سبقها من أصول ، وهي هنا الأصول اليهودية فسنجد أن جميع تلك الأمور قد ضمها الكتاب المقدس بين دفتيه، فمن الأول : ما ورد في سفر التكوين (٣ / ٢٢) : " وقال الرب : هو ذا الإنسان صار كواحدٍ منا عارفاً الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد ". فالنص يصور الرب بأنه ماكان يعلم أنه سيأكل من شجرة المعرفة، كما أنه لايعلم إن كان سيتعدى على شجرة الحياة أم لا !! وهذا يدل على حدوث علم الرب تبارك وتعالى عند أكل آدم من الشجرة التي نُهي عنها .

ومن الثاني: ما ورد في نفس السفر أيضاً (٦ / ٥ ـ ٦): والذي يروي حزن الرب وندمه على خلقه للإنسان، يقول النص: " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه ".

ومن الثالث : ماورد في نفس السفر أيضاً (٨ / ١) : والذي يروي نسيان الرب وغفلته تعالى علواً كبيرا: " ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك ، وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه ".

ومن الرابع: ما ورد في نفس السفر (٢ / ١٧)، والذي يروي قول الرب لآدم وحواء أنه في حال أكلهما من الشجرة موتاً يموتون ولم يموتا !!.

فتلك الخلفية الراسخة لدى ابن الراوندي هي التي جعلته يصطدم مع إسلامه الذي يدعيه — إن صح — ويسعى للنيل منه والكيد له من الداخل .

التأثر الإعتزالي به :

ربما يفترق ابن الراوندي عن المعتزلة في أن أهل الإعتزال وإن نفوا الصفات وعطلوها عن أن تتصف بها الذات إلا أنهم مجمعون ومتفقون على أن الله عالم ، بيد أن ابن الراوندي قد ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال بأن الله كان غير عالم حتى خلق خلقه وأحدث لنفسه علماً . [1]

---

[1] انظر: الوافي بالوفيات ، جـ٨ ، ص١٥٢.

أما بالنسبة لحدوث العلم فقد قالت به كثير من فرق المعتزلة متأثرة في ذلك ببشر المريسي ، وبما استفادوه من ابن الراوندي من حجج ودلائل ضمنها كتابه "القضيب" وحاول أن يثبت بها حدوث علم الله تعالى .

ويرصد لنا ابن خلكان قضية التأثر بابن الراوندي بقوله : " وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد أنفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم ". [1]

ومما سبق يمكن القول بأن التأثر الإسلامي باليهودية في مسألة العلم الإلهي ، قد بدت بواكيره منذ أن بدأ الجعد بن درهم في نفث تلك العقيدة المشوهة المنافية لعلم الله تعالى والمتمثلة في القول بخلق القرآن ونفي جميع الصفات بما في ذلك صفة العلم الإلهي ، متأثراً في ذلك بآراء جملةٍ من اليهود كلبيد الساحر الذي كان يقول بخلق التوراة ، وطالوت الذي كان أول من صنف في ذلك.

ثم سارت تلك العقيدة المشوهة في المجتمع الإسلامي سيراً وئيداً حتى جاء الجهم بن صفوان فأذاعها ونشرها، وبذلك عد الراعي الأول لها ، وما أن جاء المريسي حتى نظّر لها ووضع فيها المصنفات وساق لها الحجج والبراهين حتى صارت عقيدة يعتنقها كثير من الناس بما في ذلك بعض أفراد الطبقة الحاكمة ، كالمأمون الذي حمل الناس على القول بخلق القرآن والأخذ بمذهب أهل الإعتزال ، ثم أتى بعده ابن الراوندي الذي أفرد كثير من مصنفاته في نصرة القول بحدوث العلم وخلق القرآن والتشكيك في علم الله تعالى كصفة أزلية وجودية قائمة به تعالى .

إننا إذا تأملنا جميع تلك المراحل نجدها لم تخل من أيدٍ يهودية مؤثرة ، إما إبتداءً كما هو حال الجعد الذي استقاها من ذلك السند اليهودي ، و الجهم الذي تلقف منه تلك المقالات ، وإما تنظيراً وتقعيداً كما هوالحال مع بشر المريسي وابن الراوندي ذوا الأصول اليهودية .

---

[1] انظر: المرجع السابق ، جـ١ ، ص٩٤.

غير أن ثمة أمرٌ تجدر الإشارة إليه ربما ستضيف المعرفة به شيئاً آخر إلى رصيدنا المعرفي المتعلق بمسألة تأثر بعض طوائف الفكر الإسلامي باليهودية في قضية العلم الإلهي ، وهذا الأمر يتلخص في :

أننا نلاحظ أن دور المريسي وابن الراوندي كان قوياً في بثّ التصور المنافي لعلم الله تعالى ، وقد تجلى ذلك واضحاً في :

- نصرة القول بخلق القرآن .
- نصرة القول بحدوث علم الله تعالى .
- نسبة السفه إلى فعل الخالق جل وعلا وسلب الحكمة من جميع أفعاله ، وهذا خاصٌ بابن الراوندي .

أما دليل تلك القوة فقد بدا واضحاً في وضع كلٍ منهما لكثيرٍ من الحجج والبراهين في سبيل نصرة تلك الأقوال بطريق لم يكن يخضع للنقض في أغلب الأحيان ، فهاهو بشر في آخر حياته يذكر لأحد مقربيه بأن الحق مع من قال بأن القرآن غير مخلوق ، فلما قال له الآخر فلم لا ترجع ؟ – أي عن مقولاته وضلالاته تلك – قال كيف وقد صنفنا في ذلك الحجج والبراهين أربعين سنة !.

وهذا ابن الراوندي الذي وضع كتابه "القضيب" ، الذي نصر فيه القول بحدوث علم الباري تعالى ثم لما رام نقضه جاء النقض متهافتاً !

إننا إذا أخذنا بالعامل الأكبر المشترك بينهما ، وهو هنا الأصل اليهودي حق لنا أن يعرض لنا سؤال هاهنا مفاده : هل تأثر بشر وابن الراوندي بما في كتاب اليهود من تصورات وثنية بشأن علم الله تبارك وتعالى ؟

إنه مالم يكن لدينا قولٌ صريحٌ في ذلك لا نستطيع الجزم بأن كلاً منهما قد تأثر تأثراً مباشراً بما في كتاب العهد القديم مما يتعلق بعلم الله تعالى ، غير أن ذلك يبقى إحتمالاً قوياً لإعتبارات لعل من أهمها تلك الأصول اليهودية التي ينتميان إليها ، ثم تفاني كل منهما للدفاع عن تلك الآراء في إطار هدفٍ عام يتلخص في محاربة الإسلام ، فهذا بشر يدعو أتباعه لرد الأحاديث ذات الأسانيد الجياد

بصنوف التأويلات لئلا يفتضحوا في مراوغتهم ضد عقيدة الإسلام ، وهذا ابن الراوندي يروم نقض القرآن ببعضه البعض ويؤلف كتاب النصرة [1] لليهود ضد دين الإسلام .

وكلاهما لديه اتجاهٌ قوي في عدم اعتقاد سبق علمه تعالى وإحاطته وشموله فهذا بشرٌ يحيد عن إجابة عبد العزيز الكناني حين سأله إن كان يثبت لله علماً أم لا فحاد عن الجواب وذهب إلى شرح معنى العلم بدلاً من إثباته ، فيقول معنى علمه "أنه لايجهل" ، وهذا ابن الراوندي يتوجه إلى نقض آيات القرآن التي تثبت أزلية علمه تعالى بكل شيء فيقول قولاً لا يصدر إلا عن زنديق معادٍ لدين الإسلام .

إن جميع نصوص العهد القديم التي نلمس فيها وثنيةً في علم الله تبارك وتعالى لاتفيد معانيها جميعاً بلا استثناء غير معنى الحدوث ، فهل جدّد بشر وابن الراوندي نفسيهما للتقعيد والتنظير لتلك النصوص ليتكامل النسق تنظيراً وتطبيقاً ؟

ليس هناك مايمنع من الشك من أنه قد يكون كل منهما قد تشبع من تلك الصور الوثنية في مسألة العلم الإلهي حتى صارت عقيدةً لديه ثم عاد لينفثها في ملة الإسلام كسبيلٍ لتغليب دين اليهودية وإعلائه فوق دين الإسلام ، وإلا فبم نفسر قراءات بشرٍ في اليهودية من كتاب التوراة ليلبس على المسلمين دينهم ؟ وبم نفسر أيضاً براعة ابن الراوندي في وضع كتابٍ لليهود يعدونه انتصاراً لدينهم ويكافئونه عليه بمئات الدراهم ؟

أليس هذا دليلٌ على تبحرهما ومعرفتهما التامة بما في كتاب العهد القديم بما في ذلك معرفتهما التامة بما يصوره كتاب العهد القديم عن علم الباري جل وعلا ، لأن من أراد تأليف كتابٍ لابد أن يكون على درايةٍ و تصورٍ تامٍ بموضوع ذلك التأليف ، فكيف بمن يؤلف كتاباً يصعب

---

[1] هناك كتاب بنفس الإسم ينسبه الشوكاني إلى مؤلف يهودي مجهول ،وتتطابق أوصافه مع نفس أوصاف كتاب ابن الراوندي ، وذلك في إطار رده على الكتب المنسوبة للسكاكيني . انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني د. ط ، د . ت ، دار المعرفة ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

نقضه – على صاحبه – لقوةِ الشبهة وتكاثرها فيه ، ألا يعد ذلك دليلاً على ولائه المستور– ربما بستار التقية– لملة الآباء ؟!

إن جميع هذه الإشكالات قد ترد مورداً قوياً ، لكنه لايخرجها عن كونها تفتقر إلى دليلٍ وبينة ظاهرين يخرجانها من دائرة الشك إلى اليقين ، غير أن ما يمكن قوله هاهنا جزماً أن :

١ – الفِرق الكلامية الإسلامية قد تأثرت بالتصور اليهودي حيال صفة العلم الإلهي .

٢ – أن ذلك التصور قد بدأ على يد الجعد بن درهم بما استقاه عن الفكرين الطالوتي واللبيدي المتمثل في القول بخلق التوراة ، وتعطيل الصفات .

٣ – أن الأثر اليهودي ظل مصاحباً للفكرة منذ ظهورها على يد الجعد في مختلف مراحلها.

٤ – أن القول بالحدوث ونفي العلم يتطابق تماماً مع الصور الوثنية في العلم الإلهي والتي إمتلأ بها كتاب العهد القديم ، والفرق الوحيد بين الرؤيتين يكمن في أن إحداهما تمثل جانباً نظرياً بينما تمثل الأخرى جانباً تطبيقياً عملياً .

٥– إنه في حال ثبوت ما أوردناه من إشكالات يمكننا القول بأن التأثر الإسلامي لبعض الطوائف بالدين اليهودي في مسألة علم الله تعالى لم يكن منحصراً في الجذور والأصول فحسب ، وإنما غذته روافد لها علاقةٌ باليهودية تولت الدفاع والحجاج عنه وإقامة البراهين في سبيل إثبات ما ينافي علم الله تبارك وتعالى ، من القول بالحدوث والقول بخلق القرآن و نسبة السفه إلى فعل الخالق جل وعلا ونفي حكمته الأمر الذي ينافي العلم الإلهي أشد المنافاة .

خامساً : شخصيات أخرى :

لم يقتصر التأثر باليهودية والتأثير من ثمّ في الساحة الفكرية الإسلامية على تلك الشخصيات التي تناولناها وإنما امتد ليشمل شخصيات أخرى كان لها تأثير على بعض طوائف الفكر الإسلامي .

وأثرها وإن كان لا يقارن بأثر تلك الشخصيات التي سبقت معنا إلا أنه مما لا يمكن إهماله أيضاً ما دام قد وُجد فعلاً ، وسيدور حديثنا هنا حول شخصيتين :

الأولى : شخصية سستويه الأسواري .

الثانية: شخصية المغيرة بن سعيد البجلي .

أولاً : سستويه :

تتجلى أهمية الحديث عن هذه الشخصية في كونها أول من تكلم في قضية القدر بالنفي و الإنكار كما تذكر معظم كتب التراجم إذ تذكر أخذ معبد الجهني عنها ، في حين تُساوي بعض الكتب بين الشخصيتين في التكلم بالقدر فلا تذكر أخذ إحداهما من الأخرى .

وهذه الشخصية قد اتسمت بالغموض ، حيث لم تذكر عنها كتب التراجم أي تفصيلاتٍ أخرى يمكن أن تساهم في إماطة اللثام عن هويتها ، ولم تذكر سوى :

١) أنها أول من تكلم بالقدر .

٢) أنها من غير ملة الإسلام .

فأما ما يتعلق بالغموض الذي أكتنفها فيتضح في اختلاف كتب التراجم في تحديد هويتها و اسمها تحديداً دقيقاً، إذ بينما تذكر بعض المراجع أن اسم أول من تكلم بإنكار القدر هو سستويه[١]، يذكر البعض الآخر أن هذه الشخصية تنسب لرجلٍ يُدعى سنسويه [٢] . ثم هو تارةً أخرى سيسويه [٣]، وتارةً ستويه [٤]، وتارةً موسى [٥]، وتارةً يونس[٦] ، مع اتفاق على نسبته بأنه أسواري ، واتفاقٍ على وصفه بأنه أول من تكلم بالقدر وعنه أخذ معبد الجهني . يقول

---

[١] تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٥٩ ، ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

[٢] القدر للفريابي ، ص ٢٤٠ ـ ٢٦٢ ، اعتقاد أهل السنة ، جـ ٤ ، ص ٧٤٩

[٣] لسان الميزان ، جـ ٣ ، ص ١٣١ ، الضعفاء و المتروكين لإبن الجوزي ، تحقيق : عبدالله القاضي ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٣٤ ، اعتقاد أهل السنة ، جـ ٣ ، ص ٥٣٦ .

[٤] تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٥٩ ، ص ٣١٩ .

[٥] ضعفاء العقيلي لأبي جعفر محمد بن عمر العقيلي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٤ ، ص ١٧١ ، الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبد الله بن عدي أبو أحمد الجرجاني ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ ، دار الفكر ، بيروت ، جـ ٦ ، ص ٣٤٥ ، لسان الميزان ، جـ ٦ ، ص ١٣٦ .

[٦] المواقف لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، دار الجيل ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ٦٥١ ، لسان الميزان ، جـ ٣ ، ص ١٣١ ، جـ ٦ ، ص ٣٣٥ .

صاحب تاريخ مدينة دمشق : أول من تكلم في القدر رجلٌ من الأساورة يقال له سستويه ، ثم تكلم فيه معبد الجهني .[1]

وقال ابن عون : وكان أول من تكلم ها هنا في القدر معبد الجهني ورجلٌ من الأساورة يقال له سستويه وكان حقيراً [2] ، وعن ابن عون أيضا قال : أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان حتى نشأ هاهنا حقير يُقال له سستويه البقال ، وكان أول من تكلم بالقدر .[3]

وسأل ابن عون أبا نعامة متى تكلم الناس في القدر فقال إنما تكلموا فيه حيث تكلم سنسويه وتابعه معبد [4] ،وعن يونس بن عبيد يقول أدركت البصرة وما بها قدري إلا سنسويه ومعبد [5] ، ويقول الفريابي: أول من تكلم بالقدر سنسويه بن يونس الأسواري وكان حقيراً صغير الشأن . [6]

أما الإمام الأوزاعي [7] فيذهب إلى أن أول من نطق في القدر رجلٌ من أهل العراق يقال له سوسن ، و أخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد .[8]

بينما يذكر صاحب لسان الميزان أن أول من تكلم بالقدر هو يونس الأسواري وعنه أخذ معبد ،

---

[1] جـ ٥٩ ، ص ٣١٨ .

[2] المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

[3] نفس المرجع والجزء ، ص ٣١٩ .

[4] القدر للفريابي ، ص ٢٤٠ .

[5] اعتقاد أهل السنة ، جـ ٤ ، ص ٧٤٩ .

[6] القدر ، ص ٢٦٢ .

[7] عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام ، أبو عمرو الأوزاعي ،ولد عام ٨٨ هـ و كان خيراً فاضلاً كثير العلم ، سكن بمحلة الأوزاع بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطاً إلى أن مات ، وكانت وفاته في ١٥٧ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ١٠٧ ، ١٠٩ .

[8] القدر للفريابي ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ ، تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٥٩ ، ٣١٩ ، الإنتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ، جـ٢، ص ٤٩٦ .

ويقول روايةً عن الكعبي [1] أنه كان يلقب بسيبويه ، و قد ذكره الكعبي في طبقات المعتزلة [2] ،أما سيسويه فيذكر صاحب لسان الميزان أنه زوج والدة موسى الأسواري . [3]

والخلاف حول هذه الشخصية يتعدى ما ذكرناه من الأسماء ، غير أن ما يهمنا من ذلك كله أن تلك الشخصية لم تتحدد تحت مسمى واحد ، الأمر لذي يثير الشك حولها لا سيما و أن البعض من أصحاب التراجم يذكر أنها تعود لنصراني أسلم ثم تنصر [4] ، بينما يذكر البعض الآخر أنها تعود لمجوسي . [5]

إن الغموض الذي لفّ هذه الشخصية يذكرنا بموقف ابن سبأ من قبل ، والذي كان حريصاً على إخفاء هويته عن المسلمين حين قدم البصرة في خلافة عثمان ﷺ حيث أنه لما سأله عامل عثمان على البصرة عن هويته أجابه بأنه رجلٌ من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جواره [6]،حتى [6]،حتى تم له ما أراد من الفتنة .

فالتخفي والتمويه من خصال الشخصية اليهودية كما هو معروف ، غير أننا نقف عند حدود الظن مالم يرد دليل يحسم الأمر ويقطع الشك باليقين .

وهناك قرائن تقف بجانب ذلك الظن وتقويه :

---

[1] عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي أبو القاسم الكعبي من كبار المعتزلة وله تصنيف في الطعن على المحدثين يدل على كثرة إطلاعه و تعصبه ، توفي سنة ٣١٩ ، وذكر المصنف في تاريخ الإسلام أنه كان داعية إلى الإعتزال . لسان الميزان ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ .

[2] جـ ٦ ، ص ٣٣٥ .

[3] جـ ٣ ، ص ١٣١ .

[4] انظر : القدر ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٥٩ ، ص ٣١٩ .

[5] انظر : خلق أفعال العباد ، ص ٧٥ ، مجموع الفتاوى ، جـ ٧ ، ص ٣٨٤ .

[6] انظر : تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، د . ط ، د . ت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٦٣٩ .

١) الغموض في هوية الشخصية .

٢) الغموض في ديانتها .

٣) كونها شخصية أسوارية ، وأسوار بأصبهان [1]، وأصبهان بلاد تموج بها التيارات الفكرية من مختلف الملل والنحل لا سيما اليهودية ، حتى قيل بأنها مدينة اليهودية [2] لكثرة ما فيها من اليهود وذوو الأصول اليهودية .

٤) كون التكذيب بالقدر قضية ذات أصلٍ يهودي لاعتبارين :

الأول : الآثار التي سقناها .

الثاني: أسبقية اليهودية على الإسلام والنصرانية ، فيكون ما وُجد من انحرافٍ عقيدي في الوسط اليهودي و أحد الأديان الأخرى بعد ذلك مدعاة للقول بتأثر اللاحق بالسابق منهما ـ خصوصاً إذا توافرت القرائن المختلفة ـ .

٥) التذبذب الديني في هذه الشخصية حيث أسلم صاحبها ثم تنصر مرةً أخرى ، وهذه صفة تتسم بها الخلفية اليهودية وقد ذكرها الله تعالى في محكم تنزيله ، يقول الله تعالى :﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضي الحسيني الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين، د . ط ، د . ت ، دار الهداية ، جـ ١٢ ، ص ١٠٥ .

[2] معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .

لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ آل عمران (٧٢) ، قال السمعاني [١] : وهذا في اليهـود قـالوا نـؤمن بمحمـدٍ في أول النهار ثم نكفر به آخر النهار حتى يتهمه الناس ويقولوا قد ظهر منه شيء حتى كفروا به " . [٢]

٦) أن معظم من كان لهم باعٌ في تخريب دين الإسلام كانوا ينتمـون لأصـول يهوديـة أو كـانوا ممـن أسلم تقية من اليهود أمثال ابن سبأ و بيان بن سمعان ، وميمون القـداح ، وموسـى بـن ميمـون [٣] الذي أسلم تقية ثم ارتد، وزعيم يهود الدونمة في العصر الحديث شبتاي تسفي [٤] ، وغيرهم كثير .

فالتخفي والإحاطة بالغموض هو طابع الشخصية اليهودية لتحقيق مآربها التخريبيـة طـوال تاريخها. ولذلك فلا يبعد أن تكون الهوية الحقيقية وراء تلك الشخصية القدرية هي اليهودية ، ولا مانع من هذا الإفتراض في ظل الإضطراب الذي حام حولها مـادام لم يـأتِ دليـلٌ قـوي بالتأكيـد أو النفي .

---

[١] أبو المظفر السمعاني منصور بن محمد التميمي المروزي الحنفي ثم الشافعي ، كان إمام عصره بلا مدافعة أقر له بذلك الموافق والمخالف ، له تفسير القرآن العزيز وهو كتاب نفيس ، وجمع في الحديث ألف حديث عن مائة شيخ وتكلم عليها فأحسن ، وله وعظٌ مشهور . توفي سنة ٤٨٩ هـ . انظر : مرآة الجنان لأبي عبد الله بن أسعد اليافعي ، د. ط ، ١٤١٣ هـ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، جـ ٣، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

[٢] تفسير القرآن ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، دار الوطن ، الرياض ، جـ ١ ، ص ٣٣١ .

[٣] الفيلسوف الذي مر معنا ذكره .

[٤] هو يهودي تركي عاش فيما بين (١٦٢٦ – ١٦٧٦) ، أسلم تقية وتسمى بـ(عزيز محمد أفندي) و الإسلام عنده هو التوراة التي يقبلها نفاقاً في مقابل التوراة الحقيقية التي يقبلها صدقاً ، وقـد أملـى علـى مريديـه كتاباً بعنوان " سر العقيدة الصحيحة " شـرح فيهـا أصـول دعوتـه كمـا استخلصـها مـن كتـاب الزوهـار اليهودي ، وقال إنها الإيمان بوجود إلهين واحـد للعـالمين و آخـر لليهـود .و الشـبتية مـذهب أريـد بـه تقويض الإسلام في الدرجة الأولى كما يقول صاحبها . انظر : موسوعة فلاسفة ومتصـوفة اليهوديـة ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

الملامح الفكرية لهذه الشخصية :

يمكن القول بأن هذه الشخصية تنفي صفة العلم الإلهي بإنكارها للقدر ، لأن التقدير المسبق ـ وكما مر معنا ـ مستلزمٌ للعلم السابق ومبنيٌ عليه ونفيه يستلزم نفي العلم .

ومن أقوال هذه الشخصية تحت مسمى موسى الأسواري :" إن أصحاب رسول الله كانوا أعراباً جفاة فجئنا نحن أبناء فارس فلخصنا هذا الدين "[1]، وكان يزعم أن ابنه قُتل بغير أجله .[2]

وفي قوله بأن ابنه مات بغير أجله معارضة للآيات الكريمة التي تقرر أن كل نفسٍ لن تموت حتى يأتي عليها أجلها الذي أجله الله تعالى لها ، كقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ آل عمران (١٤٥) ، وكقوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر (٤٢) .

يقول الإمام البيضاوي في تفسيره للآية الأولى : والمعنى أن لكل نفسٍ أجلاً مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون[3] ، ويقول القرطبي : " أجل الموت هو الوقت الذي في معلومه سبحانه وتعالى .[4]

أما صاحب أضواء البيان فيقول : إن اسناد الموت إلى الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ لأن كل شيء كائناً ما كان لا يكون إلا بقضاء الله وقدره .[5]

---

[1] ضعفاء العقيلي ، جـ ٤ ، ص ١٧١ .

[2] المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

[3] تفسير البيضاوي ، د . ط ، د . ت ، دار الفكر ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٩٩ .

[4] تفسير القرطبي ، جـ ٤ ، ص ٢٢٧ .

[5] الشنقيطي ، جـ ٦ ، ص ١٨٥ .

وبناءً على ذلك فإنكار الأسواري لأن يكون ابنه مات لأجله مستلزمٌ لإنكار علم الله تعالى وقضائه وقدره الأزليين لأنه تعالى وقّت له أجله وعلم بعلمه المحيط أنه يكون في تلك الساعة وذلك الوقت ، وفي إنكار ذلك منافاةٌ للعلم ، ومذهبه في إنكار القدر يؤكد ذلك .

ثانياً : المغيرة بن سعيد :

لقد لعبت شخصية المغيرة بن سعيد دوراً هاما في الفكر الشيعي في العراق ، حيث تبعه خلق كثير فيما ادعاه من النبوة وعلم الغيب ، حتى ظفر به خالد القسري وقتله .

يقول الدكتور النشار : قُتل المغيرة بن سعيد عام ١١٩ هـ بعد أن أثار العالم كله في العراق [1] بما أحدثه من الفتنة .

فمن هو المغيرة بن سعيد ؟

يقول صاحب لسان الميزان في ترجمته : هو المغيرة بن سعيد البجلي أبو عبد الله الكوفي الرافضي الكذاب ، كان كذاباً ساحراً أدعى النبوة ، وتُسمى أصحابه بالمغيرية ، قُتل عام ١١٩هـ، وقيل ١٢٠ هـ [2]، وقد كان فارسي الأصل و نشأ في الكوفة في قبيلة بجيلة الغالية .[3]

ملاح فكره في العلم الإلهي :

يتجلى من موقف المغيرة إزاء عقيدة الألوهية ، عدم اعتقاده للعلم الإلهي على الوجه الذي يليق بالخالق جل وعلا ، شأنه في ذلك شأن كثير من الروافض بما اقتبسوه من اليهودية من فكر واعتقاد حيث نضح بجملةٍ من الأفكار التي ليس لها نظير إلا في مختلف أساطير " الأجادا " [4] اليهودية التي حواها كل من العهد القديم والتلمود .

---

[1] نشأة الفكر ، جـ ٢ ، ص ٩٧ .

[2] انظر : تاريخ الطبري ، جـ ٤ ، ص ١٧٤، الأنساب ، جـ ٥ ، ص ٣٥٥ ، لسان الميزان ، جـ ٦ ، ص ٧٦.

[3] نشأة الفكر ، جـ ٢ ، ص ٩١ .

[4] أي القصص أو الحكايات .

فإذا تأملنا في عقيدة الألوهية عند المغيرة نجد أنه قد نافى وناقض العلم الإلهي بما تصوره عن الخالق عزوجل .

ومن ذلك ما حكته مختلف كتب التراجم والملل عن قوله بأن الله تعالى على صورة رجلٍ على رأسه تاج وأن أعضاؤه على عدد حرف الهجاء .[1]

وكذلك قوله عن بدء الخليقة بأن الله تعالى لما أراد أن يخلق تكلم باسمه الأعظم فطار تاجه فوقع على رأسه ثم كتب بإصبعه على كفه أعمال عباده من المعاصي و الطاعات فلما رأى المعاصي ارفض عرقا فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح مظلم و الآخر عذب نير ، ثم اطلع في البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه فطار فأدركه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه وقال لاينبغي أن يكون معي إلهٌ غيري فخلق من عينيه الشمس وسماء أخرى وخلق من البحر المالح الكفار ومن البحر العذب المؤمنين .[2]
كما زعم أن معبوده له جوف وقلب تنبع منه الحكمة .[3]

إلى آخر ما هنالك من سفسف القول و الذي نجد فيه تعدياً على مقام الألوهية وجرأة عليه عزوجل لا تُشَبَّه إلا بجرأة اليهود ـ ومن سلك مسلكهم من المجسمة و المشبهة ـ على الباري تعالى .

وفي النصوص السابقة مواضع منافاة للعلم الإلهي يمكن تلخيصها واختصارها في نقاط :

١) في النص الأول تشبيه للخالق بالخلق، وذلك يقتضي تشبيه صفاته بصفات المخلوقين ، وعلمه بعلومهم .

ثم إننا إذا تأملنا النص السابق والذي يذكر أن صورته ـ أي الخالق وحاشاه تعالى ـ صورة رجلٍ من نور على رأسه تاج من نور ، نجده يتشابه مع النص التوراتي القائل : " وجلس القديم الأيام لباسه أبيض كالثلج ، وشعر رأسه كالصوف النقي..." . دانيال (٧ / ٩) .

---

[1] الأنساب ، جـ ٥ ، ص ٣٥٥ ، لسان الميزان ، جـ ٦ ، ص٧٧ .

[2] انظر : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٤٢٨ ، مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

[3] منهاج السنة ، جـ ٢ ، ص ٥٠٣.

وكذلك قوله بأن معبوده له قلب تنبع منه الحكمة ، يتشابه مع نصوص العهد القديم والتي تصف الرب بأنه ذو قلب حكيم ، كهذا النص مثلاً : " هو حكيم القلب وشديد القوة " أيوب (٩ / ٤)، وعبارات " نبع الحكمة " كثيرة في كتاب العهد القديم . الأمر الذي يؤكد حصول عملية الإقتباس و الأخذ من العهد القديم ، لاسيما أن الروافض في تاريخ الإسلام الفكري قد كانوا من اليهود أو ممن تأثر بالتوراة إلى حدٍ كبير كما يذكر الدكتور فتحي الزغبي . [1]

٢) في قصة بدء الخلق تكمن المنافاة في :

ـ بعد كتابة أفعال الخلق فوجيء الإله بالمعاصي حين نظر إليها فنتج عن ذلك ما نتج .

ـ في قول الأسطورة " لاينبغي أن يكون معي إله غيري " ، إنما هو ظلٌ ولا يعتقد عاقل أن الظل يمثّل شخصاً مستقلاً بحيث تُخشى منافسته ، وهذه الأجادا إن دلت على شيء فإنما تدل على سطحية العقل المقتبِس والمقتبَس منه ، وضعف الإعتقاد لدى كل منهما .

منافذ تسرب الفكر اليهودي إلى فكر المغيرة :

يذكر بعض من ترجم للمغيرة بن سعيد أنه كان على صلات باليهودية وبعض أشخاصها حيث تعلم منهم السحر و الشعوذة ، وهذا يؤكد إقتباس المغيرة لكثيرٍ من نصوص الأجادا اليهودية والتي فيها منافاةٌ للعلم الإلهي .

وتلك المعلومات وإن كانت لا تذكر تفصيلاتٍ دقيقة عن تلك العلاقات بين المغيرة ومن اتصل بهم من اليهود إلا أنها قد رسمت لنا خطوطاً عريضة أسهمت في حل طلاسم الفكر المغيري بمعرفة الأصول التي ينتمي إليها .

---

[1] غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ، ص ٤١٨.

يقول ابن قتيبة عن المغيرة أنه كان سبئياً وصاحب نيرنجات [1]، ويقول الدكتور النشار أنه قد تعلم السحر من يهود كانوا يعيشون بالكوفة وكان اليهود أصحاب سحر ونيرنجات ، وقد أجابه خلق كثير [2]. كما يعلق على الفكر المغيري بقوله أنه يمثل أثراً واضحاً للكبالا اليهودية . [3]

وسيتضح لنا بجلاء الأثر الذي أحدثته تلك الشخصيات لدى أرباب الطوائف الفكرية الإسلامية طوال تاريخ الإسلام الفكري ـ فيما يتعلق بالعلم الإلهي ـ من خلال القضايا التي تناولناها سابقاً.[4]

---

[1] عيون الأخبار ، جـ ٢ ، ص ١٤٩ ، نقلاً عن نشأة الفكر ، جـ ٢ ، ص ٩٣ . والنيرنجات :أُخذ (أو حِيل) كالسحر وليس به ، وهي عبارة عن فعل غرائب الأشياء باستخدام الخواص الطبيعية للعناصر. انظر: المعجم الوسيط مادة "نَيْرَجَ" ، وَ دستور العلماء للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ترجمة من الفارسية : حسن هاني فحص ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[2] نشأة الفكر ، جـ ٢ ، ص ٩٣ .

[3] المرجع السابق نفس الجزء ، ص ٩٥ . والقبالاه مذهب يهودي أساسه الأفكار التلمودية حيث اعتمدوا لفهمها تفسيرات باطنية ، فهي حركة سرية باطنية تعتمد التأمل والإشراق في جانبها النظري ، والسحر والشعوذة في جانبها العملي . موسوعة الأديان الميسرة ، ص ٤٠٢ .

[4] انظر ص من هذا البحث .

المبحث الثالث

أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على التصور الشيعي

يمكننا تناول التأثر الشيعي بالتصور اليهودي في العلم الإلهي من خلال نتيجتين :

الأولى : نتيجة عامة و تتلخص في القول بالبداء .

الثانية : نتيجة خاصة وتتلخص في ما اختصت به كل طائفة من طوائف الشيعة .

أولاً : القول بالبداء :

لاشك أن معظم طوائف الشيعة تُعد من أكثر الطوائف الإسلامية تأثراً بالفكر اليهودي فيما يتعلق بصفة العلم الإلهي ، وذلك بما ذهبت إليه من وجوب اعتقاد البداء لله تعالى .

وقد كانت بدايات ظهور تلك العقيدة الضالة على يد المختار بن عبيد الله الثقفي [1] الذي كان صاحب فتنة وضلالة كما يذكر عنه بعض أصحاب التراجم .

المختار بن عبيد الله الثقفي :

يقول عنه الإمام ابن حجر : لا ينبغي أن يروى عنه شيء لأنه ضال مضل كان يزعم أن جبرائيل عليه السلام ينزل عليه ، وهو شرٌ من الحجاج أو مثله ووالده كان من خيار الصحابة استشهد يوم الجسر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإليه نُسبت الوقعة .

---

[1] المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، ولد عام الهجرة وكان أبوه من جلة الصحابة ، أما المختار فليست له صحبة ولا رواية . حكيت عنه أخبار غير مرضية حكاها عنه ثقات .كان معدوداً في أهل الفضل والخير يتراءى بذلك ويكتم الفسق إلى أن فارق ابن الزبير وطلب الإمارة ، وكان المختار يتستر بطلب دم الحسين . يقال أنه كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً ، وكان يضمر بغض علي ويظهر منه أحيانا لضعف عقله . فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ، تحقيق علي بن محمد بن يعوض الله ، ط١، ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . جـ ٢ ، ص٥٠١ ــ٥٠٢ .

وقد ذكره أبن عبد البر في الصحابة لأن له رؤيةً فيما يغلب على الظن وكان ممن خرج على الحسن بن على بن أبي طالب في المداين ثم صار مع الزبير بمكة فولاه الكوفة فغلب عليها ثم خلع أبن الزبير ودعا إلى الطلب بدم الحسين ، فالتفت عليه الشيعة وكان يُظهر لهم الأعاجيب ، قتل سنة ٦٧هـ .[١]

وروى مجالد عن الشعبي قال : أقرأني الأحنف كتاب المختار إليه يزعم أنه نبي...أخذ يعيب في الباطن أبن الزبير ويثني على ابن الحنفية ويدعو إليه واخذ يشغب على إبن مطيع نائب ابن الزبير في العراق ويمكر ويكذب فاستغوى جماعة ، والتفت عليه الشيعة .[٢]

المختار والقول بالبداء :

لقد اشتهر في الكتابات الإسلامية أن المختار بن عبيد الله الثقفي هو أول من قال بالبداء على الله تعالى من أهل الإسلام ، وذلك لخدمة أغراضٍ وأهدافٍ أراد تحقيقها .

يقول الإمام الشهرستاني : " فمن مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى...وكان لا يفرق بن النسخ والبداء قال : إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار" .[٣]

وقد خالف المختار بمقالته تلك جماهير أهل الإسلام ممن اثبتوا صفة العلم الإلهي ، وتبعه على مقالته تلك فرقة عرفت فيما بعد بالكيسانية ، كما سمي أتباعه بالمختارية نسبة إليه ، وكلا الطائفتين من غلاة الشيعة .[٤]

أما عن كيفية تأثرهِ بالفكر اليهودي فقد كان – وكما يذكر الدكتور سامي النشار – عن طريق يهود اليمن الذين نزحوا إلى الكوفة وسكنوا بها ، يقول الدكتور النشار : وجاء اليهود من

---

[١] لسان الميزان ، جـ ٦ ، ص٦ .

[٢] انظر: المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص٦ ، وَ سير أعلام النبلاء ، جـ ٣ ، ص ٥٤٠ .

[٣] الملل والنحل ، جـ١ ، ص ١٧١ـ ١٧٢ .

[٤] انظر: المرجع السابق ، جـ ١، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

اليمن وكانت في اليمن جالية يهودية كبيرة انتشرت فيها الكيمياء والتنجيم والسحر والطلاسم ووصلوا إلى الكوفة وسكنوا فيها وعاونوا على إشعال التشيع الغالي وعلموا الكثير من رجاله السحر والنيرنجات.[1]

وقد ثبت اتصال الغلاة من الشيعة ولا سيما الكسيانية التي تعد أخطر فرق الشيعة الغالية باليهود لا سيما الذين كانوا بالكوفة على وجه الخصوص ، وتأثرت أشد التأثر بالآراء اليهودية.[2]

وحول الوجود اليهودي في الكوفة ـ مَهْد الكيسانية ـ وغيرها من البلاد الإسلامية يذكر الدكتور أحمد أمين في كتابة "ضحى الإسلام" أن عدد اليهود في المملكة الإسلامية من غير العرب كانوا نحوا ثلاثمائة ألف وكانوا منتشرين على نهر دجلة والفرات وفي جزيرة ابن عمر والموصل وفي الكوفة والبصرة وفي كثير من بلاد فارس .[3]

وقد لعبت السبيئة ـ وهي أصل الغلاة ـ دورا أساسياً في تلك الأفكار التي تبلورت في الفكر الشيعي والتي يهمنا منها في هذا الفصل عقيدة البداء المنافية لصفة العلم الإلهي .

وكان عبدالله بن سبأ رأس السبيئة من يهود صنعاء ، وقد أسلم في عهد عثمان بن عفان ﷺ بقصد الدس على الإسلام والكيد له من الداخل ، ثم أخذ يتنقل في بلاد المسلمين يريد ضلالتهم فبدأ بالحجاز ، ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام ثم أتى مصر وأستقر بها وأخذ يبث سمومه فيها.[4]

أما نقطة الاتصال بين الفكر اليهودي والكيساني والتي مهدت لإنتقال فكرة البداء المنافية لكمال علم الله تبارك وتعالى ، من السابق إلى اللاحق منها كما يذكر الإمام الملطي فقد كانت تتمثل

---

[1] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار ، ط٥ ، ١٩٧١م ، دار المعارف بمصر ، الإسكندرية . جـ١ ، ص ٧٨ .

[2] انظر: المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٥٦ .

[3] انظر: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ، ص ٣٨٣ .

[4] انظر: تاريخ الطبري ، جـ٢ ، ص ٦٣٩ . وَ البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص١٦٧ ــ ١٦٨ .

في أن السبيئة كانوا من أخلص أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنهم هم الذين زينوا له دعوى النبوة فاقتضى ذلك أنه يعلم الغيب فحمله هذا على القول بالبداء وهم الذين حرضوه على النطق بها ويذكر أيضاً أن السبئية كلهم يقولون بالبداء ويرون أن الله تبدو له البداوات . [1]

ولا عجب في ذلك إذا عرفنا أن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان أول من قال – من أهل الإسلام بالبداء على الله تعالى نتيجة اتصاله بالسبئية ، إذ كانت السبئية أول فرقة يهودية تظهر على مسرح أحداث الفكر الإسلامي في ذلك الوقت متبنية أراء وعقائد تعود في اصلها إلى العقيدة والدين اليهوديين ، ومن ثم ومادام المختار هو أول من نادى بتلك العقيدة الفاسدة فلا يمكن إرجاع تأثره اليهودي سوى بأول فرقة ذات أصلٍ يهودي إلتقاها وهي السبئية ، وقد مرت معنا تنقلات إبن سبأ في أنحاء القطر الإسلامي قبل ذلك .

وأما عن سبب قوله بالبداء فيذكر الإمام الشهرستاني أنه إنما صار إلى إختيار القول بالبداء لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال إما بوحي إليه وإما برسالة من قبل الإمام فكان إذا وعدا أصحابه بكون شئ وحدوث حادثة ، فإن وافق كونه قوله ، جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدا لربكم . [2]

ويذكر فان فلوتن[3] في كتابه السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، أن المختار كان يتنبأ بالغيب واضطر حين يظهر أن يقول بالبداء ، وقد كان التنبؤ بالغيب منتشراً في المجتمع الإسلامي وكان واضعو هذه التنبؤات المتشابهة من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ، وبجانب ذلك وُجدت كتب للتكهن والتنبؤ بالغيب وصلت إلى العرب عن طريق اليهود الذين كان يحتفظ بها أنبياؤهم منذ زمن بعيد ولم تكن معروفة عند العرب في بادئ الأمر .[4]

---

[1] انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسن محمد بن أحمد الملطي الشافعي ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، د . ط ، ١٤١٨هـ ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر . ص ١٩ .

[2] انظر: الملل والنحل ، جـ ١ ، ص١٧٢ .

[3] مستشرق لم أعثر له على ترجمة .

[4] انظر: ص١١٢ نقلاً عن كتاب غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ، ص ٤٢٧ .

ولا نحتاج إلى التدليل على يهودية عقيدة البداء المنافية لكمال العلم الإلهي وتمامه ، إذ أن نظرةً فاحصة في نصوص كتاب اليهود المقدس " العهد القديم" تفي بالغرض وزيادة .

وقد عقد الدكتور عبدالله الجميلي مقارنة قيمة حول أوجه التشابه بين نسبة الرافضة البداء إلى الله تعالى وبين ماهو موجود في أسفار اليهود من نسبة الندم والحزن إليه تعالى ، مما يؤكد عودة إحداهما وهي اللاحقة إلى السابقة منهما . وسنعرض للحديث عن تلك المقارنة في موضعها إن شاء الله تعالى .

وعلى هذا فأصل عقيدة البداء الموجودة في التصور الشيعي يرجع إلى كتاب اليهود المقدس والذي حوى وضم هذه العقيدة على اختلاف معانيها ، فمن البداء في الحكم إلى البداء في الإرادة و الأخبار والعلم ، وجميعها كما أسلفنا تستلزم اعتقاد سبق الجهل على الباري تعالى عما يقولون علواً كبيرا .

يقول الشيخ ظهير في سياق حديثه عن البداء في التصور الشيعي : " هذا ما يقوله الشيعة عن الله ويعتقدونه فيه وراثة عن اليهودية البغيضة وناقلة أفكارها الخبيثة من قول اليهود : ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض...فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه " تكوين (٦ / ٥ ـ ٦) ، ومثل هذه الفقرات كثيرة في التوراة واضحة ، تشير إلى أن الله فعل شيئاً ولم يكن ليفعل لو علم في حينه أن نتيجته خلاف ما أراده ، وخفي عليه ما ظهر فيما بعد سبحانه عما يصفون ."[1]

أما الشيخ موسى جار الله فيؤكد على أصل تلك العقيدة وذلك باعتباره أول من قام من المعاصرين ـ كما يقول الدكتور الجميلي ـ بعقد مقارنةٍ بين عقيدة البداء في التصور الشيعي وبين النصوص التي تنافي علم الله تبارك وتعالى الموجودة في كتاب العهد القديم ، فيقول : " فالبداء عقيدة يهودية أتت بها أسفار اليهود ، وكتب العهد العتيق من غير أن يكون فيها مجال لمجاز..ثم أَعَدَّت عقيدة البداء عدوى الوباء من أسفار التوراة بألسنة الأئمة في قلوب الشيعة إلى

---

[1] بين الشيعة و أهل السنة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، لاهور ، ص ١٨٢ .

كتب الشيعة ،فترى عقيدة البداء في أخبار مستفيضة بمبالغات مسرفة شيعية إمامية لا يأتي بمثلها إلا إمام مفوض من عند الله " .[1]

أما بالنسبة لكيفية انتقال هذه العقيدة الفاسدة إلى سائر طوائف الشيعة ، فقد كان نتيجةً لإنتشار التشيع الذي رعاها هي وسائر العقائد التي أسست في المذهب الشيعي- ولم تكن معروفة في صدر الإسلام الأول- منذ البداية ، وبذلك كتب لها الإنتشار و الرواج في كل مكان كان فيه تواجد شيعي .

يقول الدكتور النشار: " ظهر الغلو في التشيع في الكوفة في جنوب العراق ومنها انتشر شرقاً وغرباً".[2]

وإذا أخذنا في الحسبان العامل البيئي نجد أن المهد الذي نشأت فيه عقيدة البداء و ترعرعت، هو المهد الأول الذي تم فيه تحرير مصادرها اليهودية التي انبثقت منها ، فالأسفار والتلمود البابلي إنما كتبا في فترة السبي وما بعدها ، ومعلوم أن السبي البابلي الذي قاده " بختنصر" في ٥٨٦ ق.م[3]، إنما كان إلى أرض بابل- التي هي العراق اليوم - وفيها تم التبلور لمختلف الأفكار و العقائد اليهودية .

ومن ثَمّ فالاشتراك في البيئة و العقيدة يؤكد تأثر اللاحق منهما بالسابق ، ما دامت قد توافرت معطيات ذلك التأثر، وهي هنا عقيدة البداء على وجه الخصوص .

ولقد توالت نقاط الإتصال بين اليهود وبين بعض طوائف الشيعة فيما بعد، ولعل من أهمها الإتصال اليهودي الإسماعيلي ، وإليه يُرجع العلامة الموسوي تاريخ بداية القول بعقيدة البداء

---

[1] الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، ص ١١٣ ـ ١١٤ نقلاً عن بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ، جـ ١ ، ص ٣٣٧ .

[2] نشأة الفكر الفلسفي ، جـ٢ ، ص ٦٦ .

[3] انظر: دائرة المعارف الكتابية ، جـ٤ ، ص ٣٥٠ .

فيذهب إلى أن فكرة البداء إنما ظهرت إبان ظهور الفرقة الإسماعيلية التي أخذت تناهض الشيعة وتخرق وحدتها ، ويستطرد : ولذلك لم نجد لفكرة البداء أثراً حتى أوائل القرن الثالث الهجري، وفي عصر الإمامين العاشر والحادي عشر تحديداً حيث تزامن تبني هذه الفكرة كعقيدة مع تصاعد التيار الإسماعيلي .[1]

فالشيخ الموسوي يعتمد في تاريخه لبداية هذه العقيدة في المذهب الشيعي على عدم وجود أثرٍ لها قبل ذلك ،وهذا يتعارض مع ما ذكره علماء الملل والفرق قديماً — أمثال الشهرستاني وابن حزم وغيرهما — و حديثاً كقول المستشرق فلوتن الذي مر معنا قوله قبل قليل .

إذن فبالاستناد إلى أقوال علماء الملل والفرق نجد أن وجود تلك العقيدة قد كان قبل ذلك التاريخ الذي ذكره الإمام الموسوي بكثير أي بما يزيد على قرن ونيف ، كما أن ما رُوي عن المختار الثقفي من أقواله التي نادى بها يتبين أن الصحيح في تاريخ ظهور تلك العقيدة ماذهب إليه الرأي الأول الذي يرجع تاريخ بداية ظهور تلك العقيدة إلى نهاية القرن الأول الهجري على يد المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي كان أول من نادى بها .

ويمكن الجمع بين الرأيين ربما إذا قلنا بأن الشيخ الموسوي إنما يؤرخ للبداية الفعلية التي دخلت طور الممارسة فلذلك نجد أنه يذكر الإمامين العاشر والحادي عشر ويذهب إلى أن عقيدة البداء قد ظهرت في زمانهما ، وما ذلك إلا لأن مئات الشيعة بل الآلاف منهم منذ وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق وإلى اليوم يكررون هذه الجملة عند زيارة مرقد الإمامين العاشر والحادي عشر في "سرّ من رأى" [2] وينادون : (السلام عليكما يامن بدا لله في شأنكما) وهم _ وكما يذكر الشيخ - الموسوي - يرددونها دون أدنى فقه أو فهم لمعناها[3]. فهذه هي البدايات الفعلية التي دخلت فيها عقيدة البداء طور الممارسة الفعلية ، ومن ثم فلا تعارض بين الرأيين إذا اعتبرنا أن البداية

---

[1] انظر: الشيعة والتصحيح الصراع بين الشيعة والتشيع للدكتور موسى الموسوي ، د. ت ، ١٤٢٣ هـ ، عنوان الرسائل البريدية : المجلس الإسلامي الأعلى بالولايات المتحدة . ص١٤٩ .

[2] مدينة بالعراق ابتناها الخليفة العباسي المعتصم .

[3] انظر: المرجع السابق . ص ١٤٧ .

الحقيقة الأولى كانت في زمن المختار في نهاية القرن الأول الهجري وعلى يديه ، ثم دخلت طور الممارسة الفعلية التطبيقية لتلك العقيدة في أوائل القرن الثالث الهجري بعد موت الإمامين إسماعيل وموسى إبنا جعفر الصادق .

عقيدة البداء بين طوائف الشيعة :

إننا إذا تأملنا في كتب الفرق التي تحدثت عن الشيعة وقولهم بالبداء المنافي لعلم الله تعالى نجدها قد تباينت في نسبة تلك العقيدة إلى طوائف الشيعة المختلفة ،فبينما يقصر الإمام الشهرستاني تلك العقيدة على الغُلاة من الشيعة [1] ، نجد أن هناك من ذهب إلى أن جميع طوائف الشيعة الغالية والمعتدلة قد أخذت بها على السواء باعتبارها إحدى العقائد الكبرى التي تميز المذهب الشيعي عن غيره من المذاهب .[2]

وقد أنكر بعض طوائف الشيعة إعتقادهم بالبداء الذي يستلزم سبق الجهل على الله تعالى ،وذكروا أن البداء الذي يعنونه إنما هو الزيادة في الأرزاق والآجال .[3]

على أن المستتبع لأصول كتبهم التي كتبها أوائلهم ، والتي يعترفون بها إعترافاً يبلغ حد الإجماع يجدها تذكر عقيدة البداء بالمعنى الذي يستلزم نسبة الجهل إلى الله تعالى وذلك من خلال العديد من الروايات التي وضعوها في ذلك السياق ، وبعض تلك الروايات من الصراحة بحيث لا يُشك في المعاني التي وضعت من أجلها ، وربما تلعب التقية دوراً كبيراً في ذلك الإنكار ،ودليلنا على ذلك أمران :

الأول : تصريح أحد أعيان شيوخ الشيعة المعتمدين عندهم وهو أبو القاسم المرتضى .[4]

---

[1] انظر: الملل و النحل ، جـ١ ، ص ٢٠٤ . وَ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ٤٢٦ .

[2] انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٧٣ .

[3] انظر: الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ،ط١٠، ١٤٠٩هـ ، دار التيار الجديد ، بيروت، ص ٥٣.

[4] هو علي بن الحسين بن موسى أبو القاسم المرتضى المتكلم الشاعر الأديب ، كان عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا ، وحاز من العلوم مالم يدانيه فيه أحد ، مات سنة ٤٣٦ هـ كما يذكر الأردبيلي في جامع الرواة جـ١ ، ص ٥٧٥ نقلاً عن بذل المجهود للدكتور الجميلي جـ١ ، ص٣٣١ .

والثاني : ما ذكره الشيخ الموسوي الذي كان من أعيان الشيعة و أكابرهم ـ بعد أن ترك مذهب التشيع و مال إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

أما بالنسبة للأول فلقد صرح بعض أكابر الشيعة ومشايخ مذهبهم المعتمدين أن المراد بعقيدة البداء الموجودة في كتب الشيعة هو معناها الحقيقي الذي يستلزم معه اعتقاد الجهل على الله تعالى، لا المعنى المجازي الذي قال به البعض!!

ومن بين تلك التصريحات ما ذكره أبو القاسم المرتضى حيث قال : " إن البداء على الله محمول على معناه الحقيقي ، ولا يمتنع ألا يعلم الله بعض الأمور المستقبلة قبل وقوعها ".[1]

ونقل عنه الطوسي – شيخ الطائفة عندهم – في كتابه "العدة " بأن قال عند حديثه عن معنى البداء عند الرافضة وأقوال علماءهم فيه :" وذكر سيدنا المرتضى – قدس روحه – وجهاً آخر في ذلك (أي البداء) وهو أن قال : يمكن حمل ذلك على حقيقته بأن يقال : بدا لله بمعنى أنه ظهر له من الأمر مالم يكن ظاهراً له وبدا له من النهي مالم يكن ظاهراً له ،لأنه قبل وجود الأمر و النهي لا يكونان ظاهرين مدركين ، وإنما يعلم أنه يأمر أو ينهى في المستقبل، وأما كونه آمراً و ناهياً ، فلا يصح أن يعلمه إلا إذا وجد الأمر والنهي وجرى ذلك مجرى الوجهين المذكورين في قوله تعالى :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ ﴾ محمد (٤٧) . بأن تحمله على أن المراد : حتى نعلم جهادكم موجودا ؛ لأنه قبل وجود الجهاد لا يعلم الجهاد موجودا ، وإنما يعلم ذلك بعد حصوله ، فكذلك القول في البداء . وهذا وجهٌ حسنٌ جدا ".[2]

---

[1] بذل المجهود ، جـ ١ ، ص ٣٣٠ .

[2] انظر: مجمع البحرين جـ١، ص٤٧ . وَ حاشية تفسير القمي الطيب الموسوي الجزائري جـ١ ، ص٣٩ . وَحق اليقين في معرفة أصول الدين ، جـ١ ، ص٧٧ نقلاً عن كتاب بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود للدكتور عبد الله الجميلي . جـ١ ، ص ٣٣٠ .

وقول المرتضى يرد على ما ذهب إليه محمد رضا المظفر حيث يقول في سياق حديثه عن البداء عند الشيعة : "...وحاشا فرق الإمامية ـ بل وسائر فرق الإسلام ـ من هذه المقالة التي هي عين الجهالة بل الضلالة " .

ويستطرد : " أما البداء الذي تقول به الشيعة والذي هو من أسرار آل محمد ﷺ وغامض علومهم...فهو عبارة عن إظهار الله جل شأنه أمراً يُرسم في ألواح المحو و الإثبات و ربما يطلع عليه بعض الملائكة المقربين ، أو أحد الأنبياء المرسلين فيخبر الملك به أو النبي به أمته ثم يقع بعد ذلك خلافه لأنه جل شأنه محاه وأوجد في الخارج غيره " . [1]

على أن هناك ما يجدر ذكره ويتعلق بما ذكره من إطلاع الملائكة أو الرسل على مافي تلك الألواح التي يكون فيها المحو ، فنقول بأن الإستدلال على عقيدة البداء بهذا الطريق باطل ، لأن إطلاع الملك أو النبي على مافي ذلك اللوح من العلم لا يعدو أن يكون اطلاعاً بإذنٍ منه تعالى أو إطلاعٌ بغير إذن . فأما الأول فلا يسوغ القول به لأن ذلك مما لايليق به عزوجل لأن القول بأنه أذن لهم في الإطلاع ثم محاه بعد ذلك موجبٌ لاعتقاد أنه تعالى ـ وحاشاه عزوجل ـ أراد إظهار أوليائه من الملائكة أو النبيين بمظهر الكذبة والمفترين عليه أمام أممهم ، لأنه علم أنه سيمحوه ومع ذلك أذن لهم بالاطلاع عليه ، فهذا مما لايليق به تعالى أن يكذب رسله ويخذلهم .

وإما أن يكون اطلاعهم بغير إذنٍ منه فهذا أيضاً مما لايليق اعتقاده في حق أولياء الله تعالى من النبيين والملائكة المقربين ، فضلاً عن القول بإخبارهم وإشاعتهم لما رأوه في ذلك اللوح من العلم ، لأن ذلك محض تعدٍ على سلطانه تعالى ، وهم لايفعلون ذلك البته ، كيف وقد امتدحهم وأثنى عليهم في محكم تنزيله بأنهم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد أخبر جل شأنه ممتدحاً نبيه ﷺ بقوله :﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ النجم (١٧) . فكيف يُعتقد فيمن هذه صفتهم مثل ذلك ؟ فهذا مالا يمكن القول به ، ومن ثم بطلت الحجة بهذا الطريق .

---

[1] أصل الشيعة وأصولها ، لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ص ٣١٣ .

بل إن هذا القول يرسخ مفهوم البداء الذي أراد الخروج منه لأن سياق قوله يُفهم منه أنهم إنما اطلعوا دون علمٍ منه تعالى ، وهذا هو البداء بعينه أن يخفى عليه ـ وحاشاه تعالى ـ اطلاعهم على مافي اللوح من العلم .

كما أن عبارته " وأوجد في الخارج غيره " ، تفيد الحدوث لأنه لا تطابق بين ماهو مكتوب في اللوح وبين ماقد وجد فعلا في الخارج وفق كلامه ، فهنا تناقض بينهما ، لأن الواجب ألا يقع التناقض بين ماجرى به القلم أزلاً وفق عِلمه السابق تعالى وبين مايقع في الخارج مما يُعد ظهوراً لذلك المكتوب لا تغايراً معه . وعلى هذا فالقول بالتناقض بينهما يُعد منافاة ومناقضة للعلم الإلهي.

وأما الدليل الثاني وهو ما صرح به الشيخ الموسوي بعد تخليه عن تلك العقائد حيث فضح ما ذهبت إليه طوائف الشيعة من التفريق بين معاني البداء التي يعتقدونها، فقال : "...كما أن بعض أعلام الشيعة وجد الحل للخروج من مأزق البداء بالتفصيل بين النسخ التشريعي و النسخ التكويني، وقال إن البداء هو النسخ في التكوين ، ولست أدري أن الذين كتبوا في البداء هل وجدوا في الآية الكريمة : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾الرعد (٣٩) . حلاً لتلك المعضلة إن كانت معضلة ؟ [١] فالأمر لايعدو كونه تقيةً .

وهذا يؤيده ما ذهب إليه الموسوي من أن تأويلات من حاول تأويل معنى تلك العقيدة الضالة ليست إلا من قبيل الوهم و السفسطة . [٢]

و بصدد أهمية عقيدة البداء عند الشيعة قاطبة ، يقول الدكتور الجميلي : "...وعقيدة البداء محل إجماع علماء الرافضة ، وقد نقل إجماعهم شيخهم الكبير " المفيد " في كتابه أوائل المقالات ، وصرح بمخالفة الرافضة في هذه العقيدة لسائر الفرق الإسلامية ". [٣]

---

[١] الشيعة والتصحيح ، ص ١٥٠ .

[٢] انظر: نفس المرجع ونفس الصفحة .

[٣] بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ، جـ١ ، ص ٣٢٤ .

ويقول أيضاً : " وهذه العقيدة لم ينكرها أحد من علماء الرافضة ، وذلك لكثرة الروايات التي دلت عليها و استفاضتها في كتبهم ، وإنما حاول بعضهم أن يؤول معنى (البداء) على غير معناه المعروف في اللغة لما رأوا تشنيع المسلمين عليهم في هذه العقيدة الفاسدة ، فقالوا إن إطلاق لفظ البداء على الله لا يستلزم الجهل وأن البداء في التكوين كالنسخ في التشريع ".[1]

أهمية عقيدة البداء في الفكر الشيعي :

تكمن أهمية عقيدة البداء لدى الشيعة في كونها تمثل جوهراً أساسياً في العقائد شأنها في ذلك شأن سائر العقائد التي لا يتم إيمان المرء الشيعي و إماميته إلا بها [2] ، ونصوصهم أبرز شاهدٍ على ذلك .

وتأتي عقيدة البداء في المرتبة الثالثة من بين جملة العقائد المتفق عليها عند طوائف الشيعة ، والتي انفردوا بها عن سائر الفرق الإسلامية [3]. وقد امتلأت كتب الأصول الشيعية بأقوال علمائهم و مشايخهم التي حاولوا بها تقرير تلك العقيدة بجعلها أصلاً من أصول العقائد في المذهب الشيعي.

ومن بين تلك الكتب أربعة كتبٍ في الأصول ، وهي الكتب التي يذكر أحد الشيعة المعاصرين أنها بمثابة كتب الصحاح عند أهل السنة ، وهي : الكافي للكليني ، ومن لا يحضره الفقيه للقُمِّي ، والإستبصار وكتاب التهذيب للطوسي .

وفيما يلي سنسوق جملةً من تلك النصوص مستشهدين بما ورد في كتبهم ، فمن ذلك ، ما ورد في كتاب أصول الكافي للكليني في كتاب التوحيد باب (البداء) ، فمما جاء فيه :

(١) عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليه السلام : " ما عُبد الله بشيء مثل البداء " . [4]

---

[1] انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

[2] انظر: الشيعة في الميزان ، ص ٤٣٥ .

[3] انظر: بذل المجهود ، جـ ١ ، ص٣٢٤ .

[4] جـ ١ ، ص ١٤٦ .

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام : " ما عُظِّم الله بمثل البداء" . [1]

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام :" ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار له بالعبودية ، وخلع الأنداد ، وأن الله يقدم ما يشاء و يؤخر ماشاء ".

(٤) عن مالك الجهني قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " لو علم الناس مافي القول بالبداء ما فتروا عن الكلام فيه ".

(٥) عن الريان بن الصلت قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : " ما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم الخمر ، و أن يقر لله بالبداء ". [2]

(٦) روى العياشي في تفسيره : عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام : (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) قال :" كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة ثم بدا لله فزاد عشراً فتم ميقات ربه الأول و الآخر ، أربعين ليلة ". [3]

(٧) روى الكليني بسنده إلى أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالا : " إن الناس لما كذبوا برسول الله ﷺ هم الله تبارك وتعالى بهلاك أهل الأرض إلا عليا فما سواه بقوله :﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ الذاريات (٥٤) . ثم بدا له فرحم المؤمنين ،ثم قال لنبيه ﷺ :﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذاريات (٥٥) .[4]

(٨) ومن ذلك أيضاً ما روي عن جعفر الصادق أنه قال : " ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل إبني " . وقد فسر الصدوق هذه الرواية بقوله :" أما قوله :"مابدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني" ، فإنه يقول : ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه في حياتي " . [5]

(٩) عن جعفر الصادق أنه قال في موت ابنه : " كان القتل قد كتب على إسماعيل مرتين ، فسألت الله في دفعه فدفعه " . [6]

---

[1] جـ ١ ، ص ١٤٦ .

[2] جـ ١ ، ص ١٤٨ .

[3] بذل المجهود ، جـ ١ ، ٣٢٥ .

[4] المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٦ .

[5] المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

[6] المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ .

(١٠) روى الكليني عن علي ابن محمد عن إسحاق بن محمد عن أبي هاشم الجعفري قال : " كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد ما مضى ابنه أبو جعفر و إني لأفكر في نفسي ، أريد أن أقول كأنهما أعني : أبا جعفر ، وأبا محمد ، في هذا الوقت كأبي الحسن موسى و إسماعيل ابني جعفر بن محمد عليهم السلام .

فأقبل علي أبو الحسن قبل أن أنطق فقال : " نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام ، مالم يكن يعرف له ، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله ، وهو كما حدثتك نفسك ، وإن كره المبطلون و أبو محمد ابني الخلف من بعدي ، عنده علم ما يحتاج إليه..." . [1]

(١١) روى النعماني و الطوسي عن أبي حمزة الثمالي قال : " سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول : يا ثابت إن الله كان قد وقت هذا الأمر- أي خروج المهدي - في سنة السبعين ، فلما قُتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله تعالى فأخره إلى أربعين و مائة ، فلما حدثناكم بذلك أذعتم و كشفتم قناع الستر ، فلم يجعل الله لهذا الأمر بعد ذلك عندنا وقتاً يمحو ما يشاء ويثبت و عنده أم الكتاب . قال أبو حمزة : فحدثت بذلك أبا عبد الله الصادق عليه السلام فقال : قد كان ذلك " .
ويروي النعماني عن إسحاق بن عمار قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام :" يا أبا إسحاق إن هذا الأمر قد أخر مرتين " . [2]

قال الطوسي معلقاً على روايات التأخير :" فالوجه في هذه الأخبار أن نقول — إن صحت — إنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقت هذا الأمر في وقت من الأوقات التي ذكرت ، فلما تجدد ما تجدد تغيرت المصلحة ، واقتضت تأخيره إلى وقت آخر وكذلك فيما بعد ، ويكون الوقت الأول، وكل وقت يجوز أن يؤخر مشروطاً بألا يتجدد ما تقتضي المصلحة تأخيره إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيره شيء ، فيكون محتوما ". [3]

---

[1] الأصول من الكافي ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ .

[2] بذل المجهود ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ .

[3] المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

فمن هذه الروايات وغيرها يتبين لنا أن طوائف الشيعة حقيقة قد اعتقدت البداء على الله تعالى وليس هذا فحسب و إنما جعلتها عقيدة ملزمة ، واستفرغوا جهدهم لأن يؤصلوا لها – تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا – ويثبتوا أنها كانت مسلمة لدى جميع الأمم السابقة بما في ذلك أنبيائهم و رسلهم ، فمن ذلك مايروونه عن نبي الله لوط ﷺ من أمر مراجعته الملائكة للتعجيل بإهلاك قومه فمما يذكرونه منسوباً إلى محمد الباقر قوله في سياق كلامه عن قوم لوط :

قال لهم لوط : يا رسل ربي فما أمركم ربي فيهم ؟

قالوا : أمرنا أن نأخذهم بالسحر .

قال : فلي إليكم حاجة .

قال : تأخذونهم الساعة ، فإني أخاف أن يبدو لربي فيهم .

قالوا : يا لوط ، إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ؟ [1]

فهذا القول المنسوب إلى لوط ﷺ لا يصح أبداً ، لأنه لا يُتصور أن يرد في أقوال الأنبياء — وهم أعلم بالله — أمراً ينافي أي صفة من صفات الألوهية أو ينافي تنزيههم لها .

ثم الصورة التي يصورها النص من الفساد بحيث يمكن القطع بكون هذه الرواية وأمثالها مما هو مكذوب على الأنبياء الذين ارتضاهم ربهم لحمل رسالته واصطفاهم واختارهم ، إذ يصور النص لوطاً ﷺ بموضع المعارض لأمر الله وحكمه ، فكيف يأمر الله تعالى بأخذهم بالسحر ، ثم يطلب منهم أن يأخذوهم في تلك الساعة !! والله تعالى يقول : ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ ﴾ الرعد(٤١) .

فكأن لوطاً ﷺ أعلم بهم وبحالهم من الله تعالى ، إذ خوفه من أن يغفر الله لهم — على سبيل المثال ونقول ذلك على سبيل الإفحام — يفيدنا معنىً بأنه يعلم من حال قومه أن هؤلاء القوم لا تصلحهم التوبة ولا يقومهم الغفران ، فكأن الله تعالى بتوبته عليهم — إن تاب عليهم – فعل ما يفسدهم ولا يصلحهم تعالى علواً كبيرا .

---

[1] انظر: بين الشيعة وأهل السنة ، ص١٨٠ .

فهنا مكمن الخطر في تلك العقيدة الضالة التي ليس لها مستند سوى ماهو مسطور في كتاب العهد القديم ، ولذلك فطن أحد أعلام الشيعة لتلك الخطورة العقدية والتي تعد تعدياً على ذات المولى تبارك وتعالى في أخص صفاته وهي صفة العلم المحيط بكل شيء . فلما فطن رحمه الله تعالى إلى ذلك دعا قومه إلى التصحيح ونبذ تلك العقائد الفاسدة المنحرفة في كتابه الفريد " الشيعة والتصحيح" .

يقول الشيخ الموسوي – رحمه الله – موضحاً سبب قول الشيعة بها :" لقد التجأ بعض أعلام الشيعة إلى البداء حتى يثبتوا تغيير مسار الإمامة من إسماعيل إلى موسى بن جعفر في حين أن الإمامة وانتقالها من كابر إلى كابر وبالصورة التي رسمتها الشيعة قبل عهد الصراع بين الشيعة والتشيع لم تكن بحاجة إلى القول بالبداء وتغيير الإرادة الإلهية ".[1]

ويقول أيضاً :"...وبما أن الشيعة تبنت فكرة الإمامة الإلهية بالصورة نفسها فلكي تخرج من هذا المأزق قالت بفكرة البداء لكي تلقي مسئولية انتقال الإمامة من إسماعيل بن جعفر إلى موسى بن جعفر على الله وليس على الإمام الصادق " . [2]

في حين يذكر النوبختي [3] قول سليمان بن جرير صاحب السليمانية والذي عاب على طوائف الشيعة قولهم بالبداء ، فيقول : "...وهو الذي قال لأصحابه بهذا السبب إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذبٍ أبداً وهما القول بالبداء وإجازة التقية . فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ويكون والأخبار بما يكون في غد ، وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا فإن جاء ذلك الشيء على ماقالوه ، قالوا ألم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عزوجل

---

[1] انظر: الشيعة والتصحيح للعلامة الموسوي ، ص ١٤٩ .

[2] انظر: المرجع السابق نفس الصفحة .

[3] أبو الحسن بن موسى النوبختي الشيعي المتفلسف صاحب التصانيف ، له كتاب الآراء والديانات ، وكتاب الرد على التناسخية وهذا الكتاب الذي بين أيدينا وغيرهم . سير أعلام النبلاء ، جـ ١٥ ، ص ٣٢٧ .

ما علمته الأنبياء وبيننا وبين الله عزوجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ماعلمت، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا أنه يكون على ما قالوا ، قالوا لشيعتهم بدا لله في ذلك بكونه.[1]

ويمكننا القول بأن الشيعة حتى من جنح منهم إلى نفي تلك العقيدة جميعهم يؤمنون بعقيدة البداء وفق المعنى الذي يفيد اعتقاد البداء عليه سبحانه وتعالى وذلك لأن ضرورة مذهبهم تقتضي ذلك ، فلو لم يؤمنوا بها ويعتقدوها حقيقة لانهدم أصل الإمامة عندهم ، وفي هدم هذا الأصل إلغاءٌ للمذهب برمته ، حيث أن الإمامة عندهم تحتل المرتبة الأولى من بين الأصول التي نادى بها الشيعة، بل هي الأصل الذي شطر العالم الإسلامي إلى شيعة و سنة في القرن الأول ثم تتابعت بعد ذلك تطورات المذهب إلى أن تبلور إلى ماهو عليه .

وهنا تكمن أهمية تلك العقيدة في التصور الشيعي ، وسواء علم بعض من الشيعة خطورتها الكامنة وراء الانتقاص من العلم الإلهي أم لم يعلموا ، فقد وضعت فيها الأحاديث وأُصل لها على مختلف العصور إلى أن أصبحت عقيدة راسخة يظن كثيرون أنها قد خرجت من مشكاة النبوة والوحي الإلهي .

ويؤيد جهل الكثير بحقيقة هذه العقيدة ما ذكره الشيخ الموسوي في دعوته الشيعة للتصحيح: " لقد قلنا ونؤكد أن القواعد الشيعية لن تواجه مشكلة فكرية باسم البداء — وحتى مع قراءتها للجملة التي أشرنا إليها ، فهي تمر عليها مر الكرام و لا تعيرها اهتماماً — لما فيها من إبهام وغموض ، ولكن الذي لا شك فيه أن الفكرة وردت في أكثر من مكان والشيعة تتداول العبارة في كل صباح ومساء عندما تذهب للسلام على الإمامين..." .[2]

---

[1] فرق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي ، د . ط ، ١٤٠٤ هـ ، دار الأضواء ، بيروت ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

[2] انظر: الشيعة والتصحيح ، ص١٥٠ .

إذن فالجهل بحقيقة تلك العقيدة وخطورتها لكثير من طوائف الشيعة ، ربما يمكن القول بأنه سبب الانتشار الواسع والاستمرارية لتلك العقيدة في ظل عدم وجود النكير عليها . وننتهي إلى القول بأن :

ـ اعتقاد الشيعة للبداء هو اعتقاد حقيقي .

ـ أن الشيعة حيال تلك العقيدة قسمين :

أ) إما جاهل لم يعلم من معناها سوى مجرد الإسم فحسب

ب) وإما عالم علم أن في عدم إعتقادها ضرباً لأساس المذهب فلم ينكر، بل عمل على التأصيل لها .

أوجه التشابه بين نسبة اليهود الندم والحزن المفض إلى اعتقاد البداء على الله تعالى وبين نسبة الشيعة البداء إلى الله تعالى :

لقد ذكرنا فيما سبق أن الدكتور الجميلي كان قد عقد مقارنة حول أوجه التشابه بين نسبة اليهود الندم إلى الله تعالى وبين نسبة الرافضة البداء لله تعالى ، وانتهى إلى ثلاثة نتائج في ذلك :

أولاً : التشابه في التسمية .

ثانياً : التشابه في النصوص .

ثالثاً : التشابه في المضمون . [١]

فأما بالنسبة للتشابه في التسمية ، فقد ذكر قولاً مفاده : أن من تأمل في معاني الندم و البداء والتأسف على فعلٍ ما واستجداد الرأي في أمر ما أو ظهوره في موضوع معين ، يظهر له ما بينهما من التقارب ، إذ أن من عُرضت له هذه الصفات السابقة لابد أن يمر بمرحلتين [٢] . وقد مر معنا ذكرهما .

إذن فبينهما من الإشتراك في المعنى مالا يخفى ، وكما أسلفنا أن الجامع بين كل تلك المعاني هو تجويز ورود الجهل عليه تعالى في وقتٍ من الأوقات ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ـ .

---

[١] بذل المجهود ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ .

[٢] انظر : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٤.

أما الوجه الثاني : فهو التشابه في النصوص :

يذكر الدكتور الجميلي أن التشابه الكبير في النصوص إلى درجة الإتفاق أحياناً في ذكر بعض الحوادث يدل دلالة قاطعة على أن أصل فكرة البداء عند الرافضة قد أخذت من أسفار اليهود ، فمن ذلك :

١) يعتقد اليهود أن الله أراد إهلاك بني إسرائيل ، وبينما الملك يهلك ندم الله تعالى على ذلك ، وأمر الملك المكلف بالكف عن الإهلاك .

ويعتقد الرافضة أن الله أراد أن يهلك الناس في زمن النبي ﷺ ثم مالبث أن بدا له فرجع عن الإهلاك .

٢) يعتقد اليهود أن صفة الندم لاتنفك عن الله تعالى فهو يندم دائماً على الشر .

ويعتقد الرافضة أن الله اشترط لنفسه البداء و أن يقدم ما يشاء و يؤخر .

٣) يعتقد اليهود أن الله تعالى نصب شاول ملكاً على بني إسرائيل ثم ندم و تأسف على ذلك .

ويعتقد الرافضة أن الله قد عين إسماعيل بن جعفر و أبا جعفر محمد بن علي إمامين للرافضة ثم بدا له فغيرهما .[1]

٤) يعتقد اليهود أن في إطلاق صفة الندم على الله تعالى مدحاً وتعظيماً له تعالى . جاء في أسفارهم : " إن ربكم رؤوف رحيم يندم على الشر " .

ويعتقد الرافضة أن في إطلاق صفة البداء على الله تعالى مدحاً وتعظيماً وعبادة له تعالى ، فقالوا : "ماعُبد الله بشيء مثل البداء " ، " ما عظم الله بمثل البداء " .[2]

أما بالنسبة للوجه الثالث وهو التشابه في المضمون فيذكر أن ما ينسبه اليهود من الندم والحزن والأسف إلى الله تعالى ، وما ينسبه الرافضة إليه تعالى من البداء يفضي في النهاية إلى نتيجةٍ

---

[1] المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ .

[2] المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

واحدة وهي نسبة الجهل لله تعالى وأن الله لا يعلم المصالح إلا بعد حدوث الحوادث وأن الأمور المستقبلة لا تدخل تحت علم الله وقدرته [1] ـ وهذا ما قررناه سابقاً ـ .

ونخلص من ذلك كله إلى أن عقيدة البداء الموجودة في التصور الشيعي تتنافى تماما مع الآيات الكريمة الدالة على سابق وعموم وشمول علم الله تبارك وتعالى ، كما تتنافى مع تقدير الله تعالى للخلق قبل خلقه لأن تقديره تعالى مبنيٌ على سابق علمه تعالى ، كما تتنافى مع الآيات الدالة على حكمته عزوجل لأنها مقتضى علمه السابق بما يصلح الخلق وتتنافى أيضا مع عدله الإلهي لأنه دال على كمال علمه الإلهي وتمامه وشموله ، وذلك كما في الحديث الذي يرويه أبوذرﷺ من أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان ؟ قال لا ، قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما [2]. وغير ذلك من الأحاديث الشريفة الدالة على هذا المعنى.

ففي القول بعقيدة البداء دفعٌ لجميع تلك الآيات الكريمة التي تقرر كمال علمه تعالى وإحاطته وسبقه وشموله ، كما أن في القول بها كذلك دفعٌ للآيات التي تُقرر حكمته عزوجل ، وفيه أيضاً تجويزٌ لاعتقاد الظلم عليه تعالى ، وقد قال عن ذاته القدسية في الحديث القدسي :
(ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) [3]، وكل ذلك محالٌ وممتنعٌ عليه عزوجل ، فهو العليم الحكيم العدل الخبير تعالى عما يقولون علواً كبيرا .

الشيعة وصفة العلم الإلهي :

لم يتوقف أمر التصور الشيعي لصفة العلم الإلهي عند قول الشيعة بالبداء فحسب و إنما حُكيت عنهم أراء أخرى صريحة منافية لعلم الله تبارك وتعالى .

---

[1] المرجع السابق نفس الجزء ، ص ٣٣٦.

[2] سبق تخريجه ص٣١٢ .

[3] سبق تخريجه ص١٢٠ .

فمن ذلك ما يذكره بعض أصحاب الفرق ، أمثال الإمام الأشعري في مقالاته والإسفراييني صاحب كتاب التبصير في الدين وبيان الفرقة الناجية وغيرهما .

وابتداء ننقل ما ذكره الإمام الأشعري في مقالاته حيث قال : " واختلفت الروافض في القول بأن الله سبحانه عالم..." ثم ساق جملة من الأقوال التي نادى بها بعض أصحاب تلك الفرق ، والتي لم تخل من المنافاة لعلمه تعالى .

فيذكر أن من بين تلك الفرق المختلفة ، فرقة يقال لهم "الزرارية" نسبةً إلى "زرارة بن أعين الرافضي" [1]، وهم يذهبون إلى أن الله لم يزل غير" عليم" حتى خلق لنفسه علماً.[2]

ويقتضي قولهم ذلك ، القول بأن الله – وحاشاه تعالى – قد كان غير عالمٍ في وقت من الأوقات حتى خلق لنفسه ذلك العلم . ومعلوم مافي ذلك القول من المنافاة لعلمه عزوجل ، وذلك لنسبة الجهل إليه تعالى قبل أن يخلق لنفسه ذلك العلم على زعمهم .

كما أن قولهم هذا يفيد معنى حدوث علمه عزوجل وبالتالي اعتقاد قيام الحوادث به –تعالى علواً – وفي ذلك من تجويز النقص والبداء إليه تعالى مالا يخفى .

يقول صاحب التبصير في الدين : الزرارية من الروافض أتباع زرارة بن أعين ، زعموا أن علمه كعلمهم (أي كعلم الخلق) ، وزعموا أنها كلها حادثة مثل صفات الأجسام . [3]

---

[1] زرارة بن أعين الكوفي أخو حمران يترفض ، روى عن جعفر الباقر ولم يلقه ، وقيل أنه رجع عن التشيع في آخر عمره . لسان الميزان ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

[2] جـ ١ ، ص ١١١ .

[3] انظر: التبصير في الدين ، ص ١٢١ .

وأما الفرقة الثانية فلم يسمهم الإمام الأشعري وإنما ذكر قولهم في العلم وحسب . فهم يقولون أن الله عزوجل لا يُوصف بأنه لم يزل إلهاً عالماً ، حتى يحدث الأشياء لأن الأشياء قبل أن تكون ليست بشيء ، ولذلك فلا يجوز أن يتعلق علمه بلا شيء . [1]

والفرقة الثالثة هم أصحاب" شيطان الطاق" ، نسبة إلى أبي جعفر محمد بن نعمان الأحول[2]، وهم يقولون بأن الله عالم في نفسه ليس بجاهل ، وأنه لا يعلم الأشياء إلا إذا قدرها وأرادها ، أما قبل أن يقدرها ويريدها فمحال أن يعلمها لا لأنه ليس بعالم ، وإنما لأن الأشياء لاتكون أشياء إلا بالتقدير الذي هو بمعنى الإرادة عندهم .[3]

وقد شابهت مقالتهم تلك مقالة الفرقة الثانية الذين امتنعوا عن تسمية الأشياء شيئاً مالم تكن، ومن ثم فلا يجوز أن يتعلق علمه تعالى بلا شيء .

وفي هذا القول أيضاً منافاة لعلمه تعالى بنسبة الجهل إليه سبحانه بالأشياء – قبل تقديرها أو إرادتها – على أصلهم . يقول صاحب التبصير :" الشيطانية زعموا أن الله لا يعلم الشيء قبل أن يكون حتى يكون ، وأن علمه محدث كعلوم العباد ".[4]

وأما الفرقة الرابعة فهم أصحاب هشام بن الحكم [5]، الذي قال بحدوث علم الباري تعالى

---

[1] انظر: مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ص١١١ .

[2] محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي الملقب بشيطان الطاق نسبة إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة من رؤوس الرافضة قيل ان هشام بن الحكم شيخ الرافضة لما بلغة أنهم لقبه شيطن الطاق سماه هو مؤمن الطاق . انظر: لسان الميزان ، جـ٥ ، ص٣٠٠، وَ الوافي بالوفيات جـ ١٦، ص١٢٨.

[3] انظر: مقالات الإسلاميين ،جـ١ ، ص ١١١ – ١١٢ .

[4] التبصير في الدين ، ص ١٢١ .

[5] يقول الذهبي : المتكلم البارع هشام بن الحكم الكوفي الرافضي المشبه ، له نظر وجدل وتواليف كثيرة. وقال صاحب اللسان: هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني ،من أهل الكوفة سكن بغداد وكان من كبار=

وذلك حين ذهب إلى أنه من المحال أن يكون الله لم يزل عالماً بالأشياء بنفسه ، وأنه إنما يعلم الأشياء بعد أن لم يكن عالماً بها لأنه لا يصح عالم إلا بمعلوم موجود . [1]

ويظهر الأثر المريسي في فكر هشام في قوله بأن العلم صفة له لاهي هو ولا غيره ولابعضه ، وكذلك الأثر الجهمي في قوله بأنه يجوز أن يُقال العلم محدث لأنه لا عالم إلا بمعلوم موجود . [2]

يقول صاحب المنتقى من منهاج الإعتدال : حُكي عن داود الرافضي [3] أنه قال :" معبودي جسم ودم وله جوارح حتى قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى حتى رمد "، فيقال هذا بعينه قول هشام بن الحكم الرافضي كما قدمنا، نقله الناقلون للمقالات عنه مثل أبي عيسى الوراق وزرقان وابن حزم والشهرستاني" .[4]

وهنا نلمح الأصول اليهودية لفكر داود وهشام بن الحكم الرافضيين ، خصوصاً في هذا النص الذي فيه فرية الندم و البكاء والرمد المنسوبة إلى الله تعالى عما يقولون علواً كبيرا، فهذا النص يرجع بأصله إلى النص التلمودي القائل بأن الله بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وأنه عادته الملائكة [5]– تعالى عما يقولون علواً كبيرا – وهذا تأثر باليهودية أدى أو ساعد على ترسيخ عقيدة البداء على الله تعالى في التصور الشيعي ؛ هذا من جانب .

=الرافضة ومشاهيرهم ، وكان مجسماً وعارفاً بصناعة الكلام . مات بعد نكبة البرامكة ، ويُقال عاش إلى خلافة المأمون . سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٥٤٣ ، لسان الميزان ، جـ ٦ ، ص ١٩٤ .

[1] انظر: مقالات الإسلاميين ، جـ ١، ص ١١٢ .

[2] المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

[3] داود الجواربي رأس في الرافضة والتجسيم ، قال أبو بكر بن عوف سمعت يزيد بن هارون يقول الجواربي والمريسي كافران ، كان يزعم أن معبوده لحم ودم على صورة الإنسان . لسان الميزان ، جـ ٢ ، ص ٤٢٧ .

[4] لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ص ٩٣ ــ ٩٥ .

[5] الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٢١ ، ٢٥٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : علي سيد صبح المدني ، د. ط ، د . ت ، مطبعة المدني ، مصر ، جـ ٤ ، ص ٤٥٦.

ومن جانب آخر فقد حكى الجاحظ [1] عن هشامٍ هذا أنه كان يزعم أن الله جل وعز إنما يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه الذاهب في عمق الأرض ، ولولا ملامسته لما وراء ما هناك لما درى ما هناك [2] — تعالى الله علواً كبيراً —

وقد جوزت بعض فرق الرافضة وقوع النسخ في أخبار الله تعالى ، وهذا قول أكثر أوائلهم وأسلافهم كما يذكر الإمام الأشعري . [3]

أما ما يتعلق بقضية خلق القرآن فيذكر الإمام الأشعري أن بعض الروافض يقولون أن القرآن محدث مخلوق لم يكن ثم كان .[4]

وحكى زرقان عن هشام بن الحكم أنه قال أن القرآن فعل الله مثل العلم والحركة [5] . وبهذا أثبت الحدوث للقرآن وبالتالي حدوث العلم لأن كل فعل محدث .

وفيما يتعلق بالقدر فقد ذهبت طائفة منهم إلى أن أفعال العباد غير مخلوقة لله [6] وفي هذا القول منافاةٌ للعلم كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك .

---

[1] عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ صاحب التصانيف كان من أئمة البدع له تصانيف مشهورة. قال المبرد ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة وذكر منهم الجاحظ . انظر: لسان الميزان جـ٤، ص٣٥٦. وتاريخ بغداد لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، د.ط ، د.ت ، دار الكتب العلمية، بيروت .

[2] انظر: مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ١٠٨ . وَ بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط١، ١٣٩٢هـ ، مطبعة الحكمة ، مكة المكرمة ، جـ١ ، ص ٤١٤ .

[3] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

[4] المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١١٤ .

[5] نفس المرجع والجزء والصفحة .

[6] نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١١٥ .

وذهب البعض إلى أن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون إلا أعمال العباد فإنه لايعلمها إلا في حال كونها ، لأنه لوكان عالماً بما يفعله عباده لم تصح المحنة و الإختبار . [1]

ومما سبق نخلص إلى أن فرق الشيعة قد ناقضت العلم الإلهي بما اعتقدته في حق الخالق جل وعلا متأثرةً في ذلك باليهودية وبما في كتب اليهود من صور منافية للعلم الإلهي .

كما يمكن القول بأن المنافاة الشيعية لعلم الرب جل وعلا قد ترددت طرقها بين القول بالبداء ووجوب اعتقاده تارةً ، وبين نفي العلم صراحةً كما حُكي عن بعض رؤوسهم وكبار مشايخهم وبين القول بخلق القرآن وبين إنكار القدر تارةً أخرى ، وبذلك يمكن القول بأن فرقة الشيعة تأتي في مقدمة الفرق الإسلامية من حيث :

١) تأثرها باليهودية في العلم الإلهي وبالتالي :

٢) نفيها لصفة العلم الإلهي بعدم إعتبارها صفة وجودية أزلية قائمة به عزوجل .

---

[1] نفس المرجع ، جـ ١ ، ص١١٢ ، ١١٣ ، ٢٩٢ .

الفصل الثاني

أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على الفرق الإسلامية

الفصل الثاني

أثر عقيدة اليهود في العلم الإلهي على الفرق الإسلامية

أولاً : الخوارج :

التعريف بهم :

هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ حين جرى أمر التحكيم ، وقد قاتلهم علي ﷺ بالنهروان مقاتلة شديدة و انتصر عليهم . [1]

وهم فرقٌ كثيرة كالمحكمة الأولى و الأزارقة و النجدات و الصفارية و العجاردة و الأباضية و اليزيدية و غيرهم [2] ، كما أن لهم أسماء كثيرة . [3]

ويجمعهم تكفير علي و عثمان رضي الله عنهما و أصحاب الجمل و الحكمين و من صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم .[4]

آراء الخوارج في صفة العلم الإلهي :

على الرغم من إسهام السبئية في قيام حركة الخوارج [5] إلا أن ظهور ذلك الأثر اليهودي في جانب العقيدة ـ و خاصة ما يتعلق بصفة العلم الإلهي ـ قد تأخر إلى ما بعد ظهور مقالة جهم بن صفوان، و تجلى ذلك بوضوح في قضيتي نفي الصفات ومنها العلم الإلهي و القول بخلق القرآن .

---

[1] الملل و النحل ، جـ ١ ، ص١٣٣ .

[2] انظر : الفرق بين الفرق ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

[3] انظر : مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٠٧ .

[4] الفرق بين الفرق ، ص ٥٦ .

[5] الخوارج في العصر الأموي للدكتور نايف معروف ، ص ٥٥ ـ ٥٩ .

أولاً : قضية نفي الصفات :

لقد ظهر تأثرت طائفة الخوارج بالفكر الجهمي بصورة جلية من خلال القول بنفي الصفات ومنه صفة العلم الإلهي ، و مما يدلنا على نفيهم للصفات قول الإمام الأشعري بعد سرده لأقوال المعتزلة في التوحيد : " فهذه جملة قولهم في التوحيد ، و قد شاركهم في هذه الجملة الخوارج " . و قوله في موضعٍ آخر : " فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة " [1] . ومن المعلوم أن المقصود من توحيد المعتزلة أي مذاهبهم و أقوالهم في الصفات و في عقيدة الألوهية عموماً ، و التي اجتمعت آراءهم فيها على الحقيقة على القول بنفي الصفات .

كما يدلنا أيضاً قول شيخ الإسلام على مسلكهم في نفي الصفات و منها العلم الإلهي ، غير أنه و في تقريره لتلك المسألة نجده يسوق تقريراً آخر مفاده أن مذاهب نفاة الصفات من الخوارج إنما نشأ عند متأخريهم وليس عند المتقدمين منهم . يقول شيخ الإسلام :"...وإن كان أهل المقالات قد نقلوا أن قول الخوارج في التوحيد هو قول الجهمية المعتزلة...لكن يُشتبه و الله أعلم أن يكون ذلك قد قاله من بقايا الخوارج من كان موجوداً حين حدوث مقالة جهم في أوائل المائة الثانية فأما قبل ذلك فلم يكن حدث في الإسلام قول جهم في نفي الصفات و القول بخلق القرآن ..فلا يصح إضافة هذا القول إلى أحدٍ من المسلمين قبل المائة الثانية لا من الخوارج و لا من غيرهم ". [2]

و المقصود أن نفاة الصفات من الخوارج إنما كانوا ممن وُجد حين ظهور بدعة جهم و ممن بعدهم ، لا من كان قبلهم .

و نظراً لعدم توافر تفصيلات مذهبية لكل فرقة فإننا سنذكر ما توافر معنا من آراء الفِرق التالية : الإباضية، الشيبانية ، السكاكية .

أما بالنسبة للإباضية فيرون أن صفات الله هي ذاته ، و أنها لا تدل على معانٍ زائدة على الذات، فهو سبحانه و تعالى عالمٌ لا بعلمٍ يعلم به ، لأنه لو كان عالماً بعلمٍ يعلم به لاقتضى ذلك أن يكون ذلك العلم

---

[1] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ .

[2] الفتاوى الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٣٨ .

هو الإله و أن الإله هو العلم و هذا باطل [1] . و هذا القول يتفق تماماً مع مذهب المعتزلة ، وهو ما قرره الإمام الأشعري سلفاً .[2]

وهناك فرقة أخرى يذكرها الشهرستاني تدعى الشيبانية نسبة إلى شيبان بن سلمة [3] ، فينقل عن أحد رؤوسها و يدعى زياد بن عبد الرحمن الشيباني أبي خالد [4] أنه قال : " إن الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه عِلما ، و أن الأشياء إنما تصير معلومةً له عند حدوثها ووجودها " . [5]

و "السكاكية" [6] من فرق الخوارج أيضاً ينقل عنهم الإمام الأشعري قولهم : إن الله لا يُوصف بأنه عالم حتى يكون الشيء ، فإذا كان قيل عالمٌ به [7] . و هذه الأقوال جميعها هي أصل قول جهم المفضي بالضرورة إلى القول بحدوث العلم .

---

[1] انظر : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين " الخوارج و الشيعة " ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ ، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، الرياض ، ص ٩٢ .

[2] انظر : مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٣٦ ، ٢٠٣ .

[3] هو شيبان بن سلمة السدوسي الحروري ، قال المقريزي هو أول من أظهر القول بالتشبيه ، كان قبيل ظهور الدعوة العباسية ، وخرج أيام أبو مسلم الخرساني وأعانه على أعدائه . قتل عام ١٣٠ هـ . الملل والنحل ،جـ ١ ، ص ١٥٤ .

[4] لم أعثر له على ترجمة .

[5] الملل و النحل ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

[6] أصحاب عبد الله السكاك اللواتي ، كان أبوه صالحاً فأسلمه إلى المؤدب فقرأ وحفظ القرآن الكريم ثم أخذ في طلب العلم . وقد ذهب البعض إلى أنها من فرق الإباضية . قال أبو العباس الدرجيني : " وكان مشايخ السلف تتقارب أقوالهم في السكاك و أصحابه وتتفاوت . فقائل بشركهم ، وقائل بنفاقهم ، وهذا المذهب قد فني أصحابه " . طبقات الدرجيني ، جـ ١ ، ص ١١٨ نقلاً عن الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم و الحديث ، لعلي معمر ، ط ٥ ، ٢٠٠٤م ، دار الحكمة ، لندن ،ص ٢٩٧.

[7] مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ص ٢٩١ .

ثانياً : قضية خلق القرآن :

لم يقتصر تأثر الخوارج بالفكر الجهمي في قضية نفي الصفات فحسب و إنما امتد ذلك التأثر ليشمل القول بخلق القرآن ، حيث نادت بذلك جميع طوائفهم بلا استثناء .

و دليلنا في ذلك ما ذكره الإمام الأشعري في مقالاته حيث قال : " كل الخوارج يقولون بخلق القرآن " ، و قال في موضعٍ آخر :" الخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن " [١] ، ثم قرر أخيراً ذلك أيضاً بقوله : قالت الخوارج إن القرآن كلام الله و إنه مخلوق لله لم يكن ثم كان . [٢]

و إذا تأملنا أقوالهم في ذلك نجد شدة التأثر بآراء جهم ، و هذه نتيجةٌ تترتب تباعاً على قولهم بنفي الصفات . على أن ما يجدر قوله أن إجماع الخوارج على القول بخلق القرآن لم يكن من متقدميهم ، و إنما وقع ذلك من متأخريهم ، وذلك استناداً إلى ما ذكره شيخ الإسلام ـ و الذي ذكرناه آنفاً ـ من أنه لايصح إضافة القول بخلق القرآن إلى أحدٍ من المسلمين قبل المائة الثانية [٣]، و هي الفترة التي ظهرت فيها بدعة الجهم و انتشرت .

ولعلنا نسوق هنا ماذكره أحد الإباضيين المعاصرين حيث يقول : " و يرى الإباضية أن الكلام من حيث هو صفة كمال فهو صفة ذات كالعلم و القدرة " [٤] . و قد ساق قولين لإمامين من أئمة الإباضية ، الأول هو ما ذهب إليه الإمام بيوض إبراهيم بن عمر بقوله : " إن مذهب الإباضية و إمامهم جابر بن زيد أن صفة الكلام ذاتية كالحياة و العلم و السمع و البصر ، و هي عينية لا غيرية أي ليست صفة زائدة عن الذات فهي بذلك قديمة قدم الذات ، فالله تبارك و تعالى لم يزل حياً عليماً سميعاً بصيراً متكلماً " [٥] ، ـ و و بعد شرحٍ و تفصيل ـ قال : و أنت خبير أن هذا في الكلام النفسي الذاتي إذ يجب وصف الله تبارك و تعالى بأنه متكلم فكلامه بمعنى صفة التكلم فيه قديم ، و أما تكليمه ووضعه للناس كل ما يُقرأ و يُكتب

---

[١] جـ ١ ، ص ١٨٧ ، ٢٠٣ .

[٢] انظر : جـ ٢ ، ص ٢٥٦ .

[٣] انظر : الفتاوى الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٣٨ .

[٤] الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ص ٤٨١ .

[٥] المرجع السابق ، نفس الصفحة .

تحويه الصحف و تحفظه الصدور و يتصف بصفاتٍ أخرى لا يمكن أن يتصف بها الكلام الذاتي فلا يخفى الفرق بينه و بين الكلام الذي هو صفة من صفات الذات العلية . [١]

والثاني ما ذكرهُ التعاريشي بقوله : " و عندنا معشر الإباضية الوهبية أن كلام الله تعالى لـه معنيـان : الأول أنه صفة ذاتية كالعلم منافية للآفة مثل الخرس ، و الثاني أنه صفة فعلية بمعنى خلـق الكـلام حيـث شـاء فمعنى كونه متكلماً على الأول ليس بأخرس ، و على الثاني خالق الكلام ". [٢]

وهنا نلاحظ امتداد الأثر المريسي في الصفات حيث يذهب التعاريشي إلى تفسير معنى الصفة بنفي الضد ، لا الإثبات الحقيقي للصفة . لأن قوله بأن الكلام صفة ذاتية كالعلم منافية للآفة مثل الخرس هـو عـين مـذهب بشر حين ذهب إلى أن معنى قوله عالم أي أنه لا يجهل ، لا معنى أنه متصفٌ بالعلم حقيقة .

وعند التحقيق بالنسبة لتلك الأقوال السابقة نجد أن مؤداها واحد وهو القول بخلق القرآن لأمرين :

١) أن قولهم بالكلام النفسي يفيد عدم إعتقادهم في الـتكلم حقيقـة بصـوت و حـرف ، و علـى هـذا فيكـون وصفهم للكلام بالأزلية متعلقٌ بالكلام النفسي دون الكلام الحقيقـي المعـبر عنـه بالصـوت و الحـرف ـ و هـو القرآن الكريم ـ الأمر الذي يؤدي للقول بخلق القرآن ، و هذا بيّن بصورة واضحة في كلام التعاريشي .

و يذكر الدكتور أحمد جلي تفصيلاً آخر في قضية خلق القرآن عند الإباضية فيقـول : " أمـا بالنسـبة للقـرآن فقد ذهب بعض الإباضية لاسيما في المشرق إلى القول بقدمه ، و نفوا القول بخلقه...أما الإباضـية في المغـرب فقد أكدوا القول بخلق القرآن متفقين في ذلك مع المعتزلة " .[٣]

بينما يذهب صاحب العقود الفضية إلى أن القول بخلق القرآن هو قول المحققين من الإباضـية ، لأن الأشـياء لا تخلو إما أن تكون خالقاً أو مخلوقاً .[٤]

---

[١] المرجع السابق نفس الصفحة .

[٢] المرجع السابق نفس الصفحة .

[٣] دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٩٤ .

[٤] انظر : ص ٢٨٧ ، نقلاً عن المرجع السابق ، ص ٩٥ .

و جملة القول أن الأغلب الأعم من طوائف الخوارج عموماً ، و الإباضية خصوصاً على مذهب القول بخلق القرآن .

ثالثاً : قضية القدر :

لم يتفق الخوارج على نفي القدر كما اتفقوا على قضيتي نفي العلم الإلهي و القول بخلق القرآن ، و إنما تباينت آراؤهم في ذلك .

فيذكر الإمام الأشعري أن الميمونية [١] من فرق العجاردة [٢] تفردوا بالقول بالقدر على مذهب المعتزلة ، فهم يعتقدون أن أعمال العباد ليست مخلوقة لله تعالى [٣] ، كما ذهبت الحمزية [٤] إلى نفس قول الميمونية في القدر ، و كذلك الإباضية أصحاب حارث الإباضي [٥] ، و الشبيبية [٦] قالوا بقول المعتزلة في القدر . [٧]

---

[١] الميمونية من فرق العجاردة من الخوارج ، أصحاب ميمون بن عمران ، قالوا في القدر بقول المعتزلة ، وهم يجوزون نكاح البنات ولايرون الشر من الله تعالى . الفرق بين الفرق ، ص ٨ ، ١١ . إعتقادات فرق المسلمين ، ص ٤٨ .

[٢] العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد ، وعندهم أن سورة يوسف ليست من القرآن لأنها في شرح العشق ومثل هذا لايجوز أن يكون كلام الله . المرجع السابق ، ص ٤٧ .

[٣] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .

[٤] أتباع حمزة بن أدرك ، وهم يقطعون بأن أطفال الكفار في النار . إعتقادات فرق المسلمين ، ص ٤٨ .

[٥] حارث بن يزيد الإباضي ، وإليه تنسب الحارثية ، وقد زعمت الحارثية أنهم لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى إلا عبد الله بن إباض وبعده حارث بن يزيد الإباضي . وفي التعريفات الحارثية أصحاب أبي الحارث الأباضي . الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٥٨ . التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ١١٠ .

[٦] أتباع شبيب بن يزيد الشيباني ، يكنى بأبي الصحاري ، صار والياً على عسكر صالح بن مسرح التميمي التميمي من بعده ، وكان خروجه في أيام الحجاج . وقد خالف صالحاً في تجويز إمامة النساء . التبصير في الدين، ص ٦٠ .

[٧] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٩٤ .

أما بقية طوائف الإباضية فيذكر الدكتور أحمد جلي أنهم يتبنون آراء الأشاعرة في مسألة القدر ، و يثبتون تقدير الله و علمه في العالم بأسره و جميع ما فيه . [1]

هذا مجمل ما انتهى إليه العلم من آراء طوائف نفاة القدر من الخوارج ، أما بقية الخوارج فيبدو أنهم من مثبتة القدر والعلم عند الله تعالى .

ثانياً : المرجئة :

التعريف بهم :

المرجئة لغةً من الإرجاء ، والإرجاء هو التأخير ، يُقال أرجأ أمرنا أي أخره ومنه سميت المرجئة . واصطلاحاً هم قومٌ يقولون لايضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة [2] . وحكمهم في صاحب الكبيرة بأنه لايعذب أصلاً و إنما العذاب والنار للكفار . [3]

آراء المرجئة في صفة العلم الإلهي :

أولاً :قضية نفي الصفات :

يبدو أن آراء طوائف الإرجاء قد تباينت واختلفت في مسألة الصفات نفياً و إثباتاً فلم يُعرف عنها إجماعاً في ذلك و يدلنا على ذلك ما ذكره الإمام الأشعري بقوله : " المرجئة قال قائلون منهم في التوحيد بقول المعتزلة " [4] ، و قوله أيضاً في موضعٍ آخر : " و اختلفت المرجئة في أسماء الله و صفاته : فمنهم من مال إلى قول المعتزلة في ذلك " . [5]

---

[1] انظر : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٩٥ .

[2] التعريفات ، ص ٢٦٨ .

[3] الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق : عدنان درويش ، د . ط ، ١٤١٩هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص ٨٦٩ .

[4] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ٢٣٣ .

[5] المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ .

وهذا يدل على أن نفي صفة العلم الإلهي كان مذهب بعض طوائف أهل الإرجاء ، و قد حكى الشهرستاني عن طائفة العبيدية أنهم قالوا أن علم الله تعالى لم يزل شيئاً غيره، وأن كلامه لم يزل شيئاً غيره[1]. ومقصودهم من القول بالغيرية هو إثبات خلق كل من صفتي العلم والكلام لأن الأصل في هذه المقولة هو أن كل ما غير الله مخلوق وهذه حجة الجهمية .[2]

ثانياً: قضية خلق القرآن :

لم تجتمع آراء المرجئة في مسألة القول بخلق القرآن على مذهب واحد ، وإنما هناك من ذهب إلى القول بخلق القرآن ، وهناك من ذهب إلى خلاف ذلك . والذي يدلنا على ذلك ما ذكره الإمام الأشعري من أن المرجئة اختلفت في القرآن هل هو مخلوق أم لا؟ على ثلاث مقالات ، فقال قائلون أن القرآن مخلوق .[3]

غير أنه لم يسم تلك الفرق التي ذهبت إلى القول بخلق القرآن ، وعلى كلٍ فيمكن القول بأن حجم التأثر بالأصل اليهودي في قضية القول بخلق القرآن المنافية للعلم الإلهي قد كان ضئيلاً بالنسبة إلى باقي الفرق التي اجتمعت عن آخرها على القول بخلق القرآن كأهل الإعتزال على سبيل المثال .

ثالثاً : قضية القدر:

يذكر الإمام الأشعري أن من المرجئة من مال إلى قول المعتزلة في القدر . [4]

---

[1] الملل والنحل ، جـ١ ، ص١٦٣.

[2] انظر : درء تعارض العقل والنقل ، جـ ١٠ ، ٧١ .

[3] انظر: مقالات الاسلاميين ، جـ١ ، ٢٣٣.

[4] المرجع السابق ،جـ١ ، ص٢٣٤.

ثـــــالثاً : الجهمية :

التعريف بهم :

تُنسب الجهمية إلى جهم بن صفوان [١] الذي تولى زمام المبادرة إلى إذاعة أقوال الجعد بن درهم ذات الاصول اليهودية – كما سبق معنا– ، وسنعرض الآن لآرائه المتعلقة بصفة العلم الإلهي :

أولاً: قوله بنفي الصفات وحدوث العلم الإلهي :

لقد عمد الجهم إلى نفي الصفات الإلهية بحجة أن إثباتها يقتضي تشبيهاً ، فقال : لايجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقة لأن ذلك يقتضي تشبيهاً فنفى كونه عالماً .[٢]

وقد ترتب على قوله بنفي صفة العلم الإلهي إثباته للعلوم الحادثة لله تعالى وبالتالي القول بحدوث علمه تعالى . أما شبهاته في ذلك فهي :

الشبهة الأولى :

وتتلخص في قوله بأن علم الله تعالى للشئ قبل خلقة يوجب تغيير علمه به بعد خلقه ، لأن العلم بأن سيوجد الشئ غير العلم بأن قد وجد وهذا موجب لجعله تعالى محلاً للحوادث لأن المتغير مخلوق ، فأدى ذلك إلى نفي العلم الأزلي القديم وإثبات العلم الحادث . يقول الإمام الشهرستاني فيما نقل عنه :
قال " لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق أفبقي علمه على ما كان أم لم يبق ؟
فإن بقي فهو جهل ، فإن العلم بأن سيوجد الشيء غير العلم بأن قد وجد ، وإن لم يبق فقد تغير ، والمتغير مخلوق ليس بقديم " . [٣]

ونتيجة لهذه النظرية أثبت علوماً حادثة لله تعالى بعدد الموجودات المعلومة ، وانتهى من ثَمَّ إلى القول بأن علم الله تعالى محدث مخلوق .

---

[١] الملل والنحل ، جـ١ ، ص٩٧.

[٢] انظر: المرجع السابق جـ١ ، ص٩٧–٩٨.

[٣] الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ٩٨ .

غير أننا إذا تأملنا القولين اللذين ساقهما جهم في شبهته تلك يتبين لنا أنه لافرق بينهما على الحقيقة لأن في كليهما تجويزٌ لورود الجهل في علم الباري سبحانه وتعالى ، بل إن الصورة الثانية التي قال بها في حق الباري تعالى من إثباته علوماً حادثة ، فيها نسبة الجهل إليه تعالى بالأشياء إبتداءً ـ فهو على حسب زعم الجهم ـ لايعلم بالشيء حتى يكون ، فإذا كان علم به ، ويترتب على هذا القول بأن علمه تعالى علواً كبيراً إنما هو مستفادٌ من المخلوقات .

بينما نسبة الجهل في الصورة الأولى التي زعم جهم أن القول بها يُعد جهلاً في حق الباري تعالى ، أضعف مما هو عليه في الصورة الأخرى لأن الجهل فيها عبارة عن تغير حال العلم بعد حدوث المعلوم مع سبق العلم به بينما الصورة الأخرى ليس فيها سبق علمٍ بالمعلوم .

وقد صرح جهم بحدوث العلم بأكثر من قول ، فمن ذلك ما يذكره الإمام الأشعري عنه : وكان يقول : إن علم الله سبحانه مُحدث ، وإنه لايُقال إن الله لم يزل عالماً بالاشياء قبل أن تكون . [1]

ومعلوم أن القول بالعلم الحادث لله تعالى ينافي صفة العلم الإلهي الواجب إعتقادها فيه تعالى . وفق ما أخبر بها عن نفسه تعالى وما أخبر عنه نبيه ﷺ ، لأن في ذلك تجويز لوقوع الجهل عليه تعالى قبل كون الكائنات فلا يعلمها إلا بعد حدوثها ، فيكون علمه عز وجل مستفاداً منها — وحاشاه تعالى–

الشُبهة الثانية :

أما شبهته الثانية في إثباته للعلم الحادث ، فهي القول بالغيرية ، بمعنى أن العلم لا يعدوا إما أن يكون هو الله أو غيره ، فإذا قلنا بأنه هو الله لزم التعدد بذات الله تعالى ، وإن كان غيره لزم القول بأنه مخلوق لأن كل ما هو غير لله تعالى فهو مخلوق وقد لخص الإمام ابن حزم شبهة الجهم بقوله: إحتج جهم بن صفوان بأن قال : لو كان علم الله تعالى لم يزل لكان لايخلو من أن يكون هو الله أو غيره ، فإن كان علم الله تعالى غير الله وهو لم يزل ، فهذا تشريك لله تعالى ، وإيجاب الأزلية لغيره تعالى معه وهذا كفر ، وإن كان هو الله فالله علم وهذا إلحاد .[2]

---

[1] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ .

[2] الفصل في الملل ، جـ ١ ، ص ٣٨٤ .

وقال : نسأل من أنكر أن يكون علم الله تعالى هو غيره ، فنقول : أخبرونا ، إذا قلنا الله ، ثم قلنا : إنه عليم فهل فهم من قولنا : " عليم" شيئاً زائداً غير ما فهمتم من قولنا (الله) أم لا ؟

فإن قلتم : لا . أحلتم .

وإن قلتم : نعم أثبتم معنى آخر هو غير الله ، وهو علمه ، وهكذا قالوا في (قدير) وفي (قوى) وفي سائر ما ادعوا فيه الصفات .

وقال أيضاً : إننا نقول إن الله تعالى عالم بنفسه ، ولا نقول قادر على نفسه فصح أن علمهُ تعالى غير قدرته، وإذا هو غيرهما فهما غير الله تعالى ، وقد يعلم الله تعالى قادراً من لا يعلمه عالماً ، ويعلمه عالماً من لا يعلمه قادراً ، فصح أن كل ذلك معانٍ مغايرة . [١]

وقد رد الإمام ابن حزم على هذه الشبهة فقال :

" من قال بحدوث العلم فإنه قولٌ عظيم جداً لأنه نص بأن الله تعالى لم يعلم الأشياء حتى أحدث لنفسه علما وإثبات الجهل لله كفر بلا خلاف لأنه وصف بالنقص وهو يقتضي الحدوث ولابد وهذا باطل ، وإذا أثبت بأن الله تعالى يعلم الآن الأشياء فقد انتفى عنه الجهل يقيناً .

أما قولهم لو كان علم الله لم يزل وهو غير الله لكان ذلك شركاً فهو قول صحيح واعتراض لا يُرد .

وأما قولهم لوكان هو الله لكان الله علماً فهذا لا يلزم ، لأننا لا نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه فلا يحل لأحدٍ أن يسميه بذلك .

وأما قولهم : هل يُفهم من قول القائل (الله) كالذي يُفهم من قول (عالم) فقط أو يُفهم من قوله (عالم) معنى غير ما يُفهم من قول (الله) ؟ فنقول إننا لا نفهم من قولنا (قدير) و (عالم) إلا ما نفهم من قولنا (الله) فقط ، لأن كل ذلك أسماء أعلام لا مشتقة من صفة أصلاً ، لكن إذا قلنا هو الله بكل شيء عليم فإنما يُفهم من كل ذلك أن هاهنا له تعالى معلومات وأنه لا يخفى عليه شيء ، ولا يُفهم منه البته أن له علماً هو غيره . [٢]

---

[١] المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

[٢] المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٨٥ .

وأما قولهم إننا نقول أن الله تعالى عالم بنفسه ولا نقول إنه قادر على نفسه فقد كذب من قال ذلك وأفك،بل كل ذلك سواء وهو تعالى قادر على نفسه كما هو عالم بها ولا فرق . ويلزمهم ضرورة إ قالوا إنه تعالى غير قادر على نفسه أنه عاجز عن نفسه ، وإطلاق هذا كفر صريح .

وأما قولهم إنه قد يعلم الله قادراً من لم يعلم أنه عالم ويعلمه عالماً من لا يعلمه قادراً فلا حجة في ذلك ، لأن جهل من جهل الحق ليس حجةً على الخلق وليست الظنون حجة في إبطال حق ولا تحقيق باطل ، فصح أن علم الله تعالى حق...". [1]

الشُبهة الثالثة :

عدم تسميته المعلومات بأنها " أشياء " فذهب إلى أن الأشياء قبل أن تكون ليست بأشياء ، ولأن العلم لا يتعلق إلا بشئ – حسب تصوره- فلا يصح ومن ثم أن يقال بأن الله يعلم الأشياء قبل أن تكون لأن علمهُ حينئذ سيكون متعلقاً بلاشئ وهذا لا يصح لأنها ليست كائنة حتى تُعلم أو تُجهل .[2]

وهنا نجد أن الجهم قد قاس العلم الإلهي على علوم المخلوقين ، والتشبيه هنا جلي واضح لأن علم المخلوقين هو الذي يخضع للقول الذي ذهب إليه من أنه لا يتعلق إلا بما هو كائن لأنه قبل أن يكون في حكم العلم الغيبي ، فإذا كان حدث به العلم ، هذا مع عدم التسليم بما ذهب إليه من عدم تسمية المعلومات أشياء قبل أن تكون .

والمقصود أن جهماً قد وقع بما ذهب إليه من إثبات العلوم الحادثة لله تعالى في التشبيه الحقيقي بالمخلوق، لأنه بتجويزه وقوع الجهل على الله تعالى قد شبهه بالخلق حقيقة ، كما أنه بجعله العلم الإلهي مستفاداً من الخلق، وحادثاً بعد حدوث الأشياء قد جعله تماماً كعلم المخلوق ولا فرق ، بينما التشبيه الذي أراد الفرار منه إنما كان تشبيهاً لفظياً فقط في الإسم دون الخصائص .

---

[1] المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٨٥ .

[2] انظر: مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٩٣.

على أن جهماً قد ناقض نفسه في نفي العلم الإلهي السابق بما ذهب إليه من القول بالجبر ، فأثبت لله علماً أزلياً وجعله سائقاً لا سابقاً لأفعال العِباد .

وبناءً على هذا ففكرة إثبات العلوم الحادثة ، وفكرة القول بالجبر متناقضتان تماماً ، لأن فكرة القول بالجبر تستلزم إسناد فعل العبد إلى الله تعالى حقيقة وذلك عن طريق القول بخلق الله تعالى لفعل العبد مع سلب القدرة والإستطاعة عن العبد ، وهذا الخلق لا يُتصور إلا مع توافر العلم بالشئ المراد خلقه، هذا من جانب . ومن جانبٍ آخر فإثبات القدر مستلزم لإثبات العلم الإلهي السابق ، والجبر إنما هو نوع من الغلو في إثبات القدر بجعل العلم سائقاً لا سابقاً فحسب .

ثانياً: قوله بخلق القرآن :

لقد كان القول بخلق القرآن من أوائل القضايا في المذهب الجهمي حيث تلقفها جهم من الجعد بن درهم وأذاع بها وبنى عليها أقواله في خلق القرآن فيما بعد .

وقد حكى كتاب المقالات عنه قوله بخلق القرآن فمن ذلك قول الإمام الأشعري : كان جهم يقول بخلق القرآن [1]، وحكى زرقان عن " الجهم" أنه كان يقول إن القرآن جسم وهو فعل الله . [2]

وإذا تأملنا أقوال جهم السابقة في القرآن الكريم أمكننا أن نستدل على بعض شُبهه التي بنى عليها فكره القول بخلق القرآن . ومنها :

١- أن القرآن جسم والأجسام مخلوقة .
٢- أن القرآن فعل الله وهذا يؤدي للقول بأن القرآن مفعول لله تعالى الأمر الذي يفيد كونه مخلوقاً .
هذا إلى جانب قوله بنفي الصفات ومنها العلم والكلام الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى القول بحدوث القرآن الكريم .

---

[1] انظر : مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ص٣٣٨.

[2] المرجع السابق ، جـ ٢، ص٢٦١.

رابعاً :المعتزلة :

التعريف بهم :

يبدأ الإمام الشهرستاني في تعريفه لفرقة المعتزلة فيقول : يُسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية [1] وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزّال [2]، وسُموا بالمعتزلة لأنه إعتزل عن مجلس الحسن البصري [3]. واعتزالهم كما يذكر الشهرستاني يدور على أربع قواعد: **الأولى** : القول بنفي صفات الباري . **والثانية** : القول بالقدر . **والثالثة** : القول بالمنزلة بين المنزلتين . **والرابعة** : قوله في الفريقين من أصحاب الجمل . [4]

وفيما يلي نبين آراؤهم في القضايا المتعلقة بالعلم الإلهي :

أولاً : قضية نفي الصفات الإلهية ومنها صفة العلم :

لقد غالى المعتزلة في نفي الصفات الإلهية لشُبهٍ عديدة ، منها : أن إثبات الصفات القديمة يستلزم مشاركة الصفات للذات في أخص وصفٍ لها وهو القدم مما يستلزم معه تعدد القدماء ، الأمر الذي يستلزم معه مشاركتها للذات في الإلهية . [5]

---

[1] الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ٥٦ .

[2] واصل بن عطاء البصري المتكلم البليغ المتشدق ، يكنى بأبي حذيفة ، سمع من الحسن البصري وغيره وكان من أجلاء المعتزاة ، ولد سنة ثمانين بالمدينة . قال المسعودي هو قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة . لسان الميزان ، جـ ٦ ، ٢١٤ .

[3] التعريفات للجرجاني ، ص ٢٨٢ . والحسن البصري هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن الفقيه الزاهد المتشمر العابد ، قال عنه صاحب التقريب : ثقة فقيه فاضل مشهور ، توفي سنة ١١٠ . حلية الأولياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ١٣١ . تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ،تحقيق : محمد عوامة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، دار الرشيد ، سوريا ، جـ ١ ، ص ١٦٠ .

[4] الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ٦٠ ـ ٦٣ .

[5] انظر: المرجع السابق ، جـ١، ص٥٧.

وقد حكت كتب المقالات والعقائد اتفاق المعتزلة على نفي الصفات الإلهية ـ ومنها صفة العلم الإلهي[1] ـ ومتابعتهم للجهمية في ذلك .

يقول صاحب السيرة الحلبية : " ولبيد هذا قيل أنه أول من قال بنفي صفات الباري وقال بها الجهم بن صفوان وأظهرها فقيل لأتباعه في ذلك الجهمية ". [2]

كما أن المعتزلة يسمون بالجهمية أحياناً للإتفاق بينهما في المسائل العقدية ،ولإحياء المعتزلة لأراء الجهمية في مبدأ ظهورهم [3] . ويذكر الإمام الشهرستاني أن الجهم قد وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية [4] وزاد عليهم بأشياء .

وبالنظر إلى تلك الآراء يمكن القول أنه كان هناك نوع من تأثر وتأثير بين جهم وواصل بن عطاء ، لا سيما إذا ما اعتبرنا المعاصرة والمناظرات التي جرت بينهما . [5]

لكن يمكننا ترجيح أسبقية جهم للقول بنفي الصفات وتأثر أراء عطاء في نفي الصفات برأي جهم لاعتبارين:
الأول : ما ذكره كُتَّاب المقالات من أن جهماً أول من ابتدع القول بنفي الصفات بعد أن استقى فكره من أفكار جعد بن درهم .

الثاني ما ذكره الإمام الشهرستاني عند كلامه عن فرقة الواصلية أصحاب واصل بن عطاء ، فيقول : واعتزالهم يدور على أربع قواعد...القاعدة الأولى : " القول بنفي صفات الباري " [6] ، ثم تعليقه على ذلك

---

[1] انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
[2] جـ٢، ص٣١٧.
[3] انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب علي عواجي ، ط٤، ١٤٢٢هـ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة، جـ٣، ص١١٦٦.
[4] انظر: الملل والنحل جـ١، ص٩٧.
[5] انظر: تاريخ الجدل للإمام أبو زهرة ، ص٣٥٢، ٣٥٣.
[6] الملل والنحل ، جـ ١، ص٦٠.

ذلك بقوله : " و كانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة و كان واصل بن عطاء يشرع فيها على قولٍ ظاهر و هو الإتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين " [1] ، وذلك في الوقت الذي كان الجهم يجهر بآرائه تلك في نفي الصفات حتى طلبه بنو أميه بسببها فكان قتله سنة ١٢٨هـ وقيل سنة ١٣٠ وقيل ١٣٢هـ . [2]

ويظهر التأثر الإعتزالي الشديد بفكر جهم بوضوح من خلال مختلف الأراء الإعتزالية التي تطابقت في كثير من الأحيان مع أراء جهم في صفة العلم الإلهي .

فقد تابعه بعض رؤوس المعتزلة أمثال هشام بن عمرو الفوطي [3] بقوله : " لا أقول لم يزل عالماً بالأشياء...ولا يجوز أن أُشير إلا إلى موجـــود " ، و كان لا يُسمي ما لم يخلقه الله و لم يكن " شيئاً " . [4]

و كذلك أبو الحسين الصالحي [5] الذي كان يقول : " إن الله لم يزل عالماً بالأشياء في أوقاتها " [6]، و ابن الراوندي الذي كان يقول : " لا شيء إلا موجود " . [7]

---

[1] المرجع السابق نفس الجزء ونفس الصفحة .

[2] انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لعبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٣٥٨ هـ، دار صادر ، بيروت . لسان الميزان ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ، تاريخ الإسلام ، جـ ٨ ، ص ٦٧ .

[3] هشام بن عمرو الفوطي رأس الهشامية وهي فرقة من فرق المعتزلة ، زاد على أصحابه المعتزلة ببدع ابتدعها . يقول صاحب الأنساب : وفضائحة كثيرة منها أنه حرم على الناس أن يقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل زاعماً أن الوكيل يقتضي موكلاً . الوافي بالوفيلت ، جـ ٢٧ ، ص ٢١١ . الأنساب ، جـ ٥ ، ص ٦٤٣ .

[4] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ .

[5] محمد بن مسلم أبو الحسين الصالحي ، من أهل البصرة وأحد المتكلمين على مذهب الإرجاء ، ورد بغداد حاجاً واجتمع إليه المتكلمون وأخذوا عنه ، له تصانيف منها كتاب " الإدراك " . الوافي بالوفيات، جـ٥، ص ١٩ .

[6] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

[7] المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ .

و جامع الأقوال السابقة هو أنها تؤدي إلى القول بحدوث العلم استناداً إلى عدم تسمية المعلومات بـ"الأشياء" إلا بعد كونها و هذا عين مذهب جهم الذي يرى أن علم الله تعالى لا يتعلق إلا بما هو موجود .

أما بالنسبة لمتابعة المعتزلة لبشر المريسي أخلص أتباع جهم ، فقد اتضحت في القول بأن معنى عِلمهُ : أنه " لايجهل " [١]، و بالقول بأن " عِلمهُ غيره " ، و أن علمه " هو هو" ، و ممن ذهب إلى ذلك : أبو الهذيل العلاف [٢] بقوله : " هو عالمٌ بعلمٍ هو هو " [٣] ، و كان يقول : " إذا قلت إن الله عالم ثبَّتُ له علماً هو الله و نفيتُ عن الله جهلاً " . [٤]

كما ذهب ضرار[٥] إلى ذلك أيضاً ، فقال : " معنى أن الله عالم أنه ليس بجاهل " [٦] ، و قال النظَّام [٧]: " [٧]: " معنى قولي عالمٌ إثبات ذاته و نفي الجهل عنه " [١] . و قال الجبائي : " إذا قلنا إن الله عالم

---

[١] بشر المريسي و آراؤه الإعتقادية ،ص ٣٥٦ .

[٢] محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري أبو الهذيل العلاف مولى عبد القيس ، شيخ المعتزلة ومصنف الكتب الكثيرة في مذاهبهم ، مات سنة ٢٢٧ ، وقيل ٢٣٥ هـ . يقول البغدادي كان خبيث القول وفارق إجماع المسلمين . لسان الميزان ، جـ ٥ ، ص ٤١٣ . تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٣٦٦ .

[٣] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ .

[٤] المرجع السابق ، نفس الجزء و الصفحة .

[٥] ضرار بن عمرو الغطفاني المعتزلي ، وإليه تُنسب الضرارية ، يقول عنه الذهبي : كان في هذا العصر من رؤوس البدع . كان يقول يمكن أن يكون جميع من في الأرض ممن يظهر الإسلام كفاراً كلهم في الباطن لأن ذلك جائزٌ على كل فردٍ منهم في نفسه . توفي في حدود الثلاثين ومائتين . تاريخ الإسلام ، جـ ١٦ ، ص ٤٧٥ . الوافي بالوفيات ، جـ ١٦ ، ص ٢١٠ .

[٦] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ .

[٧] هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام أحد رؤوس المعتزلة وشيوخهم كان أديباً ، له تصانيف في الفلسفة الفلسفة والإعتزال ، وله أيضاً شعر دقيق المعاني على طريقة المتكلمين . مات في خلافة المعتصم سنة بضع

أفدناك إكذاب من زعم أنه جاهل " [٢]، و هذا يتطابق تماماً مع قول بشر في صفة العلم الإلهي : معنى علمه أنه لا يجهل .

و قد تابع ابن الراوندي على قوله [٣] كثيرٌ من أعيان المعتزلة مثل أبو الحسين الصالحي [٤] الذي قال : إن الله لم يزل عالماً بالأشياء في أوقاتها و لم يزل عالماً أنها ستكون في أوقاتها ، و كان لا يُسمي الأشياء إلا إذا وُجدت . [٥]

و على هذا فجمهور المعتزلة ـ و كما يصرحون ـ يُطلقون العلم لله تعالى على سبيل المجاز لا الحقيقة ، و إنما معناه أنه لايجهل . [٦]

ثالثاً : قضية خلق القرآن :

لقد اتفق المعتزلة على أن كلام الله تعالى محدث مخلوق [٧] ، فتابعوا بذلك الجهم على مقالته . يقول الإمام الأشعري : " قالت المعتزلة...إن القرآن كلام الله و أنه مخلوق لله لم يكن ثم كان " [٨] ، و يقول شيخ الإسلام : المعتزلة كانوا من جملة من يقول القرآن مخلوق .[٩]

وعشرين ومائتين ، وقد أتهم بالزندقة . تاريخ بغداد ، جـ ٦ ، ص ٩٧ . لسان الميزان ، جـ ١ ، ص ٦٧ .

[١] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ .

[٢] المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ .

[٣] انظر مذهبه ص٣٦٦ إلى ٣٦٨ .

[٤] تقدمت ترجمته ص٤٣٤.

[٥] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

[٦] انظر : الفصل في الملل ، جـ ١ ، ص ٣٨٢ .

[٧] الملل و النحل ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

[٨] مقالات الإسلاميين ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ .

[٩] كتب و رسائل و فتاوى شيخ الإسلام في التفسير ، جـ ١٤ ، ص ٣٥٢ .

و القول بخلق القرآن مبناه على القول بنفي الصفات و منها الكلام ، فجهم يقول بأن الله لم يكلم موسى تكليما ، و هذا مشهور من مذهب جهم . و المعتزلة جميعهم يُنكرون بأن يُقال بأن الله لم يزل متكلماً ، و منهم من علل ذلك بقوله : " لو ثبتّه متكلماً لثبته متفعلاً " . [١]

يقول الإمام الأشعري : " و قال بعض مشايخ المعتزلة إن الله لايكلم أحداً في الحقيقة " [٢] ، و يعقب الإمام على ذلك بقوله : " و حقيقة قول هؤلاء أنه لا كلام لله في الحقيقة و أنه ليس بمتكلم في الحقيقة و لا مُكلَّم. [٣]

و يُفهم من كلام الإمام الأشعري أن منهج المعتزلة في نفي الصفات يتوافق تماماً مع المنهج الجهمي ، فالنفي لصفة الكلام نفيٌ حقيقي في كليهما ، بينما نجد أن شيخ الإسلام يقرر أن ثمة فرق بين المنهجين ، حيث أن نفي الكلام في المنهج الجهمي نفيٌ حقيقي يتعلق بأصل الصفة و حقيقتها ، بخلاف المنهج الإعتزالي الذي يثبت كلام الله تعالى لموسى حقيقةً ، لكن في غيره إما بخلقه في الشجرة أو في الهواء دون أن يقوم بذات الله عندهم كلام و لا علم . [٤]

و الذي ننتهي إليه من ذلك كله أن مؤدى المنهجين كليهما إلى نفي صفة الكلام عن الباري تعالى الأمر الذي يستلزم معه القول بحدوث القرآن و خلقه و بالتالي حدوث علم الله تبارك و تعالى .

فقول الجهم و أهل الإعتزال قولٌ واحد و مفضٍ إلى نتيجةٍ واحدة فلذلك لا عِبرة بالفرق بينهما مع إتحاد مؤداهما في ذلك . والمقصود أنهم قد اتفقوا جميعاً سابقاً و لاحقاً على عدم قيام صفة الكلام بالخالق عزوجل.

---

[١] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ .

[٢] المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

[٣] المرجع السابق ، نفس الجزء و الصفحة .

[٤] انظر : كتب و رسائل و فتاوى شيخ الإسلام في التفسير ، جـ ١٢ ، ص ٥٠٣ .

أما بالنسبة للتأثر بأقوال جهم في القرآن الكريم ، فقد تابع الجهمَ الكثيرُ من أئمة المعتزلة و رؤوسهم فيما ذهب إليه من آراء . فيذكر الإمام الأشعري أن قول أكثر المعتزلة على أن كلام الله سبحانه فعله [1] ، و بعضهم يقولون أن كلام الله جِسم و أنه مخلوق [2]، و آخرون يذهبون إلى أن كلام الخالق جسم و أن ذلك الجسم هو فعل الله و خلقه ، و هذا القول الأخير قول النظَّام و أصحابه .[3]

أما الجبائي فكان يقول بأن الوصف لله بأنه متكلم أي أنه فعل الكلام [4] . و ذهب أبو بكر الأصم [5] إلى أن القرآن جسمٌ مخلوق [6] ، كما حكى ابن الراوندي عن ابي عمرو الجاحظ بأنه قال إن للقرآن جسداً يجوز أن أن يقلب مرة رجلاً و مرةً حيواناً [7] تعالى الله علواً كبيرا .

فالقول بالجسمية و كونه فعل الله هو مذهب جهم في القرآن الكريم . أما ما هو جدير بالذكر فهو أن القول بخلق القرآن لم يكن من مذهب واصل بن عطاء ، و إنما تابع أصحابهُ من المعتزلة آراء جهم و تأثروا بها من بعده .

بل ربما كانت قضية القول بخلق القرآن مما ناظر واصلٌ عليه جهماً ليرده إلى جادة الحق ، و ذلك لما رواه أبو الهذيل في معرض ذكره لمناظرات واصل الكتابية و الخطابية و رسله الذين كان يبعث بهم في الآفاق ،

---

[1] مقالات الإسلاميين ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

[2] نفس المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ .

[3] نفس المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

[4] نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٢١١ .

[5] أبو بكر الأصم شيخ المعتزلة ، كان ديناً صورا على الفقر وكان ثمامة بن أشرس يتغالى فيه ويطنب في وصفه، له تفسير وكتاب خلق القرآن وغيرهما . مات سنة ٢٠١ هـ . سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٤٠٢.

[6] الملل و النحل ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

[7] المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

فيقول : " ..و بعث إلى خراسان حفص ابن سالم فدخل ترمذ ، و لزم المسجد و ناظر جهماً فقطعه و رجع إلى قول الحق ، فلما عاد حفص إلى البصرة رجع جهم إلى قول الباطل " .[1]

و يدلل على مذهب و اصل في عدم قوله بخلق القرآن ما ذكره شارح قصيدة ابن القيم النونية عند شرحه لبيت ابن القيم الذي يقول فيه :

لكن أهل الإعتزال قديمهم   لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

فيقول : " أي أن قدماء المعتزلة واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد لم يذهبوا إلى القول بخلق القرآن ، و لكن متأخريهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن " .[2]

ثالثاً : قضية القدر :

إن من المعلوم أن المعتزلة يعدون من نفاة القدر ، و لذلك كان مسمى " القدرية " أحد الأسماء التي تطلق عليهم .[3]

و قد نافى المعتزلة كمال العلم الإلهي بقولهم في القدر من جانبين :

الأول : من جانب إجماعهم على أن الله لم يخلق أفعال العباد فلم يخلق الكفر و لا المعاصي و لا شيئاً من أفعال غيره [4] . فنفوا عن الباري تعالى العلم المستلزم للخلق و ذلك حين أخرجوا أفعال العباد عن أن تكون مخلوقةً له .

---

[1] تاريخ الجدل ، للإمام أبو زهرة ، ص ٣٥٣ .

[2] شرح قصيدة ابن القيم ، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

[3] انظر : الملل و النحل ، جـ ١ ، ص ٥٦ . وَ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، جـ ٣ ، ص ١١٦٧ .

[4] انظر : مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

لأن الآيات دلت على وجوب عِلمه بالأشياء بدلالة الخلق ، كقوله تعالى :﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ الملك (١٤) . و تعليقاً على هذه الآية يقول شيخ الإسلام : " فقد دلت هذه الآية الكريمة على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت البراهين المذكورة لأهل النظر و الإستدلال بالقياس العقلي ، منها أنه خالق لها و الخلق هو الإبداع بتقدير ، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل أن تكون في الخارج".[1]

و على هذا فالقول بأنها مخلوقة لهم مستلزمٌ لأن يكونوا هم المبدعين لها ابتداء و هذا يستلزم اعتقاد كون علمه تعالى بفعلهم مستفادٌ منهم بالضرورة ، و هذا مناقضٌ لتمام علمه و غناه عن خلقه في عِلمه بالأشياء .
وكذلك قوله تعالى :﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام (١٠١) ، يفيد نفس المعنى السابق ، يقول الإمام البيهقي : " فامتدح بالقولين جميعاً ، فكما لا يخرج شيء من علمه لا يخرج شيء غيره من خلقه " .[2]

والثاني : من جانب إجماعهم على نفي القدر ، و معلوم أن القدر هو التقدير المطابق للعلم [3] ، يقول شيخ الإسلام : " القدرية صرحوا بنفي العلم السابق و القدر الماضي في أفعال العباد " .[4]

و أصل قولهم أنه لا يعلم المحدثات إلا بعد حدوثها ، فهم يذهبون إلى أن الله لم يعلم أفعال العباد إلا بعد حدوثها ، و أن الأمر أُنف [5] . ووفق هذا الضابط فإن كل مخرجٍ لأفعال العباد عن أن تكون مخلوقة لله تعالى يلزمه نفي سابق العلم و التقدير المبني عليه .

و ربما يشهد قول القلقشندي على تأثرهم الشديد بأصول الجعد اليهودية في نفيه للقدر حيث يقول في سياق كلامه عن المعتزلة : " و ممن علت رُتبته فيهم الجعد بن درهم ، إجتمع على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية و أخذ عنه مروان مذهبه في القول بالقدر و خلق القرآن " .[1]

---

[1] مجموع الفتاوى ، جـ ٢ ، ص ٢١١ .

[2] الإعتقاد لأحمد بن الحسين البيهقي ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

[3] انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

[4] جامع الرسائل ، ص ١٧٨ .

[5] المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

و لعل قول القلقشندي يعطينا تفسيراً لما ذكره الإمام أبو زهرة بقوله : " ..فترى تقارباً شديداً بين آراء فرقة الفروشيم [٢] من اليهود من آراء المعتزلة " [٣] . لأننا إذا علمنا ما شغله الجعد من مكانة لدى أهل الإعتزال من جهة ، و مكانة لدى سلطان بني أُمية و هو مروان الجعدي ، علمنا السبب من وراء رواج أفكاره ذات الأصول اليهودية أولاً ، و تقلد المعتزلة لكثيرٍ منها ثانياً ، و علمنا أيضاً وجه التشابه بين آراء الفروشيم و آراء المعتزلة وهذا من جهةٍ ثالثة .

وهذا يتظافر أيضاً مع ما ذكره الإمام الشهرستاني بقوله : " و أما القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الإسلام ، فالربانيون منهم كالمعتزلة فينا " . [٤]

لأن من المعلوم أيضاً أن غالبية اليهود الساحقة في ماضيهم و حاضرهم من الربانيين ، إذ هم الفرقة الأم التي انشعبت منها أو عنها سائر الفرق .

و بناء على هذا الأساس يمكننا القول بأن المعتزلة استفادت من آراء الجعد بن درهم في إقامة الحجج و البراهين على غرار ما أخذه من الربانيين الأول لبيد و طالوت اليهوديين بواسطة بيان بن سمعان. كما يمكن القول أيضاً بأن ذلك قد شكل رافداً من روافد تأثر بعض طوائف الفكر الإسلامي بالتصور اليهودي يُضم إلى بقية العوامل التي شكلت بمجموعها أسباباً لتشوه عقيدة الصفات عموماً والعلم الإلهي على وجه الخصوص لدى بعض أعلام الفكر الإسلامي يتسنمها ولا شك عامل أساس يتلخص في مسألة إعمال العقل والتعويل عليه في إثبات ماوراء الغيب .

غير أن ما يجدر ذكره هاهنا أن قضية استفادة المعتزلة من آراء الجعد بالإتصال المباشر بينهما مما لا يمكن الجزم به على وجه اليقين خصوصاً في ظل غياب أدلةٍ تفصيليةٍ في ذلك ، لكن يظل الأمر قيد الإحتمال

---

[١] صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، جـ ١٣ ، ص ٢٥٥ .

[٢] الفروشيم هم الفريسيون . انظر ص٦٣ من هذا البحث .

[٣] تاريخ الجدل ، ص ٧٨ .

[٤] الملل و النحل ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ .

القوي بالنظر إلى القرائن التي ذكرناها أولاً ، و بالإستناد إلى ما ذكره كُتاب الفرق و المقالات سيما ما تعلق منه بسلسلة الإسناد اليهودية .

خامساً : الأشاعرة :

التعريف بهم :

هم أتباع الإمام علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري المتكلم ، وصاحب التصانيف في الأصول و الملل والنحل ، كان من المعتزلة ثم رجع عنهم [1] وتولى الرد عليهم .

أولاً : قضية نفي الصفات :

يقوم مذهب الأشاعرة على إثبات الصفات الذاتية القديمة ، و هي سبع صفات ـ كما يعتقدون ـ منها صفة العلم الإلهي . يقول أبو الحسن الأشعري : " الباري تعالى عالمٌ بعلم .." . [2]

و يقول أيضاً بأن هذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى لايقال هي هو ، و لا هي غيره ، و لا لاهو ، و لا لا غيره [3] ، و على هذا فلا يجوز على مذهب الأشاعرة أن يُقال بأن علمه هو ، و لا هو غيره .

أما بالنسبة لخصائص هذا العلم فيقول بأن علمه تعالى واحدٌ يتعلق بجميع المعلومات المستحيل و الجائز و الواجب و الموجود و المعدوم [4] . و هنا نجد أن مذهب الإمام الأشعري يقترب كثيراً من مذهب أهل السنة و الحديث من حيث إثباته للعلم الإلهي و خصائصه .

وعلى هذا فيمكن القول أن حجم التأثر باليهودية في قضية نفي صفة العلم الإلهي قد كان منعدماً في المذهب الأشعري .

---

[1] الوافي بالوفيات ، جـ ٢٠ ، ص ١٣٧ .

[2] الملل و النحل ، جـ ١ ، ص ١٠٨ .

[3] المرجع السابق نفس الجزء و الصفحة .

[4] نفس المرجع و الجزء و الصفحة .

ثانياً : قضية خلق القرآن :

يعرِّف الأشعري الكلام بأنه معنىً قائم بالنفس سوى العبارة ، و العبارة دلالةٌ عليه ، و على هذا فالعِبارات المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالاتٌ على الكلام الأزلي ، و الدلالة مخلوقة محدثة .[1]

ووفق هذا المبدأ ذهب الأشاعرة إلى القول بخلق القرآن باعتباره دلالة على كلام الله تعالى الأزلي القائم بنفسه عزوجل .

و من هذه المسألة يتفرع أمران :

الأول : إثبات الأشاعرة لصفة الكلام الأزلية على اعتبار أن قيامها به تعالى قياماً نفسياً ، لأنها لو لم تثبت للزم وصف الخالق تعالى بالنقص و هذا مُحال . و لذلك نجد أنهم ذهبوا إلى أنها من صفات الذات القديمة التي لابد للذات من الإتصاف بها .

كما أنهم يذهبون في إثباتها إلى القول بأنه تعالى " متكلم " بمعنى أن الكلام صفة ذات معنى قائمة به لا أنه يتكلم حقيقة ، إذ أن ذلك مستلزمٌ لقيام الحوادث به و هذا محال .

الثاني : أن لصفة الكلام المتعلقة به تعالى دلالات خارجة عنها و تدل عليها ، و هذه الدلالات هي التي يمكن إطلاق صفة الحدوث عليها لا المعنى الأزلي القديم .

و هذا القول استلزم منهم أن يجعلوا كلام الله تعالى إلى أنبيائه و رسله محدث مخلوق لأنه عبارةٌ عن عباراتٍ و ألفاظٍ في الخارج دالةٌ على الكلام الأزلي النفسي القائم به تعالى .

يقول شيخ الإسلام : " الكلابية و الأشعرية يقولون إن القرآن ليس كلام الله و إنما كلامه المعنى القائم بذاته و القرآن خُلق ليدل على ذلك المعنى " .[2]

---

[1] نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

[2] كتب و رسائل و فتاوى شيخ الإسلام في التفسير ، جـ ١٢ ، ص ١٢٠ .

و هنا نرى الأثر للفكر الجعدي و الجهمي واضحاً جلياً ، فالجعد و كما يـذكر شيخ الإسـلام لا يقـوم عنـده بالله كلام ، و إنما كلامه مخلوق خلقه في بعض الأجسام .[1]

و على هذا الذي ذهب إليه الأشاعرة ـ من التفريق بين الكلام النفسي و الكلام الخارجي الـذي هـو عبارة عن دلالات العبارة و الألفاظ ـ فيكون العلم الإلهي الأزلي مطابقٌ للكلام النفسي الأزلـي القـائم بالـذات فلا تناقض و لا تغاير بينهما ، و إنمـا المغـايرة بـين العلـم الأزلـي و الكـلام الخـارجي ، حيـث أن الكـلام الخارجي حادث و العلم الأزلي قديم و هذا يستلزم القول بحـدوث بعـض العلـم وهـو العلـم المتعلـق بـالكلام الخارجي [2]، فالأمر لايخلو من مناقضةٍ كما رأينا ، ومعلـوم أن إعمـال العقـل فيمـا وراء الغيـب منشـأ كـل تناقض .

سادساً : الماتوريدية :

التعريف بهم :

نسبةً للماتوريدي محمد بن محمد أبو منصور ، وُلد بماتريد وهي محلة بسمرقند فيمـا وراء النهـر . تلقى العلم في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري أي في الوقت الذي كان فيه المعتزلة يواجهون استنكار الشعب بسبب ما أنزلوا بالفقهاء و المحدثين من المحن في بداية هذا القرن نفسه ، و قد وُجـد هـو و الإمـام الأشعري في عصر واحد حيث كان كل منهما يسعى لذات الهدف وهو التصدي للفكر الإعتزالي . توفي سـنة ٣٣٣هـ.[3]

آراؤهم في صفة العلم :

---

[1] المرجع السابق ، جـ ١٢ ، ص ١٦٣ .

[2] انظر : العلم الإلهي و آثاره في الفكر و الواقع ، للدكتور محمد أحمد عبد القادر ، د . ط ، ١٩٨٦م ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ص ٥٩٢ ، ٥٩٣ .

[3] انظر : تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام أبو زهرة ، د . ط ، ١٩٩٦م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ١٧٦ ، ١٧٩ .

لم يختلف المذهب الماتوريدي كثيراً عن المذهب الأشعري ، وإنما تقاربت آراؤهم في العلم وذلك من خلال القضايا التي تناولناها .

أولاً : قضيتي نفي الصفات و القول بخلق القرآن :

يمكن القول بأن مذهب الماتوريدية يتفق تماماً مع المذهب الأشعري في قضيتي الصفات و القول بخلق القرآن، فهم يثبتون العلم الإلهي و يقولون أنه صفة لله تعالى لا هي هو و لا غيره .[١]

كما أنهم يفرقون بين أنواع الكلام كتفريق الأشاعرة ، غير أنهم يجعلون القرآن متعلقاً بكلام الله النفسي و على هذا فهو أزلي قديم[٢] وهذه مقاربة لمذهب أهل الحديث . وهنا يتضح ضعف التأثير الجهمي فيما يتعلق بصفة العلم الإلهي عند كلٍ من الأشاعرة و الماتوريدية .

على أن ما تجدر الإشارة إليه أن التأثير الجهمي لم يقتصر على تلك الفرق التي تناولناها فحسب، و إنما شمل كذلك آراء عدد من الفرق الأخرى ، كالنجارية أتباع الحسين بن محمد النجار [٣] الذي قال بأن الله لم يزل متكلماً بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام ، و أن كلام الله محدث مخلوق [٤]، والزعفرانية[٥] من فرق النجارية و الذين ذهبوا إلى أن القرآن محدث و أن كلام الله غيره فهو مخلوق ،

---

[١] انظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، جـ ٣ ، ص ١٢٢٩ .

[٢] انظر : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٣٣ .

[٣] أبو عبد الله الحسين بن محمد النجار الرازي ،رأس الفرقة النجارية ، كان حائكاً . ومن مذهبه نفي عذاب القبر ورؤية الرب ، كما كان يقول بخلق القرآن وبأن كلام الله حادث . الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٠٠ . الأنساب ، جـ ٥ ، ص ٤٦٠ .

[٤] مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٣٤١ .

[٥] هي فرقة من النجارية ينتمون إلى رئيس لهم يقال له الزعفراني . اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ ٢ ، ص ٦٩ .

وقولهم بالخلق بدلالة الغيرية عين مذهب جهم [1]، و حفص الفرد [2] الذي قال بالتعطيل و أن معنى أن الباري تعالى عالم على معنى أنه ليس بجاهل [3] . و كل هؤلاء ضمن طوائف المرجئة والجبرية .

---

[1] درء تعارض العقل والنقل ، جـ ١٠ ، ص ٧١ .

[2] حفص الفرد من المجبرة يكنى أبا عمرو ، وكان من أهل مصر قدم البصرة فسمع أبا الهذيل واجتمع معه وناظره فقطعه أبو الهذيل . كان أولاً معتزلياً ثم قال بخلق الأفعال . له كتاب التوحيد وكتاب الإستطاعة وغيرهما . الفهرست لمحمد بن إسحاق أبو الفرج ابن النديم ، د . ط ، ١٣٩٨ هـ ، دار المعرفة ، بيروت، ص ٢٥٥ .

[3] الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٠٢ .

خلاصة الباب الثالث

مما سبق نخلص إلى أن :

١. التأثر الكلامي الإسلامي بالتصور اليهودي فيما يتعلق بعلم الله تعالى قد تركز حول ثلاث قضايا رئيسية هي : ١) قضية نفي الصفات ومنها العلم .
   ٢) قضية القول بخلق القرآن .
   ٣) قضية نفي القدر .

٢. عملية التأثر بين الفكر الكلامي الإسلامي وبين التصور اليهودي فيما يتعلق بعلم الله تعالى قد تولى زمامها أفراد كان لهم الدور الأبرز في تشويه جوانب من الفكر الإسلامي بتأثرٍ من العقائد اليهودية في العلم الإلهي .

٣. القول بالبداء في الفكر الشيعي يُعد من أبرز نتائج تأثر الفكر الشيعي بالتصور اليهودي في العلم الإلهي وذلك عبر قناة اتصالٍ هامة جداً تتضح في شخصية ابن سبأ اليهودي ومبادئه التي نادى إليها .

٤. عقيدة البداء الموجودة في الفكر الشيعي ترجع بمعانيها المختلفة و المستلزمة سبق الجهل على الله تعالى إلى كتاب اليهود المقدس .

٥. بدايات ظهور البداء كانت في القرن الأول الهجري بسبب آراء المختار بن عبيد الله الثقفي والتي تأثر فيها مبادىء السبئية ، بينما تأخر عن طور الممارسة الفعلية كشعيرة تعبدية إلى أوائل القرن الثالث الهجري بعد موت الإمامين العاشر والحادي عشر تحديداً .

٦. عقيدة البداء تمثل جوهراً أساسياً في العقائد الشيعية .

٧. عقيدة البداء تتشابه مع ما في العهد القديم من صورٍ منافية لكمال العلم الإلهي وهذا التشابه من ثلاثةِ أوجه : تشابه في التسمية ، وتشابه في النصوص ، وتشابه في المضمون .

٨. في القول بالبداء على الله تعالى دفعٌ لجميع الآيات الكريمة والنصوص النبوية التي تقرر كمال علمه عزوجل وشموليته وإحاطته وأزليته .

٩. التأثر الشيعي بالتصور اليهودي فيما يتعلق بالعلم الإلهي لم يقف عند حدود القول بعقيدة البداء ، وإنما تعدى ذلك إلى التأثر في القضايا الثلاث السابقة الذكر .

١٠. آراء بعض رؤوس التشيع ترجع بأصولها إلى كتب اليهود المقدسة .

١١. التأثر بالفكر اليهودي في مفهوم العلم الإلهي لم يكن حكراً على الطائفة الشيعية وحدها ، وإنما تسرب إلى سائر الطوائف الأخرى من خلال القول بثلاثة قضايا رئيسية لعبت فيها الأصول اليهودية دوراً حاسماً ، وهي القضايا التي مرت معنا سابقاً .

الخاتمـــــــــة

الخاتمة

يمكننا مما سبق أن نخلص إلى :

ـ أن الصفات الإلهية في الدين اليهودي قد وردت مشوهة قاصرة يشوبها كثير من معاني النقص والتشبيه.

ـ أن مفهوم العلم الإلهي من حيث معناه يتعارض مع ما هو وارد في الكتاب المقدس من صور منافية للعلم الإلهي .

ـ أن الفرق اليهودية قد تفاوتت في مفهوم العلم الإلهي نفياً وإثباتا .

ـ أن موقف الفرق اليهودية على اختلافها حيال علم الله تعالى متناقض في أصله ، وذلك التناقض عائد إلى تناقض نصوصهم المقدسة .

ـ أن معاني البداء الموجود في نصوص القرآن الكريم منسوب إلى أهل الضلال من المكذبين والمعاندين وليس فيه نسبة شيء إلى الباري تعالى .

ـ أن جميع معاني البداء خلا النسخ تنافي كمال العلم الإلهي وتتفق تماماً مع ما في العهد القديم من صور منافية للعلم الإلهي .

ـ أن عقيدة البداء في التصور اليهودي عقيدة قديمة قدم الأسفار اليهودية إذ اقترن وجودها بكتابة الأسفار المقدسة بعد سبي بابل وظهرت بصورة جلية فيها .

ـ أن عزرا الكاتب من أوائل من قال بالبداء على الله تعالى بما سطره من محفوظاته ومرويات الكهنة .

ـ أن فلاسفة اليهود قد تباينت مواقفهم أيضاً حيال البداء الموجود في كتبهم وحيال العلم الإلهي نفياً أو إثباتاً .

ـ أن يهود العصور الوسطى قد قاربوا في إثباتهم للعلم الإلهي إثبات المسلمين له ، وبذلك يُعد إثبات يهود العصور الوسطى إثباتاً تنزيهياً إذا ما قورن بإثبات سائر الفلاسفة اليهود .

ـ ضعف مواقف الإنكار اليهودي على مافي العهد القديم من صور منافية لعلم الباري عزوجل .

ـ أن الصهيونية قد اتخذت من بعض صور البداء الموجودة في العهد القديم وفي كتاب التلمود منطلقات لخدمة أهدافها التوسعية في بلاد المسلمين .

ـ أن الصهيونية و أدواتها لم تعرفا تنزيهاً صحيحاً أو إثباتاً للعلم الإلهي .

ـ أن التصور اليهودي قد تأثر في مفهومة للعلم بما سبقه من ديانات قديمة وسابقة على وجوده ، وقد كانت تلك المرحلة مرحلة وثنية وانحطاط في تاريخ الديانة اليهودية .

ـ أن ذلك التأثر اليهودي بغيره من الديانات لم يكن حكراً على ما سبقه من ديانات وإنما تأثر بالدين الإسلامي في العصر الوسيط ، وتميز ذلك التأثر بأن ارتقى بالتصور اليهودي في مفهوم العلم الإلهي إلى مستوى تنزيهي لايُقارن بغيره من مستويات التنزيه في تاريخ الدين اليهودي لاسيما بعد استحداث التوراة حيث اقترب من تنزيه المسلمين .

ـ إن أول مواقف التصحيح و الرد على مافي توراة اليهود من صور منافية للعلم الإلهي كانت مواقف إسلامية استنهضها إخبارات القرآن الكريم المتكررة عما في توراة اليهود من صور منافية لعلم الباري جل وعلا .

ـ أن التنزيه الأمثل لعقيدة الألوهية عموماً وللعلم الإلهي على وجه الخصوص لا يتوافر في أي دين سماوي اليوم غير دين الإسلام .

ـ لم تقتصر تلك العقيدة المشوهة للعلم الإلهي على الملة اليهودية ، وإنما لعبت سنة التأثر والتأثير دوراً كبيراً في ذلك حيث تسربت تلك العقائد المشوهة للعلم الإلهي إلى الملة الإسلامية نتيجة اختلاط شعوب الملتين في العهود الإسلامية الأولى .

ـ أن أصل عقيدة البداء في التصور الشيعي يعود إلى تأثر كثير من رموز الفكر الشيعي برموز الفكر اليهودي في ذلك العصر الذي توالت فيه الفتن على الأمة الإسلامية ، ابتداء من فتنة ابن سبأ ومروراً بالجعد بن درهم ومن بعده .

ـ أن التأثر الشيعي بالفكر اليهودي في مفهوم العلم الإلهي يمثل التأثر باليهودية في أشد درجاته وأعلى نِسبه .

ـ لم يقتصر التأثر الشيعي بالفكر اليهودي في مفهوم العلم الإلهي في القول بعقيدة البداء ، وإنما شمل العديد من الآراء المنافية للعلم الإلهي التي نادى بها رؤوس الفكر الشيعي متأثرين في ذلك بتيارات فكرية مختلفة للدور اليهودي فيها يد السبق والغلبة .

ـ أن التأثر بالفكر اليهودي في مفهوم العلم الإلهي لم يكن حكراً على الطائفة الشيعية وحدها ، وإنما تسرب إلى سائر الطوائف الأخرى من خلال القول بثلاثة قضايا رئيسية لعبت فيها الأصول اليهودية دوراً حاسماً :

الأولى : قضية نفي الصفات ومنها العلم .

الثانية : قضية القول بخلق القرآن .

الثالثة : قضية القدر .

ـ أن آراء رموز طوائف الفكر الإسلامي قد تفاوتت في الأخذ والتبني لتلك القضايا السابقة ، و تبعاً لذلك تفاوت حجم ونسبة التأثر الطائفي الإسلامي بالفكر اليهودي .

الفهـــــارس

أولاً
فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــة ورقمها **الصفحة**

ثانياً
فهرس الآثار والأحاديث

الحديث أو الأثر | **رقم الصفحة**

ثالثاً
فهرس المصادر والمراجع

الألف

١) القرآن الكريم

٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم و الحديث ، لعلي معمر ، ط ٥، ٢٠٠٤م ، دار الحكمة ، لندن .

٣) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، لصديق بن حسن القنوجي ،تحقيق : عبد الجبار زكار ، د . ط ، ١٩٧٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤) الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي للدكتور عبد الرزاق أحمد قنديل ، د. ط ، ١٤٠٤ هـ ، دار التراث ، القاهرة .

٥) أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية .

٦) الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، دار الحديث ، القاهرة .

٧) الأسفار المقدسة قبل الإسلام للدكتور صابر طعيمة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ، عالم الكتب ، بيروت .

٨) الأسفار المقدسة فبل الإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي ، د . ط ، د . ت ، دار نهضة مصر ،القاهرة .

٩) أسماء الله الحسنى للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، تحقيق : يوسف علي بدوي ، ط٢ ،١٤١٩ هـ ، دار ابن كثير ، بيروت ـ دمشق.

١٠) الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي محمد البجاوي، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، دار الجيل ، بيروت .

١١) أصل الشيعة وأصولها ، لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ، د . ط ، د . ت ، موقع الكتروني .

١٢) الأصول والفروع لإبن حزم الأندلسي ، تحقيق : الدكتور عاطف عراقي و آخرون ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .
١٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، د.ط ، ١٤١٥هـ ، دار الفِكر ، بيروت .
١٤) إظهار الحق لرحمت الله بن خليل الهندي ،د.ت ، د.ط ، دار الجليل ، بيروت .
١٥) الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب ، ط١,١٤٠١هـ ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت .
١٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام فخر الدين الرازي ، د . ط ، ١٣٥٦ هـ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
١٧) إفحام اليهود للإمام السموأل بن يحيى المغربي ، تحقيق و دراسة : الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ، ط ٣ ، ١٤١٠ هـ ، دار الجيل ، بيروت .
١٨) الإنتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى بن أبي الخير العمراني ، تحقيق : سعود الخلف ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، أضواء السلف ، الرياض .
١٩) الأنساب للإمام أبي سعيد عبد الكريم السمعاني ، تحقيق : عبد الله بن عمر البارودي ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت .
٢٠) آيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي، ط٤، ١٤٠٤هـ ، الدار السلفية، الكويت
٢١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل محمد بن إبراهيم بن جماعة ،تحقيق : وهبي سليمان الألباني ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، دار السلام ، مصر .

الباء

٢٢) البدء والتاريخ للإمام المطهر بن طاهر المقدسي ، د . ط ، د . ت ، مكتبة الثقافة الدينية ،بورسعيد.
٢٣) البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، د.ط ، د.ت ، مكتبة المعارف، بيروت .

٢٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني د. ط ، د . ت ، دار المعرفة ، بيروت .
٢٥) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود للدكتور عبد الله الجميلي ،ط٤ ، د.ت ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة .
٢٦) بشر المريسي و آراؤه الإعتقادية للدكتورة أحلام سعيد باحمدان ، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه ، ١٤١٩ هـ ، جامعة أم القرى .
٢٧) بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط١ ، ١٣٩٢هـ ، مطبعة الحكمة ، مكة المكرمة .
٢٨) بين الشيعة و أهل السنة ، للشيخ إحسان إلهي ظهير، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، لاهور .

التاء

٢٩) تأثر اليهودية بالأديان القديمة. للدكتور فتحي الزغبي ، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه، ١٤٠٧ هـ ، جامعة الأزهر الشريف .
٣٠) تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضي الحسيني الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين، د . ط ، د . ت ، دار الهداية .
٣١) تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، ط ٥ ، ١٩٨٤م ، دار القلم ، بيروت .
٣٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٣٣) تاريخ بغداد لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، د.ط ، د.ت ، دار الكتب العلمية، بيروت .
٣٤) تاريخ الجدل للإمام أبو زهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٠م ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، بيروت .
٣٥) تاريخ الديانة اليهودية للدكتور محمد خليفة حسن، ط١ ، ١٩٩٨م، دار قباء، القاهرة .
٣٦) تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، د . ط ، د . ت ، دار الكتب العلمية، بيروت .

٣٧) تاريخ مدينة دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر العمري ، د . ط ، ١٩٩٥م ، دار الفكر ، بيروت .
٣٨) تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام أبو زهرة ، د . ط ، ١٩٩٦م ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
٣٩) تاريخ نقد العد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث ، تحرير : زالمان شازار ، ترجمة أحمد محمد هويدي ، د . ط ، د . ت ، المجلس الأعلى للثقافة .
٤٠) تاريخ اليهود و آثارهم في مصر لتقي الدين المقريزي ، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب ، د. ط ، د . ت ، دار الفضيلة ، القاهرة .
٤١) تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمد زهري النجار ، د. ط، ١٣٩٣هـ ، دار الجيل ، بيروت .
٤٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ، لأبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني ، تحقيق: كمال الحوت ، ط١ ،١٤٠٣ هـ ، عالم الكتب ، لبنان .
٤٣) التبيان في أقسام القرآن لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، د . ط ، د . ت دار الفكر ، بيروت .
٤٤) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري ، لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، ط٣، ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٤٥) التحفة المدنية في العقيدة السلفية للشيخ العلامة حمد بن ناصر آل معمر، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر، ط١، ١٤١٣هـ، دار العاصمة الرياض .
٤٦) التدمرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد بن عوده السعوي ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ، مكتبة العبيكان ، الرياض .
٤٧) تذكرة الحفاظ لأبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي ، ط ١ ، د . ت ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٤٨) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٤٩) تفسير البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥٠) تفسير البيضاوي ، د . ط ، د . ت ، دار الفكر ، بيروت .
٥١) تفسير القرآن للسمعاني ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، دار الوطن ، الرياض .

٥٢) التفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٣) تلبيس إبليس ، للإمام أبي الفرج عبد لرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، د.ط ، ١٤٢٧هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٥٤) التلمود ، عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين، آ. كوهن، ترجمة إلى العربية : د . سليم طنوس ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ، دار الخيال ، بيروت .

٥٥) التلمود أسرار...حقائق ،للحسيني الحسيني معدِّي ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة .

٥٦) التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ، ط ٨ ،١٤٢٣ هـ ، دار النفائس ، بيروت .

٥٧) التلمود كتاب اليهود المقدس لأحمد إيبش ، ط١ ، ١٢٤٧هـ ، دار قتيبة ، دمشق ـ بيروت.

٥٨) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسن محمد بن أحمد الملطي الشافعي ، تحقيق: محمد زاهد الكوثري ، د . ط ، ١٤١٨هـ ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر .

٥٩) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية، المسيحية، الإسلام، لسعد بن كمونه اليهودي، د.ط، د.ت ،دار الأنصار ، لبنـــان .

٦٠) التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ، دار النفائس ، بيروت .

٦١) التوراة تاريخها وغاياتها ، ترجمة وتعليق سهيل ديب ، ط ١ ، ١٣٩٢ هـ ، دار النفائس، بيروت .

٦٢) التوراة السامرية ، ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن الصوري ، نشرها وعرف بها الدكتور أحمد حجازي ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ ، دار الأنصار ، مصر .

٦٣) التوراة العبرانية .

٦٤) التوراة عرض وتحليل ، للدكتور فؤاد حسنين ، د.ط ، ١٩٤٦م ، ألف باء ، مصر .

الجيم

٦٥) جامع البيان ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، د . ط ، ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر، بيروت .

٦٦) جامع رسائل ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، د . ط ، د . ت ، مصر .

٦٧) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي ، د.ت، د.ط ، دار الشعب ، القاهرة .

٦٨) الجديد في الحكمة لإبن كمونه ، تحقيق : حميد بن مرعيد الكبيسي ، د . ط ، ١٤٠٣ هـ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد .

٦٩) جذور الفكر اليهودي. للدكتور داود عبد العفو سنقرط ،ط٢،د.ت، دار الفرقان، عمّان .

٧٠) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي إبن القيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، دار العروبة ، الكويت .

٧١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : علي سيد صبح المدني ، د. ط ، د . ت ، مطبعة المدني ، مصر .

الخاء

٧٢) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ، تحقيق : د . عبد الرحمن بن عميرة ، د . ط ، ١٣٩٨ هـ، دار المعارف ، السعودية .

٧٣) الخوارج في العصر الأموي نشأتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، أدبهم للدكتور نايف محمود معروف ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، دار الطليعة ، بيروت .

الدال

٧٤) دائرة المعارف الكتابية ، الطبعة العربية الجزء الأول ، ط ٢ ، د . ت ، دار الثقافة ، القاهرة .

٧٥) دائرة المعارف الكتابية ، النسخة العربية الجزء الثاني ، ط١ ، د. ت ، دار الثقافة ،القاهرة.

٧٦) دائرة المعارف الكتابية ، الطبعة العربية الجزء الجزء الرابع ، ط٢ ،١٩٩٦ م ، دارا لثقافة، القاهرة .

٧٧) الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، د . ط ، ١٩٩٣م ، دار الفكر ، بيروت .

٧٨) درء تعارض العقل و النقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ، د . ط ، د . ت ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

٧٩) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين " الخوارج و الشيعة " ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ ، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، الرياض .

٨٠) دستور العلماء للقاضي عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري ، ترجمة من الفارسية : حسن هاني فحص ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الذال

٨١) ذيل التقييد لمحمد بن أحمد الفاسي المكي ، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط١ ، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الراء

٨٢) رجال صحيح مسلم لأبي بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني ، تحقيق : عبدالله الليثي ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

٨٣) الرد على الجهمية للإمام الدارمي، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ ، دار ابن الأثير ، الكويت .

السين

٨٤) سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان أبو عبدالله الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط ٩ ، ١٤١٣ هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٨٥) السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي ، د. ط ، ١٤٠٠ هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

الشين

٨٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم ، تحقيق: د . أحمد سعد حمدان ، د . ط ، ١٤٠٢ هـ ، دار طيبة الرياض .

٨٧) شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، ط ٢ ،١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي .

٨٨) شرح العقيدة الأصفهانية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : سعيد بن نصر بن محمد ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

٨٩) شرح قصيدة ابن القيم ، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٩٠) شعب الإيمان للإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد السيد بسيوني زغلول، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٩١) شهود يهوه ، للدكتور أسعد السحمراني ، ط ٣ ، ١٤٢٢ هـ ، دار النفائس ، بيروت .

٩٢) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، دار التيار الجديد ، بيروت .

٩٣) الشيعة والتصحيح الصراع بين الشيعة والتشيع للدكتور موسى الموسوي ، د. ت ، ١٤٢٣ هـ ، عنوان الرسائل البريدية : المجلس الإسلامي الأعلى بالولايات المتحدة .

الصاد

٩٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : عبد القادر زكار ، ، د . ط ، ١٩٨١م، وزارة الثقافة ، دمشق .

٩٥) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق : د . مصطفى ديب ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ، دار ابن كثير ، بيروت .

٩٦) صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د . ط ، د . ت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٩٧) الصهاينة الجدد للدكتور ناصر بن محمد الزامل ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ .

٩٨) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق : دكتور علي بن محمد الدخيل الله ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ ، دار العاصمة ، الرياض .

الضاد

٩٩) ضعفاء العقيلي لأبي جعفر محمد بن عمر العقيلي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠٠) الضعفاء و المتروكين لإبن الجوزي ، تحقيق : عبدالله القاضي ، ط١، ١٤٠٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الطاء

١٠١) طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن شهبة ، تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، عالم الكتب ، بيروت .

١٠٢) طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الداودي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .

العين

١٠٣) العقيدة للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، ط١ ،١٤٠٨هـ ، دار قتيبة ، دمشق .

١٠٤) العقيدة الطحاوية ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، ط ١ ، ١٩٧٨م ، المكتب الإسلامي، بيروت .

١٠٥) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق محمد بن عبد العزيز مانع ، ط٢، ١٤١٢هـ ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء ، الرياض .

١٠٦) على التوراة للفقيه علي بن محمد بن عبد الرحمن الباجي الشافعي ، تحقيق : الدكتور أحمد حجازي السقا، ط١ ، ١٤٠٠ هـ ، دار الأنصار ، مصر .

١٠٧) العلم الإلهي في الفكر الإسلامي للأستاذ حسن حسين تونجبيلك ، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة "الماجستير" ، ١٤٠٣ هـ ، قسم العقيدة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

١٠٨) العلم الإلهي و آثاره في الفكر و الواقع ، للدكتور محمد أحمد عبد القادر ، د . ط ، ١٩٨٦م ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .

١٠٩) العين والأثر في عقائد أهل الأثر ، لعبد الباقي المواهبي الحنبلي تحقيق : عصام رواس قلعجي ، ط١، ١٤٠٧ هـ ، دار المأمون للتراث ، لبنان .

١١٠) عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطبـاء لموفـق الـدين أبـي العبـاس أحمـد بـن القاسـم السـعدي الخزرجى، تحقيق الدكتور نزار رضا ، د.ط، د.ت، دار مكتبة الحياة، بيروت .

الغين

١١١) غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام للدكتور فتحـي الـزغبي ، ط ١ ، ١٩٨٨م، مطابع غباشي، طنطا .

الفاء

١١٢) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق وتقديم : حسنين محمد مخلوف ، د . ط ، د . ت ، دار المعرفة ، بيروت .

١١٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمـد بـن علـي بـن حجـر أبـو الفضـل العسقلاني ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، د . ط ، د . ت ، دار المعرفة ، بيروت .

١١٤) الفرق الدينية اليهودية في الموسوعة العبرية ،ترجمة نبيل أنسي الغندور ، ط١ ،٢٠٠٦م، مكتبة النافذة — الجيزة ،. أوَ الفرق الدينية في الموسوعة العبرية .

١١٥) فـرق الشـيعة ، للحسـن بـن موسـى النـوبختي ، د . ط ، ١٤٠٤ هـ ، دار الأضـواء ، بيروت.

١١٦) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، للدكتور غالب بن علـي عـواجي ، ط ٤ ، ١٤٢٢ هـ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة .

١١٧) الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات ، للأستاذ عبد المجيد همـو ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ ، دار الأوائل ، دمشق .

١١٨) الفصل في الملل والأهواء و النحل ، للإمام ابن حـزم علـي بـن أحمـد الأندلسـي ، تحقيـق أحمد السيد سيد أحمد ، د. ط ، د. ت المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

١١٩) فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية للأب .برانايتس ، إعداد زهدي الفاتح ، ط ٥ ، ١٤٢٤هـ ، دار النفائس ، بيروت

١٢٠) فضيحة التوراة للدكتور عابد توفيـق الهـاشمي ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، مؤسسـة الرسـالة ، بيروت .

١٢١) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه للدكتور حسن ظاظا ، ط٣ ،١٤١٦ هـ ، دار القلم، دمشق .

١٢٢) الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم ، د . ط ، ١٣٩٨م ، دار المعرفة ، بيروت.

١٢٣) فهم القرآن لأبي عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ، تحقيق: حسن القوتلي ، ط ١٣٩٨،٢هـ ، دار الكندي- دار الفكر، بيروت .

١٢٤) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ، تحقيق علي بن محمد بن يعوض الله، ط١، ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢٥) الفولكلور في العهد القديم لجيمس فريزر ، ترجمة : د . نبيلة إبراهيم ، د . ط ، ١٩٧٢م، الهيئة المصرية للكتاب .

القاف

١٢٦) قاموس الكتاب المقدس ، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الإختصاص ومن اللاهوتيين ، ط١٤ ، ٢٠٠٥ ، دار مكتبة الأمل ، القاهرة .

١٢٧) القدر لأبي بكر جعفر بن الحسن الفريابي ، تحقيق : عمرو عبد المنعم سليم ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، دار ابن حزم ، بيروت .

١٢٨) قصة الحضارة ، وول ديورانت ، د . ط ، ٢٠٠١م ، الهيئة المصرية العامة .

١٢٩) القضاء و القدر لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد عبد الله آل عامر ، ط١ ، ١٤٢١ هـ ،مكتبة العبيكان ، الرياض .

١٣٠) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لمحمد بن صديق القنوجي ، تحقيق : عاصم عبد الله القربوتي ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، شركة الشرق الأوسط ، الأردن .

١٣١) قواعد العقائد لأبي حامد الغزالي ، تحقيق : موسى محمد علي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، عالم الكتب ، لبنـان .

الكاف

١٣٢) الكامل في التاريخ لإبن الأثيـر ، لأبي الحسن علي بن أبي الكـرم الشـيباني ، تحقيـق : عبد الله القاضي ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٣٣) الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبد الله بن عدي أبـو أحمـد الجرجـاني ، تحقيـق : يحيـى مختار غزاوي ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ ، دار الفكر ، بيروت .
١٣٤) كتب و رسائل و فتاوى ابن تيمية في التفسير لشيخ الإسلام ابـن تيميـة ، تحقيـق : عبـد الرحمن بن محمد القاسمي ، ط ٢ ، د . ت ، مكتبة ابن تيمية .
١٣٥) الكشاف لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، د. ط ، د . ت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٣٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغويـة لأبـي البقـاء أيـوب بـن موسـى الحسـيني الكفومي ، تحقيق: عدنان درويش، د.ط ، ١٤١٩ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
١٣٧) الكنـز المرصـود في فضـائح التلمـود ، دراسـة وتعليـق د. عبـد الله الشـرقاوي ، د . ط ، ١٩٩٠م ،مكتبة الوعي الإسلامي ، القاهرة .

اللام

١٣٨) اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكـرم محمـد بـن محمـد الشـيباني الجزري ، د . ط ، ١٤٠٠ هـ ، دار صادر، بيروت .
١٣٩) لباب النقول في أسـباب النـزول ، لأبـي الفضـل عبـد الـرحمن بـن أبـي بكـر بـن محمـد السيوطي، د . ط ، د. ت ، دار إحياء العلوم ، بيروت .
١٤٠) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور المصري ، ط ١ ، د . ت ، دار صادر ، بيروت .
١٤١) اللاهوت والسياسة ، ترجمـة و تقـديم الـدكتور حسـن حفـني ، ط ٣ ، د . ت ، مكتبـة الأنجلو المصرية، القاهرة .
١٤٢) الله لعباس محمود العقاد ، ط ٣ ، ٢٠٠٣م ، نهضة مصر ، القاهرة .
١٤٣) الله أم يهوه أيهما إله اليهود ؟ لعبد المجيد همو ،ط ١ ، ٢٠٠٣م ، الأوائل ، دمشق .

الميم

١٤٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن بـن محمد بن قاسم النجدي ، ط ٢ ، د . ت ، مكتبة ابن تيمية .

١٤٥) المحلى للإمام أبو محمد على بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (جزء العقيدة) ، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي ، د.ط ، د.ت ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،
١٤٦) مختصر تفسير ابن كثير ، إختصار وتحقيق : محمد علي الصابوني ، ط ٧ ، ١٤٠٢ هـ، دار القرآن الكريم ، بيروت .
١٤٧) مرآة الجنان لأبي عبد الله بن أسعد اليافعي ، د. ط ، ١٤١٣ هـ ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
١٤٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، د . ط ، د . ت ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
١٤٩) المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق : د . صالح الضامن، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت
١٥٠) معارج القبول حافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق : عمرو بن محمود أبو عمر ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، دار ابن القيم ، الدمام ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .
١٥١) المعتقدات الرومانية ، للدكتور خزعل الماجدي ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، دار الشروق ، عَمَّان
١٥٢) المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق عوض الله ، د . ط ، ١٤١٥ هـ ، دار الحرمين ، القاهرة .
١٥٣) معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت الحموي ، د . ط ، د . ت ، دار الفكر ، بيروت .
١٥٤) المعجم الوسيط ، إخراج إبراهيم مصطفى وآخرون ، ط ٢ ، د . ت ، المكتبة الإسلامية ، إستانبول .
١٥٥) المفردات في غريب القرآن الكريم لأبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، د . ط د . ت ، دار المعرفة ، لبنان .
١٥٦) مقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن الأشعري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، د . ط ، ١٤١٦ هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت .
١٥٧) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، دار الجفان و الجابي، قبرص .
١٥٨) الملل و النحل للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : أمير علي مهنا ، ط٤ ، ١٤١٥ هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

١٥٩) مناهل العرفان في علوم القرآن للأستاذ الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٦٠) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لعبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٣٥٨ هـ ، دار صادر ، بيروت .

١٦١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، مؤسسة قرطبة .

١٦٢) المواقف لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، دار الجيل ، بيروت .

١٦٣) موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته ، للدكتور إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

١٦٤) موسوعة الأديان الميسرة ، تأليف عدد من المؤلفين ، ط ٣ ، ١٤٢٦ هـ ، دار النفائس ، بيروت .

١٦٥) موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ،للدكتور عبد المنعم الحفني ، د . ط ، د . ت ، مكتبة مدبولي .

١٦٦) موسوعة الفلسفة للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

١٦٧) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، الموسوعة الموجزة للدكتور عبد الوهاب المسيري ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، دار الشروق ، القاهرة .

١٦٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، ط ١ ، ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

النون

١٦٩) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، لعلي بن حزم الظاهري ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٧٠) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، د . ط ، د . ت ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، مصر .

١٧١) نشـأة الفكـر الفلسـفي في الإسـلام للـدكتور علـي سـامي النشـار ، الجـزء الأول ، ط ٥ ، ١٩٧١م، دار المعارف،مصر .

١٧٢) نشأة الفكر الفلسـفي في الإسـلام للـدكتور علـي سـامي النشـار ، الجـزء الثـاني ، ط ٤ ، ١٩٦٩م ، دار المعارف،مصر .

١٧٣) نقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ، مكتبة النافذة ، الجيزة .

١٧٤) نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي العنيد ، تحقيق : رشـيد حسـن الألمعـي ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ، مكتبة الرشد ، السعودية .

١٧٥) نهاية اليهود لأبي الفداء محمد عزت عارف ، د. ط ، د . ت ، نسخة محفوظة بمكتبـة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة .

١٧٦) نواسخ القرآن ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بـن الجـوزي ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الهاء

١٧٧) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصـارى للإمـام ابـن القـيم الجوزيـة،ط١، ١٤٢٥هـ، مكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية .

الواو

١٧٨) الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمـد الأرنـاؤوط ، د . ط ، ١٤٢٠ هـ ، دار إحياء التراث ، بيروت .

١٧٩) الوشـيعة في نقـد عقائـد الشـيعة ، للشـيخ موسـى جـار الله ، ط١ ، ١٣٩٩هـ ، سـهيل إكيديمي ، لاهور .

١٨٠) وعد التوراة من إبرام إلى هرتزل ، للدكتور موسـى مطلـق إبـراهيم ، د. ط ، د . ت ، دار أمواج ، نسخة محفوظة بمكتبة الحرم المكي الشريف .

١٨١) وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بـن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، د . ط ، د . ت ، دار الثقافة، لبنان .

الياء

١٨٢) اليهود تاريخ وعقيدة للدكتور كامل سعفان ، ط ٢ ، د .ت ، دار الإعتصام ، القاهرة .
١٨٣) اليهود الحسيديم نشأتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، تقاليدهم للدكتور جعفر هادي حسن ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، دار القلم ، دمشق ـ الدار الشامية ، بيروت .
١٨٤) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، د . ط ، د . ت ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
١٨٥) اليهود في شرق البحر المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي للدكتور على أحمد محمد السيد ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية ،الهرم .
١٨٦) اليهودية للدكتور أحمد شلبي، ط ١٢ ،١٦٩٧م، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
١٨٧) اليهودية بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم تاريخاً وعقيدة للدكتور جمال سعد محمود جمعه ، ط١ ، ٢٠٠١م ، دار الثقافة العربية ، القاهرة .

رابعاً
فهرس الموضوعات

الموضوع | **الصفحة**

